

دار الكتب المصرية

— — — — —

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

— — — — —

الجبر، الأول

طبع

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥ هـ ١٩٢٢ م

كِتَابُ
صُنْحِ الْأَسْبَحِ
نَالِيفَتِ
الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلَقَشَنْدِ

الجزء الأول

(أحقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب المصرية)

طبع
بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
١٩٣٤ - ١٩٣٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حائل المرء بأصعريه ، قلته ولسانه . والمتكلم بأحمليه ، فصاحته وبيانه .
راقم حقائق المعاني بأقلام الإلهام على صفحات الأفكار . جامع اللسان والعلم على
ترجمة ما في الصائير ، داك للأسماع وهذا للأبصار . الذي حفظ رسوم الخطوط ما تكل
الأدهان السليمة عن حفظه . وتلّع بوسائطها على العبد ما يعسر على المتحمل تأديته
بصورة معناه ولفظه .

أحمدته على أن وهب من سات الأفكار ما يربو في الفجر على دُكُور الصوارم .
ومح من حواهر الخواطر ما يركو مع الإلهاء ولا ينقص بالمكارم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهاده يُوقَع لصاحبها بالبحاء من الار .
ومُكْتَبَ بالها في ديوان الأبرار . وأب مجدا عده ورسوله الذي آهَرَّتْ لهيئته
الأسيرة وشرفت بذكره المبار . وصاقت عن دَرْك وصفه الطروس وبَقِدْ دون
إحصاء وصله المحار . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الدس قُلدوا أمور الدين فقاموا
بواحبها . وحمّلوا أعباء الشرعه ما نشرت بهم في مشارق الأرض ومعاربها . صلاة
تُسَطَّر في الصحف . وتغوق بهجتها الروص الأنف .

الجزء الاول

وبعد فلما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها . وأرخ الصنائع وأنعمها . وأفضل المآثر وأعلاها . وآثر الفصائل وأعلاها . لاسما كتابة الإنشاء الى هي منها عمدة سلطاتها . وإنسان عينا بل عن إنسانها . لا تلتفت الملوك إلا إليها . ولا تعول في المهمات الا عليها . يعظمون أصحابها وقرّيون ثقاتها . خليفها أدا حليق بالتقدم . حدير التحيل والتكريم .

تُسَرِّحَ بِهَا إِذَا مَا حَيَّ الطَّعَا وَتُرَوَّى بِمَحَارِبِهَا إِذَا نَحَلَ الْقَطَرُ

وكاب الديار المصرية . والمملكة اليوسفيه . أعر الله تعالى حماها ' . وصاعب علاها ' قد علقّت من النزاً بأقراطها . ورحمت سائر الأقاليم بغيراطها . نشر فتحها الصادق الأمين ، فكانت أعظم نُشْرَى . وأحمر سيد المرسلين أن لأهلها . وصهرها . فتوحتهت إليها عرائم الصحابة ومنّ الفاروق فحاشوا حلال الدار وعمره وسهلها . وأقتطعها أيدي المسلمين من الكفار وكانوا أحقّ بها وأهلها

ثم لم ير علو قدرها . ونسبو دكرها . إلى أن صارت دار الخلافة العباسية وقرار المملكة الإسلامية . وخرّف مملكتها حُدُودَ الحَرَمِ . وخدمها سُرُ الملوك والأئمّ لجيارة القلتين .

تَنَاهَتْ عِلَاءً وَالسَّابِ رَدَاؤُهَا فَا طَلَعَتْ بِالْفَصِيلِ وَالْأَنْسِ سَبِ

وحِطَّتْ من مُصْلَاءِ الْكُتَابِ مَا لَمْ يُحِطْ مَمْلَكَةُ مِنَ الْمَالِكِ . ولا محصر من الأمصار . وحوّت من أهل الفصل والأدب ما لم تحو قطر من لاقطار . فإ يرحب متوّحّةً بأهل الأدب في الحديث والعديم . مطرّدة من فصحاء الكتب كل مكان أمين ، وحفيظ علم .

نُحَوِّمُ سَمَاءَ كَلَّمَاءَ كَوَكَّ نَدَا كَوَكَّ نَأْوَى إِلَيْهِ كَوَكَّ

هذا . والمؤلفون في هذه الصبعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف . وتباينت
مواردهم في الجمع والتأليف . ففرقة أحدثت في بيان أصول الصبعة وذكر شواهدها .
وأخرى حجت إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها . وطائفة أهتمت بتدوين
الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأدبها . وتكون أتمودحا لمن بعدهم يسلك
سبيلها ، من أراد أن ييسر على منوالها . ولم يكن فيها تصنيف ، جامع لمقاصدها .
ولا تأليف ، كأول مصادرها الخلية ومواردها . بل أكثر الكتب المصنفة في أمها .
والتأليف الدائرة بين أربابها . لا يخرج عن علم البلاغة المرحوج منها إليه . أو الألفاظ
الرائقة مما وقع اختيار الكتاب عليه . أو طرف من اصطلاح قد رُفص . ويعبر
أتمودحه ويقص . فلا يعي الطر فيه المقلد من كتاب الرمان . ولا يكتفي به القاصر
في أوام بعد أوام . على أن معرفة المصطلح هي اللارم المحتم . والمهم المقدم .
لعموم الحاجة إليه . واقتصار القاصر عليه .

إِنَّ الصَّبِيْعَةَ لَا تَكُوْنُ صَبِيْعَةً * حَتَّى تُصَابَ بِهَا طَرِقُ الْمُصْعِ

وكان الدستور الموسوم "بالتعريف . بالمصطلح الشريف" . صعة الفاصل
الألمعي . والمصنع اللودعي . ملك الكتابة وإمامها . وسلطان البلاغة وممالك رمايها .
المقر الشهابي "أحمد بن فضل الله العدوي العمري" سقى الله تعالى عهده العهاد ' .
وألسه سوانع الرحمة والرصوان يوم المعاد ' . هو أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب
عقدا . وأعد لها طريقا وأعد لها وردا . قد أحاط من المحاسن بمحاسنها . وأغفمت
الأفكار عن مثله فعار من الصبعة بأحمد مداهمها . فكان حقيقا بقوله في حطته

"يَا طَالِبَ الْإِنْسَاءِ خُذْ عِلْمَهُ * عَنِّي فَعِلْمِي عَيْرَ مَنكُورٍ "

"وَلَا تَقِفْ فِي بَابٍ عَيْرِي فَمَا ٢ تَدْخُلُهُ (إِلَّا بِذِيئُورِي)"

هذا . والمؤلفون في هذه الصعة قد آتلفت مقاصدهم في التصنيف . وتباينت
مواردهم في الجمع والتأليف . ففرقة أحدث في بيان أصول الصعة وذكر شواهدِها .
وأخرى حثت إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها . وطائفة آهتت بتدوين
الرسائل ليقتبس من معانيها ويُنسك نأديالها . وتكون أُمودًا لمن بعدهم سلك
سبيلها، من أراد أن يَسُحَّ على مِوالها . ولم يكن فيها تصنيف ، جامع لمقاصدها .
ولا تأليف ، كافل بمصادرِها الخلة ومواردِها . بل أكثر الكتب المصنَّعة في بابها .
والتأليف الدائر من أربابها . لا يخرج عن علم البلاغة المرحوع فيها إليه . أو الألفاظ
الرائقة مما وقع اختيار الكُتاب عليه . أو طَرف من اصطلاح قد رُفِص . وغير
أُمودِها ويُقص . فلا يعنى الطرْفِ المقلد من نُكَّات الرمان . ولا يكتفى به القاصر
في أوامٍ بعد أوامٍ . على أن معرفة المصطلح هي اللارم المحتم . والمهم المقدم .
لعموم الحاجة إليه . واقتصار القاصر عليه .

إِنَّ الصَّيْعَةَ لَا تَكُونُ صَيْعَةً . حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

وكان الدُسْتُور الموسوم "بالتعرف . بالمصطلح الشريف" . صعه القاسل
الألمعي . والمصنَّع اللودعي . ملك الكُتابة وإمامها . وساطان البلاغة ومثالِك رَمَاهَا .
المقرَّ الشباني "أحمد بن فصل الله العدوي العمري" سقى الله تعالى عهده العهاد ' .
وألسه سوانع الرحمة والرَّضوان يوم المَعَاد ' . هو أنفس الكتب المصنَّعة في هذا الباب
عقدًا . وأعدُّها طرقًا وأعدُّها وِردًا . قد أحاط من المحاسن بحوائجها . وأعفمت
الأفكار عن مثله فغار من الصعة بأحمد مداهمها . فكان حقيقة نقوله في حطته

"يَا طَالِبَ الْإِنْشَاءِ خُذْ عِلْمَهُ * عَنِّي فَعِلْمِي غَيْرَ مَسْكُورٍ "

"وَلَا يَقِفْ فِي بَابٍ غَيْرِي فَمَا * تَدْحُلُهُ (إِلَّا بِدُسْتُورِي)"

إلا أنه قد أهمل من مقاصد المصطلح أموراً لا يسوع تركها . ولا يحجر بالعذية لدى القوات تُسكُّها . كالمطائق . والمططات . والمطلقات . المكروه في حاملة كثيرة من المكاتبات . فلم يقع العي ' به عما سواه . ولا الاكتفاء بالطرف به عما عداه .

ثم تلاه المقرّ التقوى آس ناظر الحيش (رحمه الله ') بوصح دستور المسما " بالتقريب التعريف " مقتنيا أثره في الوصح ، ودار ما على سنه في التلخيص . مع إيراد ، أهماله في تعريفه . ويذكر ما فاتته من مصطلح ما يُكتَب أو حدث بعد تأييده . وشهره ذكره وعرف وجوده . ووقع الصُّ به حتى يعل بإعارته من عُريف كرمه وجوده . وكان مع ذلك قد ترك مما تصممه العريف مقاصد لا عني بالمكاتب عمه . ولا بد لتتأسس هذه الصاغة منها . كالوصايا والأوصاف ، التي هي عمده المكاتب . ومن كر الترد وأترح الحما ، وغير ذلك من مميزات الواحب ، وما لا يتم الواحب إلا به فهو واجب . وفار كل من الدستورين مبرداً عن الآخر بقدر رائد . ولم تقع العنية بأحدهم ، عن الآخر . وبن كانا في معنى واحد .

وكيفما كان فالأوتصار على معرفه المصطلح قصور . وإصرار عن عرف أصول الصعة صمعت همة وفنور . والمقلد لا يوصف بالاحمد . وشأن من يعرف الحكم عن دليل ومن حمد على التقليد مع حرم الاعتماد .

ولم أرى عيوب الناس شيئاً كمنقص العادرات على تمه

وقد ثبت في العقول أن الساء لا يقوم على سر أساس . ولتخرج لاسئ لا على أصل ، وانثر لا تختي من غير عراس .

وكست في حدود سنة إحدى وتسعين وسبعائة عدد آراء حراري في سنة ١٩١٠
بالأبواب الشريعة الساطية . عظم الله تعالى شأنه . ورفع قدرها . وأعر سطها

من صبح الأعشى

أنشأت مقامة سيتها على أنه لاند للإسان من حرفة يتعلق بها . ومعيشه يتمسك بسبها .
 وأن الحكامة هى الصبابة التى لا يلىق بطالب العلم من المكاسب سواها . ولا يحور له
 العدول عنها إلى ماعداها . وحجت فيها إلى تفصيل كتابة الإشاء وترجيحها .
 وتقديمها على كتابة الأموال وترشيحها . ونهت فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإشاء
 من المواد . وما يبنى أن يسلكه من الحوآد . وصممتها من أصول الصبغة ما أرتت به
 على المطولات ورادت . وأودعها من قوايين الكتابة ما استولت به على جميع مقاصدها
 أو كادت . وأشرت فيها إلى وجه تعلقي بحال هذه الصبغة وإن لم أكن بمطلوها ملباً .
 وأنسانى إلى أهلها وإن كنت فى السسة إليها دعيًا .

وَأَبْسَ دَعَى الْقَوْمِ فِي الْقَوْمِ كَالِدَى . حَوَى نَسَاً فِي الْأَكْرَمِينَ عَرِيقَا

إلا أنها قد وقعت موقع الوخى والإشارة . ومالت إلى الإيثار فاكثفت بالتلويح
 عن واسع العار . فعز ذلك مطلبها . وفات على المحتى سعد التناول أطيبها . فأشار من
 رأيه مقرون بالصواب . ومشورته عريّة عن الارتياب . أن أشعها بمصصف مسوط
 يشتمل على أصولها وقواعدها . مويتكفل محل رمورها ودكر شواهدا . ليكون
 كالشرح عليها . والبيان لما أحملته والتتمة لما لم يسقه الفكر إليها . فامتثلت أمره
 بالسمع والطاعة . ولم أتلکاً وإن لم أكن من أهل هذه الصبابة . غير أن القريحة
 ذلك لم تسمع . وصار المقتضى يصعب والمانع يترجح . لأعداد قد تشابه محكمها .
 وصحروا ، إن لم يعلمها الخلق ناله يعلمها . إلى أن لاحت لى بوارق الفتح . وطهرت
 ولله الحمد آثار المنح . فعد ذلك باعث النفس أملاًها . وأصفت مواهب الأمتان
 حللها . وتلا لسان العبادة على العى الحاسد ما يفتح الله للبأس من رحمة فلا تمسك
 لها .

فشرعت في ذلك بعد أب استحرت الله تعالى (وما حاب من استحار) .
 وراحت أهل المشورة (وما يدم من استشار) . مستوعبا من المصطلح ما أشتمل عليه
 "التعريف" و"التثقيف" . موصحا لما أهماه تبيين الأمثلة مع قرب المأخذ وخس
 التأليف . متربعا بأمور رائدة على المصطلح الشريف لا يسع الكاتب جهلها . فستأ
 من توحيه المقاصد ، وتبين الشواهد ، مما يعرف به فرع كل قصيه وأصم .
 معالم الكناية بكل معنى عريب . ناقلا الباطن في هذا المصنف عن رتبة النسخ
 يحاب إلى رتبة أن يسئل فيحيب . منها على ما يحتاج إليه الكتب من المصنف .
 يجرح بمعرفتها عن عهد الكناية ودرجتها . ذاكرة من أحوال المؤلفات المكملة من هذه
 المملكة ما يعرف به قدر كل ملكة ومالكها . مبيها جهة قاعدتها .
 شرقا أو غربا ، أو جنوبا أو شمالا . معرفا الطريق الموصل إليها .
 و اتصالا . ذاكرة مع كل قاعدة مشاهير بلدانها ، إكمالا للتعريف .
 بالحروف كي لا يدخلها التبديل والتحريف .

وسميت (صحيح الأعتنى في كناية الإنش) راجيا من الله تعالى
 بالمقصود وإياها . وللعيل شافيا .

وليغير العاقف عليه ، فتأخر الأيمكار على اختلاف الدواعي ، هي .
 كل أحد على قدر سعته لا يكلف الله نفسا ألا ما آتاه . ورحمة الله من مذهب
 على سهو أو خطإ وأصلحه عادرا لا عادلا . وميلا لا بائلا .
 إلا من وفق الله وعصم . وقد قيل الكتاب كالمكاتب لا يسلم من له أحد .
 عه القلم ، والله تعالى يقرئه بالتوفيق . ويرسده إلى أوجه طريق .
 إلا بالله عليه توكلت وإليه أئب .

وقد رتبته على مقدمة ، وعشر مقالات ، وخاتمة .

المقدمة

في ما يدىح تقدمها قبل الحوص في كناية الإساء ، وفيها خمسة أبواب

الباب الأول

في فصل الكناية ، ومدح فصلاء أهلها ، ودم حقايم ، وفيه فصلان

الفصل الأول — في فصل الكناية .

المسألة الثاني — في مدح فصلاء الكُتّاب ودم حقايم .

الباب الثاني

في ذكر مدلول الكناية لغةً وأصطلاحاً ، وبيان معنى الإنشاء ، وإضافة الكناية إليه ، ومرادفة لفظ التوقيع لكناية الإساء في عُرف الرمان ، والتعير عنها بصناعة الترسل ، وتفصيل كناية الإنشاء على سائر أنواع الكناية ، وترجيح الثر على الشعر . وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول — في ذكر مدلولها ، وبيان معنى الإنشاء وإضافتها إليه . ومرادفه التوقيع لكناية الإنشاء في عرف الرمان ، والتعير عنها بصناعة الترسل .

الفصل الثاني — في تفصيل كناية الإساء على سائر أنواع الكناية

الفصل الثالث — في ترجيح الثر على الشعر .^١

الباب الثالث

في صفات الكُتّاب وآدابهم ، وفيه فصلان

الفصل الأول — في صفاتهم الواحة والعرفية .

الفصل الثاني — في آدابهم .

أشكالها وأختلاف أوصاعها، وما يستعمل منها في ديوان الإنشاء، وما يلتحق بذلك من النقط والشكل والهاء .

المقالة الثانية

في المسالك والممالك، وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها، وبيان جهاتها الأربع، وما آسمت عليه من الأقاليم السعة الطبيعية، وبيان موقع الأقاليم العرفية كمصر والشام من الأقاليم الطسعية، وذكر حدودها الجامعة لها .

الفصل الثاني — في ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر النّذان في التعريف بها والسفر إليها من البحر المحيط والبحار المندثرة في أقطار الأرض وبوحي الممالك مما هو متصل به ومنقطع عنه وما بها من الخرائط المشهورة .

الفصل الثالث — في استجراح جهات النّذان والأبعاد الواقعة بينها .

الباب الثاني

في ذكر الخلافة ومنّ ولها من الخلفاء ومقرّاتهم في العدم وما انطوى عليه

ممالكهم من الأقطار، وفيه فصول

الفصل الأول — في ذكر الخلافة ومنّ ولها من الخلفاء الراشدين من الصحابة (رضوان الله عليهم)، وحلفاء بني أمية بالشام، وحلفاء بني العباس بالعراق، ثم بالديار

المصرية، وحلفاء الفاطميين بمصر، وحلفاء بني أمية بالأندلس، والمدعين الخلافة من بقايا الموحدين بأفريقية .

الفصل الثانى — فيما أبطوت عليه الخلافة العباسية فى الرمن القديم وما كانت عليه من الترتيب وما هى عليه الآن .

--

الباب الثالث

فى ذكر الديار المصرية ومضافها من البلاد الشامية وما يتصل بها ،

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول — فى الديار المصرية وذكر فصائلها ومحاسنها ، وحواسنها وعجائنها وما بها من الآثار القديمة ، وذكر بيئها ومدنه وهمايته ، وريادته ونقصه ، ومقاييسه ، وما ينتهى اليه فى الريادة وما يصل اليه فى النقص ، والحلجان المتفرعة عنه ، وحسورها الحاسنة لمياه النيل على أرضها ، وبحيرات الديار المصرية ، وحالها ورروعها ورياحيها وفواكهها ، ومواشيها ووحوشها وطيورها ، وذكر حدودها وأتداء عمارتها وتسميتها بمصر ، وتفرع الأقاليم التى حولها عنها ، وذكر أعمالها وقواعدها القديمة ، والمنايا العظيمة الناقية على ممر الأريمان ، وقواعدها المستقرة وما أشتملت عليه من محاسن الأنبياء ، وذكر من ملكها جاهلية وإسلاما قبل الطوفان وبعده ، وترتيب أحوالها ، وذكر معاملاتها وعبودها ، وريب مملكتها فى القديم والحديث ، وبيان وطائف دولها القديمة والمستقرة لأرباب السيوف والأقلام .

الفصل الثانى — فى البلاد الشامية وما يصل بها من بلاد الحريرة العربية وبلاد النعمور والعوصم لمصر ، الآن — بلاد الأرمين — وبلاد الدرسدات المعروفة الآن — بلاد الروم — مما هو مصنف فى مملكة مصر . وفصل السام وحواسه

ومخائسه وحدوده وأتداء عمارته وتسميته شاما ، ودكر أشهره ونحدراته وحناله المشهورة ، ودكر رروعه وفواكهه ومواشيه ووحوشه وطيوره . ودكر أعماله وحماهته وأحماده وكوره القديمه والمستقرة وقواعده العظام وما كانت عليه في "زمن السابق ومن ملكها جاهلية وإسلاما وما آستقرت عليه الآن من البيات ، وزياد أحوالها ، ودكر معاملاتها ونقودها ، وترتيب بياناتها وما بها من وظائف أرباب السيوف والأقلام وما آشتملت عليه من العُربان .

الفصل الثالث — في البلاد الحجازية وما يحيط في ساكنها . ودكر فصل النحر وحواسه ومخائسه وأتداء عمارته وتسميته محاربا ، ودكر مياهه وعيوبه وحناله المشهورة ورروعه وفواكهه ورباحيه ومواشيه ووحوشه وقواعده وأعماله وبواحيه ومعاملاته ونقوده وملوكه جاهلية وإسلاما .

السا ب الرابع

في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية من الجهات الأربع
والطرق الموصلة اليها ، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عن الديار المصرية . وما سامت ذلك ووالاه من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية ، وما آشتملت عليه هذه الجهة من مملكة إيران التي هي مملكة الفرس قديما ، وما أطوب عليه من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد العراق وبلاد خورستان وبلاد الأهوار وبلاد فارس وبلاد كرمان وبلاد خراسان وبلاد أرمينية وأذربيجان وبلاد الحمال المعبر عنها بعراق العجم وبلاد الدلم وبلاد الخليل المعبر عنها بكيلان وبلاد مارندران وبلاد قومس وبلاد رالميسان وبلاد العوز

(١) استبر هذا الجمع على الألسنة ولم نع رسله في معاجم الله الى أيدينا وان كان الناس لا يه

وعيرها، ومملكة تُوران المعروفة بمملكة الترك قديماً، وما أشتملت عليه من قسم ماوراء
النهر من بحارى وسمرقند ومصافتهما وبلاد تركستان وما مع ذلك، وقسم حوارم
ودشت القسحاق المشتمل على حوارم والدشت وأعمال السراى وبلاد القرم وبلاد
الأرق وما يصم إلى ذلك من بلاد السرب واللغار وبلاد الأولاق وبلاد الآص
وبلاد الروس وعيرها، وقسم ما بيد صاحب التخت المعرعه (بالقان الكبير) المشتمل
على بلاد الخطا وبلاد الصين، وما اتصل بهاتين المملكتين مما يلي الحوب من بلاد
البحرين ومملكة اليم وما بها بيد أولاد رسول وما بها بيد إمام الريدة، وممالك
الهند المتصلة ببلاد الصين والواقعة في حرائر البحر الهندي .

الفصل الثانى — فى الممالك والبلدان العربية عن مملكة الديار المصرية، من
مملكة تونس المشتملة على بلاد أفريقية، ومملكة تلمسان المشتملة على بلاد العرب
الأوسط، ومملكة فاس المشتملة على بلاد العرب الأقصى إلى البحر المحيط وما إلى
ذلك من ممالك حرية الأندلس وما بقى منها بيد المسلمين وما استعاده منها ملوك الكفر .

الفصل الثالث — فى الممالك والبلدان الحوبية عن مملكة الديار المصرية
وما أشتملت عليه من بلاد السودان من مملكة البربر ومملكة الكايم ومملكة مالى
ومملكة الحبشة، وبيان ما من ذلك بيد ملوك المسلمين وما به بيد ملوك الكفر .

الفصل الرابع — فى الممالك والبلدان الشمالية عن مملكة الديار المصرية مما
بيد المسلمين من البلاد المعروفة الآن ببلاد الروم وما بيد ملوك البصارى من حرائر
بحر الروم كحريرة قبرس وحريرة رودس وحريرة أقریطش وحريرة المصطكى وحريرة
صقلية وعيرها وما إلى ذلك مما شمالى بحر الروم من مملكة القسطنطينية ومملكة السدييه
ومملكة حوه ومملكة رومية ومملكة فرسه وعير ذلك .

المقالة الثالثة

في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكتات والولايات وعيرهما من ذكر الأسماء والكُنى والألقاب، وكيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص والمرعاب وحوه، على كُتاب الإنشاء، ومقادير قطع الورق وما ياسب كل مقدار منها من الأعلام، ومقادير الياص في أول الدُرح وحاشيته وتعد ما بين السطور في الكتات. وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكتات والولايات وعيرها. وتامة الملحصات، وبيان الفوائح والحوام، وفيها أربعة أنواع.

الساب الأول

في الأسماء والكُنى والألقاب، وفيه فصلان

الفصل الأول — في الأسماء والكُنى ومواضع ذكرهما في المكتات والولايات وما يجرى تحراهما.

الفصل الثاني — في ذكر الألقاب وأصل وضعها وما استعمله الكتات منها وما كان يلقب به أهل كل دولة وما حدث من الريادة بعد ذلك حتى صدر الأمر إلى ما عليه الحال في زماننا، والألقاب التي أصطلح عليها لأرباب السوف والأعلام وعيرهم وما وضع منها لأهل الكفر، وبيان معنى كل لقب في اللغة ومن تقع عليه في الاصطلاح، وكيفية ترتيب بعضها على بعض.

الساب الثاني

في بيان مقادير قطع الورق وما ياسب كل مقدار منها من الأعلام.

الياص الذي يراعيه الكتات في كتابته، وفيه فصلان

الفصل الأول — في مقادير قطع الورق المستعملة في الإنشاء في التمام.

الفصل الثانى — فى بيان ما ياسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة
الذكر من الأقلام ، ومقادير الياص الذى يراعيه الكاتب فى أعلى الدّرح وحاشيته
وُعد ما بين السطور فى الكتابة .

الباب الثالث

فى بيان المستندات وكتابة الملاحظات ، وكيفية التعيين ، ومقادير قطع الورق
وما ياسبها من الأقلام ، وفيه فصلان

الفصل الاول — فى بيان المستندات التى يصدر عنها كتابة ما يكتب من تلقى
كاتب السر الأمر فى ذلك عن السلطان أو تلقينه وتلقى كتاب الدست بدار العدل ،
أو شمول القصة بالخط الشريف ، أو كونه رسالة الدوادار أو بإشارة النائب الكافل
أو إشارة أستاذ الدار أو إشارة الوزير أو نقائمة من ديوان الحاص وغيره ، وكتابة
الملحّصات التى تكتب من الكتب المطبوعات الواردة على الديوان ، وترجمة الكتب
الوارده بغير العربية إلى العربية .

الفصل الثانى — فى بيان كيفية تعيين صاحب دواوين الإنشاء القصص
والمرعاب وما فى معابها ، وبيان مقادير قطع الورق المستعمل فى دواوين الإنشاء من
الكامل والثلثين والنصف والثلث والعادة وما ساسب كل مقدار منها من مختصر
الطومار ونقيل الثلث وحقيقه والتوقيعات والرقاع ومقادير الياص المرعية فى الكتابة
فى أعلى الدّرح وحاشيته وُعد ما بين السطور .

السبب الرابع

في الفوائد والحواشي واللواحق ، وفيه فصول

الفصل الأول — في الفوائد من السلسلة والحمدلة والتصلية والسلام في أول الكتب والبعديّة التي يقع بها فصل الكلام، وبيان أصول ذلك وأصل مشروعيته .

الفصل الثاني — في الحواشي واللواحق من كتابة إن شاء الله في آخر المكتوب وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ في الإسلام والتاريخ بالهجره والوقت الذي يؤرخ فيه ، وبيان ساء التاريخ العربي على الليالي دون الأيام، واختلاف مذاهب النحاة والكتّاب في التعبير عن ذلك . وساء « تاريخ العجم على الأيام دون الليالي ، ومعرفة استعراح كل تاريخ من تواريخ الأمم من الآخر، وكتابة المستند والحمدلة في آخر الكتب والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم بعدها، والاحتتام بالحسلة ، وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق وكيفيه وضعه .

المقالة الرابعة

في المكتبات ، وفيها فصول

السبب الأول

في أمور كليّة تتعلق بالمكتبات ، وفيه فصول

الفصل الأول — في مقدمات المكتبات من أصول يعتمدها الكتّاب فيها من حسن الافتتاح وراعه الاستهلال وتقديم مقدمه تناسب المكتوب فيه في أول المكتبة، ومعرفة الفرق بين الألفاظ الحارة في الخطاب وحوه المكتبات وما يباس المكتوب إليه منها ، ومواقع الدناء فيها، والإيذان لكل مقصد .

مقاصد المكتبات بما يباسه، ومحاطه كل أحد من المكتوب المهم على قدر طاقته

من اللغة العربية، ومراعاة الفصاحة والبلاغة في الكُتابة إلى مَنْ يتعاناها، ومراعاة رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه، ومواقع الشعر من المكتات وحس الاحتتام وما يحرى محرى ذلك، وبيان مقادير المكتات وما يباسمها من السط والإيجار وما يلائمها من المعاني، ومعرفة ما يختص من ذلك بالأخوة وبيان ترتيبها .

المصل الثاني — في بيان أصول المكتات وترتيبها وبيان لواحقها ولوارمها ومداهب الكُتاب فيما تُمتَح به المكتات في القديم والحديث، وما يحاطب به أهل الإسلام وأهل الكفر في المكتات، وبيان كيفية طي الكُتاب وحتمه وحمله وتأديته ووفسه وقراءته وحفظه في الإصْارَة .

السبب الثاني

في مُصْطَلَح المكتات الدائرة بين كُتَاب الإسلام في كل زمن من الصدر الأول وإلى رماسا، وفيه ثمانية فصول

المصل الأول — في الكُتُب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام وملوك الكفر، وأختلاف آفتاحها بحسب المقاصد .

المصل الثاني — في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وحلفاء بني أمية، وحلفاء بني العباس، وحلفاء الفاطميين، وحلفاء بني أمية بالأندلس وبقايا الموحدين بأفريقية آتداء وحوانا .

المصل الثالث — في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معاهم مما كُتِب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم، وحلفاء بني أمية، وحلفاء بني العباس، وحلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وحلفاء

سعى أمية بالأندلس، ونقايا الموحدين بأفريقية، وما كتب به عن الملوك ومن في معاهم إلى الملوك ومن في معاهم من المكاتبات الدائرة بين ملوك الدمار المصرية وملوك الشرق والعرب، ووزراء الخلفاء ومقدي أمر الخلافة اللاحق شأو الملوك، وما يتحقق بذلك من المكاتبات الصادرة إلى ملوك الكفر واختلاف الاقتراح في ذلك.

الفصل الرابع — في الكتب الصادرة عن ملوك الدمار المصرية على ما استتمز عليه الحال من آتداء الدولة التركية وإلى زمانها على رأس الثمانمائة مما أكتفه مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية، التي هي أصل الدولة التركية مما هو صادر عنهم إلى خلفاء بني العباس، وإلى أهل المملكة بمصر والشام والمغرب، وإلى عظماء القنات بممالك الشرق كقنات مملكة إيران الجامع لحدودها على ما كان الأمر عليه إلى آخره، إلى سعيد ثم من بعده ممن سلع شأوه من القنات الصغار كالسيح واوس ومن بعده إلى زمانها، ومن هذه المملكة من صغار الملوك والحكام، وقنات مملكة نوران من صاحب ما وراء الهر من بحاري وسمرقند وما معها، وصاحب خوارزم والدش والقان الكبير صاحب التبت، وصاحب الهند، وصاحب اليمن وإمام الزيدية، وملوك بلاد المغرب كصاحب تونس، وصاحب بلنسان، وصاحب تونس. وصاحب عرابطة من الأندلس، وملوك بلاد السودان كملك البربر وملك الكامي. وصاحب مالي، وملوك الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم من الجهة الشمالية، وملوك الكفر كملك الحبشة من البلاد الحبشية وملك القسطنطينية وسائر ملوك الفرنج وحكامهم بحرائر الروم وغيرها ممن تقدم ذكره في الكلام على المسالك والممالك.

الفصل الخامس — في الكتب الواردة على الأنوار السلطانية بالنداء المصرية من ملوك الممالك المتقدمة الذكر وحكامها من أهل الإسلام والكفر من بلاد مكانه على هذه المملكة.

المصل السادس — في المكاتبات الإحوائيات مما كان عليه مُصطَلَح السلف
فمن بعدهم في كل رمس وما استقر عليه الحال في زماننا .

المصل السابع — في مقاصد المكاتبات من الأمور الخاصة بالملوك والحُلفاء .
كالكتب بالِشارة بولاية الحِلافة، والخلوس على تَحْتِ السلطنة، والدَّعاية إلى الدِّين،
والحثُّ على الجهاد، والإحمار عن الفتوحات، والأمر بلروم الطاعة، والتنبيه على مَوَاسم
العادة، والمَوَاعِظ عند حدوث الآيات السماوية، والأوامر والبواهي، والتهنئة عن
التباعد في الدِّين، والكتب إلى مَنْ نكث العهد أو حَلَعَ الطاعة، والتصديق على أهل
الخرائم، والِشارة بالمواسم، والأعياد، ووفاء الليل، وركوب الميادين، والعود من العرو،
والكتب بالتلقيب على ما كان الأمر عليه في الرمس المتقدم، وبالإجماع والإدغام،
والكتب قريب الإيعام السلطاني من الحيل والحوارج، وسائر أصناف الإيعام،
والاعتدار عن السلطان في الهزيمة ومحوها، والأحوبة عن ذلك، وما يستترك فيه الملوك
ومن عَدَاهم من التهاى كالتهنئة بالوطائف، وتكرمة السلطان، وتحدّد الأولاد،
والمساكن، والعود من الحج، والقُدُوم من السفر، والإنزال من المرص، ورضا السلطان
وعُزّة السمة، وشهر رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، والبرور، والمهرحان،
والدحول في دين الإسلام، والصَّرف عن الخدمة في سلامة، ومن التعارى كالتعزية
بالأب والأم والولد والقريب والصديق، والتشوّقات، والشِّعاعات، والتهادى،
والاستشارة، وأستماعة الحوائج، وأحتطاب المودة، وحطبة الترويح، والشكر،
والشكوى، والاعتدار، والعتاب، والمداعة، وغير ذلك

المصل الثامن — في معرفة إحقاء ما في الكتب من السرّ إقاماً بطريق المترحم،
وإقاماً بالكتابة بما يظهر بالمعالجة من عرصه على البار، أو جعل دواء عليه وما أشبه ذلك .

المقالة الخامسة

في الولايات، وفيها أربعة أنواع

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — في بيان طبقات الولايات وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها مما يكتب في ولاية الخلافة والسلطنة والولايات المصادرة عن الخلفاء والملوك، وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية والشام والمحار لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وأرباب الوظائف الديوانية والوظائف الدنيئة، وغير ذلك.

الفصل الثاني — في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال.

الفصل الثالث — في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات.

الباب الثاني

في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول — في معنى البيعات.

الفصل الثاني — في ذكر تنوع البيعات ما يكتب للخلفاء، وأصل مسنده ٢٠٠. وبيان أسباب البيعة الموحدة لأحدها على الرعية، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة، وبيان صورة ما يكتب فيها، واختلاف مذاهب الكتاب في ذلك. وذكر نسخ من بيعات الخلفاء مما كان يكتب به في الخلافة العباسية بالعرف. وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وخلفاء بني أمية بالأندلس وما يتحقق بذلك مما كتب به لخلفاء بني العباس الآن بالديار المصرية، وما يكتب من البيعات للملوك على ما اصطلاح عليه كتاب بلاد العرب والأندلس.

الباب الثالث

في العهود، وفيه فصول

الفصل الأول — في معنى العهد .

الفصل الثاني — في بيان أنواع العهود مما يكتب به للحلفاء عن الحلفاء، وما يكتب به للملوك عن الحلفاء، وما يكتب به عن الملوك لولاة العهد بالسلطنة والملوك المفردين بصغار البلدان، ومداهب الكتب في ذلك، وذكر سُح من ذلك جميعه مما كتب به سلاط المشرق والمغرب والديار المصرية .

الباب الرابع

في الولايات الصادرة عن الحلفاء لأرباب المناصب، من أصحاب السيوف

والأقلام وغيرهم، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — فيما كان يُكتب من ذلك عن الحلفاء من الصحابة رصوان الله عليهم، وحلفاء بني أمة بالشام، وحلفاء بني العباس بالعراق، وحلفاء بني أمية بالأندلس، وحلفاء الفاطميين بمصر، ومدعى الخلافة من بقايا الموحد سلاط المغرب، ومداهب كُتُب الدول في ذلك .

الفصل الثاني — فيما يكتب من الولايات عن الملوك لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم من مصطلح كُتُب المشرق بعد آقراض الخلافة العباسية من العراق، ومصطلح كُتُب المغرب والأندلس في التقديم والحديث، ومصطلح كُتُب الديار المصرية في الدولة الطولونية وماولياها من الدولة الإخشيدية، والدولة الأيوبية وماولياها من الدولة البركية، وما استقر عليه الحال فيها إلى زماننا، مما كتبت لأرباب السيوف

والأقلام ويبرهم عن الأنواب السلطانية بالديار المصرية من التقاليد والتعاويص
والمراسيم والتواقيع على اختلاف مراتبها .

المصل الثالث — فيما يكتب عن نواب السلطة بالممالك السامية لأرب
السيوف والأقلام وغيرهم ، ود كر سح من ذلك .

المقالة السادسة

في الوصايا الديية ، والمساحات ، والإطلاقات ، والطرحيات ، وتحول السمس .
والتداكر ، ود كر سح من ذلك ، وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في الوصايا الديية . وفيه فصول

المصل الأول — فيما لقدمات الكتاب من ذلك

المصل الثاني — فيما يكتب من ذلك في زمانا .

الباب الثاني

في المساحات ، والإطلاقات . وفيه فصول

المصل الأول — فيما يكتب في المساحات .

المصل الثاني — فيما يكتب في الإطلاقات .

الباب الثالث

في الطرحايات ، وفيه فصلان

الفصل الأول — في طرحايات أرباب السيوف .

الفصل الثاني — في طرحايات أرباب الأقاليم .

الباب الرابع

في تحويل السنين ، وما يكتب في التوفيق بين السنين القمرية والشمسية ،

وما يكتب في التداكر ، وفيه فصلان

الفصل الأول — في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية .

الفصل الثاني — في التداكر .

المقالة السابعة

في الإقطاعات والمقاطع ، وذكر نسج من ذلك ، وفيها بابان

الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان

الفصل الأول — في ذكر أمور تتعلق بالإقطاعات من بيان معناها ، وأصل

وصعها في الشرع ، وأول من وضع ديوان الحيش في الإسلام ، ومن يستحق إثنائه في الديوان ، وكيفية ربيهم فيه .

الفصل الثاني — في بيان حكم الإقطاع وانفساه إلى إقطاع تملك وأسرعلال .

الباب الثاني

فيما يكتب في الإقطاعات في القديم والحديث، وفيه فصلان

الفصل الأول — في أصل ذلك في الشرع، وبيان ما أقطعه النبي صلى الله عليه

وسلم من البلاد والأرضين .

الفصل الثاني — في صورة ما كان يكتب في الإقطاعات في الزمن القديم عن

حلفاء بني العباس بالعراق، وحلفاء الفاطميين بمصر، وعن الملوك القائلين على حلفاء

العراق، وملوك بني أيوب بالديار المصرية، وما يكتب في الإقطاعات في زمانهم

استقر عليه الحال، وما يكتب في ذلك من ديوان الجيش من المرتعات وما هي مدرسه

عليه، وما يكتب في ذلك من ديوان الإنشاء من المآشير، وبيان مراتبها، ودكر قطع

الورق الذي يكتب فيه، وما يكتب في طُرر المآشير وما يلتحق بذلك من الطُّعْرُوب

المشتملة على الألقاب السلطانية التي كانت تُلصَق بأعلى المآشير بين الطُّرَّة والسمله .

وما يختص من ذلك بالريادات والتحديدات .

القبالة الشامة

في الإيمان، وفيها ما نادر

الباب الأول

في أصول يتبع على الكاتب معرفتها قبل الحوص في الإيمان . وفيه فصلان

الفصل الأول — فيما يقع به القسم من الأقسام التي أقسم الله تعالى بها . والأقسام

التي يُقسم بها الخلق من أقسام العرب في الجاهلية . والأقسام الشرعية التي حلف بها

الفصل الثاني — في بيان اليمين العموس ولغو اليمين ، والتحديد من إحسث والوقوع في اليمين العموس .

الباب الثاني

في مسح الأيمان الملوكية ، وفيه فصول

الفصل الأول — في مسح الأيمان المتعلقة بالخلفاء .

الفصل الثاني — في الأيمان المتعلقة بالملوك مما يحلف به المسامون من أهل السنة وأرباب البدع وأهل الملل من اليهود والنصارى ، والمحوس وما يحلف به الحكماء .

المقالة التاسعة

في عقود الصلح والقسوح الواردة على ذلك ، وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

في الأمانات ، وفيه فصول

الفصل الأول — في عقد الأمان لأهل الكفر .

الفصل الثاني — في كتابة الأمانات لأهل الإسلام ، وذكر أصل ذلك من السنة ، وإيراد مسح من ذلك .

الباب الثاني

في الدف ، وفيه فصول

الفصل الأول — في أصله وكونه مأخوذاً عن العرب .

الفصل الثاني — فيما يكتب في الدف عن الملوك .

الجزء الأول

الباب الثالث

فيما يكتب في عقد الدِّمَّة وما يتفرَّع على ذلك، وفيه فصول

الفصل الأول — في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد .

الفصل الثاني — في صورة ما يكتب في متعلقات أهل الدِّمَّة . ولزامهم بأحرار
على ما يقتضيه عقد الدِّمَّة لهم .

الباب الرابع

في الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام، وملوك الكفر، وفيه فصول

الفصل الأول -- في أصول يتعين على الكاتب معرفتها من بيان معنى هدية
وما يرادفها من الألفاظ، وبيان أصل وضعها في الشرع، وما ينبغى على الكاتب من
في كتابتها .

الفصل الثاني — في صورة ما يكتب في المهادنات وأحوال مذهب نتائج
الشرق والعرب والديار المصرية في ذلك، وذكر نسخ منها، وبيان ما يكتب من ذلك
من ديوان الإنشاء بالأقوال السلطانية بالديار المصرية وما يراد من ذلك مما يكتب
عن ملوك الكفر .

الباب الخامس

في عقود الصلح الواقعة بين ملوك مسلمين . وفيه فصول

الفصل الأول — في أصول تعتمد في ذلك .

الفصل الثاني — فيما يكتب في عقد الصلح، وذكر نسخ من ذاتها، كتب
عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث أن ما .

المقالة العاشرة

في صون من الكتابة يتداولها الكتّاب ويتنافسون في عملها ليس لها تعلق
بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها، وفيها نادى

الباب الأول

في الحديات ، وفيه ستة فصول

الفصل الأول — في المقامات وذكر نسح منها .

الفصل الثاني — في الرسائل من الرسائل الملوكية المشتملة على العرو والصيد
وبحو ذلك ، والرسائل الواردة مورد المدح ، والرسائل الواردة مورد الدم ، ورسائل
المفاحرات بين الأشياء العيسة كالمفاحرة بين العلوم والسيوف والقلم وبحو ذلك ،
والرسائل المشتملة على الأسئلة والأحوة ، والرسائل المكتنة بالحوادث والمفاحرات
ودكر نسح من ذلك جميعه .

الفصل الثالث — في قدمات السدق ، وذكر نسح منه .

الفصل الرابع — في الصّدقات الملوكية ، وصّدقات الأعيان .

الفصل الخامس — فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب من الإحارة بالفتاوى
وعبراصات الكتب والمرويات ، وما يكتب على الكتب المصنّعة والفصائد من
التقريطات ، وما يكتب عن القصّاه من التقاليد الحكيمية وإسمالات العدالة والمطلقات
وعبر ذلك .

الفصل السادس — في العمرات التي تكتب للخلاص .

الباب الثاني

في الهزليات، وفيه فصول

الفصل الأول — فيما آتت الملوك سعصه .

الفصل الثاني — في سائر أنواع الهزل .

الخاتمة

في ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة، وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في الكلام على البريد، وفيه فصول

الفصل الأول — في مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها من معرفته معنى البريد وأول من وضعه في الخاهلية والإسلام، وبيان معاملة .

الفصل الثاني — في ذكر مراكز البريد بالديار المصرية والبلاد السامية على اختلاف طرقها .

الباب الثاني

في طائرات الحمام الرساليّة، وذكر أحوال المقررة بالمدن المصرية

والبلاد السامية، وفيه فصول

الفصل الأول — في ذكر طائراته وأعضاء الملوك إياه في الخدمة وأحداث ومسافات طراته .

الفصل الثاني — في الأبراج المقررة له بالمدن المصرية والبلاد السامية .

الباب الثالث

في ذكر مراكز الثلج الواصل من البلاد الشاميه إلى الملوك

بالديار المصرية، وفيه فصلان

الفصل الأول — في مراكزه .

الفصل الثاني — في هُجْه .

الباب الرابع

في المآور والمُحْرِقات، وفيه فصلان

الفصل الأول — في المآور التي كان يُستعلم بها حركة التتار إلى البلاد الإسلامية .

الفصل الثاني — في المُحْرِقات التي كان يتوسل بها إلى إحراق رروع التتار

ومراعيهم بأطراف بلادهم .

المقدمة

في المادى التى يجب تقديمها قبل الخوص فى كتابة الإنشاء،

وفىها خمسة أبواب

الباب الأول

فى فصل الكتابة، ومدح فصلاء أهلها. ودم حَمَقاهم،

وفيه فصلان

الفصل الأول

(فى فصل الكتابة)

أعظم شاهد لحليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى أسب تعليمها إلى نفسه، وأعتده من وافر كرمه وإفضاله فقال عز اسمه ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحي، وأول التبريل على أشرف سى، وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم وفى ذلك من الأهتمام بشأنها ورفعه محلها مالا حفاء فيه.

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحَقَّطه الكرام من ملائكته فقال حَلَّتْ قدره ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافٌ طِينٌ كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ ولا أعلى رسة وأندح شرفاً مما وصف الله تعالى به ملائكته وبعث به حَقَّطته، ثم راد ذلك تأكيداً ووفر محله إحلالاً وتوطئاً بأن أقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يُسَطَّر به فقال تقدست عظمته ﴿بِالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِيَعْمَةٍ رَبِّكَ تَخْشَوْنَ وَالْإِنْسَانَ لَا يَقَعُ بِهِ

سبحانه إلا شريف ما أندع، وكريم ما أحترع كالشمس والقمر والحووم ومحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها .

ثم كان نتيحة تفصيلها، وأثره تعظيمها وتحليلها، أن السارع ندب إلى مقصدها الأسى، وحث على مطلبها الأعلى، فقال صلى الله عليه وسلم "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ" مشيراً إلى العرص المطلوب منها، وعائتها المحتمة من ثمرها، وذلك أن كل دى صنعه لا تآله في معاناتها من مادة حسميه تطهر فيها الصورة، وآلة تؤدي إلى تصورها، وعرص يقطع الفعل عنده، وعاية تستثمر من صغته .
والكثانة إحدى الصنائع فلا تد فيها من الأمور الأربعة .

فأدتها، الألفاظ التي تحللها الكاتب في أوهامه، وبصور من صمم بعضها إلى بعض صورة ناطقة تامة في نفسه بالقوة، والخط الذي يحطه العلم . ويقيد به تلك الصور . وتصير بعد أن كانت صورته معقولة ناطقة صورة محسوسة طاهره . وآتتها العلم . وعرضها الذي يقطع الفعل عنده تقييد الألفاظ الرسوم الخطية . فمكمل قوة الطق وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل الأقرب، وتحفظ صورته، ويؤمّن عليه من العبر والتهذل والصياح . وعائتها الشيء المستثمر منها، وهي انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة، العائده في أحوال الخاصة والعامة بالعائده الحسيمه في أمور الدن والدنيا . ولما كان التقييد بالكثانة هو المطلوب، وقع الحص من السارح عليه، والحب على الاعتناء به سبها على أن الكثانة من تمام الكمال، من حيث إن العمر قصير والوقائع متسعة، وما ذا عسى أن يحفظه الإنسان بقله أو يخلصه في ذهنه .

قال ذو الرمة لعيسى بن عمر "أُسْتُكْتُبَ سِعْرِي بِالْكِتَابِ أُخْبِتُ إِلَى مِنَ الْخَطِّ" إن الأعرافى ليمسى الكلمة ود سهرت في طلبها ليلة فصع موصعها كلمه في وردها لآذ أوهاها، والكتاب لا تد ولا تدل ملأها كلام .

وقد أظن السلف في مدح الكناية والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال سعيد بن العاص "مَنْ لم يكتب فيميه يُسرى". وقال معن بن رائدة "إذا لم تكتب اليد فهي رِحل". وناصح مكحول فقال "لادية لا تكتب". قال الخاطب ولو لم يكن من فصل الكناية إلا أنه لا يسجل بي سيجلاً ولا حليقة مرضى ولا يقرأ كتاب على من من مسار الدنيا إلا إذا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الحليقة ثم يذكر الكتاب كما هو مشهور في السجلات التي سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بحرّان وغيرهم وأكثرها يحط أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه في شرفه وسبله وساقته ومحدثه .

ومن ثم قال المؤيد "الكناية أشرف ما صاب الدنيا بعد الخلافة ، إليها ينتهي الفصل ، وعدّها تقف الرعة".

ومن كلام أبي جعفر "الفصل بن أحمد" في حملة رسالة "الكناية أش الملك ، وعماد المملكة ، وأعصان متفرقة من شجرة واحدة . والكناية قُطب الأدب ، وملاك الحكمة ، ولسان باطق بالفصل ، وميران يدل على راحة العقل . والكناية نور العلم ، وقِدامة^(١) العقول ويّذان الفصل والعدل . والكناية حلية بورية ولُوس وجمال وهيبه وروح حارية في أقسام متفرقة ، والكناية أفصل درجة وأرفع مبرلة ، ومن حهل حق الكناية فقد وُسم بوسم العواة الجهلة ، والكناية والكتاب قامت السياسة والرياسة ، ولو أن فصلاً وسلاً تصوراً جميعاً تصوّرت الكناية ، ولو أن في الصاعات ساعة مرئوبة لكات الكناية رناً لكل صعة .

قال صاحب موادّ البيان ومن المعلوم أن جميع الصنائع وسائل إلى درك المطالب وبُئيل الرعائ ، وأن عوائدها متفاصلة في الكثرة والقلة بحسب تفصلها في الرقة

(١) من معاني القدماء المصفاة وهي مناسبة لها

والصَّعَة، ادا كان منها ما لا يهي بالثُّلُع من قِوَام العيش نحو الصنائع الميَّية السَّوْقِيَّة الداحلة في المرافق العامية، ومما ما يوصل إلى الثروة ويحاورحد الكفاية ويحطى بالمال والنَّعم الخطيرة وهي الصنائع الخاصة، وإذا تُؤمَل ما هذه صفته منها عُلِم أنه ليس منها ما يلحق بصناعة الكفاية ولا يساويها في هذا النوع، ولا ما تُكسب ما تُكسبه من الفوائد والمعاور مع حصول الرِّفاهية والتره عن داءه المكاسب ولا ما يوصل إليه من الخطوة ورِّفاهية العيش ومشاركة الملوك في آفداء المساكن السَّيحة، والملابس الرِّفيعَة، والمراكب البيلة، والدوات القيسة، والخدم المستحسنه وغير ذلك من آلات المروء والأدوات المملوكية في أقرب المدد وأقل الأرمسة . واهيك بذلك من فصل هذه الصناعة وشرفها وآرتفاع حَظِّها وسمو قدرها ادا كان لها سعة لمثل هذه الحدود التي لا يوحد منها في غيرها من الصنائع .

وكفى بالكفاية شرفاً أن صاحب السيف يراحم الكاتب في قلبه ولا يراحمه الكاتب في سيفه .

قال في مواد البيان "ومن ثم صار السلطان الذي هو رئيس الناس ومستخدم أرباب كلِّ صناعة ومُصرفهم على أعراضه يفسح بأن تكون وصيلها حاصله له مع ترفعه عن التلُّس بصناعة من الصنائع الحسنة، وأنقته أن تقع اسم من أسمى تله . قال وذلك أنا يرى كل ملك وسلطان يُؤر أن يكون له حظ من بلاعه العارذ وحود. الخط، وفي ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتة وأعلاها درجه . وأن المساركن للسلطان فيها ممن تكتفه سياسته أفضل من سائر المتحلل عبرها من الصنائع الأخر فقد عُلِم أن الصنائع كلها معاير ومرافق، لا تنظم عمارد العالم إلا بصافرها ومراقدا. بعضها لبعض . وإها على صرب حاصية وعامية، فالعامية صنائع المهة وأهل الأسواي والحرف وإن شاركهم الخاصة في الحاجة إليها لأن بها تنظم أمور المعاملات وتعمُر

الداد، والخاصية التي تقع في حيز الملوك والسلاطين، ويتورعها أعوانهم وأتباعهم، وهذه الصنائع إما يقع التمييز أقدارها بالنظر إلى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرحية مما كان معلقا بالأمر الأهم، وكانت الحاجة إليه ألزم، وقدر المنفعة به أحسم، والفساد العائد بوقوع حلل فيه على أسباب المملكة أعظم، ومرتبته في الصنائع الخاصة أشرف وألطف .

وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه العصائل إلا صناعة الكتابة، وذلك لأن الملك يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع حال فيها . أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومحاطتهم بما تقتضيه السياسة من أمر وهمي، وترعيب، ووعد ووعد، وإحجاد وإدما . والثاني استحراج الأموال من وحوها . واستيعاء الحقوق السلطانية فيها .

والثالث تعريقها في مستحقها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون حوزتها، ويسدّون ثغورها ويحفظون أطرافها، ويدئون عنها وعن رعاياها، وعير ذلك من وحوه الصفات الخاصة والعامة، ومعلوم أن هذه الأعمال لا يقوم بها إلا كتّاب السلطان ولا سبيل للكتّاب إلى الكتابة فيها إلا بالتدريج في صليعة الكتابة، فهي إذن من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته . قال الحافظ ” من أتى فصلها أن حُعلت في عالية الباس “ قال صاحب مواد البيان ” وقد عُرف أن الدين وصعوها وآتدهوها ورسموها هم الأنبياء عليهم السلام “ .

وقد ذكر علماء التاريخ أن يوسف عليه السلام كان يكتب للعرير، وهارون ويوشع بن نون كانا يكتبان لموسى عليه السلام، وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه، وأصف بن برخيا ويوسف بن عفا كانا يكتبان لسليمان عليه السلام، ومحيي بن كزيب كان يكتب للشيخ عليه السلام .

وقد آتقل جماعة منها إلى الخلافة . وأبو بكر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد ذلك . وعمر بن الخطاب كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه . وعثمان بن عفان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لأبي بكر بعده ثم صارت الخلافة إليه . ومعاوية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد الحسن . ومروان بن الحكم كان يكتب لعثمان بن عفان ثم صار الأمر إليه فيما بعد وعبد الملك بن مروان كان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ثم استقل الأمر إليه . إلى غير هؤلاء من أهل هذه الصمعة ممن قرع الدررة العلية من السيادة ، والسياسة الناح من الرياسة ، على تغير الدول وتقلها بين العرب والعجم ، وفي ذلك ما يدل على علو حظرها ، وارتفاع قدرها .

قال صاحب العقد وقد تنه قوم بالكثافة بعد الجمول ، وصاروا إلى الرتب عليه ، والممارل السنية . منهم سرحون بن منصور الرومي كان رومياً حاملاً وقبته الكثافة وكتب لمعاوية ويريد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان . ومنهم حسن السطى كاتب المخرج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكر ، وعبد الصمد ، وحلة بن عبد الرحمن ، وتخدم حد المخرج بن هشام القحدمي . وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العرسة ، والربيع ، والفصل بن الربيع . ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجمهر بن يحيى ، وآسن المقنع ، والفصل بن سهل ، وجمهر بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وآسن عبد السلام الحذنفوري . وأبو جمهر محمد بن عبد الملك الريات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس .

وَمَحَاحِ بْنِ سَلَمَةَ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَرَادِ صَاحِبِ الرِّيحَانِ وَالرِّيحَانِ مَرْوَانَ
ابْنَ الْحَكَمِ، وَعَدَدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. قُلْتُ وَهَؤُلَاءِ بَعْضُ مَنْ شَرَفَتْهُ الْكُتَابَةُ وَرَفَعَتْ
قَدْرَهُ. وَلَوْ أَعْتَدْتُ مِنْ شُرَفِ الْكُتَابَةِ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُمَا لَفَاتُوا الْحَصْرَ وَحَرَّحُوا عَنْ
الْحَدِّ. وَهَذَا الْوَرِيرُ الْمَهْلِيُّ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ فِي شَدَّةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْفَقْرِ وَالصَّائِقَةِ،
وَكَانَ قَدْ سَافَرَ مَرَّةً وَلَقِيَ فِي سَفَرِهِ صَبِيقَةً حَتَّى اشْتَبَى اللَّحْمَ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَقَالَ
أَرْتَحَالًا

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَاشْتَرَيْهِ • فَبِهذا الْعَيْشِ مَا لَا حَيْرَ فِيهِ
أَلَا مَوْتُ لَدِيدُ الطَّعْمِ يَأْتِي • يُخَلِّصُنِي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيمِ
أَلَا رَحِمَ الْمُهِمِّ نَفْسَ حُرٍّ • تَصَدِّقُ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَحِبِّهِ

وَكَانَ مَعَهُ رَفِيقٌ لَهُ فَاشْتَرَى لِحْماً وَأَطْعَمَهُ. ثُمَّ تَرَفَّى بِالْكُتَابَةِ حَتَّى وَرَّرَ لِمَعْرِ الدَّوْلَةِ
أَسْبُوبِيهِ الدِّيَلْمِيِّ فِي حُلَالَةِ قَدْرِهِ. وَهَذَا الْقَاصِي الْفَاضِلُ أَصْلُهُ مِنْ بَيْسَانَ مِنْ عِيرِ
بَيْتِ الْوَرَارَةِ رَفَعَتْهُ الْكُتَابَةُ حَتَّى وَرَّرَ لِلسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ، وَعَلَتْ
رَتَبَتُهُ عِنْدَهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ رَتَبَتِهِ لَدَيْهِ أَنْ كَانَ يَكْتُبُ فِي كُتُبِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ
عَنْ نَفْسِهِ مِمَّا أَحَبَّ، فَكُتِبَ مَرَّةً السَّلَامُ عَلَى الْمَلِكِ الْعَزِيزِ بْنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ
فِي كِتَابٍ عَنْ أَبِيهِ، ثُمَّ كُتِبَ شِعْرًا مِنْهُ.

وَعَرِيسَةٌ قَدْ حُتَّتْ فِيهَا أَوَّلًا • وَمِنْ اقْتَفَاها كَانَ تَعْدِي الثَّانِي
فَرَسُولَ السُّلْطَانِ فِي إِرسَالِهَا • وَالسَّاسُ رُسُلُهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ

وَأُلْعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَبُو إِسْمَاقِيلَ الصَّابِيُّ صَاحِبُ الرِّسَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، كَانَ عَلَى دِينِ
الصَّبَائِثَةِ مُشَدِّدًا فِي دِينِهِ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْكُتَابَةُ إِلَى أَنْ تَوَلَّى دِيْوَانَ الرِّسَائِلِ عَنْ الطَّائِعِ

(١) أَيِ مَنْ تَسَمَّوْا بِالْكُتَابَةِ وَأَعَدَّهَا السَّابِقُ فِي الْمَكْتُوبِ لَهُمْ

والمطيع وعمر الدولة سبويه وجهده فيه عمر الدولة أن يسلم فلم يقع له، ولما مات
رثاه الشريف الرضي قصيدة فلامه الناس لكونه شريفا يرثى صائبا، فقال إنما
رثيت فضله .

قال في مواد البيان "ولا عزة ممن قعد به الحد، وتحلف عنه الخط من أهل هذه
الصناعة، إذ العبرة بالأكثر لا بالقليل النادر. على أن المرد في هذه الصناعة إن قعدت
به الأيام في حال فلا بد أن يُرفع قدره في أخرى لأن دولة الفاضل من الواحات .
ودولة الحاهل من الممكات، خصوصا إذا صادف الكاتب الفاضل ملكا فاضلا
أورئيسا كاملا، فإنه يوفيه حقه وبقية إلى حيث أستحقاقه . من كلام بعض
الحكام تسقط الخطوط في دولة الملك الفاضل فلا تسم الرتبة العلية إلا مستوحى،
بالفصيلة .

والجملة فصل الكثرة أكثر من أن يحصى وأحل من أن نستقصي . وإنما حرم
الكثرة على النبي، صلى الله عليه وسلم ردا على الملاحدين حيث نسبوه إلى الأقداس
من كتب المتقدمين كما أحمر تعالى بقوله وقالوا أساطير الأولين اكتسبها فهي تملى
عليه نكرة وأصيلا وأكد ذلك بقوله وما كنتم تلقوا من قبله من كتاب ولا خطه
يميلك إذا لآزنت الميطلون .

وقد كان، صلى الله عليه وسلم يأتي من القصص والأخبار المأصصة من عمر
مدرسة ولا بطر في كتاب مما لا يعلمه إلا حق، كما روى أن قرسا مكا وحب
إلى اليهود أن عزموا شيئا يسأله عنه، فعثوا إليهم أن سلوه عن أيدياء أحده
أحدهم فرموه في ثروا عوه، فسألوه فبرلت سورة يوسف حملة واحده مما عندهم
في التوراة وزيادة .

قال العتي "الأُمِّيَّةُ في رسول الله، صلى الله عليه وسلم! فصيلةٌ وفي غيره بَقِيصَةٌ لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكُّن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام، وأستباط المعاني فيتوسل الكُفَّار إلى أن يقولوا أقدرها على ما جاء به".

قال صاحب موادِّ البيان "وذلك أن الإنسان يتوصل بها إلى تأليف الكلام المنشور وإحراجه في الصُّور التي تأخذ بمجامع القلوب، فكان عدم علمه بها من أقوى المحجج على تكذيب معاديه، وحسم أسباب الشك فيه".

وقد حكى أبو جعفر النحاس أن المأمون قال لأبي العلاء المِقْرِي "لعلني أنك أُمِّي، وأنت لا نقيم الشعر، وأنت تلحن في كلامك" فقال "يا أمير المؤمنين! أما نحن فرمَّا سقني لساني بالشيء منه، وأما الأُمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِّيًّا وكان لا يُشَدُّ الشعر". فقال له المأمون "سألتك عن ثلاثة عُيُوبٍ فيك فِرْدَتِي رابعا وهو الجهل، يا جاهل! ذلك في النبي، صلى الله عليه وسلم! فصيلة وفيك وفي أمثالك بَقِيصَةٌ".

قال الحافظ "وكلام أبي العلاء المِقْرِي هذا من أوادٍ ما تكلم به الجهال". على أن أصحابا الشافعية رحمهم الله قد حكوا وحيث في أنه صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم الكتابة أم لا وصححوا أنه لم يكن يعلمها معجزةً في حقه كما تقدم. قال أبو الوليد النحاسي من المالكية "ولو كتب، صلى الله عليه وسلم! لكان مُعْجِزُهُ لَحَرَقَ العاده. قال وليست بأول مُعْجِزاته صلى الله عليه وسلم!".

وإذا كانت الكتابة من بين سائر الصِّغَات مهده الرِّبَةِ الشريفة والدِّروهِ المُبِيغَةِ، كان الكُتَّاب كذاك من بين سائر الناس. قال الربريس نَكَار "الكُتَّاب ملوك وسائر الناس سُوقُهُ". وقال آس المقفع "الملوك أحوج إلى الكُتَّاب من الكُتَّاب إلى الملوك". ومن كلام المؤيد "كُتَّاب الملوك عيُوبُهُم المصْرَةُ، وآدَاهُم الواعية، وألستهم اللاطقة".

وكانت ملوك الفرس تقول ”الْكُتَّابُ بِطام الأمور، وَحَمَالُ المُلْكِ، وَهَآءُ السلطان وَحُرَّانُ أمواله، والأُمَمَاءُ عَلَى رعيته وولاده وهم أولى الناس بِالْحَيَاءِ وَالْكَرَامَةِ، وَأَحَقُّهُمْ نَحْمَةُ السَّلامِ“.

ومن كلام أبنى جعفر السبيل بن أحمد ”لِلْكُتَّابِ أَقَرَّتْ المملوكَ، فالفاقه والحاحه، وإليهم أُلْقِيَتِ الأَمِيَّةُ والأَرِمَّةُ، وهم أَعْتَصَمُوا فِي السَّارِ لِهَ وَالنَّكْمَةُ، وَعَلِمَهُمْ أَتَّكَلُوا فِي الأهل والولد والدحائر والعقد وولادة العهد وتدبر المُلْكِ وَقِرَاعُ الأعداء. وتوفير الهى، وَحَيَاظَةُ الحريم، وحفظ الأُمَرَاءِ، وترتيب المراتب. وبطم الحروب“.

قال في مواد البيان ”وما من أحد يتوسَّل إلى السلاطين بالأدب. و تمت إليهم من العلم نسب، إلا وهو ناقله لا يَسُوْلُ مَا يُنَوِّلُهُ إلا على وجه الإرفاق، حلا الكتاب فانه يُسَوِّلُ الرغائب العطية من طريق الاستحقاق، لموضع الاقتدار إليه والحاحه. ومن المعلوم أنه لا بد من واسطة تقوم بين المملوك والرعية لئلا ينفصل بينهما وبين الدنيا. وليس من طبقات الناس من يُسَاهِمُ المملوكَ فِي حَلَالَةِ القدر وعظيم الخطر. وساركت العاقبة في انتواضع والاقتصاد سوى الكُتَّابِ فاحتيج إليهم للسَّهارة في مصالح الرعية عند السلاطين، واستيفاء حقوق السلاطين من الرعية والتأطيل في الصلابة بينهما“، قل ”ولعلم المملوك بمطر هذه الصبابة وأهلها وعائدتها في أمور السلطان صرَّهوا العساة إلى الكتسة وحشؤهم بالخطوة وعرفوا لهم فصل ما جمعوه من الرأى والصوابه. وكانت ملوك الفرس لرفعة الكتابة عندهم جمع أحداث الكُتَّابِ ويواشيئهم المعترضين لأعمال الملك وأمروا رؤساء الكتابة بامتحنهم من رضى أقرت الساب ليستعان به، ثم يأمر الملك بصحبهم إلى الأعمال، واستعمالهم في الأعمال. وسقلهم في الخدم على قدر طبقاتهم من حال إلى حال حتى ينتهى بكل واحد منهم إلى

ما يستحقه من المِرْلة ، ثم لا يُمكن أحد من عُرض أسمه على الملك من الخدمة عدد أحد إلا نادى الملك .

وفى عهد سائور — ”وليكى كَأَتْكَ مقولَ القول عدك ، ربيع المِرْلة لديك ، يبعه مكانه منك وما يُطَن به من لطافه موضعه عدك من الصِّراة لأحد والمُداهة له ، ليحمله ما أوليته من الإحسان على محض الصِّبحة لك ، ومادة من أراد عيك وأتقاصَ حقك“ . ولم يكن يركُ الهاليج فى أيامهم إلا الملكُ والكاتبُ والقاصى .

قلت ولشرف الكُتابة وفصل الكُتَّاب صرف كثيرٌ من أهل البلاعة عياتهم إلى وضع رسائل فى المفاخرة بين السيف والقلم ، إشارة إلى أنهما قوام الملك وترتيب السلطنة ، بل ربما فصل القلم على السيف ورُخَّ عليه بصروب من وحوه الترجيح كما قال بعضهم مفصلاً للقلم بقسم الله تعالى به

إِنْ أَفْتَحَرِ الْأَنْطَالُ يَوْمًا نَسِيْفُهُمْ * وَعَدُوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَحْدَ وَالْكَرْمَ
كَفَى الْقَلَمُ الْكُتَّابَ عِزًّا وَرِفْعَةً * مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
وكما قال آس الرومى

إِنْ يَحْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الدِّى حَصَعَتْ لَهُ الْهَرْقَابُ وَدَانَتْ حَوْفَهُ الْأُفْمُ
فَالْمَوْتُ ، وَالْمَوْتُ لَا نَسِيءُ يَعَالُهُ ، مَا رَأَى نَسْعُ مَا يَحْرَى بِهِ الْقَلَمُ
كَذَا قَصَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَدْرِيَّتْ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مَدْرَاهِقَتْ حَدْمُ

والمعنى فى ذلك أنها تؤثر فى إرهاب العدو على بُعد السيوف لا تؤثر إلا عن قرب مع ما فصل به القلم من ربادد الحدوى والكرَم ، وإلى ذلك سر بعضهم نقوله مسيرا للقلم

لَمْ يَكُنْ يَهْلُ الْحَشَّ ، وَهُوَ عَرْمَرْمَرٌ ، وَالْبَيْضُ مَا سَلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ
وَهَبَ لَهُ الْإِحَامُ حِينَ نَسَا يَهَا ، كَرَمَ السُّمُولِ وَصَوْلَةَ الْآسَادِ

المصطلح الثاني

(في مدح فصلاء الكتاب ودم حقايم)

أما فصلاء الكتاب فلم يرل السعراء يلهجون بمدح أشهاف الكتاب وتقريبطهم
ويتعالون في وصف بلاعاتهم وحسن خطوطهم . من أحسن ما مدح به كاتب
قول أس المعتر

إذا أحد القِرطاس حلت يمينه تفتّح نوراً أو تُطَمَّ حَوْهراً

وقول الآخر

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطقه . وينظم الدر الأعلام في الكتب

وقول الآخر

وكانت يزقم في طرسه . روصا به ترتع الحطاطه
فالدر ما ينظم أعلامه . والسحر ما تنير أعلامه

وقول الآخر

إن هر أعلامه يوماً ليعملها أنساك كل كمي هر عامله
وإن أقر على رقي أعلامه . أقر بالرق كتاب الأنام له

وقول الآخر

لا يُحِطِر العِكر في كتابه كأن أعلامه لها حاطر
القول والفعل يجران معاً لا أول فيهما ولا آخر

وقول الآخر

وشاد من بي الكتاب مُقْتَدِر على البلاعة أحلى الناس إنشاء
فلا يُجَارِيهِ في مبداه أحد يريك سخناً في الإنشاء إن شاء

وكذلك أولعوا بدم حمق الكتاب ولحقوا بهوهم في كل رس .
من ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتباً

حمار في الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب في ريادة
فدع عنك الكتابة لست بها * ولو عرفت ثباتك في المداد

وقول الآخر

وكاتب كُنته تُدكرني القراء حتى أطل في عجب
فاللحظ "قالوا قلونا علف" . * والخط "تنت يداً أنى له"

وقول الآخر

يحي غير ما قلنا ويكتب غير ما * يعيه ويقرا غير ما هو كاتب

وقول الآخر

وكاتب أقلامه * معودات بالعلط
يكشط ما يكتبه * ثم يعيد ما كشط

وقول أس أنى العيباء يهجو أسد من جهور الكاتب .

أو ما يرى أسد من جهور قد عدا * متشبهاً بأحيلة الكتاب .
لكن يحرق ألف طومار إذا * ما احتيج منه إلى جواب كتاب

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة عن هذا النوع من الكتاب ما صاروا
به هزواً على ممر الزمان وتعاقب الأيام . كما حكى عن محمد بن يحيى الكاتب أنه قرأ
على بعض الخلفاء كما يذكرون فيه حاصرياً فصحه حاصرياً فسيح منه أهل المجلس .
ويروى أن كتاب الدواوين ألزموا بعض العمال ألا محرراً عليه فبعث بحسابه إلى
عيد الله بن سليمان فوقع عليه "هذا هذا" ورد الحساب إلى العامل فقدر العامل

نَصَعَف آدَانِهْ أَنِهْ صَحَّحْ حِجَّتِهْ وَقِيلَ الْحِسَابُ مَسْهُ كَمَا يُقَالُ فِي تَثْنِ الشَّيْءِ هُوَ هُوَ
وَأُحْرِحَ الْوَقِيعَ إِلَى الْكُتَّابِ وَبَاطَرَهُمْ عَلَى أَنْ ذَلِكَ يُوحِبُ إِرَالَةَ الْمَالِ الَّذِي لِرْمِهِ
عِنْدَهُ فَلَمْ يَمُهِمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ عِيدُ اللَّهِ مِنْ سَلِيَانٍ فُرِذَ التَّوْقِيعُ إِلَى عِيدِ اللَّهِ فَلَمْ يَرِدْهُ
فِي الْحَوَابِ عَلَى أَنْ شَدَّدَ الْكَلِمَةَ الْأَخِيرَةَ وَوَقَّعَ تَحْتَهَا "اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ" إِعْلَامًا لَهُ أَنْ لَمْ يَطْ
هَذَا بِالْشَّدِيدِ بِمَعْنَى الْهَدْيَانِ .

وَحَكَى الْعَلَّاسُ بْنُ أَسَدٍ أَنَّ أَمَّا الْحَسَنَ عَلَى بْنِ عِيسَى كَتَبَ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ
أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى كِتَابًا مِنْ مَكَّةَ فَقَرَأَهُ ثُمَّ رَمَى بِهِ إِلَى فَقَالَ اقْرَأْ . فَقَرَأَتْ كَتَانِي إِلَيْكَ
يَوْمَ الْقُرْ، بِالرَّفْعِ . فَقَالَ مَا مَعْنَى يَوْمَ الْقُرْ " فَقُلْتُ الْقُرْ الرَّدُّ فَقَالَ أَيْمًا هُوَ يَوْمُ الْقُرْ
بِالْفَتْحِ ، حِينَ يَقْرَأُ الْبَاسَ بِمَعْنَى ، وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي مِنَ الْحَرْ . وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ .
قَالَ صَاحِبُ مَهَايَةِ الْأَرْبِ "وَقَدْ اتَّسَعَ الْحَرْقُ فِي ذَلِكَ وَدَحَلَ فِي الْكِتَابَةِ .
لَا يَعْرِفُهَا التَّنَّةُ ، وَرَادُوا عَنِ الْإِحْصَاءِ ، حَتَّى إِنْ فَمِمْ مَنْ لَا يَقْرَأُ مِنَ الصَّادِ وَالطَّاءِ .
قَالَ وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ مَنْ أَدْحَلَ نَفْسَهُ فِي الْكِتَابَةِ وَتَوَسَّلَ إِلَى أَنْ كَتَبَ فِي دِيْوَانِ
الرِّسَالِ أَنَّهُ رَسِمَ لَهُ يَكْتُابُ يَكْتُبُهُ فِي حَقِّ رَحْلِ اسْمِهِ طَرِيطَايَ فَقَالَ لِكَاتِبِ ابْنِي حَاسَهُ
طَرِيطَايَ يَكْتُبُ بِالسَّاقِطِ أَوْ بِالْعَائِمِ . قَالَ وَصَارَ الْآنَ حَدُّ الْكَاتِبِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْهَيْهَالِ
أَنَّهُ يَكْتُبُ عَلَى الْمَحْوُودِ مَدَّةً وَتُقَنَّ رِعْمَهُ أَسْطَرَا فَاذَا رَأَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ حِطَّهُ قَدْ حَادَ
أَدْنَى حَوْدِهِ أَصْلَحَ رِثَّتَهُ ، وَرَكَبَ رِدْدُونَهُ أَوْ نَعْلَتَهُ ، وَسَعَى فِي الدَّحُولِ إِلَى دِيْوَانِ
الْإِنْشَاءِ وَالْأَنْصَامِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَعَلَّ الْكِتَابَةَ أَيْمًا يَحْصُلُ دُونُهَا نَسْبَ هَؤُلَاءِ وَأَمَّا نَاهِلُهُمْ
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ !

بِعَسِ الرِّمَانُ ' فَقَدْ أَتَى ' بَعَابِ ' وَحَسَا فُيُورَ الْعَصَلِ وَالْأَدَابِ
وَأَتَى ' كُتَّابٍ ' لَوْ أَنْ سَطَّتْ يَدِي فِيمِمْ رَدَدْتَهُمْ إِلَى الْكُتَّابِ "

(١) سِرُّ الْمَسْحِ (مَرْحُومٌ)

(١) فِي الْأَجْمَلِ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَا أَحَدُ أَرْبَاعِ الصَّحَرِ

قلت وإعما تقاصرت الهمم عن التوغل في صباغة الكتانة والأحدٍ منها بالخط
الأوفى لاستيلاء الأعاحم على الأمر، وتوسيد الأمر لمن لا يمتزق بين البليغ والأنوك^(١)
لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها، حتى صار الفصحح لديهم أعجم، والبليغ
في محاطتهم أنكم، ولم يسع الآحد من هذه الصباغة مخط إلا أن ينشد

وَصَلَّاتِي عَرِيَّةٌ وَكَأَنِّي ۖ أَلْقَى نَاكِرًا مَا أَقُولُ الرُّومَا
فَلَيْسَ أَقُولُ ۚ وَمَا أَقُولُ ۚ وَأَيْنَ لِي ۚ فَاسِيرًا لَا بَلَّ أَيْنَ لِي فَأَقِيمَا ۚ

وقد حكى أبو جعفر الجاحظ عن بعضهم أنه قال حصرت مجلس رجل فأحمت
عن مسألة حاجتي لكثرة جمعه، ورأيت أنه قد أملئ على كاتبه "ولم أكتب مخطي إليك
خوفا من أن تقف على رداوته" فكتب كاتبه "رداءته" على ما يحب فقال أما تحبس
الهاء ۚ أين الواو ۚ فأثنتها الكاتب فحس حينئذ في عيب، فأحترأت عليه فدبوت
منه وسألته حاجتي .

وحكى صاحب دحية الكتاب عن بعض الورراء أنه تقدم إلى كاتبه أن يكتب
ألقاب أمير ليشتها على رُح أنشأه فكتب "أمر بعمارة هذا الرُح أبو فلان فلان"
وأستوى ألقابه إلى آخرها، ودفع المثال إلى الوريث ليوقف عليه فلما قرأه عصب حتى
طهر العصب في وجهه، وأبكر على الكاتب كونه كتب أبو فلان بالواو ولم يكتب
أنى فلان بالياء محتجاً عليه أن أبو من ألقاط العامة فلا تعظيم لها . فقال الكاتب إن
الحال آقتضت رفعة من حيث إنه في هذا الموضع فاعل، وراد إنكاره عليه وقال متى
رأيت الأمير فاعلا في هذا الموضع يحمل الطين ويقل المحاره على رأسه حتى تنسه
إلى هذا ۚ والله لولا سأل خدمتك لفعلت بك ١ .

(١) في الاصل أعما . أبكا

قال آس حاحب البحار ولما كان أرباب الأمور وولايتهم من الخلفاء ممن دوسهم يتقدمون ما يكتب به الكتاب عنهم وما يرد عليهم من الكتب، ويأقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدحُّها من حلل، ويقدمون الفاصل ويرفعون درجته، ويؤخرون الحاحل ويحطون رتته، كان الكتاب حينئذ يتناوون على آفتاء النصيلة. ويرفعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رديلة. ويجهدون في معرفة ما يحسن ألقائهم، ويرين مكائباتهم، ليبالوا بذلك أرفع رتبة، ويهوروا بأعظم مرلة.

ولما انعكست القصصية في تقديم من غلط بهم الرمان. وعمل عنهم الخدثان. واستولت عليهم شرّة الجهل. وهرت منهم أواسد الرياسة والفضل. وحصر العالم لديهم حشقا، والأديب محارفا، والمعرفة منكرا، والنصيلة منقصة، والصمت لكمة، والفصاحة هُمة، آحنت الآداب آحتاب المحارم. وهرت العلوم هُز كائن المآثم. ولواصف أحد هؤلاء الجهال، لكان بالحسف أولى، والخرقة والمنقصة أحدر وأحرى، لكمة جهل الواحات وأصاعها^(١). وسفه حقّ المروء وأفسد أوصاعها ويوصف بالحقى الباطق، والصامت أرحى منه عند أهل المطر ودوى الختاق.

• الباب الثاني

من المقدمة

في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحا، وسان معنى الإساءة وإساءة الكتابة باله، ومرادفه لفظ التوبيخ لكتابة الإساءة في عُرف الرواة، والبعض عنها تصداعه التبريل، وتفصيل كتابة الإساءة على سائر أنواع الكتابة ورجيح التبريل على السبر، وفيه ثلاثة مضمون.

(١) في الأصل وأصاعها نواورائده وهي من راده الناصح كما هو ظاهر

الفصل الأول

في ذكر مدلولها وبيان معنى الإشياء وإصافتها إليه ومرادفة التوقيع لكثافة

الإشياء في عُرف الرمان، والتعير عنها بصناعة الترسل

الكثافة في اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كُتِبَ وكُتِبَ وكُتِبَ ومُكْتَبَةٌ وكُتِبَتْ وهو كاتب ومعاها الجمع، يقال تكتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة، وتكتت العلة إذا جمعت بين شفريرها مخلقة أو سير ومحوه، ومن ثم سمي الخط كثافة لجمع الحروف بعضها إلى بعض كما سمي حرر القرية كثافة لسم بعض الحرر إلى بعض. قال أس الأعراي: وقد تطلق الكثافة على العلم ومنه قوله تعالى: **رَأْمٌ عِنْدَهُمُ الْعَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ** أي يعلمون. وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه لأهل اليمن حين بعث إليهم معادا وعيره: **إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ كَاتِبًا**. قال أس الأثير في عريب الحديث: **أراد عالما سمي بذلك لأن العال على من كان يعلم الكثافة أن عنده عالما ومعرفة وكان الكاتب عندهم قليلا وفيهم عريرا**.

أما في الاصطلاح فقد عرّفها صاحب مواد البيان: **أما صناعة روحانية تظهر آله، خُتْمَانِيَّةٌ، دالة على المراد توسط بطمها. ولم يبين مقاصد الحد ولا مادخل فيه ولا ماحرح عنه، غير أنه ستر في موضع آحر معنى الروحانيه فيها بالألفاظ التي تخيلها الكاتب في أوهامه ويصور من صم بعضها إلى بعض صورة ناطقه قائمه في نفسه. والخُتْمَانِيَّةُ ما لخط الذي يُحْطُّه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة ناطقة صورة محسوسة طاهره. وفسر الآلة بالقلم وبذلك يظهر معنى الحد وما يدخل فيه ويخرج عنه، ولا شك أن هذا التحديد يشمل جميع ما يُسَطَّرُه القلم مما يتصوره الدهن ويخيله الوهم فيدخل تحته مطلق الكثافة كما هو المسفاد من**

المعنى اللغوي. على أن الكناية، وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها، لا تخرج عن أصليين هما كناية الإشاء، وكناية الأموال وما في معناها على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

إلا أن العرف فيما تقدم من الرمان قد حصَّ لفظ الكناية بصناعة الإشاء حتى كانت الكناية إذا أُطلقت لا يُراد بها غير كناية الإشاء والكاتب إذا أُطلق لا يُراد به غير كاتبها حتى سُمي العسكري كُناه "الصباغتين الشعر والكناية" يريد كناية الإشاء، وسمي آس الأثير كُناه "المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر" يريد كاتب الإشاء إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم علب في رمانا بالديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال حتى صار الكاتب إذا أُطلق لا يُراد به غيره وصار لصناعة الإشاء آسمان حاض يستعمله أهل الديوان وتلفظون به وهو كناية الانشاء، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع . وأما تسميتها بكناية الإشاء فتحصيل لها بالإضافة إلى الإشاء الذي هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه أو أحترسه على غير مثال يتخذه، بمعنى أن الكاتب يبتزع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتنه من المكتاتات والولايات وغيرهما أو أن المكتاتات والولايات وبحوَّها تنسأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواشي القِصص وطهورها كالتوقيع محط الخليفة أو السلطان أو الورير أو صاحب ديوان الإشاء أو كُتاب الدست ومن حرى محراهم بما يعتمد في القصص إلى رُفِع القصص نسبها، ثم أُطلق على إتمامه الإشاء حملة .

قال آس حاحب النعمان في دحيرة الكُتَّاب ومعناه في كلام العرب المأثر القليل الحفيف، يقال حَبَّ هذه الباقة مَوْعَّع إذا أثرت فيه حمال الأحمال تأثرا حقيقاً .

وحكى أن أعرابية قالت لحارتها "حديثك تزويج وذيارتك توقيع" تريد أن ريارتها حفيضة. قلت ويحتمل أن يكون من قولهم وَقَعَ الأمر إذا حَقَّ ولريم ومه قوله تعالى (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ مِمَّا ظَلَمُوا) أى حَقَّ، أو من قولهم وَقَعَ الصَّيْقُلُ السَّيْفَ إذا أقبل عليه مِمَّقَعَتَهُ يَحْلُوهُ لأنه تَوَقَّعَهُ في الرُّقْعَةِ يحلو اللَّئْسُ بالإرشاد إلى ما يُعْتَمَدُ في الواقعة، أو من مَوْقَعَةِ الطائر - وهي المكان الذي يُلْقِيهِ من حيثُ إن المَوْقِعَ على الرُّقْعَةِ يألف مكاناً منها يُوقَعُ فيه كحاشية القِصَّةِ ويحوها، أو من المَوْقَعَةِ بالتسكين - وهو المكاب المرتفع في الحل لأرتفاع مكان المَوْقِعِ في اللاس وعُلُوُّ شأنه أو غير ذلك .

وروحه إطلاقه على كناية الإنشاء أنه قد تقدّم أن التوقيع في الأصل أسم لما يُكْتَبُ على القِصَصِ ويحوها وسيأتى أن ما يكتب من ديوان الإنشاء من المَكاتَاتِ والولايات ويحوها إما يبنى على ما يجرى من الديوان من التوقيع بخط صاحب ديوان الإنشاء أو تُكْتَبُ الدست ومن في معاهم ، وحينئذ يكون التوقيع هو الأصل الذي يبنى عليه المشي، وقد يكون سمي بأصله الذي نشأ عنه محاراً، وقد يعبر عنها بصناعة الترسُّل تسميةً للنشأ ناعم أحرائه إد الترسُّل والمكاتات أعظم كناية الإنشاء وأعمها من حيث إنه لا يستعنى عنها ملك ولا سُوقَةٌ، بخلاف الولايات فإنها مَحْصَّةٌ بأرباب الماصب العلية دون غيرهم، وعلى ذلك سى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تسمية كناه "حُسْنُ التوسُّل ، إلى صناعة الترسُّل" .

(١) عبارة اللسان والفاموس والوقع بالتسكين المكان المرتفع من الحل فلعل ما في الأصول من تصحيف السامح فأمل

المعنى اللغوي. على أن الكتابة، وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها، لا تخرج عن أصليين هما كتابة الإشاء، وكتابة الأموال وما في معناها على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

إلا أن العرف فيما تقدم من الرمان قد حصّ لفظ الكتابة بصناعة الإشاء حتى كانت الكتابة إذا أُطلقت لا يُراد بها غير كتابة الإشاء والكتاب إذا أُطلق لا يراد به غير كتابتها حتى سُمي العسكري كتابه "الصباغتين الشعر والكتابة" يريد كتابة الإشاء، وسُمي آس الأثير كتابه "المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر" يريد كتاب الإشاء إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإشاء من علم اللاعة وغيرها .

ثم علب في رمانا بالديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال حتى صار الكاتب إذا أُطلق لا يُراد به غيره وصار لصناعة الإشاء آسمان حاص يستعمله أهل الديوان ويتلفطون به وهو كتابة الإشاء ، وعام يتلفط به عامة الناس وهو التوقيع . وأما تسميتها بكتابة الإشاء فتخصيص لها بالإضافة إلى الإشاء الذي هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشاء الشيء إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتديه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وعبرها أو أن المكاتبات والولايات وبحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواشي القصص وطهورها كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإشاء أو كُتاب الدست ومن حرى محرهم عما يعتمد في القصيدة إلى رفيع القصص سديها ، ثم أطلق على كتابه الإشاء حمله .

قال آس حاحب البعان في دحية الكُتاب ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الحفيف ، يقال حَبْ هذه الناقة مَوْقِع إذا أثرت فيه حال الأحمال تأثرا حفيفا .

وحكى أن أعرابية قالت لحارتها "حديثك تزويج وزيارتك توقيع" تريد أن ريارتها
 حصيفة. قلت ويحتمل أن يكون من قولهم وقع الأمر إذا حقّ ولزم ومنه قوله تعالى
 "وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ مِمَّا ظَلَمُوا" أى حقّ، أو من قولهم وقع الصيقل السيف إذا
 أقبل عليه بميقته محلوه لأنه تنويعه في الرقعة يحلو اللبس بالإرشاد إلى ما يعتمد
 في الواقعة، أو من موقعة الطائر - وهي المكان الذي يأله من حيث إن الموقع على
 الرقعة يألف مكاناً منها يُوقع فيه كحاشية القصة ومحوها، أو من الموقعة بالتسكين -
 وهو المكاب المرتفع في الحمل لأرتفاع مكان الموقع في الناس وعُلُو شأنه أو غير
 ذلك .

ووجه إطلاقه على كتابة الإنشاء أنه قد تقدّم أن التوقيع في الأصل اسم لما
 يُكتب على القصص ومحوها وسيأتي أن ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات
 والولايات ومحوها إما يبنى على ما يخرج من الديوان من التوقيع بخط صاحب
 ديوان الإنشاء أو تُكتب الدست ومن في معاهم، وحينئذ يكون التوقيع هو الأصل
 الذي يبنى عليه المنشئ، وقد يكون سمي بأصله الذي نشأ عنه محاراً، وقد يعبر عنها
 بصناعة الترسّل تسميةً للشيء ناعم أحرانه إذ الترسّل والمكاتبات أعظم كتابة الإنشاء
 وأعمّها من حيث إنه لا يستعنى بها ملك ولا سوقة، بخلاف الولايات فإنها مختصة
 بأرباب المناصب العلية دون غيرهم، وعلى ذلك سى الشيخ شهاب الدس محمود الحلبي
 رحمه الله تسمية كتابه "حسن التوسّل، إلى صناعة الترسّل".

(١) عبارة اللسان والقاموس والوقع بالتسكين المكان المرتفع من الحمل فلعل ما في الأصول من تصحيح
 النسخ فامل

الفصل الثاني

(في تفصيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة)

قد تقدم في الفصل الذي قبله أن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصليين كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال .

فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمساحات والاطلاقات ومباشرين الأقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ومحوها .

وأما كتابة الأموال فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال وصرفه وما يجري مجرى ذلك ككتابة بيت المال والحرائر السلطانية ، وما يُجنى إليها من أموال الخراج وما في معناه ، وصرف ما يصرف منها من الخاري والبقعات وعمر ذلك ، وما في معنى ذلك ككتابة الحيوش ومحوها مما يحترق القول فيه إلى صفة الحسب ، ولا شك أن لكل من الوعين قدرًا عظيمًا وخطيرًا حسبيًا ، إلا أن أهل التحقيق من علماء الأدب ما يرحلوا يرحلون كتابة الإنشاء ويفصلوها ويمروها على سائر الكتابات ويقدموها ، ويختصون لذلك بأمور .

مهما أن كتابة الإنشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة ، صروقه أن كاتب الإنشاء يحتاج فيما يكتبه من ولاياته ومكاتباته مما يتعلق بكتابة الأموال إلى أن يمثل لهم في وصاياه من صياغتهم ما يعجده ، ويبين لهم ما أتوه ويذروه ، ولا بد أن يكون عالمًا بصناعة من يكتب له . بخلاف كاتب الأموال فإنه إنما يعتمد على رسوم مقرره وأتمودحات محزرة لا يكاد يخرج منها ، ولا يحتاج فيها إلى تعبير ولا رياده ولا نقص . .

ومنها آشتال كتابة الإنشاء على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي رُبد الأفكار وحواهر الألفاظ، التي هي حلية الأئسية، وفيها يتنافس أصحاب الماصب الخطرة، والمبارل الخلية، أكثر من تنافسهم في الدر والحوهر .

ومنها ما تستلزمه كتابة الإنشاء من زيادة العلم، وعرارة الفصيلة، ودكاء القريجة، وحوودة الروية لما يحتاج إليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عرّ بها من سبق إلى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها إلى حقائقها، وفي ذلك من المشقة ما لا حفاء فيه على من مارس الصّاعه، خصوصاً إذا طلب الريادة والعلو على من تقدمه في استعمالها، أو حدا حدّ رسوم المترّس الذين يتحلون الكلام ويوقعونه مواقعهم مع مراعاة رشاقة اللفظ، وحلاوة المعنى، ولاعته وماسسته مع ما يحتاجه من احتراع المعاني الأنكار للأموال الحادثة التي لم يقع مثلها، ولا سبق ساق إلى كتابتها - لأن الحوادث والوقائع لا تنهاى ولا تقف عند حدّ . ومن هنا تنقص الوريصاء الذين س الأثير في المثل السائر المقامات الحريية وأردراها حاجاً إلى أنها صور موضوعات في قوال حكايات مبدية على مبدأ ومقطع بخلاف الكتابة فإن أهوالها غير متناهية، ولو روعي حال ما يكتبه الكاتب في أدنى مدة لكان مثل المقامات مرّات .

ومنها اختصاص كاتب الإنشاء^(١) بالسلطان وقربه منه وإعظام حواصه واعتمادهم في المهمات عليه، مع كونه أحرر بالسلامة من أرباب الأقلام المتصرفين في الأموال . وقد قال بعض الحكماء الكتاب كالحوارج كل حارحة منها ترفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها، وكاتب الإنشاء ممرلة الروح المارحة للذن المدرة لجميع حوارحه وحواسه .

(١) لعله مصحف عن احدر او آخري - كما سيأتي له بعد .

قال في موادّ البيان "ولا شك في صحة هذا التمثيل لأن كاتب الإنشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والهي على ما يؤدّي إلى استقامة ماعدق^(١) به، وهو حلية المملكة وربتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قدرها، ويعلّي ذكرها، ويعظم حظّها، ويدلّ على فصل ملكها، وهو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد، والترعيب، والإحماد والإدما، واقتصاب المعاني التي تُقتر الوالي على ولايته وطاعته، وتُعطف العدو المعاصي عن عداوته ومعصيته . على أن بعض المتعصين قد رُحج كناية الأموال على كناية الإنشاء بمعالطات أو ردها، وترويرات رحرها وتمّقا، لا تحمي على متأمل، ولا تعطى على دى دهن سلم .

وقد أورد الحريري في "المقامة الثانية والعشرين" المعروفة بالمراتية ألفاظا قلائل في المفاخرة بين كتابي الإنشاء والأموال فقال على لسان أبي ريد السروحي .

"اعلموا أنّ صباغة الإنشاء أرفع ، وصباغة الحساب أنفع ، وقلم المكاتبة حاطب ، وقلم المحاسبة حاطب ، وأساطير البلاغة تُسح تُندرس ، ودساتير الحسابات تأسح وتُندرس ، والمنشئ حُهيّة الأحبار ، وحقبة الأسرار ، ونجى العلماء ، وكبير الدماء ، وقلمه لسان الدولة ، وفارس الحولة ، ولقمان الحكمة ، وترجمان الهمّة ، وهو الشير والدر ، والشيع والسفير ، به تُستخلص الصياصي ، وتُملك البواصي ، ويُقتاد العاصي ، ويُستدنى القاصي ، وصاحبه رىء من التبعات ، آمن كيد السعات ، مقرّط بين الجماعات ، غير معرّض لطم الجماعات .

ثم عقب كلامه بأن قال

(١) في الصور عرق العين المهمة والرأى وهو المناسب ولعل ما في الاصل نصحيح .

”إلا أن صاعَةَ الحِسَابِ موصوعةٌ على التحقيق، وصاعَةُ الإِشَاءِ مبديةٌ على التلقيق، وقلمُ الحاسبِ صابطٌ، وقلمُ المُنشِئِ حابطٌ، وبينَ إِتَاوَةِ توطيفِ المعامَلَاتِ، وتلاوَةِ طواميرِ السَّحَلَاتِ، نورٌ لا يُدركه قِياسٌ، ولا يَعتَوِرُه التَّباسُ، إِدِ الإِتَاوَةُ تَمَلَأُ الأَكْيَاسَ، والتَّلاوَةُ تَهْرَعُ الرَّاسَ، وَحَرَّاحُ الأَوَارِحِ يُعْنِي الباطِرُ، وَاسْتَحْرَاحُ المَدَارِحِ يُعْنِي الحَاطِرُ .

ثم إن الحسنة حفظه الأموال، وحملة الأثقال، والبقلة الأثبات، والسفرة الثقات، وأعلام الإنباف والانتصاف، والشهود المقابع في الاختلاف، ومهم المستوى الذي هو يد السلطان، وقطب الديوان، وقسطاس الأعمال، والمهيم على الأعمال، وإليه المال في السلم والهرج، وعليه المدار في الدخل والخرج، وبه مآط الصر والقع، وفي يده رباط الإيعاء والمع، ولولا قلم الحسب، لأودت ثمرة الاكتساب، ولا تصل التعاس إلى يوم الحساب، ولكان نظام المعاملات مخلولا، وخرج الطلانات مظلولا، وحيد التناصف معلولا، وسيف التطالم مسلولا . على أن يراع الإشاء متقول، ويراع الحساب متأول، والحاسب ماقش، والمنشئ أبو راقش، ولكلتهما حمة حين يرقى، إلى أن يلقى ويرقى، وإعانت فيما ينشأ، حتى يعشي ويُرشي (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) .

قلت وقد أوردت في المقامة إلى أشأتها في كتابة الإشاء المشار إليها بالذكر في حطه هذا الكتاب من فصل الكتابة ما تشدو بذكره المترم، وأودعتها من شرف الكتاب ما ندع له الخصم ويسلم .

الفصل الثالث

(في ترجيح الشعر على الشعر)

اعلم أن الشعر وإن كان له فصيلة تخصه ومزية لا يسايرها فيها غيره من حيث تفرّده باعتدال أقسامه وتواريح أحرانه وتساوي قوافي قصائده، مما لا يوجد في غيره من سائر أنواع الكلام، مع طول نقائه على ممر الدهور وبماقب الأزمان، وبدأوله على ألسنة الرّواة وأفواه القلة لتمكّي القوه الحافظة منه تأرياط أحرانه وتعلّق بعضه بعضاً، مع شيوعه واستفاسته وسرعة أنساره ونعد مسيره وما يؤثّر من الرّفعة والصّعة باعتبار المدح والهجاء، وإنشاده محال على الملوك الحافلة والمواكب الحاميه بالتقرّيط وذكر المفار وتعدد المحاسن، وما يحصل عليه الشاعر المجد من الحياء الحسيم والمنح العائق، الذي يستحقّه بحسن موقع كلامه من القوس وما يحدثه فيها من الأرنجية، وقوله لما رد عليه من الألقا المطربة المؤثّرة في القوس اللطيفة والطباع الرقيقة وما اشتمل عليه من شواهد اللّغة والمجور وغيرهما من العلوم الأدبية وما يجرى مخراها وما يُستدلّ به منها في تفسير القرآن الكريم وكلام من أوتي حوامع الكام، ومجامع الحكم، صلى الله عليه وسلم، وكونه ديوان العرب ومجتمع تمكّمها والمحيط ستواريج أيامها وذكر وقائعها وسائر أحوالها — إلى غير ذلك من الفصائل الحمّة، والمقار الصّحمة، فإن الثّر رفع منه درجه، وأعلى رسة، وأشرف مقاماً، وأحسن بطاماً، إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى ر ناده الألفاظ والتّقديم فيها والتأخير، وقصر الممدود ومد المقصور، وصرف ما لا يصرف ومع ما يصرف من الصرف، واستعمال الكلمة المفروضة وسدّل اللمطة المصيّحة بعربها، وغير ذلك مما تلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة للألفاظ، والكلام المنور لاحتاج فيه إلى شيء من ذلك فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه، ونؤيد ذلك أك إذا أعترت ما قيل

من معاني النثر إلى الطم وحده قد انحطت رتته. ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين
على كرم الله وجهه ' "فِيْمَةُ كُلِّ أَمْرِيٍّ مَا يُحْسِ" أنه لما نقله الشاعر إلى قوله
فِيَالِإِنِّي دَعِيٌّ أَعَالِي بِيَقِيْمَتِي فَيَقِيْمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِيْهِ

قد رادت ألفاظه ودهست طلاوته، وإن كان قد أفرد المعنى في وصف بيت فإيه
قد احتاج إلى زياده مثل ألفاظه مره أخرى توطئة له في صدر البيت ومراعاة
لإقامة الوزن، وراد في قوله فَيَقِيْمَةُ فاء مستكرهة ثقيله لا حاحه إليها وأبدل لفظ أمرئ
بلفظ الناس ولا شك أن لفظ أمرئ هما أعدل وألطف، ويتر قوله يُحْسِ إلى قوله
يُحْسِيْهِ، والجمع من بويين ليس بينهما إلا حرف ساكن غير معتد به مستوحم، وإذا
اعتبرت ما قبل من معاني الطم إلى النثر وحده قد نقصت ألفاظه وراد حسناً وروفاً
ألا ترى إلى قول المتنبي يصف بلداً قد علقت القتلى على أسوارها
وكانَ هَما مِثْلَ الحُؤنِ فأَصَحَّتْ ، وَمِنْ حُثِّ القَتْلِ عَلَيْهَا تَمَّائِمٌ

كيف نثره الوريصياء الذين بي الأثير في قوله يصف بلداً بالوصف المتقدم
"وكأما كان هـا حُؤنٌ فمعت لها من عرائمه عرائم، وعَلَّقَ عَلَيْهَا مِنْ رِءُوسِ القَتْلِ تَمَّائِمٌ"
فإيه قد جاء في غاية الطلاوة خصوصاً مع التورية الواقعة في ذكر العرائم مع ذكر
الحؤن، وهذا في الطم والنثر المائقين ولا عبرة مما عداهما .

وباهيك النثر فصيلة أن الله تعالى أمر به تكلمه العريرو بوره الميس الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم يرله على صفة نظم الشعر بل ربه عنه بقوله
: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ " وحرم نظم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
شريعاً لمحله وترها لمقامه منها على ذلك بقوله ، وَمَا عَاشَاهُ الشَّعْرُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ، وذلك
أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب والتحويل على الأمور المستحيله ، والصفات

المجاورة للحد، والبُعوتِ الحارحة عن العادة، وقدفِ المُحصَّات، وشهادة الرُّور، وقول
 البهتان، وسبُّ الأعراس، وعير ذلك مما يجب التبره عنه لآحاد الناس فكيف بالنبي
 صلى الله عليه وسلم ' ولا سيما الشعر الجاهليّ الذي هو أقوى الشعر وأخله . بخلاف
 الثر فإن المقصود الأعظم منه الحُطْب والترسل، وكلاهما شريف الموضوع حسن
 التعلق، إدا الحُطْب كلام مبيّ على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء
 عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتذكير والترغيب في الآخرة والرهيد
 في الدنيا والحص على طلب الثواب، والأمر بالصَّلاح والإصلاح، والحث على
 التعاضد والتعاطف، ورفض التناقص والتقاطع، وطاعة الأئمة، وصله الرحم، ورعاية
 الدم، وعير ذلك مما يحرى هذا المحرّى مما هو مستحسن شرعاً وعقلاً . وحسبك
 رتبة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم ' والحلّقاء الراشدون بعده . والترسل مبيّ
 على مصالح الأمة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسرّاة الناس
 في مهمّات انذين وصلاحي الحال وبيعات الحلفاء وعهودهم . وما يصدر عنهم
 من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم
 أركان الدولة وقواعدها . إلى غير ذلك من المصالح التي لا يكاد تدخل تحت الإحصاء
 ولا يأحدها الحصر .

قال في موادّ البيان " وقد أحسّت العرب ماخطا رسه السّعر عن الكلام
 المشور كما حكي أن أمراً القيس بن مخزّم أنوه بقتله حين سمعه يرمي في مجلس
 شرا به نقوله

اسقياً محمراً على علاته من كميّ لومها لو العلق

وما يروى أنّ النابغة الجعديّ كان سيّداً في قومه لا يقطعون أمراً دونه وأنّ قول الشعر بقصه وحطّ رُثنته^(١). قال "ولا عزة مما ذهب إليه بعضهم من تفصيل الشعر على الثرائعاه لخواه بدون دليل واضح".

قال في الصّاعتيّ "ومع ذلك فإنّ أكل صفات الحطّيب والكاتب أن يكونا شاعريّن كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون حطّيباً كما^(٢)". قال "والذي قصّر السعركثرة وتعاطى كل أحد له حتى العائنه والسّفله فلحمه النقص مالحق الشّطرنج حين تعاطاه كل أحد". وسيأتي الكلام على احتياج الكاتب للشعر في بيان ما يحتاج إليه الكاتب فيما بعد إن شاء الله تعالى^١

الباب الثالث

في صفاتهم وآدابهم، وفيه فصلان

الفصل الأوّل

(في صفاتهم، وهي على صريّ)

الصرب الأوّل

(الصفات الواحدة التي لا يسع إجمالها، وهي عشر صفات)

الصفة الأولى، الإسلام - ليؤمّن فيما يكتسه ويُمليه. ويؤثّق به فيما يدّره ويأتيه إذ هو لسان المملكة، المرهّب للعدوّ بوقع كلامه، والحادث للقلوب باطّاف خطابه فلا يحور أن يوثّق أحد من أهل الكفر، إذ يكون عينا للكمّار على المسلمين، ومُطلعا لهم على حقّاياهم فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه، وقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ النِّصَافُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَحْنِي صُدُورُهُمْ أَكْثَرُ) والمراد بالبطانة في الآية من يطلع على حال المسلمين كالاطلاع على مقدار حرائمهم من المال، وأعداد جيشهم من الحيل والرجال .

قال أبو الفصّل الصُّوري في تذكرته ”وإن من الفطرة التي حُل كل أحد عليها حين كل شخص من الناس إلى من يرى رأيه ويدين ذنبه“ قال ”وهذا أمر يحده كل أحد في نفسه ، ولذلك شرط بعضهم في الكاتب أن يكون على مذهب الملك الذي تذهب به من مذاهب المسلمين ليكون موافقا له من كل وجه“.

ولما فتحت الصّحابة (رضوان الله عليهم) مصر ، بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص يأمره أن لا يسعمل في عمل من أعمال المسلمين كافرين فأحابه عمرو . نأ المسلمون إلى الآن لم يعرفوا حقيقة البلاد ، ولم يطأعوا على مقادير حراحها ، وقد آحذت في بصراني عارف منسوب إلى أمانة إلى حين معرفتها بها فعزله ، فعصب عمر رضى الله عنه وقال كيف تؤمّمهم وقد حوّمهم الله ، وكيف يُعرّهم وقد أدلهم الله ، وكيف تقرّهم وقد أعدهم الله ، ثم تلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ) الآية وقال في آخر كتابه ”مات البصراني والسلام“.

وقد روى أن أبا موسى الأشعري رضى الله عنه قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومعه كاتب بصراني فأعجب عمر بخطه وحسابه ، فقال عمر ”أحضر كاتبك ليقرأ“ فقال أبو موسى ”إنه بصراني لا يدخل المسجد“ فرّبه عمر رضى الله عنه وقال ”لا تؤمّمهم ، وقد حوّمهم الله ، ولا تدبّوهم ، وقد أعدهم الله ، ولا تعرّوهم وقد أدلهم الله“.

وقد قال السّافعي رضى الله عنه في كتابه الالم ”ما يسعى لقاص ولا وال أن يجد كاتبا دميّا ، ولا يصعّ الدمى موضعاً يفصل به مسلما . ويعرّ على المسلمين أن يكون لهم

حاحه إلى غير مسلم . وحرّم الماوردي والقاضي أبو الطيّب والسديّجي وآس الصبّاع وغيرهم من أصحابنا الشافعية رحمهم الله أنه يشترط في كاتب القاضي أن يكون مسلماً وهو الأصحّ الذي عليه الفتيا في المذهب .

وإذا اشترط الإسلام في كاتب القاضي والوالي فهي كاتب السلطان أولى لعموم الجمع والصرّ به .

قال أبو الفصل الصوري "ولا شك أن كاتب الإنشاء من أحوح الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته وفصول مكالماته ، والنمّثل سواهيه وأوامره ، والتدبير لقوارعه ورواحه ، وهو حلية الرسائل وريّة الإنشاءات ، وهو الذي يَشُدُّ قُوَى الكلام ، ويثبّت صحته في الأفهام ، فمضى حلت منه كانت عاطلة من المحاسن ، عارية من الفصائل لأهله الحجة الى لا تُدَحِّص ، والحقيقة التي لا تُرْفَص ، فإذا كان الكاتب غير مسلم لم يكن لديه من ذلك شيء ، وكانت كتابته معسولة من أفصل الكلام . وحالية مما يترك به أهل الإيمان والإسلام . ومقصرّة عن رتبة الكمال . ومسوبة إلى العحر والإحلال . فإن تعاطى الكاتب الدميّ حفظ شيء منه هو كتبه فقد أيجت حرمة كتاب الله تعالى وأتتهكت ، وأمكن منه من يتحدّه هُرُوا ولعنا والله سبحانه يقول في كتابه المكيون لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . فقد صح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مسلم" قال "ولا يُجْتَح بالصائى وأنه كتب للطبيع والطائع من حلفاء بني العباس ، ومعزّ الدولة ، وعمر الدولة من ملوك الديلم ، وهما يومئذ مُؤدّه الإسلام وعَصْدُ الخلافة ، وهو على دين الصائى . فإن الصائى كان من أهل مله فليل أهلها ، ليس لهم ذكر ولا مملكة ، وليس مهم محارب لأهل الإسلام ، ولا لهم دولة قائمة فتُحشَى عائلته وتُخاف عاقبته .

الصمة الثانية، المذكورة - فقد صرح أصحابنا الشافعية، بأنه يُشترط في كاتب القاصي أن يكون ذكراً، وإذا اشترط ذلك في كاتب القاصي ففي كاتب السلطان أولى لما تقدم من عموم البيع والصرته . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال في حق النساء "حَسَوُهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَلَا تُسَكُوهُنَّ الْعُرْفَ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِنَّ" . ولا فإنَّ نَعْمَ تُصَرِّيهنَّ في المسألة . ومرة على كرم الله وجهه على رجل يعلم أمراء الخط . فقال "لَا تَرِدِ الشَّرَّ شَرًّا" .

ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال "أَفْعَى تُسْقَى سَمًّا" والله السامى حيث يقول^١

مَا لِلنِّسَاءِ وَالْكِتَابَةِ وَالْعِيَالَةِ وَالْخَطَاةِ
هَذَا لَنَا وَلَهُنَّ مِمَّا أَنْ يَتَّقَى عَلَى حَسَانَةٍ

وإن قيل قد كن جماعة من النساء يكتبن ولم يرد أن أحدا من السلف أنكر عليهن ذلك . فقد روى أبو جعفر الحاس بسنده إلى الحسن أن سائسه أم المؤمنين رضى الله عنها^١ كانت تكتب في مكاساتها بعد السمله من المرأة عائسة بنت أبي بكر حبيبة حبب الله . وحكى جعفر بن سعيد أنه ذكر لعمر بن مسعود كاتب المأمون توقيعات جعفر بن يحيى فقال "قرأت لأُمَّ جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أحوداً اختصاراً وأجمعَ للعانى" . وذكر محمد بن علي المدائني في كتاب القلم والدواة أن ساملاً لربيدته كتب إليها كتاباً فوقعت في طهره "أَنْ أَصْلَحَ كِتَابُكَ وَإِلَّا صَرَفْنَاكَ عَنْ عَمَلِكَ" فتأمله فلم يطهر له فيه شيء، فعرضه على بعض إخوانه ورأى فيه في الداء لما وأدام كرامتك، فقال "إنها حيأت أنك دسوت عليها وإن كرامه النساء دفهن" . فغير ذلك وأعاد الكتاب إليها فضلت به . ومن كان هذا شأنه فكيف يقال أنه لم يؤهل للكتابة .

فالحواب أن حديث عائشة لم يصرح فيه بأنها كتبت نفسها ولعلها أمرت من يكتب ويكتب كذلك بإملائها أو دونه، وإن ثبت ذلك عما غيرها لا يُقاس عليها، ومن عداها من النساء لا عِرةَ به .

الصفة الثالثة، الحرّية — فقد شرطوا في كاتب القاصي أن يكون حراً لما في العبد من النقص ، فلا يُعتمد في كل القصايا، ولا يُوثق به في كل الأحوال، فكاتب السلطان كذلك بل أولى كما تقدّم.

الصفة الرابعة، التكليف — كما في كتاب القاصي فلا يعول على الصيِّ في الكتابة إذ لا يُوثق به ولا أَعْتادَ عليه .

الصفة الخامسة، العدالة — فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقاً فإنه غير لائق كبيرة، ورتبة خطيرة، يحكم بها في أرواح الناس وأموالهم لأنه لو راد أدنى كلمة أو حذف أيسر حريف أو كتّم شيئاً قد علمه أو تأول لفظاً بغير معناه أو حرّفه عن جهته، أدّى ذلك إلى ضرر من لا يستوحش الضرر، وشع من يحب الإصرار به، وكان قد موّه على الملك حتى مدح المدموم ودم الممدوح . فمتى لم يكن له دين يحجره عن ارتكاب المآثم ويرعه عن احتقار المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع، وأثر فعله من الأصرار ما لم تؤثره السيوف، والله القائل :

وَلَصَرُّهُ مِنْ كَاتِبٍ لِنَسَائِهِ * أَمْصَى وَأَقَطَعَ مِنْ رَقِيقٍ حُسَامٍ
قَوْمٌ إِذَا عَرَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ . سَقَوْا الدِّمَاءَ بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

وأيضاً فإنه لا يُقبل قول القاسق فتصيح به المصالح، وربما حمله العسق وعدم الاكبراث بأمور الدين على وهن يدخله على الدين بقلبه، أو صرر بخله بلسانه .

وأیضا فالكفاة ولاية شرعية والفاسق لا تصح توليته شيئاً من أمور المسلمين ، وقد أطلق القاضي أبو الطیب والمأوردی من أصحابنا الشافعية القول باشتراط العدالة في كاتب القاضي فيجب مثله في كاتب السلطان بل أولى على ما تقدم .

الصفة السادسة ، البلاغة — بحيث يكون منها أعلى رتبة وأسى مرحلة ، فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ، ويده التي بها يكتب . ورث كاتب بلع أصاب العرص في كتابته فأعنى عن الكتاب ، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيص الفواصب ، وإذا كان حيد القطب صائب الرأي حسن الألفاظ ، نتأثي له المعاني الخلة فيحلوها في الألفاظ السهلة ، ويختصر حيث يكون الاختصار ، ويطيل حيث لا يند عن الإطالة نذا ويتهدد فيملاً القلوب روعة ، ويشكر فيلني على العوس مسره ، وإن كتب إلى ملك كبير ودي رتبة حطير عظم مملكة سلطانه وخمها في معارص كلامه من غير أن يوحد أن ذلك قصده .

الصفة السابعة ، وفور العقل . وحرالة الرأي — فان العقل أش الفصائل وأصل المادف ، ومن لا عقل له لا آتفاع به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله ، فإذا كان تام للعقل كامل الرأي ، وصع الأشياء في مكاتباته ومحاطاته في مواضعها ، وأنى بالكلام من وجهه ، وحاطب كل أحد عن سلطانه مما يقتضيه الحال التي يكون عليها ، فيشتد ما كانت الشئفة نافعة ، ويبين حين يكون إلى اللين محتاحاً ، ويونح من لا تقتضى فعله أكثر من التوبيخ ، ويدم من تعدى إلى ما يستوجب الدم ، ويأتي بالمكاسات التي يقتضيها اختلاف الأحوال واقعة مواقعها صائفة مرايمها .

الصفة الثامنة ، العلم بمواد الأحكام الشرعية ، والعموم الأدبية ، ويعيرها مما يأنى بيبانه — إاد الحاهل لا يميز له من الحق والباطل . ولا معرفة ترشده إلى الطرق المعتبره في الكتابة . ومن سلك طريقاً غير دليل صل . أو تمسك بغير أصل رل .

الصفة التاسعة، قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس — فإنه يكتب الملوك عن ملكه . وكل كاتب يتحديه طعنه وحيثه وحيمة في الكتابة إلى ما يميل إليه ، ومكاته الملوك أحوج شيء إلى التفحيم والتعظيم ، وذكر التهاويل الرائعة والأشياء المرعة ، فكما كان الكاتب أقوى نفسا وأشدَّ عزيمة وأعلى همة ، كما في ذلك أمضى وعليه أقدر ، ومهما نقص في ذلك نقص من كتابته .

الصفة العاشرة، الكفاية لما يتولاه — لأن العاثر يُنحل الصرر على الملكة ويوح الوهن في أمر المسلمين ، وربما عاد عليهم عجزه بالو بال ، أو أدى بهم ضعفه إلى الاضطراب والاحتلال .

الصرب الثاني

(الصفات العرفية)

قال المهذب س ماني في كتابه "قوانين الدواوين" "ينبغي أن يكون الكاتب أديبا ، حادّ الدهن ، قوى النفس ، حاصر الحس ، حيدّ الحدس ، حلوّ اللسان ، له جرأة يثبت بها الأمور على حكم البديهة ، وفيه تودة يقف بها فيما لا يطهر له على حدّ الروية ، شريف الألفة ، عظيم البراهة ، كريم الأخلاق ، مأمون العائلة ، مؤدب الخدام" .

قال محمد بن ابراهيم الشيباني من صفه الكاتب اعتدال الهامة ، وصغر الهامة ، وحمه اللهارة وكثانة الخية ، وصدق الحس ، وطيف المذهب ، وحلاوة الشبائل ، وحطف الإشارة ، وملاحة الرى . قال ومن حاله أيضا أن تكون بهي الملس ، لطيف المجلس ، طاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الدهن ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ، مستقر المركب ،

ولا يكون مع ذلك قَصَاصَ الحنة، متعاقب الأحرار، طويل اللحية، عظيم الهامة،
 وإسهم رعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الدكاء والعظمة، والله القائل^١
 وَشُمُولٍ كَأَنَّمَا آعَتَصَرُوهَا . مِنْ مَعَايِ شَمَائِلِ الْكُتَّابِ

وقال أبو الفصّل الصُّورِيُّ^(١) ”يُسمى أن يكون الكاتب وممّيحاً بليغاً أديباً . سَيِّءَ
 الرتبة، قوى الحجة، شديد العارضة، حَسَّ الألفاظ، له مَلَكَةٌ يقتدر بها على مدح
 المدموم ودم الحمود“ .

قال المهذب سَمَاتِي ”أَمَّا حَسُّ الهَيْئَةِ فإنه يرجع في ذلك إلى ما يعلمه من حال
 محدومه من إثاره إظهار نعمته على مَنْ هو في خدمته أو إحقاقها“ . قلت وهذا قد
 يخالف ما تقدم من أنه ينبغي أن يكون الكاتب سَيِّئَ الْمَلَسِّ . وبالجملة فهو مصاحبه
 اللسان، وقوة البيان، والتقدم في صِاعَةِ الكِتَابَةِ هو الذي يرفع الرجل ويعظمه دون
 أنوائه الهية، وهيئته الراهية . بل ربما كان التعظيم في الفصل لَرِثَ الحالة المحيط
 الحاب أكثر، وترجيحه على غيره أقرب .

وقد قال سهل بن هرون كاتب المأمون، وهو من أئمة هذه الصِاعَةِ ”أو أن
 رحلين حَطَمًا أو تَحَدَّثًا أو آحْتَجًا أو وَصَفًا وكان أحدهما حَمِيلًا مَبِيًا، وَلَسًا مَبِيلًا .
 ودا حسب شريف، وكان الآخر قليلًا قَمِيًّا وادًّا الهَيْئَةِ دَمِيًّا، وحامل الذكر،
 مجهولًا ثم كان كلامهما في مقدار واحد من المِلاعَةِ، وفي دَرْبٍ واحد من الصُّوَابِ،
 لتصدع عنهما الجمع وعامَّتُهُنَّ نَقَصَى للقليل الدمع على البذل الحسيم، وللماد الهائم على
 دى الهَيْئَةِ، ويشعلهم العُشْبُ منه عن مباوأة صاحبه . واضرار التعجب على مساوئه
 له سببًا للتعجب به، والإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه . لأن العفوس كاتب له
 أحقر، ومن سابه أياس، ومن حسده أبعاد، فلما طهر منه خلاف ما قد روه وبصاعف

(١) في الأصل المعارضة وهو تصحيف من الماتع

(٢) هو فعل من دم الرجل بالمال الدال بمعنى فتح مطره وإغماحه في الأصول تصحيف منه

حُسْنُ كلامه في صدورهم كثر في عيوسهم لان الشيء من غير معدنه أعرب، وكلما كان
أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان
أدع، وإعما ذلك كمواذر الصبيان وملح المحايين، وإن استعرب السامعين لذلك
أعجب، وتعجبهم منه أكثر. قال "والناس موكّلون بتعظيم العريب وأستطراف
البديع، وليس لهم في الموحود الراهن ولا فيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل
الدى معهم في العريب القليل وفي النادر الشاد، وعلى هذا السبيل يستطرون القادم
إليهم، ويرحلون إلى الخارج عنهم، ويتركون من هو أعمّ نفعاً، وأكثر في وحوه العلم
تصرفاً، وأحف مؤبّة وأكثر فائدة".

الفصل الثاني

(في آداب الكُتّاب، وهي على نوعين)

النوع الأول

(حُسْنُ السيرة وشرف المذهب، ولذلك شروط ولوارم)

مهما اعتمد تقوى الله تعالى في الإسرار والإعلان، والإظهار والإبطان، والمحافظة
عليها، والاستناد إليها في مبادئ الأمور وعواقبها. فإنها العروة التي لا تنقسم، والحل
الدى لا يصرم، والركن الدى لا يهدم، والطريق اتى من سلكها أهتدى، ومن
حاد عنها ضلّ وتردّى، والمحافظة على شرائع الدين التي فرضها الله تعالى على خلقه،
والحدّ من الاستحفاف فيها بحقه، وتوقّف عصيه بتأديتها، والاستحسان من شقاء
الدنيا والآخرة توقّفها^(١).

(١) كذا في الأصول من الوفاة ولعله سوفها من الوفاء. تأمل.

ومها طلب الأجر مما يُبيله من عر سلطانه ويُنْجِديه من فواصل بعائه، وهذا هو أصح الأعراس التي يحب على كل عاقل أن يقدمه على كل عرص، ويحصل منه على السهم الوافر، فلا حير في دينا تقطع السعادة عنها، وإيما السعادة بعد الموت ﴿والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ﴾، ومن آختر العاني المصرم على الباقي الدائم، فقد حَسِرَت صفقته، وبارت تجارتُهُ .

والطريق الموصِّل إلى هذا المقصد صلاحُ الية فيما يتولاه من أمور السلطان . وقصدُ النفع العام له ولرعيته، والاحتشادُ في إعانة الملهوف، والأخذ بيد الضعيف . والنفع بحاهه عد سلطانه، وحمله على العدل في الرعية، وإذا توشَّح ذلك فار شواب الله تعالى، وقصى حقَّ السلطان فيما عرصه له من السكر والأحر، وقابل عمة الله التي أقدره بها على هذه الأفعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه .

ومها محاسة الرِّيب والتَّرهُّ عنها، والطَّهارةُ منها . فإِذَا تُسْحِطَ اللهُ تعالى، وبذهب ممَّاهة المرء، وتُسْقَطُ من العيون والقلوب . وأحقُّ من راعى ذلك من نفسه من أتباع السلطان أهل هذه الصبابة لأحتضاحهم به، وأطفئ من لهم عنده . إذ المشهور عند قلة الآثار أن الذين تقدّموا من صدورهم ومسانيحهم كانوا من حلة العلماء، وسادة الفقهاء، وأفاضل أهل الورع، المبرزين من الدّس والطمع، المبرزين على القضاة والحكّام، في الاستقلال بعلوم الإسلام، المبرزين عنهم بفصل الآداب، ورواية الأشعار، والعلم بالأيام والسير، والآداب الملوك وعسرتهم ورسوهم صحتهم، وغير ذلك مما يدطم في صاعتهم . فقد ساوَوْهم في علم الدّس، وفافَوْهم مما تقدّم ذكره مما لا يشاركونهم فيه . والسلطان والدّس قرنان لا يعرفان، وعنوان على صلاح البلاد والعماد، فلا يحتمل السلطان ما يكره الدّس لأنه ناعه وردسه .

ومها لروم العَقَاف والصَّيانة فيما يتولاه للسلطان من أعماله ، ويتصرف فيه من أشعاله ، والتعفف عن المطامع الدميمة . والمطاعم الوحيمه ، والترفع عن المكاسب اللثيمة ، فان ذلك يجمع القرُبة إلى الله تعالى والخُطوة عند السلطان ، وحميل السيرة عند الرعية -- حتى إن هذه الطريقة قد تقدّم بها عند السلطان المتحلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا على من لا يقارون به في عَآء ولا كفاية ، وحصلوا على الأحوال السنية ، والمارل العلية ، وقرب بها من كان بعيدا على من كان قريبا ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من له مكانة وحرمة ، وأستدني لأجلها من لا يترشح لخدمة السلطان . ثم الذي يلزمه أن يعتمد التمسك بالصيانة والعَقَاف الذي عليه نظام معيشته ، والارتقاء فيما يحل ويطيّب له من حاه خدمته — فانه قد قيل "الرم الصحة يلزمك العمل"^(١) . لا أنه يتمتع من المنافع التي تصل إليه من أطيب المكاسب ، وتسلم من تعات العاقل والآحل ، وتحلّص من قبيح الأحداث وإطلاق ألسن الحسدة بالطعن والتأيب ، ويبال بحاه السلطان وبعود الأمر من غير حيانة للوئيم ولا اشتكاء للرعية — فانه أولا هذه المنافع لعبي الانسان بالقناعة ، ورصى الكفاف ، وسلم من المحاطرة بديه ودياه في سلامة السلطان . اذ لا يجوز أن يستمرع وسعجه ويعرّض نفسه للخطر فيما لا تحس له عائده ، ولا تحلص منه فائده ، في حاه ولا مال . وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة في سائر الدول وما حصلوه من الدحائر واقتنوه من القبيات البقيسة ، التي أقدرتهم على إظهار مُروءاتهم ، واتحاد الصبائع عند الأحرار ، وحراسه النعم على الدوائر والأعقاب . وإما حصلوا على ذلك من حيث معرفتهم بوحوه المكاسب ، وأبواب المرافق ، لا من الحياة وديم الطعم — لأنهم كانوا في أرمة لا يعصى فيها عن متكسب من رشوة ولا مصابة ولا اعتصاب ولا سب من أساب الظلم وإن حلت به لته وعظمت مرتته

(١) هكذا بالأصل (٢) لعله على الدراري تأمل (٣) لعله الطمع

ومنها طلب الشاء والحمد وهو من أفضل المقاصد السنية وأعلاها رتبة — لأنه يتلو الأحرى البقاء والدوام ، وكلما كانت المهمة أعظم وأشرف ، كانت إليه أرفعَ وبه أَكَلَف . ولعفل هذا رعب فيه الاشراف وعِلية الناس حتى قال الحليل عليه السلام ﴿ وَأَحْضَلْ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ . وأولى الناس باقتناء دحائر الحمد وأفتراس فرص الشكر من عِزِّ الله تعالى حاهه ، وطول يده ، وأمضى عبد السلطان لسانه ، ويسعى أن يختار هذه المَكْرُمة ، ويقوم بالصيب الأوفر منها ، ولا يتحمل عِماهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا دى رَحِمَ وذِمَام ، ولا يَصَحِّحُ في أمر بطائسه وحاشيته وأصحابه ، ولا يَصَيِّقُ عليهم مع سَعَتِهِ ، ولا يَقْصُرُ بهم في كِفَايَتِهِ ، ويجعل آكثسابها بحاهه وماله دون أموال سلطانه — فإن كثيرا من المتصرفين بدلوا ما اقْتَنَمُوا عليه في هذا العِزِّ ورَضُوا به أهل الشفاعات والرسائل ، فأعقبهم ذلك رِوَالُ العِزِّ وسقوط الرتبة ودَهَابَ المال ، والوسم يميس الحياة والنوار إلى الأند . ولا يبالغ في آبناء المعالي واقتناء المحامد وبدل الرعائ وآرتفاع الهمم ، فإن ذلك مما يختص بالملوك ولا ينبغي لأحد من أتاعهم من كاسب ولا عِزِّه الإقدام عليه مُفَاحِرًا ولا مُكَابِرًا ولا مُقَاسِمًا . ويكون قد عدا طَوْرُهُ ، وأصل رُشْدُهُ ، وتعرَّضَ للعَطَبِ مع سلطانه . وأوحد الطريق إلى سُوءِ الطنبه ، وفوق سهام الحَسَدَةِ إليه ، وأطلق أَسْتَهْمَ بالطعن عليه ، وربما أَدَّى به ذلك إلى سقوط الميرلة ان سلمت نفسه .

ومنها الاقتصاد في طلب اللذة ، والاقتصار من ذلك على ما نقيم المروء . من أفضل الأخلاق وأشرفها أن يكون ساوِهم ما يداولونه من ذلك يساوِهم طر بعه بخوده يظهر فيها أنر التدبر السديد والرأى الأصيل . من عر حروح إلى الإقبال على اللذات والاهماك في الشهوات . فإن ذلك عر مستحس للملك ولا سَوْقَهُ لأنه حلب للأسقام ، قاطع عن الأمور المهمة التي نحب صرف العناية إليها في صلاح المعاش

وأمر الآخرة، ولكن لا يكلف ترك اللذات حملة — اد لا بد لكل أحد من دوى الرتبة العلية من الأحد مصيب منها، لما حُلت عليه الطوائع من الميل إليها والرعة في الاستمتاع بالنعم والملاذ ولكل منها حظ يصاهى رتته .

وأهل هذه الصناعة لأختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم في آدابهم لا عى هم عما يقيم مروءاتهم من اللذات المشابهة لأقذارهم ومواضعهم من السلطان .

السوع الثانى

حُسْنُ العِشْرَةِ — التى هى من أفصل الحلائق الموحودة فى العرائر طبعاً والحاصلة بالتحلق تكساً وتطعماً، وأعوها لمصالح الحياة والمعاش ومحة الخاصة والعامة وحصول الشاء والشكر والمودة من الأفاضل الأحيار، وكفاية الأراذل الأشرار، وان لم يلتزمها الكاتب طوعاً حمل عليها كرها .

وأعلم أن أدب المعاصرة على حمسه اصرب

الصرب الأول .

(عِشْرَةُ المَلُوكِ والعِظَمَاءِ)

قال على بن حلف ولا يقوم آدابها وأكل رسومها إلا من علّت فى الأدب درجته، وسمت فى راحة العقل مرلته، وتميّز بعريّة فاصلة وأدب مكتسب، وصدر على المشاقّ فى التحلّى بالهمم الشريفة، والسمو إلى الممارل اللطيفة، من عر الساطان ومساعدة الرمان، وتمكّن من تصريف المقسّين الحيوانية والشهوانية على أعراض الباطنية ومطاوعتها، وأخذها بقول ما تُرشد إليه وتبعث عليه لأن صحة السلطان أمر عظيم وصاحبه راك حطر حسيم، تملكه نفسه لمتحكم فى شعره وشّره، قادر على نفعه

وَصْرَه، لا يَرِدُه عن مَقَالَتِه على يَسِيرِ الحَيَاةِ كَثِيرِ السَّكَايَةِ إِلَّا مَا يُؤْمَلُ مِنْ صَفْحِهِ
وَمَسَاحَتِهِ، وَيَرْحُو مِنْ عَطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ . وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَّصِلِ بِحُدُودِ السُّلْطَانِ
الْبَطْرِ فِي عَوَاقِبِ أُمُورِهِ وَحِفْظُ نَفْسِهِ مِنْ حَرِيرَةٍ يُحْزِنُهَا عَلَيْهَا بِاعْمَالِهِ فِرَاصًا مِنْ فِرَاصِ
طَاعَتِهِ، وَتَصْيِيغِهِ الْمَحَافِظَةَ عَلَى حَقُوقِ حُدُودِهِ، وَالْعِلْمُ أَنَّ لِكُلِّ مُصْحُوبٍ حُلُقًا يَلْبَسُ
عَلَيْهِ، وَيَرْجِعُ بِعَرِيرَةِ الطَّعْنِ إِلَيْهِ، لَا يُمْكِنُ الدَّرُوعُ عَنْهُ وَلَا الْمَقَارِقَةُ لَهُ، إِنْ الْإِتِّقَالَ عَنْ
الطَّمَاعِ، شَدِيدِ الْإِمْتِنَاعِ، فِي الْخِدْمِ وَالْإِثْنَانِ، فَكَيْفَ الْمُلُوكُ وَالرُّؤَسَاءُ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَ
بِلُومٍ عَلَى حُلُقٍ مَدْمُومٍ، بَلِ الْعَادَةُ حَارِيَةٌ فِي أَدَبِ حُدُودِهِمْ أَنْ يَصُورُوا مَا يَرْكَبُونَهُ
مِنْ حَطِيٍّ وَيُحْسِنُوا مَا يَوَاقِعُونَهُ مِنْ قَبَحٍ. فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْرُلَ عَنْ أَحْلَاقِهِ لِأَحْلَاقِ سُلْطَانِهِ،
وَمَا خَالَفَ سَخِيَّتَهُ فِي إِصْلَاحِ رِمَانِهِ، وَأَنْ يَبْرُلَ عَنْ هَوَاهُ لِهَوَاهُ، وَيَتَّبِعَ فِيمَا يَسْحَطُهُ
وَيَأْنَاهُ، مَا يُؤْثَرُهُ سُلْطَانُهُ وَيَرْصَاهُ. وَيَدْعَى أَبًا لَا يَعْزِصُ نَفْسَهُ لِمَا نَسَقَطَ مَرَاتُهُ
وَيُقْسَدَ عَاقِبَتُهُ وَلَا يُوجَدَ لِلرَّسْلِ طَرِيقًا إِلَى التَّكْرَلِ، وَيُعِيهِ تَتَوَيَّقُ سِمَامَهُ وَالتَّصَدَّى
لِمَوَاقِعِهَا . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الرِّمَانَ وَإِنْ عَمَّ سَوَائِهِ فَإِنَّهُ مُحَصَّنٌ صَاحِبُ السُّلْطَانِ مِمَّا
يُرِيدُ عَلَى نَصِيبِ عَيْرِهِ . وَمَنْ أَشَقُّ الْأَحْوَالِ أَنْ يُدْفَعَ الْإِنْسَانُ إِلَى بَعْرِ السُّلْطَانِ مَعَ
كَوْنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا حَزَنَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِسُوءِ آخِتْيَارِهِ، لِمَا يُخْتَمَعُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ
مِنْ مَرَارَةِ النَّكْمَةِ، وَحَرَارَةِ الْمَعْتَةِ، وَتَقْرِيعِ مَنْ يُرَى عَلَى عَقْلِهِ . وَتَوْبَهُ نَحْمَلُهُ .
ثُمَّ أَنَّهُ يَلْمُهُ بَعْدَ الْإِخْتِيَاطِ فِيمَا تَقْدَمُ عُدَّةُ حَصَالِ أَيْضًا .

مِمَّا الْإِحْلَاصُ وَهُوَ قَوَامُ الْأَمْرِ فِي الْمَصَاحِدِ، فَإِنَّ مَنْ صَحِبَ سُلْطَانًا بِعَقِيدَةِ
مَذْخُولَةٍ فِي وَلايَتِهِ، مَشُوبَةٍ فِي مَحْتَمَلِهِ، لَمْ يَنْظُمْ لَهُ وَلَا لِسُلْطَانِهِ أَمْرٌ لِأَنَّ الصَّمَاءَ
الْمَدُوقَةَ وَالْبَيَاتِ السَّقِيمَةَ لَا يَدَّ أَنْ يَصْرَّحَ بِمَا فِيهَا وَيُظْهِرَ مَا فِي دَحْلَتِهَا، وَإِذَا آتَى صَاحِبُ
دَلَالَةٍ لِلْسُّلْطَانِ لَمْ يَقْعُ إِلَّا بِإِتْلَافِ نَفْسِهِ . وَإِذَا هَبَّ مُهَيَّجَتُهُ .

(١) لعله المدوقة أي عبر الحادثة من فوطهم مدق ولا الود - خاصة .

ومها الصبيحة، وهى ترب الإحلاص . والطريق الموصل إلى التوفية لها أن يطالع السلطان بكل ما يقتدر إلى العلم به من حاص أموره وعامتها، وعلى من استخلصه السلطان لنفسه، وأثمه على رعيته، وأطلقه بلسانه، وأحد وأعطى بيده، وأورد وأصدر رأيه، وتخير هذه المرة من بين رؤساء دولته وأعيان مملكته أن لا يستر عنه دقيقاً ولا حليلاً من أحوال ما قوصه إليه، ولا يقف عن إساء تفاصيله وحمله توقياً من لوم لائم، ولا يحميه ورط الصبح له على الإصرار برعيته، ولا الرءه في إثبات حقه على تصحيح حقوقها، ولا القيام بما يجب له دون ما يجب لها — فإنها به وهوها . ومها الاحتهاد فيما يباشره من أحوال سلطانه مما يعود عليه بفعه بحيث لا يتيق في ذلك ممكناً، ولا يدع فيه شأواً للاحق .

ومها كتمان السر . وهو من أفصل الآداب في ضمة السلطان وعيره، وأعوذها بالصلاح على صاحبها لأن كثرة الآتشار الداخل على الدول إما توحه بتفريط بطائنها وصاحبها في أسرارها، وإطهارهم مما تقتر في أدهان الملوك وعرائهم قل أن يطهره، فيجد العدو بذلك الطريق إلى معالجة آرائهم مما يقصها، ومقاتلتها بما يقسدها . على أن إنشاء السر من الأخلاق التي طيع أكثر الناس عليها، وحيل بينهم وبين الإقلاع عنها، فمن علم من نفسه ذلك فليحذر معاملة السلطان في أسرارها وبواطني أموره، ولا سيما ما وُجد منها في باب حروبه ومكايده، فإنه إن طهر منه على حياة في السر، عرص نفسه للهلكة .

ومها الشكر فإنه وإن كان واجباً على الإنسان مع أكرهائه وطرائه فإنه مع السلطان الذي يستطل بطله، ويستدر أخلاف فصله أوجب . إذ المرء قد يقدر على مكافأة عارفة صديقه بما يصاهاها ويريد عليها، ولا يقدر على مكافأة سلطانه إلا

شُكر نعمته، والمحافظة على حقوق خدمته . ثم الشكر القول يرتفع بين الرئيس والمرءوس، والخدام والمخدوم، إلا اليسير الذى يقصى به حق الخدمة لأن الإكثار منه داخل فى حكم الملق والثقل، وإما يظهر شكر الخادم من أفعاله .

ومنها الوفاء . وهو من أهمّ الحصال اللارمة وأكدّها، إذ هو الطريق إلى صلاح العباد وعمارة البلاد، بل هو رأس مال الكاتب ورنجته ودوام عمله، والسبب الذى لأجله ترعى السلاطين فى صحته لأهمّ ما يرحوا يقربون صاحب هذه الخدمة ويؤونه أهلاً للاحتصاص، موصعاً للثقة، ولا أسوأ حالا ممن رل هذه المربة وهو بخلافها .

ثم الوفاء يكون بإطهار الصبغة، وبذل الاجتهاد، وقصد المحالصة، ومقابلة كل نعمة تُفأص عليه بالهصة فيما آسند إليه ^(١) ليدعو ذلك سلطانه إلى ربّ النعمة لديه . وإقرارها عليه .

ومن شروط الوفاء أن يلتزمه صاحبه لسلطانه، فى حال سعادته . وإقبال دوائته . وفى حال تولّيها عنه وعُطلته . أما فى حال إقبال الدولة عليه فإن يحده سلبه دون بدنه ولا يتطلّب صاحبا عنه ينتقل إلى صحبه، ويستبدل خدمته من خدمه . ولا يحدث نفسه بأنه متى وجد أنفع منه عدل إليه، ولا أن ربّ له حبه أخرى يجعله مقدّمة لأمر يترقّه لما فى ذلك كله من الخروج عن حادّ الإخلاص المقدم وحوبه . وأما فى حال أنصراف الدولة عن صاحبه، فإنه لا . اسه ماسه المساعد للزمان عليه، الموافق للتقارير فيه، ولا نعمه عد حاحه إليه . ولا نصيب حقوقه عنده وصائعه لديه، ولا يحار بكايته إلى من أقاب أمور السلطان عليه . فإن ذلك

(١) فى الصو . أسد . وهى رص

(٢) أى رماه النعمة

مما يدل على حُثِّ السَّجِيَّة ومقابلتها على الإحسان بالإساءة ، وأستعمال العقوق ، وأطراح الحُقُوق .

ومها محاسبة الإذلال . إداد الدالة على السلطان والرئيس من أعظم مصارع اتَّلف ، وأقرب الأشياء إلى روال البعم ، ولأحلمها هلك مَنْ هلك من بطانة السلطان وخاصته ووررائه ، وفي قصصهم عِرة لمن أعم النظر في تملُّها . وعليه أن يعول في الاعتداد بحِدمه وبصائنحه له على أشتهاها وطهورها ، ولا يقيص في تعديدها ودكرها ، ولا يواصل التثقيب لأعراضه والإلخاف بأسئلته ، ولا يظهر التشثب عند التقصير به ، ولا العصب اتكالا على سالف حدمة ، وقليل حرمة ، وأن يتناسى ما أسلفه من الحِدمة والصحة ، ويكون في كل حال عارفا بعوارفه ، معتدّا بعواصله ، موحا المروص له لأغايه ، فإن السلطان محمول على أنفة النفس وعِرتّها ، ولا يحتمل التنازل لأحد لتبريله الكلّ مآزل الحِدم والأرقاء ، وأعتقاده أنه سبب العمة الساعية على الكافّة ، وثقتّه بوحود العِوص عَمَّ يفقده من الأعوان والأصحاب ، ومناورة الناس على خدمته والأنتساب إلى متاعته لمّا يصلون إليه من الحُطوة ، ويألوه من الحاه والثروة . وإن كان في ناطن حاله على خلاف ما يؤثر ، أظهر السكر والاعتداد وتلطّف في بلوع العرص أحسن تعريض ، ولم يطلق قلمه سكتا ، ولا لسانه محاطا ، وإن ذلك إرراء على همة المصحوب ، ودلالة على إحلاله سفقدها صاحب ، لكن يذكر العمة وسُوعها ، والمِنة وشيوعها ، ويسأل الرياده فيها ومصاعفها . فإن ذلك يهضى بلوع آماله ، وسدّاد أموره ، وسُهولة مطالبه . وإذا راده السلطان رِفعة وتشريفا آرداد له تعظيما وتوقيرا . وإذا سبط يديه أن يقيص عن كل ما تشييه ، وإذا حصّه بأثره وتقريب أن يريد الخاصّة والعامّة شرا وإياسا ، وإن آهمه هَفوة لم ياتّه في إقامه العُذر والأحتجاج على براءه الساحه إلى العاية القُصوى . بل يتوسط في ذلك ويسأل

من حُسْن الصَّفَح والإِقَالَة وحميل التَّعَمُّد^(١) والعفو ما يجعل للإحسان وحيًا ، ولتَعَقُّبه
للسَّحَط سبًا . فإنه إذا صدع بالحق في راءة الساحة ، فلا وجه لمعدرته وفيه تكذيب
لرئيسه ، وربما أدى إلى فساد ومُعاقمة .

ومها التمسك بأداب الخدمة بالمواطنة عليها ، وصرف الأهتمام إليها ، إدهى أعطى
الدرائع إلى بيل الرتب وبلوغ المآرب ، والسبب الذي يقرب العُداء ، ورفعه على
أهل الوسائل والحُرْم ، ودوى المَوَات^(٢) والخدم ، ويُعْمَى عن كل شَيْن . وَيُصَمُّ عن كل
طعن . وما نال أحد عند السلطان مرتبةً إلا والمواطنة على خدمته سنًا والمواصلة
موجِّهاً . وأولى الناس بلوم السلطان كُتَّابه الذين لا عي به عن حضورهم ، في ليله
ومهاره ، وأحيان شعله وفراعه لأنه ربما نَدَّه ما يحتاج إلى استكفائه إياه وإساده
إليه ، وإن تأخره في تلك الحال استدعى من مَوْجِدِه وأسجَر من لائمه مالا
يُرِيه العذر إلا في المدَّة الطويلة . وربما أَصْطَرَّ لِعَيْنِه إلى احضار من يستكفيه
مأعرص له وأدَّى ذلك إلى أَصْطاعه وتصويره في مقامه وإن كان لا يساويه في فصل
ولا علم ولا عَمَاء ، بخلاف ما إذا وحده مُسارِعًا إلى أمثله ، فإن ذلك يريد في حُطونه ،
ويدعو إلى استخلاص مودته .

فيحب عليه أن يخصَّ سلطانه من زمانه بالقسم الأوفى . والمصير الأغرر . ولا
يؤثر بيل لده عليه ، ولا بلوغ وطَر إذا أدَّى إلى سَكْره ، فإن استطاع أن يوافقه على
وقت يفرصه له يتمكن فيه من بلوغ أوطاره ، والوصول إلى مقاصده . كان أحمد الهافيه
وأبلغ لقصده ، وأحسَم لأسباب اللائمه في عَيْده . ولا نُهات في المَلاد أهمالك الآمن

(١) التعمد السر من قولهم تعدد الله ، ح ، ر ، د

(٢) جمع مائة — وهي الحرة والنوسله

بل يقف عند الحد الذي يُنتهي فيه فَصْلَةٌ لعوارض السلطان ومهمَّاته الحادثة في آناء الليل، وساعات النهار . وإن تعبه في صلاح رمانه وراحة سلطانه مستتقي لِعَمَلِهِ ، مستدعج لريادته . ولا يشتغل بكبير الأمور عن صغيرها ، ولا ينتهج بما أصلحه منها حتى يطر في عواقبه ، ويسوس ما رُدَّ إليه بالسياسة الفاصلة قِلين في غير صَعَف ، ويشدُّ في غير عُنف ، ويعفو عن غير حَوَر ، ويسطو من غير حَوَر ، ويقترّب من غير تدله ، ويُبعد من غير مُكر ، ويخص في غير محاراة ، ويعم في غير تصبيع ، ولا يشقى به المُحقِّ وإن كان عدواً ، ولا يسعد به وإن كان ولياً .

ومها إذا حصر بين يدي سلطانه أو رئيسه في المجلس الخاص أو العام أن يعتمد مقاتلته بالإحلال والإعطاء ، والتوقير والإكرام ، ولا يحمله تأكيد الخدمة وتطاؤل الصحة على إهمال ذلك بل يحفظ رسمه ولا يعيّر عادته .

ومها أن يتخير لخطابه في الأعراض والأوطار أوقاناً يعلم خلق سرّه فيها ، وفَرَاح ناله ، وأنشراح صدره ، وارتفاع الأفكار عن حاطره إلا إن كان ما يحاطبه فيه أمراً عائداً بانتظام سلطانه ، واستقامة رمانه ، داخلاً في مهمات أعماله التي متى أُحرّها نُسب إلى التقصير ، فيقدم الكلام فيها حَفّ أو ثَقْل . وإذا حاطبه رئيسه من سلطان أو غيره في أمر من الأمور ، فعليه أن يرعيه عينه ويُنصت إليه سمعه ، ويشغل به فكره ، ولا يستعمله فيما يعوقه عنه حتى يستوعب ما يلقى إليه ، ويحييه عنه أحسن الحواب . ولا يلتفت في حال إقباله عليه إلى غيره ، ولا يصعّ إلى كلام متكلم ، ولا حديث متحدث ، حتى لو أمتحنه باستعادة ما فاوضه فيه وحده قد أحرر جميعه ، فإن التقصير في ذلك مما يكره الملوك والرؤساء ، ولستدلون به على صَعَف المحاطب . وإن كان فيما حاطبه فيه أمر يحمل التأخير بادر بالاعتذار عنه . لئلا ينسب إلى التقصير تأخيريه عند الكشف عنه ، وإن كان فيه ما يخالف الصواب

أمصاه، وإن تعدد السيل إلى فعله لم يطهر التقاعس عنه لتحطته، بل يقابله
بالاستصواب . ثم يتلطف في تعريقه مكان الخطإ فيما رآه .

ومها أن يحرق في الحال في محالسه على ما يعود بوفائه وإرادته . فإن مال إلى
الأنساض أطلق عناه فيه إطلاق المتحسب للهجر والفحش، ورقت القول تابعاً
لإيثاره، قاصياً لأوطاره . وإن أطهر الأنقاض ذهب مدته في ذلك، ولا ينبغي
أن يحالسه في حال من أحواله، فإن من شروط هذه الخدمة أن يتصرف صاحبها
في كل ما يصرف فيه، ويسرع الانقياد إلى كل ما يُدعى إليه، ولا يكثر من الدعاء
لرئيسه والثناء عليه والشكر على ما يوليه من العوارف فإن مثل ذلك يستنقل .

ومها أن لا يحصر سلطانه في ملاسسه إلى حرب العاده أن سفرد بها كالوشى
وبحوه، إلا أن يكون هو الذى يشرفه بها، وأن يقتصد في لباسه فيحط عما يلبسه
سلطانه وترفع عما يلبسه السوقة، ويصرف عنايته إلى التنظف والتعطر، وقطع الرائحة
الكريهة من العرو وغيره، حتى لاتنع عين رئيسه على دس في أثوابه، ولا يحد منه
كزيه رائحة في حال دنوه منه، ويواصل استعمال الطيب والنحور الفائق والتصمغ
بالمسك، فإن الملوكة ترى أن من أعمل تعهد نفسه كان لغيرها أشد إعمالاً .

ومها أن يحب التفاضح والتعمق في مخاطبة رئيسه، والافتحار عليه بالبلاعة
والبيان لما في ذلك من الترفع عليه في الكلام . بل يجعل ما تلقى إليه صم ألقاط
تدل على معانيها بسهولة مع عص من صوبه، وحقص من طرفه، وسكوي من
أعضائه لأنه إنما يتسامح بالإيوان بالفصاحة والذهاب بمدح الحراله للخطاء الذين
يؤمنون على الملوكة في المواقف العامة ضرورة احتياحهم إلى استعمال ألقاط تقع
في الأسماع أحسن المواقف .

ومما أنه إذا تميز عند رئيسه وارتفعت رتبته لديه أن يُجمل القول في خاصته وعامته ،
ويحسن الوساطة لحاشيته ورعيته ، ويتحسّ القدح عنده في أكفائه وبطرائه من
بطائنه ، والمقرّيين من حصرتّه ، ليكون ذلك داعياً إلى محبته والثناء عليه مكافأة له
وإمساك الألسن عن الطعن فيه .

ومما أنبى يادر إلى المشورة عليه بالصواب فيما يستشير فيه ، ويورده إيراد
مستفيد لا مُفيد ، ومتعلم لا معلّم ، ويتلطّف في أن يُوقعه من نفسه موقفاً يدعو إلى
العمل به . فإن من عادة الملوك والرؤساء الأنفة من الانقياد إلى ما يتحلّه غيرهم من
الآراء ولو كانت صائبة ، وإن تمكّن من صياغة حديث يودعه فيه فعل محادعة بذلك
لنفسه الأبهة وعمرته المتقاعسة .

الضرب الثاني

(آداب عشرة الأكفاء والطّراء)

قال عليّ بن حلف ولا شك أنّ طريقة الاعتدال في ذلك الموافاة في الإحاء ،
والمساواة في الصّعاء ، ومقابلة كل حالة بما يُصاهاها . أما المسامحة للحقوق والإعصاء
عن قصر ، والمحافظة على ود من قوط ، فلا خلاف في فصله والتمذح بمثله ، لا سيما
لمثل أهل هذه الصبغة التي يرتفع حقّ الاعتراء إليها عن حقوق القرائات الدانية ،
والأنساب الراسخة . ولذلك وقع في كلام بعضهم « الكفاية تسب » . قال عليّ
بن حلف والمعنى فيه أن التماسّ الحاصل من أهلها تأسّ بهسانيّ لاجساميّ ،
يحصل عن ساس الصور القائمة في نفوسهم بالقوة ، وعن تاسسها بعد حروجهما
وطهورها من القوة إلى العمل ، بدليل ما رآه من اتّفاق حواطرهم على كثير من
المعاني التي يستندطوها ، وتواردهم فيها . ولولا تأسّ العرائر وتساهاها ، لم يكن
أن يتواطئوا في أكثر الأحوال على معاني متكافئة متوافية .

قال "وإذا كما يحفظ من متّ إليها بالأنساب الحسنية التي لا تعارف فيها فأولئ
أن يحفظ من متّ إليها بالأنساب المفسانية التي يصح منها التعارف . ولذلك قال
الحسن بن وهب «الكفاة نفس واحدة تحرأت في أئذان متفرقة» . وقال لا يبره
مما يقع بين بعضهم من التناور والتباين ، لأن المداينة إنما تقع عند المساواة . أما من
وقع دون رتبة الآخر من الفصيلة فليس مناسب له فيصير القاصر حاسدا لمن فوقه ،
للتقصير الذي فيه" .

و بكل حال فإنه يجب عليه أن يعرف لأكفائه حقهم ، ويحفظ ماساتهم ، ويتوحي
مساهمتهم ، ويتلقاهم بالإكرام والتمييز ، ويجعلهم في أعلى المراتب عده . ويريدهم على
الإبصار ولا يقصرهم عما يستحقونه ويستحقونه ، ويتحول بمنزلة ذلك نظراءه
في الرياسة من غير الكفاة . وإن تعدر عليه الوصول إلى ملتصقهم أطاب قلوبهم
بالوعد الحيل في المستقبل ، وأحتد في الوفاء به .

الصرب الثالث

(آداب عشرة الأتباع)

قال علي بن حلف وهي لأحققة بعشره الأكفاء لأن الذين يستعين بهم الكفاة
يُدْعَوْنَ كُفَّاءً ولا يُدْعَوْنَ أَعْوَاءاً ، وأما الأعوان حُدَامُ الشُّرْطَةِ وَمَنْ نَحَرَى مَخْرَاهِمُ .
قال "وهم وإن كانوا أصحاب الكفاة ومرءوسيه وأساعه ، فاسم الكفاة يجمع بينه
وهم ، ومعاشرتهم داحلة في باب الكرم ، والفصل ، والأسئثار بخاس الأعمال
ومكارم السيم" .

ثم قال بعد ذلك "و ينبغي أن يخصهم بالصيب الأوفر ، من إكرامه ، وأنقسم
الأعزراء من ملاحظته وأهتمامه ، ويعرض لهم من التمدد والاحتصاص وتعقد

الأحوال والشئون، والذي ينتهى إليه أمل المرءوس من الرئيس ليحبل خدمتهم له
بذلك خدمة مقة ومودة، لخدمة خوف ورهبة، وأب يحب خدمته إليهم ترك
ما اقشتمهم، والتصديق عليهم، وإلالتهم من الترفيه في بعض الأوقات ما يحذون به
السبيل إلى الأحد نصيب من لداتهم وأوطارهم التي تميل النفوس إليها، وتوافد
عليها، فإنهم متى لحقهم التعب والنصب، أعترضهم الصحر والملال، فقصرُوا
في الأعمال، وتهاوبوا بالأشغال، فلا بد لهم من راحة تصفوها أدهاهاهم ويرول عنها
الكلال، ولا يمسح لهم في مواصلة الراحة والإحلال بما يلزمهم، فإن ذلك يحمل على
سوء العادة وقبح المذهب. وعليه أن يحفظ لهم حقوق الصحة والخدمة ويؤخدمهم
من الإغاة ما فيه صلاح حالهم، فإنه يستعدهم بذلك ويستخلص مودتهم إدا القلوب
محولة على حب من أحسن إليها“.

الضرب الرابع

(آداب عشرة الرعية)

قال آس حلف ”وهو أمر عظيم النفع، حسيم العائدة، قاص بالسلامة .
إدا لا يطيب لأحد عيش مع نعض الرعية له، ونفورهم عنه، وإن علت عبد السلطان
رتبته، وأرتفعت طبقته، وطق نفسه الاستعلاء عنهم“ . قال ”فيدعى أن يوقر^(١)
العناية على استصلاحهم له، واستمالة أهوائهم إليه، ولين الحاب، ووطاءه الكف،
وحفص الحامح، والبسط والإياس وتأليفهم كما يورها على استصلاح السلطان
وسياسته، لنصح له رسة التوسط بين الطقتين، ويسلم من طعن الطاعن، ولوم
اللائم، ويرأ من النقص والشحاء، ويقلهم عما تسرع إليه الطاع الرديئة

(١) أى دمايه الأحلاق كما نوحده من العاموس

من الحسد والإيذاء إلى التألف والمودة . وقد أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا عَايِطَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

الصرب الخامس

(آداب عشرة من يمتُّ إليه محُرمة ، كالخار ، والقاصد ، والآمل ، والمُدِلُّ بحق المُفاوضة ، والمطاعمة ، والمحاصرة ، والسلام والمعرفة في الصِّا ، والصدّاقة بين الآباء وغير ذلك من الحُرْم التي لا يَطْرَحها أهل المروءات)

قال آس حلف . ”ويُسعى أن يوفهم حقوقهم ، ويهَضّ بما يسحّ من أوطارهم ومهمّاتهم ، ويُعيهم على ما يحدث من نوائب رماهم ، ويُسعد في بلوغ مطّالهم من سلطاهم ، ولا يَصْص عليهم نجاه ولا مال . ولا يُجَيِّب أمل آملهم ولا قضده ، ويقرص لهم من إدعائه وأعتائه ما يُعرّحاهم . ويسهل ما رماهم ، ويكفّ الصيم والظلم عنهم . ويسطّ العدل والإنصاف عليهم . وإيه اذا البرم ذلك لهم البرمواله الإعطام والإحلال . وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه ، والأعتداد بأياديه ، وأشاعوا ذلك بين أمثالهم واحتلوا له مودّتهم وتعصّهم له“ .

قلت ومن تمام آداب الكتّاب وكلّهما أن يعرف حقوق مشايخ الصباغة وأئمّتها الذين فتحوا أبوابها ، ودلّوا سُلّها ، وسهّلوا طرقها ، ويعاملهم بالإنصاف فيما أسلموا فيه حواطّهم ، وأتعبوا فيه رويّاتهم فيزلهم سارهم ولا تحسبهم حقوقهم . من آفات هذه الصبغة على دوى الفصل من أهلها أن العاصر منهم لا يتنع من ادعاء مرّله المرّر بل لا يعفيه من آداء القدّم في الفصل عليه . والمرّر في الفصل لا تقدر على إثبات قصص المتخلف ، والله يعلم المُقصد من المُصالح .

ثم أصل هذه الآداب الذى ترجع إليه، ويتنوعها الذى تفتحت منه، رسالة
 عبد الحميد بن يحيى الكاتب، التى كتبها إلى الكتاب يوصيهم فيها . وهى
 أما بعد، حفظكم الله يا أهل صباغة الكتاب، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ! فإن الله
 عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، ومن بعد
 الملوك المكرمين أصافاً، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً، وصرفهم فى صفوف الصباغات،
 وصُروا المحاولات إلى أسباب معاشهم، وأبواب أرقامهم، جعلكم معشر الكتاب
 فى أشرف الجهات أهل الأدب، والمروءة، والعلم، والرواية . ثم تنظم للخلافة
 محاسنها، وتستقيم أمرها، وسبائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، وتتمر بلادهم .
 لا يستعنى الملك بكم، ولا يوحد كآف إلا بكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماءهم
 التى بها يسمعون، وأبصارهم التى بها ينصرون، وألستهم التى بها يبطقون، وأيديهم
 التى بها يبطشون . فامنعكم الله مما حصكم من فصل صباغكم ! ولا ترع بكم ما أصنافه
 من النعمة عليكم ! .

وليس أحد أحوح إلى اجتماع حلال الخير المحمود، وحصال الفصل المذكورة
 المعدودة، منكم أيها الكتاب، إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فإن
 الكاتب يحتاج من نفسه، ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن
 يكون حليماً فى موضع الحلم، فهياً فى موضع الحكم، ومقدماً فى موضع الإقدام،
 ومحسناً فى موضع الإحسان، مؤثراً للعفاف، والعدل والإبصار، كئوماً للأسرار،
 وفيماً عند الشدائد، عالماً بما يأتى من الوارل، ويصعب الأمور وواصبها، والطوارق
 أوماً كما . قد نظر فى كل فن من فنون العلوم فأحكمه، فإن لم يحكمه أحد منه بمقدار
 يكتفى به . يعرف بغيره عقله، وحسن أدبه، وفصل تحريره، ما يرد عليه قل وروده

وعاقدة ما يصدر عنه قبل صدوره، ويعتد لكل أمر عدته وعتاده، ويهيئ لكل وجهه هيئته وعادته . فتأقسوا يامعشر الكُتَّاب، في صُوف الآداب، وتفقهاوا في الدين، وأدثوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإياها نِقَافُ السِّتَمِ .

ثم أحيّدوا الحطّ فإنه حلية كتكم، وارووا الأشعار، وأعرفوا عريتها ومناياها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه، هممكم . ولا تصبّعوا الطر في الحِساب فإنه قِوامُ نُكُتَاب الحِراج، وأرعوها بأنفسكم عن المطامع سببها وديتها، وسفساف الأمور وتحآقرها، وإياها مدلّة للرقاب، مفسدة للکُتَّاب، ورهوا صاعتم عن الدّاءات، وآرنوا بأنفسكم عن السّعاية والميعة وما فيه أهل الجهالات، وإياكم والكبر والصلف والعظمة، فإنها عداوه محتلة من غير إخعة، وتحاثوا في الله عز وجل في صاعتم، وتواصوا عليها بالدي هو أليق بأهل الفصل والعدل والنبل من سلفكم .

وإن ما الرمان رحل منكم فأعطفوا عليه ووأسوه حتى يرجع إليه حاله . وشوب إليه أمره، وإب أقعد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء احواله . وروود وعطموه وشاوروه، وأسطهروا بفصل تحرته، وقدم معرفته . وليكن الرحل منكم على من أصطمعه وأسطهروه ليوم حاجته إليه أحفظ منه على ولده وأخيه . فإن عرّصت في الشعل مجمدة فلا يصيغها إلا إلى صاحبه، وإن عرّصت مدمة فليحملها هو من دونه . وليحذر السقطة والرلة والملل عند بعث الحال، فإن العيب إليكم معشر الکتاب أسرع منه إلى القراء، وهو لكم أفسد مه لها .

فقد علمتم أن الرحل منكم إذا صححه الرحل، يذل له من نسه ما يجب له عليه من حقه، فواحب عليه أن يعتقد له من وفائه، وشكره، وأحتماله، وصره، وبصيحته، وكتان سره، وتدبير أمره، ماهو حراء لحقه . ويصدق ذلك بفعله عند الحاجة إليه، والأصطرار إلى مالدیه .

فاستشعروا ذلكم وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء، والشدة، والحرمان،
والمواساة، والإحسان، والسراء، والصراء، فعمت الشئمة هذه لمن وُسِمَ بها من
أهل هذه الصبغة الشريفة^١. فإذا وُلِّيَ الرجل منكم أو صُيِّرَ إليه من أمر خلق الله
وعياله أمر، فليراق الله عز وجل، وليؤثر طاعته، وليكن على الصبيغ رقيقا،
وللطالوم مصصا، فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله. ثم ليكن بالعدل
حاكما وللأشراف مكرما، وللغنى موقرا، وللبلاد عامرا، وللرعية متألما، وعن
أيديهم متحلما، وليكن في مجلسه متواضعا حلما، وفي سحلات حراجه، وأستقصاء
حقوقه رقيقا. وإذا صحت أحدكم رحلا وليحتر حلائقه، وإذا عرف حسنها وقبحها
أعابه على ما يوافق من الحس وأحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة،
وأحمل وسيلة. وقد علمتم أن سائس المهيمه إذا كان بصيرا سياستها التمس معرفة
أحلاقها، فإن كانت رموحا لم يهيجها إذا ركبها، وإن كانت شؤنا انتقاها من قبل
يديها، وإن حاف منها شُرودا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حروبا قمع رفق
هواها في طريقها، وإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها. وفي هذا الوصف
من السياسة دلائل لمن سائس الناس وعاملهم وخدمهم وداحلهم.

والكاتب بفصل أدبه، وشريف صبعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره
من الناس ويأطره، ويعهم عنه أو يحاف سطوته، أولى الرفق بصاحبه، ومداراته،
وتقويم أودد من سائس المهيمه التي لا تُخير حوانا، ولا تعرف صوانا، ولا تفهم
خطانا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها. ألا فأمعوا رحمكم الله
في البطر، واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر، تأموا بإذن الله من صحتموه
السوة، والاستئقال والحقوة، ويصير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخذة
والشفقة إن شاء الله تعالى.

(١) كذا في الأصل ولعل ثوبت الياء قبل الراء من زيادة الناصح

ولا يحاورنَّ الرجلُ منكم في هيئة محاسنه وملئسه ومركه ومطعمه ومشربه وبيانه وحذمه وعير ذلك من فون أمره، قدر حقه . فإنكم مع ما فصلكم الله به من شرف صغبتكم حذمة لا تُجملون في خدمتكم على التقصير، وحفظة لا تُختمل منكم أفعال التصنيع والتدبير . وأستمعوا على عفاكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم . وأحدروا متآلف السرف، وسوء عاقبة الترف، وإيهما يُعقبان الفقر ويُدلان الرفاق، ويفصحان أهلها ولا سيبا الكتاب، وأرباب الآداب، وللأمور أشباه ومعها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتف أعمالكم بما سقت إليه تحررُتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوصحها محجة، وأصدقها حجة، وأحمدها عاقبة .

وأعلموا أن للتدبير آفة متلعة — وهي الوصف الشاعل لصاحبه عن إبعاد عمله ورؤيته، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وليؤخر في استدانته وحواله، وليأخذ تخامع مُحججه، فإن ذلك مصلحة لعله، ومدفعة للتشاعل عن إكثاره . وليضرع إلى الله في صلة توفيقه، وإمداده بتسديده، بحافة وقوعه والعلط المصر سنده وعقله وأدبه، فإنه إن طن منكم طان، أو قال قائل، إن الذي رر من حميل صغته وقوة حركته، إعميا هو بفصل حيلته، وحسن تدبره، فقد تعرض بطله أو مقالته إلى أب يكله الله عر وحل إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير حاف .

ولا يقل أحد منكم إنه أنصر بالأمور وأحمل لعب التدبير من مُرافقه في صاعته ومُصاحبه في خدمته، فإن أعقل الرحلس عدد دوى الألاب من رمى بالعُجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه وأحد في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فصل بعم الله حل شأء من غير اعتار رأيه، ولا تركية لنفسه، ولا تكاثر

على أحيه أو بطيره، وصاحبه وعشيرته، وحمد الله واحب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته، والتدليل لعزته، والتحدث بسعته“ .

وأنا أقول في كتابي هذا ماسبق به المثل (١) من يلزم الصحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وعروة كلامه، بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل، فذلك جعلته آخرا وتممته به . تولاها الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ! فإن ذلك اليه ويده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الباب الرابع

من المقدمة

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء، وأصل وضعه في الإسلام،

وتفرقه بعد ذلك في الممالك، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في التعريف بحقيقته)

لا حفاء في أنه أسم مركب من مصاف وهو ديوان مصاف اليه وهو الإنشاء ، أما الديوان فاسم للوضع الذي يجلس فيه الكاتب وهو بكسر الدال . قال الحاس في صناعة الكتاب ” وفتحها خطأ “ قال ” وأصله ديوان فأبدلت إحدى الواوينا فقل ديوان “ ويجمع على دواوين . وأختلف في أصله ، فذهب قوم إلى أنه عربي . قال الحاس ” والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذي يرجع إليه ويعمل

بما فيه“ ومنه قول أس عاس « إذا سألتُموني عن شيءٍ من عريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوانُ العرب ». ويقال دقوته أى أثنته وإليه يميل كلام سيمويه وذهب آخرون إلى أنه عجمي وهو قول الأضمعي وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه ، فقال الديوان « فارسيّ معرّب ». وقد حكى الماورديّ ” في الأحكام السلطانية “ في سبب تسميته بذلك وجهين

أحدهما — أن كسرى ذات يوم أطلع على كُتّاب ديوانه في مكانٍ لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقال ” ديوانه “ أى تحاين فسّمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تحفيضا ، فقليل ديوان وعليه اقتصر أبو جعفر الححاس في صياغة الكتاب .

والثاني — أن الديوان بالفارسية اسمٌ للشياطين ، وسُمّي الكتاب بذلك لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الخلق منها والحقى .

وأما الإلشاء فقد تقدّم أنه مصدرُ أنشأ الشيء يشئه إذا ابتدأه وأحضره ، وحينئذ بإضافة الديوان للإلشاء تحتل أمرين

أحدهما — أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتُتدأ منه .

والثاني — أن الكاتب يشئ لكل واقعه مقالا . وقد كان هذا الديوان في الروم المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسميةً له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كثافة الإلشاء وأعمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات . ثم علب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن .

الفصل الثانى

(فى أصل وضعه فى الإسلام وتفزقه عنه بعد ذلك فى الممالك)

إعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع فى الإسلام، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه، وأصحاب سرياه من الصحابة، رصوا الله عليهم، ويكتبونه. وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله نكته. فعث عمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشى ملك الحبشة، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى أروير ملك الفرس، ودحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم، وحاطب بن أبى ثلثة إلى المقوقس صاحب مصر، وسليط بن عمرو إلى هودة بن على ملك اليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى المسدر بن ساوى ملك البحرين إلى غير ذلك من المكاتبات. وكتب لعمر بن حرم عهداً حين وجهه إلى اليمن. وكتب لتميم الدارى وإخوته بإقطاع بالشام. وكتب كتاب القصبة لعقد الهذبة بينه وبين قریش عام الحديبية. وكتب الأمانات أحياناً. إلى غير ذلك مما يأتى ذكره فى الاستشهاد به فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء بخلاف ديوان الحيش، فإن أول من وضعه ورثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته.

على أن القصاعى قد ذكر فى تاريخه "عيون المعارف" ومبوء أحوار الخلائف "أن الربيرس العوام، وحهم بن الصلت كانا يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له حرص المحل، وأن المعيرة بن شعبة والحصين بن ثمير كانا يكتبان المدائيات والمعاملات. فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين أيضاً قد وضعت فى ربه صلى الله عليه وسلم، إلا أنها ليست فى الشهرة وتواتر الكتابة فى زمانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم من متعلقات كتابة الإنشاء.

وقد رأيت في سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للشيء صلى الله عليه وسلم سيف
وثلاثون كاتباً أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن
أبي طالب، وعامر بن فهيرة، وحالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأبان أخوه،
وسعيد أخوهما، وعبد الله بن الأرقم الرهري، وحطلة بن الربيع الأسدي،
وأبي بن كعب، ونات بن قيس بن شماس، وريد بن ثابت، وشريحيل بن حسنة،
ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن ريد، وحكيم بن الصلت،
والزبير بن العوام، وحالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمي، وعمرو بن العاص،
وعبد الله بن رباح، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عبد الله بن أبي، ومعيقت بن
أبي فاطمة، وطلحة بن ريد بن أبي سفيان، والأرقم الرهري، والعلاء بن
عنتة، وأبو أيوب الأنصاري، وبريدة بن الحصيب، والحصين بن ميمر، وأبو سلمة
المحرومي، وحويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، وحاطب بن عمرو،
وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أكرمهم له في الكفاة معاوية بن أبي سفيان،
وريد بن ثابت .

وكتب لأبي بكر عثمان بن عفان، وريد بن ثابت، وعثمان هو الذي كتب عهد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة عن أبي بكر رضوان الله عليه كما سيأتي
في موضعه إن شاء الله تعالى .

وكتب لعمر رضي الله عنه ريد بن ثابت، وعبد الله بن حلف .

وكتب لعثمان رضي الله عنه مروان بن الحكم .

وكتب لعلي عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعيد
ابن جحران الهمداني .

وكتب للحس بن على رضى الله عنهما عد الله بن أبى رافع كاتب أبىه .
ثم كانت دوله بنى أمية فتوالت حلقاتهم من معاوية بن أبى سفيان فمن بعده ،
وأمر ديوان الإنشاء فى رمن كل أحد مَقْصُصٌ إلى كاتب يُقِيمُه إلى حين أنقراض
دولتهم . وكان الخليفة هو الذى يَقَعُّ على القِصَصِ ويُحَدِّثُها بنفسه ، والكاتب يَكْتُبُ
ما يُتَرَدُّ إليه من توقيعه ويَصْرُوه نَقْلُه على حُكْمِه . وكان ممن اشتهر من كُتَّابهم بالملاعة
وقوة الملكة فى الكتابة حتى سار ذكره فى الآفاق ، وصار يُصَرَّبُ به المثل على امتز
الأرمان عند الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد آخر حلقاتهم .

فلما برعت شمس الخلافة العباسية بالعراق وولى الخلافة أبو العباس السَّفَّاح
أول حلفاء بنى العباس ، استورر أنا سلمة الحلال . وهو أول من لُقِّب بالورارة
فى الإسلام على ما سياتى ، وتوالت الوزراء بعده لخلفاء بنى العباس من يومئذ .
وكان ديوان الإنشاء تارة يُصَاف إلى الورارة ، فيكون الوري هو الذى يهتد أموره
نقله ، ويتولى أحواله بنفسه ، وتارة يُفَرَّد عنه ، فكاتب يطر فى أمره ، ويكون الوري
هو الذى يهتد أموره بكلامه ، ويصروها بتوقيعه على القِصَصِ ويحوها ، وصاحب
ديوان الإنشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الورارة ، ويمشى على ما يُلْقَى إليه من
توقيعه ، وربما وقَّع الخليفة بنفسه حتى بعد علة ملوك الأعاهم من الديلم وبنى
سلجوق وغيرهم على الأمر والأمر على ذلك تارة وتارة إلى أنقراض الخلافة من مداد .
وكان ممن اشتهر من وُرَرائهم بالملاعة حتى صار يصَرَّبُ به المثل يحيى بن خالد
وربر الرشيد ، والحس بن سهل ، وعمر بن مسعدة كاتب المأمون ، وآس المقفع
مترحم كتاب "كليلة ودمه" ، وسهل بن هرون الذى ترجمها ، والأستاذ أبو الفصل
أس العميد ، والصاحب كافى الكُفَّاة إسماعيل بن عباد ، وأبو إسحاق الصبانى فى جماعه
آخرين مهم .

ثم لما انقرضت الخلافة من عداد في وقعة هولاكو ملك التتار في سنة (ست وحسين وستمائة) وأستولت المملوك والأعاجم على عداد ، نزل رسم الكفاية المعترة وصار أكثر ما يكتب عن ملوك التتار بالمعلية أو الفارسية ، والأمر على ذلك إلى زمانا على ماسياتي بيانه في الكلام على دواوين الأمصار في المكتبات والولايات وعيرهما إن شاء الله تعالى .

وكانت بلاد العرب والأندلس بأيدي ثواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولا عناية لهم بديوان الإنشاء للتقرب من السادة ، وعائته المكتبة إلى ديوان الخلافة ومحو ذلك ، فلما علم سواد العباس على الخلافة هرب طائفة من بني أمية إلى بلاد المغرب ، وحارت البحر إلى الأندلس فأترعوه من الثواب الذين كانوا به وملكوهم ، وصاروا يتصرفون فيه حليقة بعد حليقة ، حارين على سن ما كانوا عليه بالشام من ألقاب الخلافة ، مصاهير خلافة بني العباس سعداد من إقامة شعار الخلافة ، واتحاد ديوان الإنشاء ، وأستخدام نساء الكتاب وتعدت دولتهم إلى ترعدوه من بلاد المغرب حكموه . ثم تقاصر أمرهم بعد ذلك شيئا فشيئا باستيلاء المستوليين المستبدين عليهم بالأمر إلى أن انقرضت دولتهم من الأندلس وبلاد المغرب ، وأستولت عليهما طوائف من الملوك وتقلت بهم الأحوال في استيلاء الملوك على كل ناحية منهما ، وتناحرت الدول في كل حين كلها حتى دولة تيمور أخرى على ماسياتي ذكره في مكاتبات ملوكهما إن شاء الله تعالى .

وكان حال ديوان الإنشاء يوم نحسب ما يكونون عليه من الحصار والساداه . فأوائل الدول القريون عهدا بالادية لاعناية لهم بكافة الإنشاء ، وإذا أستخضرت الدولة صرفت أهتمامها إلى ديوان الإنشاء وتربيته إلى أن استقر ما بقي من الأندلس بعد ما أرتفعت الفرج منه بأيدي بني الأحمر ، والعرب الأقصى بيد بني مرين ،

والعرب الأوسط بيدى عبد الواد، وإفريقية بيد نقايا الموحدين من أثناع المهدى
أس تومرت، وداحلهم الحصارة، فأحدوا فى ترتيب دواوين الإنشاء مهده الممالك،
ومعاونة الملاعة فى المكاتبات ومحوها، وأستمر الحال على ذلك إلى زماننا .

ومن أشهر الملاعة من كُتّاب المعارضة والورراء به أبو الوليد بن ريدون،
والورير أبو حفص بن برد الأصغر الأندلسى، ودو الورتين أبو المعيرة بن حرم،
والورير أبو القاسم محمد بن الحد فى حماة أخرى من متقدمى كتّابهم . ومن متأخريهم
عبد المهيمن كاتب السلطان أبى الحسن المزيى، وأرى على كثير من المتقدمين أس
الخطيب ورير أس الأحمر صاحب عرابة من الأندلس ممن أدركه من عاصرها .

أما الديار المصرية فلديوان الإنشاء بها خمس حالات

الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة
الطولونية، وثواب الخلفاء نتوالى عليها واحدا بعد واحد فلم يكن لهم عناية بديوان
الإنشاء، ولا صرفُ همة إليه للاقتصار على المكاتبات لأنواع الخلافة، والبر
اليسير من الولايات ومحو ذلك . ولذلك لم يصدر عنهم ما يؤدق فى الكتب ولا
يتماقل بالألسنة .

الحالة الثانية — ما كان الأمر عليه فى الدولة الطولونية من آتداء ولاية
أحمد بن طولون، وأستفحال ملك الديار المصرية فى الإسلام، وترتيب أمرها، وإلى
حين أنقراض الدولة الاحشيدية، وفى حلال ذلك ترتب ديوان الإنشاء بها، وأتظم
أمر المكاتبات والولايات، وكان ممن أشهر من كُتّابهم بالملاعة وحسن الكتابة،
أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبد — كان كاتب أحمد بن طولون، وكان
مبدأ الكُتّاب المشهورين بها . وكتب بعده لمارويه بن أحمد بن طولون إسحق بن
بصر العبادى البصرانى، وتوالى الكُتّاب بالديوان بعد ذلك .

الحالة الثالثة — ما كان الأمر عليه من ابتداء الدولة الفاطمية وإلى انقراضها .
ولما ولي الفاطميون الديار المصرية ، صَرَفُوا مريد عبايتهم لديوان الإنشاء
وكتَّابه ، فارتفع بهم قدره ، وشاع في الآفاق ذكره ، وولي ديوان الإنشاء عنهم جماعة
من أفاضل الكتَّاب وبلغائهم ما بين مسلم ودمي ، فكتب للعزير بالله آس المعر
أبو المصور بن سوردين المصري ، ثم كتب بعده لأسه الحاكم ومات في أيامه ،
فكتب للحاكم القاضي أبو الطاهر الهركي ، ثم كتب بعده لأسه الطاهر . وكتب
للسنصر القاضي ولي الدين بن حيران ، ثم ولي الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله
إلى الوراثة ، وأبو سعيد العميدى . وكتب للأمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن
على بن أبي أسامة الحلبي إلى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وحمسائة . فكتب بعده
ولده الأجل أبو المكارم إلى أن توفى في أيام الحافظ ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ
الأمين تاج الرأسة أبو القاسم على بن سليمان بن محمد المصري المعروف باسم
الصيرفي ، والقاضي كافي الكفاءة محمود بن القاسم الموفق أسعد بن قادوس . وان
أبى الدم اليهودي . ثم كتب بهد الشيخ أبى المكارم بن أبى أسامة المتقدم ذكره
القاضي الموفق بن الحلال أيام الحافظ ، وإلى آخر أيام العاصد . وبه عتزع القاضي
الفاصل النيسابى . ثم شَرَك العاصدُ مع الموفق بن الحلال في ديوان الإنشاء القاضي
حلال الملك محمود بن الأنصارى وكان في أيامه القاضي المؤتمن كاسينويه . ثم كتب
القاضي الفاصل بين يدي الموفق بن الحلال قرب وفاته في سنة ست وستين وحمسائة
في وراثة الملك الباصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكتب من إنشائه عدة
سجلات ومكاتبات عن العاصد آخر حلفائهم .

الحالة الرابعة — ما كان الأمر عليه من ابتداء دولة بن أيوب إلى آخر

انقراضها .

قد تقدم أن القاصي الفاضل رحمه الله كان قد كتب بين يدي الموفق آس الحلال في وراة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله عن العاصد آخر حلفاء الساطميين ، فلما استقل السلطان صلاح الدين المذكور بالملك وحطت لى العاس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، فوص إلى الفاضل الوراة وديوان الإنشاء فكان يتكلم فيهما جميعا ، وأقام على ذلك إلى أن مات السلطان صلاح الدين ، فكتب بعده لآسه العرير وأحبه العادل أنى بكر . ثم مات ، وكتب للكمال بن العادل القاصي أمين الدين سليمان المعروف بكتاب الدرر إلى أن توفى ، فكتب بعده للكمال الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبي مدة قليلة ، وتوالت كتاب الإنشاء في الولاية إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين رهيرا . ثم صرفه وولى بعده الصاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعدي ، فبق إلى أنقراض الدولة الأيوبية .

الحالة الخامسة — ما كان الأمر عليه في الدولة التركية مما هو مستقر إلى الآن .

قد تقدم أن الصاحب نحر الدين بن لقمان بق في ديوان الإنشاء إلى آخر الدولة الأيوبية .

ولما صارت المملكة إلى الدولة التركية ، بق في صحابة ديوان الإنشاء أيام أيلك التركمانى ، ثم أيام المطر قطر ، ثم أيام الطاهر بيرس ، ثم أيام المصور قلاوون . فاشتر ديوان الإنشاء في أيامه مدة ، ثم نقله إلى الوراة ، وولى مكانه بديوان الإنشاء القاصي فتح الدين بن القاصي محي الدين بن عبد الطاهر في حياة والده ، فبق حتى توفى المصور قلاوون ، واستقر بعده آسه الأشرف خليل ، وأسمت بعده في كثابة السرّ ربه من الرمان وسافر معه إلى الشام ، فمات بالشام فولى الأشرف مكانه القاصي تاج الدين أحمد بن الأثير ، ونقل السلطان راجعا إلى مصر ، فمات

القاضي تاج الدين في أثناء الطريق مصى شهر من ولايته ، فوثى مكانه القاضي شرف الدين عند الوهاب بن فصل الله فأقام بقية أيام الأشرف بن قلاوون ، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الأولى ، وأيام العادل كتمعا ، وأيام المنصور لاجين ، وأيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثانية ، وأيام المطهر بيبرس الحاشكيري ، وربة من أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثالثة .

ثم نقله إلى كنانة السر بدمشق المحروسة عوضا عن أخيه القاضي محي الدين بن فصل الله ، ووثى مكانه بمصر علاء الدين بن الأثير لسابق وعده له من حين كان معه في الكرك ، وبقى حتى مرض بالفالج وبطلت حركته ، فأستدعى الملك الناصر القاضي محي الدين بن فصل الله من الشام ، فولاه ديوان الإنشاء بالديار المصرية في المحرم سنة تسع وعشرين وسعمائة .

وكان ولده القاضي شهاب الدين هو الذي يقرأ الرد على السلطان ويقدّم المهمات إلى ستة آثنتين وثلاثين وسعمائة فأعادهما الملك الناصر إلى دمشق . ووثى مكانهما القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود في شعبان من السنة المذكورة . فبقى حتى حج السلطان وعاد إلى مصر ، فأعاد القاضي محي الدين ولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، فبقيا إلى سنة ثمان وثلاثين وسعمائة .

وفي أواخر ذلك تعير السلطان على القاضي شهاب الدين المذكور وصرفه عن المباشرة وأقام أخاه القاضي علاء الدين مكانه ساسر مع والده . وبقى الأمر على ذلك مدة لطيفة .

ثم سأل القاضي محي الدين السلطان في العود إلى دمشق ، وودع كرت سنة وصعقت حركته ، فأعاده وصحته ولده القاضي شهاب الدين وكسبه له تغليد في قطع

الثَّلاثِينَ نَأْنِ يَسْتَمَرُّ عَلَى صَحَابَةِ دَوَاوِيں الْإِنْشَاءِ بِأَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَأَنْ يَكُونَ حَمِيعُ الْمُنَاشِرِينَ لَهُدَى الْوُطَيْفَةِ بِالسَّابِ الشَّرِيفِ مَنْ دُونَهُ نُوَّانَهُ ، وَأَنَّهُ حَيْثُ حَلَّ يَقْرَأُ الْقِصَصَ وَالْمَطَالِمَ ، وَيَقْرُرُ الْوَلَايَاتِ وَالْعُرُلَ وَالرَّوَاتِبَ وَعِيدَ ذَلِكَ ، وَيُوقَعُ فِيهَا بِمَا يَرَاهُ ، وَتُحْمَرُّ إِلَى مَصْرِ لِيَعْلَمَ عَلَيْهَا الْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ ، وَفَوْضَ أَمْرِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَمَارِ الْمَصْرِيَّةِ لَوْلَدِهِ الْقَاصِي عِلَاءَ الدِّينِ اسْتِقْلَالًا ، وَتُحْمَرُّ الْقَاصِي بِحِي الدِّينِ لِلْسُّعْرِ ، فَمَرِصَ وَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سِتَّةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَعْمَانَةً بِالْقَاهِرَةِ . ثُمَّ نُقِلَ إِلَى دِمَشْقَ سِتَّةَ تَسْعَ ، وَبَقِيَ وَلَدُهُ الْقَاصِي عِلَاءَ الدِّينِ مَقِيٌّ فِي الْوُطَيْفَةِ بَقِيَّةَ أَيَّامِ الْمَلِكِ الْبَاصِرِ ، ثُمَّ أَيَّامَ وَلَدِهِ الْمَنْصُورِ أُنِيَ بَكَرًا ، ثُمَّ أَحِيَهُ الْأَشْرَفُ بِحُكْمِهِ ، ثُمَّ أَحِيَهُ الْمَلِكُ الْبَاصِرُ أَحْمَدَ .

فَلَمَّا حَلَّ الْبَاصِرُ أَحْمَدُ نَفْسَهُ فِي سِتَّةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَتَوَحَّهَ إِلَى الْكَرْكِ ، تَوَحَّهَ الْقَاصِي عِلَاءَ الدِّينِ مَعَهُ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَاسْتَقَرَّ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَ قَلَاوُونَ فِي السُّلْطَانَةِ بَعْدَ أَحِيهِ أَحْمَدَ ، فَتَوَزَّرَ فِي دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الْقَاصِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمِي الدِّينِ سَ فَصَلَ اللَّهُ ، مَقِيٌّ فِي الْوُطَيْفَةِ إِلَى أَنْ عَادَ أَحُوهُ الْقَاصِي عِلَاءَ الدِّينِ سَ الْكَرْكِ ، فَأَعِيدَ إِلَى مَنَاصِهِ ، وَبَقِيَ بَقِيَّةَ أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ أَنْأَمَ أَحِيَهُ الْكَامِلُ شَعْمَانَ ، ثُمَّ أَيَّامَ أَحِيهِ الْمَطْفَرِّ حَاحِيٍّ ، ثُمَّ أَيَّامَ أَحِيهِ الْبَاصِرِ حَسَنَ فِي سُلْطَانَتِهِ الْأُولَى ، ثُمَّ أَيَّامَ أَحِيهِ الصَّالِحِ صَالِحَ ، ثُمَّ أَيَّامَ الْبَاصِرِ حَسَنَ ثَانِيًا ، ثُمَّ أَيَّامَ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاحِيٍّ سَ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، ثُمَّ أَيَّامَ الْأَشْرَفِ شَعْمَانَ سَ حَسِينَ سَ مُحَمَّدَ اسَ قَلَاوُونَ تَوَوَّقَ ، وَوَلِيَ الْوُطَيْفَةَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْقَاصِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدَ ، مَقِيٌّ بَقِيَّةَ أَيَّامِ الْأَشْرَفِ شَعْمَانَ ، ثُمَّ أَيَّامَ وَلَدِهِ الْمَنْصُورِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَيَّامَ أَحِيهِ الصَّالِحِ حَاحِيٍّ سَ شَعْمَانَ إِلَى أَنْ حُلِيَ ، وَحَاضَتْ الدَّوْلَةُ الطَّاهِرَةُ بِرَفُوقِ فَقَزَّرَ فِي دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ الْقَاصِي أَوْحَدَ الدِّينِ عَدَدَ الْوَاحِدِ سَ الرِّكَانِي ، مَقِيٌّ حَتَّى تَوَوَّقَ فَأَعِيدَ الْقَاصِي بَدْرُ الدِّينِ

المذكور وبقي حتى جُلِع الطاهر برقوق وعاد المصور حاشي بن الأشرف شعبان إلى السلطة وهو مستمرّ المباشرة .

فلما عاد الطاهر برقوق من الكرك حصر معه القاضي علاء الدين على الكركي ، فولّاه كتابة السرّ وبقي حتى توحه ضحمة السلطان إلى الشام في طلب منطاش ، فمات القاضي علاء الدين ، وكان القاضي بدر الدين صحته فأعيد إلى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وعاد موثى ضحمة الركاب الشريف السلطاني . ثم توحه صحته إلى الشام عند وصول تمر نعداد ، فمرض ومات هناك ، فوثنى الطاهر مكانه القاضي بدر الدين محمود السراي الكلستانى في شوال سنة ست وتسعين وسبعائة ، وحصر ضحمة الركاب الشريف إلى الديار المصرية ، فبقي حتى توفى في حمادى الأولى سنة إحدى وثمانيائة ، فوثنى الطاهر مكانه المقرّ العالى الفتحى فتح الله ، ففتح الله به من أبواب ديوان الإيلاء ما كان معلقاً ، وأوصى به من ورده ما كان مكثراً .

وآتقلت السلطة بعد وفاة الطاهر برقوق إلى ولده الباصر فرج ، فأحراه من المباشرة والإحلال والتعظيم على نادة أبيه . ثم صرفه عن الوظيفة في شهور سنة ثمان وثمانائة ، وأقام مكانه في الوظيفة المقرّ السعدى إبراهيم بن عراب . وهو يومئذ مشير الدولة بعد تنقله في وظائف الديار المصرية والمشار إليه . وأقام بها مدة لطيفة ، وعادت إلى المقرّ الفتحى فتح الله المشار إليه . وقيل هديه بصاعته ردت اليأس . فخرى فيها على الأسلوب الأول والمهيج السابق من العدل والإيصاد ، والإحسان إلى الخلق ، وإيصال البرّ إلى مستحقه ، والمساعدة في الله لمن عرّف ومن لم يعرف ، والله هو المالكفى لعباده على جميل الصنيع .

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ حَوَارِيَهُ لَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بِنِ اللَّهِ وَالنَّاسِ

الباب الخامس

من المقدمة

في قوايين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله، وآداب أهله، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

(في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله

ولقبه الحارثي عليه في القديم والحديث)

أما رفعة محله وشرف قدره، فأرفع محل وأشرف قدر، يكاد أن لا يكون عند الملك أحص منه ولا أرم لمحالسته، ولم يرل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك في كل رس، مقدما لديهم على من عداه يلقون إليه أسرارهم، ويحصىونه محايا أمورهم، ويطلعونه على ما لم يطلع عليه أحص الأخصاء من الورراء والأهل والولد، وما هيك رتبة هذا محلها

قال صاحب مواد البيان "ليس في مرة حدم السلطان والمتصرفين في مهماته أحص من كات الرسائل . فإنه أول داخل على الملك وأحر حارج عنه، ولا عني له عن معاوصته في آرائه، والإفصاء اليه بمهماته، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات هاره وأوقات طهوره للعامة وحلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، فهو لذلك لا يثق بأحد من حاصته ثقتة به، ولا يركن إلى قريب ولا سيب ركونه إليه، ومحلله مه في عائدة خدمته وأثرة دولته محل قلبه الذي يؤامره في مشكل رأيه حتى يتفصح، ويراحعه في مهم تديره حتى يتصح، ولسانه الذي يقرر ترعيه أولياءه على الطاعة والموافقة، ويستقر ترهيه عن المعصية والمشاققة، ويقر بأوامره

(١) كذا في الأصل ولعله مصحف عن يفر أو يسمر كما نصبه المصنف

وبواهيـه أمور سلطانه، ويُرثها مبارها في متمد محالسا، ويتمكن من سياسة أحاده، وعمارة بلاده، ومصلحة رعيته، واختلاب مودتهم، واستخلاص نياتهم، وعيه التي تلاحظ أحوال سلطانه، ويُرعيها مهمات شاهه، وأذنه التي يثق بما وعته، ولا يرتاب بما سمعته، ويده التي يأسطها بالإعام، وييطش بها في القمص والإرام“ .

قال ومن كانت هذه رتته فالسب الذي رتته فيما أفصل الأسباب، وأحدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيحاب .

قال ابن الطويري ترتيب الدولة الفاطمية ”وكان هذا المصـب لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أهل كتاب البلاعة، ويحاطب بالأحـل، وإليه تسلم الملكـه واردة محتومة فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذي أمر سـريلها والإحابة عـمها وربما نـات عـد الخليفة لـيالي، وهذا أمر لا يصل إليه غيره“ . قال ”وهو أول أرباب الإقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطعات، ولا سـيل أن يدخل إلى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه إلا الحواصـر . وله صاحب من لأمر، الشيوخ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والمآخذ والمُسـد، والدواو العظيمة السـن . ويحمل دواوـه أستاذ من حواصـ الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة“ .

قلت ومرتته في رملها أرفع مرتبه، ومجلسه أعظم مجلس . إليه تنـي أسرار الملكـه وحفاياها، ورأيه نستصا، في مسكاتها، وعلى يديه يعول في مهمها، وإليه ترد المكتبات، وعه تصدر، ومن ديوانه تُكتب أوـلات الساطعـه كافة، ويقوم توقيعـه على الفصص في يعود لأوامر مهم بوقع السـطن . وجميعه يعلمـه عليه السلطان من حليل وحقيـر في مـرتته حتى ما تُكتب من دواو حيش من المشير . وما يُكتب من ديوان الـوراره وديوان الحـص وغيرهم من مُرتبـه وجوهـه وإيسـ

لأحد من المتولين لهذه المناصب التعرض لأحد علامة سلطانية التتة، وباهيك بذلك رفةً وشرفاً نادحاً .

وأما لقبه الحارى عليه فى كل رمن فقد تقدم أنهم كانوا فى رمن سى أمةً وما قبله يعتررون عه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القصاعى فى ”عيون المعارف“ . فلما حلت الدولة العباسية ، وأستقر السَّمَّاح أوَّل حلفائهم فى الخلافة ، لقب كاتبه أما سلمة الحلال بالورارة وترك اسم الكاتب ، وأستقر لقب الورارة على من يليها من أرباب السيوف والأقلام إلى انقراض الخلافة من بعداد . وتقدم أيضا أن هذا الديوان كان تارة يضاف إلى الورارة فيكون الوري هو الذى يشاره بنفسه أو بقوصه إلى من يتحدث فيه عه ، وتارة يعفد عها ، حيث آنفرد عن الورارة لقب متوليه مما يتضمن إصافته إلى صحابة الديوان وولايته بحسب ما يشتهر به الديوان فى ذلك الرمن .

فحيث كان الديوان مشهورا بديوان الرسائل ، كما كان فى الرمن الأول ، لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل أو متولّى ديوان الرسائل ، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات ، أو متولّى ديوان المكاتبات ، وحيث كان الديوان مشهورا بديوان الإنشاء كما فى رماسا بالديار المصرية لقب متوليه بصاحب ديوان الإنشاء . وربما جمعوا لفظ الديوان تعطيًا لمتوليه ، فقالوا صاحب دواوين الإنشاء بالملك الإسلامية . وعلى هذا مصطلح نُكَّات الديوان فى رماسا فى تعريفه فيما يكتب له من تقليد أو غيره ، على أنه لو قيل ماطر دواوين الإنشاء لكان أعلى فى الرتبة لما أشتهر فى العرف من أن لفظ ماطر الديوان أعلى من صاحب الديوان .

قال ابن الطوير ”وكاوا يلقبوه فى الدولة العاطمية بالديار المصرية كاتب الدَّسَب“ .

قلت وأتتهى الأمر إلى أوائل الدولة التركية والحال في ذلك مختلف، فتارة إلى الديوان كاتب واحد يعبر عنه نكاتب الدست، وربما عرّعه نكاتب الدّرج، وتارة يليه جماعة يعبر عنهم نكّاب الدست. ويقال لهم كانوا في أيام الطاهر ميرس ثلاثة نفر، أرفعهم درجة القاضي محيي الدين بن عبد الطاهر. وبقي الأمر على ذلك إلى أن ولي الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الطاهر في أيام المصور قلاوون على ما تقدّم ذكره، فلقّب نكاتب السر، ونقل لقب كاتب الدست إلى طمقة دونه من نكّاب الديوان. واستمر ذلك لقبا على كل من ولي الديوان إلى زماننا على ماسياتي ذكره. ويصاويه في ذلك من المعروف العام متولى ديوان الإنشاء بدمشق، ومحلب، وطرانلس، وبجاء، وبصق، إلا أنه لا يقال في واحد منهم في مصطلح الديوان صاحب دواوين الإنشاء كما يقال في متولى ديوان الإنشاء بالديار المصرية، بل يقال في متولى ديوان دمشق صاحب ديوان الإنشاء بالشام، وفي متولى ديوان حلب صاحب ديوان المكتات محلب، وكذا في الباقيات. أما عزة، والكرك، والإسكندرية وغيرها من البانات الصغار فإما يقال في متولى شيء من دواوينها كاتب درج ولا يطلق عليه كاتب سرّ بوجه.

وأعلم أن العامة يدلون الباء من كاتب السرّ ميم ويقولون كاتب السر. وهو صحيح المعنى إما لأنه يكتم سرّ الملك، أو من باب إبدال الباء الميم على لغة ربيعة وإن كانوا لا يعرفون الثاني.

الفصل الثاني

(في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه)

قال أبو الفصّل الصوري في مقدّمة تذكرته "يحب أن يكون صديق الوجه، فصيح الألفاظ، طلق اللسان، أصيلاً في قومه، ربيعاً في حياته، وقوراً، حلماً

مُؤَثِّرًا لِلْحَدِّ عَلَى الْهَرَلِ، كَثِيرَ الْأَمَةِ وَالرَّقِ، قَلِيلَ الْعَهْلَةِ وَالْحَرْقِ، رَرَّ الصَّحْكَ، مَهَيْبِ
 الْمَجْلِسِ، سَاكِنِ الطَّلِّ، وَقُورِ الْبَادِي، شَدِيدَ الدِّكَا، مَتَوَقِّدَ الْعَهْمِ، حَسَّ الْكَلَامِ
 إِذَا حَدَّثَ، حَسَّ الْإِصْبَاعِ إِذَا حَدَّثَ، سَرِيعَ الرِّصَا، بَطِيءَ الْعَصَبِ، رُؤُوفًا بِأَهْلِ
 الدِّينِ، سَاعِيًا فِي مَصَالِحِهِمْ، مُحَنًّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، رَاعِيًا فِي نَفْسِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ
 مُحَا لِلشُّعْلِ أَكْثَرَ مِنْ مَحْتَمِهِ لِلْفِرَاعِ، مَقْسِّمًا لِلرِّمَانِ عَلَى أَشْعَالِهِ يَجْعَلُ لِكُلِّ مِمَّا حَرَا
 مِنْهُ حَتَّى يَسْتَوْعِبَهُ فِي جَمِيعِ أَقْسَامِهَا، مَلَارِمًا لِمَجْلِسِ الْمَلِكِ إِذَا كَانَ حَالِسًا، وَمَلَارِمًا
 لِلدِّيْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ حَالِسًا لِيَتَأَثَّرَ بِهِ سَائِرُ كَتَابِ الدِّيْوَانِ، وَلَا يَجِدُوا رَحْصَةً
 فِي الْعِيَةِ عَنْ دِيْوَانِهِمْ، وَأَنْ يُعَلِّبَ هَوَى الْمَلِكِ عَلَى هَوَاهُ وَرِصَاهُ عَلَى رِصَاهُ — مَا لَمْ يَرِ
 فِي ذَلِكَ حِلَالًا عَلَى الْمَمْلُوكَةِ، فَإِنَّهُ يَحِبُّ أَنْ يُهْدِيَ الصَّيْحَةَ فِيهَا لِلْمَلِكِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوحِدَهُ
 فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ رَأْيِهِ فَسَادًا أَوْ نَقْصًا، لَكِنْ يَتَحِيلُ لِنَقْصِ ذَلِكَ وَتَهْجِيهِ فِي نَفْسِهِ
 وَإِصْبَاحِ الْوَاحِدِ فِيهِ نَاحِسٍ تَأَنُّ وَأَفْصَلَ تَلَطُّفٍ، وَأَنْ يَتَحَلَّ الْمَلِكُ صَائِتَ الْآرَاءِ
 وَلَا يَنْتَحِلَهَا عَلَيْهِ؛ وَمِمَّا حَدَّثَ مِنَ الْمَلِكِ . مِنْ رَأْيٍ صَائِتٍ أَوْ فِعْلٍ جَمِيلٍ أَوْ تَذِيرٍ
 حَمِيدٍ، أَشَاعَهُ وَأَدَاعَهُ، وَعَظَمَهُ وَنَحْمَدَهُ وَكَرَّرَ ذِكْرَهُ، وَأَوْحَبَ عَلَى النَّاسِ حَمْدَهُ عَلَيْهِ
 وَشَكَرَهُ . وَإِذَا قَالَ الْمَلِكُ قَوْلًا فِي مَجْلِسِهِ أَوْ مَحْضَرَةِ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ يَحْدُثُ لَهُمْ يَرَاهُ مُوَافِقًا
 لِلصَّوَابِ، فَلَا يَحْمِلُهُ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ وَاسْتِهْجَانِ مَا أَتَى بِهِ — فَإِنَّ ذَلِكَ حُطَّاءٌ كَبِيرٌ، بَلْ يَصِيرُ
 إِلَى حِينَ الْحُلُوتِ، وَيُدْحَلُ فِي أَشَاءِ كَلَامِهِ مَا يَوْضَعُ بِهِ هَجَ الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِ تَلَقُّ رَدٍّ،
 وَلَا يَنْتَحِجُّ بِمَا عِنْدَهُ، وَيَكُونُ مَتَابِعًا لِلْمَلِكِ عَلَى أَحْلَافِهِ الْفَاصِلَةِ، وَطِبَاعِهِ الشَّرِيعَةِ :
 مِنْ تَسْطِ الْمَعْدِلَةِ وَمَدِّ رُؤَاقِ الْأَمَّةِ، وَتَشْرِحِ الْإِنْصَافِ، وَإِعَاثَةِ الْمَلْهُوفِ،
 وَنُصْرَةِ الْمَطْلُومِ، وَحَثْرِ الْكَسِيرِ، وَالْإِيمَانِ عَلَى الْمُعْتَرِّ الْمُسْتَحَقِّ، وَالتَّوَقُّفِ عَلَى الصَّدَقَاتِ،
 وَعِمَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصَرْفِ الْهَيْمِ إِلَى مَصَالِحِهَا، وَالطَّرِيقِ فِي أَحْوَالِ الْفُقَهَاءِ،
 وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ الْعَرِيرِ مَا يَصْلُحُ، وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ، وَجِهَادِ الْأَعْدَاءِ،

وشر الحمية، وإقامة الحدود في مواضعها، وتعظيم الشريعة، والعمل بأحكامها .
 فيكون لجميع ذلك مؤكداً ، ولأفعاله فيه موطّداً ممهداً . وإن أحسن منه بحلة تُناقى
 هذه الحلال ، أو فعلة تخالف هذه الأفعال ، نقله عنها بألف سعى وأحسن تدريج ،
 ولا يدع ممكناً في تبيين قبحها ، وإصلاح رداء عاقبتها ، وفصيلة مخالفتها إلا بينه
 وأوصحه إلى أن يعيده إلى الفصائل التي هي المملوك السلاء أليق ، وأن يكون مع
 ذلك ناعلي مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره ، وسعصع الشيء
 على جميعه ، ويستعنى عن التصريح بالإشارة والإيماء ، بل الرمر والإيماء لينه الملك
 على الأمور من أوائها ، ويعرفه حوائم الأشياء من مقتضياتها ، ويحدّره حين تدوله
 لوائح الأمر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل - كما حكى عن خالد بن برمك
 "أنه كان مع خبطة في معسكر ، حالسين في حيمة إذ نظر خالد إلى سرب من الطماء
 قد أتى حتى كاد يحاط بالعسكر ، فأشار على خبطة بالركوب فسأله عن السب ،
 فقال الأمر أغل أن أيت سده . فركب وأركب العسكر ، فلم يستعوا الركوب إلا
 والعدو قد دهمهم . وقد استعدوا له فكاف الشصرة لهم على العدو . ولما آنقضى
 الحرب سأل خبطة حالدا من أين أدرك ذلك " فقال رأيت الطماء وقد أقبلت حتى
 حاطت بالعسكر ، فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نفورها من الإيس إلا لأمر عظيم
 قد دهمها من ورائها " . وأن لا يكتب عن الملك إلا ما يقيم مآر دوائه ويعظمها ،
 ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها ، ولا يكتب ما يكون فيه عيب على ثللكه
 ولا دئم لها على عار الأيام ، ومستأنف الأحقاب ، وإن أمر لشيء يخرج عن ذلك ،
 تلطف في المراجعة لسنه ، وبس وجه الصواب فيه إلى أن يرجع به إلى الواجب .
 وأن يكون من كتمان السر بالمرلة التي لا يداسه فيها أحد ، ولا يمارئ فيها بشر . حتى
 يقتر في نفسه إمانة كل حديث يعلمه ، ويتناسى كل حبر يسمعه . وأن لا يطلع والدا

ولا ولدا، ولا أبا شقيقا، ولا صديقا صدوقا، على ما دَقَّ أو حلَّ، ولا يُعلمه بما كُثرمه ولا قَلَّ، ويتوهم بل يتحقق أن في إداعته ما يعلم به وَضَعَ مرلته وحَطَّ رنته، ويحتهد في أن يصير له ذلك طَعْمًا مرَّجًا وأمرًا صروريًّا .

قلت وهذه الصفة هي الشرط اللارم، والواحد المحتم لها شهر، وبالإضافة إليها عُرِف . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانًا، وأوسعهم علما ”الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء القُدَح في الملك، وإفشاء السر، والتعرُّض للحرم“ .

ومن كلام بعض الحكماء ”سُرْك من دمك“ قال صاحب العقد يعنون أنه ربما كان في إفشاء سرِّكَ سَفْكُ دمك . وإلى ذلك يشير أبو محجَّجٍ الثقفي بقوله
قد أطفئ الطَّعْمَةَ السَّحْلَاءَ عَنْ عُرْصِ . وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ صَرْنُهُ الْعُنُقِ

وقال الوليد بن عتبة لأبيه ”إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثنا أفلا أحرَّكَ به“
فال يائئى . إن من كَتَمَ سرَّه كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكن مملوكا بعد أن كَتَمَ مالكا“ . وقد كانت ملوك الفرس تقول ”أعظم الناس حقًّا على جميع الطِّبَقَاتِ مَنْ وَلِيَ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ“ .

وَأَعْلَمُ أنه إذا كان إفشاء السرِّ عما أفصى إلى الهَلَسْكَ حصوصا أسرار الملوك ، فعلى صاحب هذه الوطيفة القيام من ذلك بواجبه وكتام السرِّ حتَّى عن نفسه ، فقد حكى صاحب ”الرياح والرياح“ أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر ، فقال عبد الله

وَمُسْتَوْدِعِي سِرًّا تَصَمَّنْتُ سَرَّهُ . فَأَوْدَعْتُهُ فِي مُسْتَقَرِّ الْحَشَا قَرْنَا

فقال أنه عيَّد الله ، وهو صيَّ

وما السَّرُّ من قَلْبِي كَثَاوٍ مُحْفَرَةٍ * لِأَنِّي أَرَى الْمَدْفُونِ يَنْتَطِرُ الْحَشْرَا
وَلِكَيْبِي أَحْفِيهِ حَتَّى كَأَنِّي * مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا أَحْطَتْ بِهِ حُرَّا

وعلى صاحب هذه الرتبة الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك بأن لا يتلقاه عنه
محصرة أحد . فقد حكى أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه ، فقال أحدهما .
” لا ينبغي للملك أن يستشير مياً أحداً إلا حالياً فإنه أصون للسر وأحرَم للرأى وأحذر
بالسلامة وأعنى لبعضنا من عائلة بعض ، وإب إفساء السر إلى رجل واحد أو ثقب
من إفسائه إلى اثنين وإفساؤه إلى ثلاثة كإفسائه إلى جماعة ، لأن الواحد رهس
بما أفضى إليه . والثاني مُطلق عليه ذلك الرهس . والثالث علاوة ، وإذا كان السر
عند واحد كان آخرى أن لا يُظهره رعة أو رهة ، وإن كان عند اثنين كان على
شمة ^(٢١) وأتسعت عن الرحيل المعاريص ، فان عاقبهما عاقب اثنين بدب واحد ،
وإن أتهمهما أتهم ريثا بحاية مُحرم ، وإب عفا عهما كان العفو عن أحدهما
ولا دس له ، وعن الآخر ولا حجة معه “ .

قلت وكما يجب عليه الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك فكذلك يجب عليه
الاحتياط حالة إلقائه إلى كاتب يكتنه ، فلا يلقيه إلى كاتبين جميعاً . ولا يحاطب فيه
أحدهما محصرة الآخر لتكون العهدة في دركه على واحد بعينه . على أنه ريم أفضى
السر مع احتراز صاحبه عن إفسائه . فقد قيل إن الحق تنقل الأحمار . وتفضى
ماتطاع عليه من الأسرار . وقدم حكى عن علي بن الحُهم أنه قال دخلت على
أمير المؤمنين المتوكل فرأيت الفتح بن حاقان وزيره واقفاً على تير مرتته التي يقوم
عليها ، متكئاً على سيفه ، مطرقاً إلى الأرض فأكرت حاله ، وكست إذا نظرت إليه
نظر الحليمة إلى ، وإذا صرقت وحنى إلى نحو الحليمة أطرق . فقل في الحليمة
يا على أكرت شيئاً “ - قالت نعم يا أمير المؤمنين قال ما هو “ - قالت وقوف
الفتح بن حاقان في غير مرتته ، - قال سوء اختياره أقامه ذلك المقام . - قلت

(١) في الأصل أمور وهو تصحيف صاهر

(٢) لعل الأظهر على

ما السبب يا أمير المؤمنين ؟ — قال حُرِّتُ من عِدْ حارية لي فأسررت إليه سِرًّا
وما عداني السُّرَّان عاد إلى . — قلت لعلك أسررت إلى غيره ، — قال ما كان
هذا ! — قلت فلعن مستمعا آستمع إليكما ، — قال لا ولا هذا أيضا . قال فأطرقت
مليًّا ثم رفعت رأسي ، فقلت يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه محرًا . —
قال وما هو ؟ — قلت حرأني الحوراء ، حدثنا أبو نعيم الفصل س دُكِّنَ قال حدثنا
المعتمر بن سليمان عن أبي الحوراء قال طَلَقْتُ أَمْرَأَتِي فِي نَهْشَى وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ ثُمَّ
أَبْصَرْتُ إِلَى مَرَلَى ، فَقَالَتْ لِي أَمْرَأَتِي طَلَقْتِي يَا أبا الحوراء ! قلت من أين لك
هذا ؟ قالت حَدَّثَنِي بِهِ حَارِثُ الْأَنْصَارِيَّةِ قُلْتُ وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا ؟ قَالَتْ دَكَّرْتُ
أَنَّ رُوحَهَا حَرَّهَا ذَلِكَ قَالَ فَعَدَوْتُ عَلَى آسِ عَمَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَصَصْتُ
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ وَسْوَاسَ الرَّحْلِ يَحْدُثُ وَسْوَاسَ الرَّحْلِ ؟ فَمِنْ
هَذَا يَعْشُو السَّرَّ ، فَصَحَّكَ الْمَتَوَكَّلُ ، وَقَالَ إِلَيَّ يَا فَتْحُ ! فَصَبَّ عَلَيْهِ حِلْمَةٌ ، وَحَمَلَهُ
عَلَى فَرَسٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ ، وَأَمَرَ لِي بِدُوبِهِ فَأَبْصَرْتُ إِلَى مَرَلَى ، وَقَدْ شَاطَرَنِي
الْفَتْحُ فِيمَا أَحَدٌ فَصَارَ إِلَيَّ الْإِكْثَرُ . .

قال أبو نعيم وكان في نفسي من حديث أبي الحوراء شيء حتى حدثني حمزة
آس حبيب الريات . قال حُرِّتُ سِتَّةً أُرِيدُ مَكَّةَ فَبَيَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ إِذَا صَلَّتُ
رَاحِلَتِي حُرِّتُ أَطْلُمُهَا إِذَا أَنَا نَاسِيٌّ قَدْ قَصَا عَلَى أَحْسَنُ حِسْمَهِمَا وَلَا أَرَى شَخْصَهُمَا
بَلْ أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، فَأَحْدَانِي إِلَى شَيْخٍ قَاعِدٍ وَهُوَ حَسَنُ الشَّيْبَةِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَدَّ عَلَيَّ
السَّلَامَ فَأَوْجَحَ رَوْعِي . ثُمَّ قَالَ مِنْ أَيْنَ وَالِي أَيْنَ ؟ قُلْتُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ .
قال وَلَمْ تَحْلُفْ عَنْ أَصْحَابِكَ ؟ قُلْتُ صَلَّتُ رَاحِلَتِي حُرِّتُ أَطْلُمُهَا ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ
إِلَى قَوْمٍ عِنْدَهُ ، وَقَالَ أَيَّحُوا رَاحِلَتَهُ ، فَأَيَّحْتُ بَيْنَ يَدَيْ . ثُمَّ قَالَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟

(١) في الأصول بالحيم وهو صحف وصوايه بالخاء المعجمة قال أفرج دوعه ابن رال وبعه أنظر المأمووس

قلت نعم . قال فاقراً ، فقرأت حم الأحقاف حتى أتيت رواد صرماً إليك هراً
 من الحسن فقال مكانك ، أتدرى كم كانوا ، قلت لا . قال كذا أربعة وكنت
 أنا المحاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، فقلت : يا قومنا أحيوا داعي الله
 ثم قال أتقول الشعر ؟ قلت لا . قال فترويه ؟ قلت نعم . قال هاته ، فأنشدته
 قصيدة رهيرس أنى سلمى "أم أم أوى" فقال لمن هذه ؟ قلت لرهيرس أنى سلمى
 قال الحى ؟ قلت لا بل الإسى . ثم رفع رأسه الى قوم عده . فقال اتنوى رهير
 فأنى شيوخ كاهه قطعة لحم فألقى بين يديه — قال يا رهير — قال ليك ' قال "أم
 أم أوى" لمن هى ؟ قال لى — قال هذا حمرة الريات يذكر أنها لرهيرس أنى سلمى ،
 قال صدق وصدق ، قال وكيف هذا ؟ قال هو إلى من الإس وأنا تابعه
 من الحق ، أقول الشيء فألقيه اليه ويهجمه ويقول الشيء فأحدعه ، وأنا قائلها والحق
 وهو قائلها فى الاس . قال أبويعيم وصدق عمدي حديث أني الحوراء أن وسواس
 الرجل يحدث وسواس الرجل .

الفصل الثالث

(فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتدبيره ، وبصرفه بقلمه .

ومتعلق ذلك اثنا عشر أمراً)

الأمر الأول

(التوقيع والتعيين)

أما التوقيع وهو المكاتبة على الرقاع والعصم ما به مده الكتاب من أمر الولايات
 والمكاتبات فى الأمور المتعلقة بالملكه ، والتحدث فى المطام ، وهو أمر حليل ،
 ومصعب حليل ، إذ هو سبيل الاطلاع والمنع . والوداع والعطع . والولاية والعزل

إلى غير ذلك من الأمور المهمات والمتعلقات السببية . وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في آتداء الأمر الحلفاء، فكان الخليفة هو الذى يُوقَّع في الأمور السلطانية ، وفصل المطالم، وغيرهما .

الأمر الثانى

(نطره في الكتُب الواردة عليه)

قال أبو الفصل الصورى "كان الواجب أن لا يقرأ الكتُب الواردة على الملك إلا هو نفسه، ولما كان ذلك متعذرا عليه لوفورها، وآتساع الدولة، وكثرة المكاتبين من أوصاف أرباب الحدم، ووُصول الكتُب إليه من الأقطار النائية، والممالك المتباعدة، وصيق الرمان عن تفرُّعه لذلك، وحب تفويضه إلى متولَّى ديوان رسائله". قال "ولما كان حال متولى صاحب الديوان كذلك لأشتماله بالحُصور عند الملك في بعض الأوقات لقراءة الكتب الواردة، وتقرير ما يُجاب به عن كل منها، مع شُغله بتصحيح ما يكتب في الديوان والمقالة بها، احتاج أن يرُدَّ أمرها إلى كاتب يقوم مقامه" على ما سُدَّ كره في صفات كتَّاب الديوان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

•

الأمر الثالث

(نطره فيما يتعلق برده الأخوة عن الكتُب الواردة على لسانه)

قال أبو الفصل الصورى "ومن أهم ما يلزم صاحب هذا الديوان إشعارُ الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه أن من أعظمها حَظراً أن يُصدَّر جواب كل كتاب يصل إليه في يومه ولا يؤخره إلى عده ويؤخر في آخره تارخ ذلك اليوم" ويقال "وكتبت في يوم وُصول كتابك، وهو يوم كذا" فإن ذلك يهيم للملك هبة كبرى، ويدل

على تطلعه للأمور، وأتصاه للتدبير، وقلة إهماله لأمر دولته، وكثرة احتماله باستقامة
شئونها، ويؤثر في نفس المكاتبين تأثيرا كبيرا، ويستشعرون منه حذرا وحيعة".
قال . "ويمعى أن يأخذ جميع أرباب الخدم في البلاد بتاريخ كتبهم ويحذروهم من
ترك ذلك، فإن في إهماله صررا كبيرا من حيث إنه إذا ورد غير مؤرخ لم يعلم بعد
العهد بما ذكر فيه من قربه، ولا هل فات وقت الطرفيا تصممه أم لا، وإذا كان
مؤرخا عرف ذلك ورالت الشهمة فيه، وإذا وصل إليه كتاب أقتضى تاريخه زيادة
رسم على مسافة الطريق، أنكر ذلك على حامله فإن حرج عن العهدة بإقامة المحجة
على أنه لم يتأخر به قدرا رائدا على مسافة طريقه، وأن العذر من تقدم التاريخ قل
إرساله، أنكر ذلك على مرسله إنكارا يردعه عن ذلك ويرحبه عنه .

الأمر الرابع

(نظرة فيما تتفاوت به المراتب في المكاتب والولايات من الافتتاح

والدعاء، والألقاب، وقطع الورق ونحو ذلك)

وقد كان هذا الباب في الرسم المتقدم في غاية الصنط والتحرير، خصوصا في رسم
الحلفاء من سبي العباس والفاطميين. لا يراى أحد في الألقاب على ما لقيه به الخليفة
كبرا كان أو صغيرا، ولا تسمح له برياده الدعوه الواحدة فضلا عما فوقها. أما الآن
فقد صار ذلك موكولا إلى نظر صاحب ديوان الإيلاء يراد كل أحد من المكاتبين
وأرباب الولايات يترتب على ما تقتضيه مصطلح الرمان من علو وهبوط، وحيد
عليه أن يحاط في ذلك ويؤخذ آداب الإيلاء بالمساحة فيه. والوقوف عند ما أخذ
لهم من غير إفراط ولا تفريط. فقد قال صاحب مواد البيان "إن الملوك تسمي
سدرات المال، ولا تسمي بالدعوه الواحدة"، وهيك بذلك اسددا واحتياطا .

الأمر الخامس

(بطره فيما يُكتب من ديوانه وتصفحه قبل إحراجه من الديوان)

قال أبو الفصّل الصوريّ ”على متولّي الديوان أن يصمّج ما يُكتب من ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبات ، إذ الكاتب غير معصوم من الخطأ والخلل وسبق العلم ، وعيب الإنسان يظهر منه لغيره مالا يظهر له ، فما أنصره من لحن أو خطأ أصاحه وبه كاتبه عليه فيحذر من مثله فيما يستأجره ، فإن تكرّر منه رخره عن ذلك ، وردّعه عن العود إلى مثله ، إذ العرص الأعظم أن يكون كلّ ما يُكتب عن الملك كامل الفصيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعرافاً حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً ، وبما رلّ الكاتب في شيء فيرلّ بسببه متولّي الديوان . بل السلطان . بل الدولة بأسرها . قال وإذا فرغ من عرّص الكتاب والوقوف عليه ، كتب عليه محطه ما يدلّ على وقوفه عليه ليكون ملتمزاً بذكره “ .

وكأنه يشير إلى ما تقدّم من كلامه من أنه إن كان رسالة كتب عموها محطه ، وإن كان منشوراً ونحوه ، كتب تاريخه محطه .

ثم قال ” فان كان متولّي الديوان مشتغلاً محصوراً مجلس السلطان ومحاطاً به والتلّقى به ، ولا يمكنه مع صيق الرمان بوفية كلّ ما يُكتب بالديوان حقّ الطر فيه وتصفّح ألفاظه ومعانيه ، نصب له في ذلك نائباً كامل الصبغة حسن الفطنة موثقاً به فيما يأتي ويذرّ ، يقوم مقامه في ذلك “ . قال ” وليس ذلك لأنه يعنى عن بطر متولّي الديوان ، ولكن ليحمل عنه أكثر الكل ويصير إليه وقد قارب الصحة أو نلها فيحصل على الراحة من تعبها ، ويصرف بطره إلى ما لعله حى على المتصمّج من دقائق المعاني وعويص المدارك ، فمثل رمز الطر سابه ، و بطر العرص المطلوب في أقرب وقت “ .

(١) العرّص : المراجعة وهو ما يدرسه المراجعون . واسم من الأسفل بصيرت

الأمر السادس

(نظره في أمر البريد ومتعلقاته ، وهو من أعظم مهمات السلطان ،

وأكدر رواط الملك)

قال ريباد لحاحه . ” وَلَيْتَكَ حِمَايَ وَعِمْلُكَ عَنْ أَرْبَعِ هَذَا الْمَادِي إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْعَلَّاحِ فَلَا تَعُوجَّهِ عَنِّي ، وَلَا سُلْطَانُ لَكَ عَلَيْهِ ، وَصَاحِبُ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ تَسْجِيهِ فَسَدَ ، وَطَارِقُ اللَّيْلِ فَلَا تَحْجُهُ فَشَرُّ مَا حَاءَ بِهِ ، وَلَوْ كَانَ حَيْرًا مَا حَاءَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، وَرَسُولُ الثَّغْرِ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَطَأَ سَاعَهُ أَفْسَدَ عَمَلَ سَمِيهِ فَأَذْجَلُهُ عَلَى وَلَوْ كُنْتَ فِي لَحَايَ ” . وقد تقدم أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يتلقى المكاتبات الواردة ويقرؤها على السلطان ويحاول فهمها ، فيجيب على صاحب هذه الوظيفة أن يكون متيقظا لما يرد على السلطان من نواحي ممالكه وقاصيات أعماله فإنه المعتمد عليه في ذلك والمعول عليه في أمره .

وقد كان أمر البريد في الرمس المتقدم والدوادرية يومئذ أمراء صغار وأحاديث معدون لصاحب ديوان الإنشاء ، نخرج رسالة السلطان على لسان بعض الدوادرية بما يرسم به لمن يركب البريد في المهمات السلطانية ويعيدها ويرتقها ، إلى صاحب ديوان الإنشاء فيعلق رسالته على ما تقدم في عيني الرسالة ويعمل بمقتضاها . وكان للبريد ألواح من نحاس كل لوح منها بعدد راحه الكف أو حوذا مقفوش على أحد وجهيه ألقاب السلطان ، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى وهدى الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وفي رقبته شريطة من حرير أصفر يجعلها راكم البريد في عنقه ويرسل اللوح على مصدره علامه له . فإذا حصررت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدى لوح من ثلاث ألواح وكاتب له ورقه بخطه إلى أمرا حوز البريد بالاصطبل السطحي ثم مر به رسالته من الحل .

ويكتبُ أَسْمَهُ في آخر الكتاب الذي يُقَدَّم معه بين السطور، ويحتم الكتاب،
ويُسَلَّم إليه، ويكتب له ورقة طريق بالتوجه إلى جهة قصده، ويحمله على ما رُسِمَ
له به من حيل الريد على ما سيأتى ذكره في الكلام على كتابة أوراق الطريق،
ويترك أَسْمَهُ وتاريخ سَفَرِهِ، والجهة التي توجه إليها، والشغل الذي توجه بسببه بدقير
بالديوان .

فلما عظم أمر الدواذارية واستقرَّ عند الدواذار كاتبٌ من كُتَّاب الدَّسْت يعلِّق
عنه الرسالة على ما تقدَّم في الكلام على تعليق الرسالة، رجع أكثر الأمر في ذلك إلى
الدواذار، وصار كاتب الدَّسْت الذي يحضمه يعلِّق الرسالة عنه بذلك كما يعلِّقها عنه
في غيره على ما تقدَّم . فإن كان الريد إلى جهة الشام كتب في ورقة لطيفة يرسم
رسالة المقرِّ المحذوم العلاءي أمير دواذار الناصري أو الطاهريّ مثلاً أمر الله تعالى
أنصاره أن يكتب ورقة طريق شريفة باسم فلان العلاءي المرسوم له بالتوجه إلى
الجهة العلاءية، ويحمل على فرس أو فرسين أو أكثر من حيل الريد . ثم يؤرَّج .
وإن كان الريد إلى الوجه القبليّ أو البحريّ أو غير ذلك كتب أن يكتب ورقة
فرس يريد باسم فلان العلاءي من غير تعرّص لذكر ورقة طريق، وناقى الكلام على
نحو ما تقدَّم، ويؤرَّج ويجهّز تلك الورقة صحفة الريد إلى صاحب ديوان الإلشاء
فيحلّد الورقة بديوانه عند دواذاره في حملة أصابير الديوان، ويكتب له في ورقه
صغيرة أيضاً ما مثاله أميراحور الريد المصور، يحمل فلان العلاءي على فرس واحد
أو أكثر من حيل الريد المصور عند توجهه إلى الجهة العلاءية ويؤرَّج، ويدفع
إلى الريد ليُدفعها إلى أميراحور الريد تحلّد عنده، ويكتب اسم الريد
في آخر الكتاب على ما سيأتى في أول المكاتبات إن شاء الله تعالى، ويحتم الكتاب
ويدفع إليه .

قلت وقد بطل الآن ما كان من أمر الألواح وتركته، وصار كل يريدى عنده
شُرانة حرير صفراء يجعلها في عنقه من غير لوح . اللهم إلا أن يتوجه الريدى إلى
مملكة من الممالك البائية، فيجتاح إلى اللوح لتعارف أمر المملكة القديمة . وكذلك
الحكم فيمن يتوجه إلى الأبواب السلطانية من بيالة من بيانات المملكة في ورقه
الطريق وحيل الريد . ولصاحب ديوان الإيالة التثنية على مصالح مراكر حيل
الريد في الديار المصرية وغيرها .

وسأبقى الكلام على مراكر الريد بمصر والشام، مفصلة في موضعها إن شاء الله تعالى .
وأعلم أنه يجب على الناطق في أمر الريد من الملك من دونه أن يحتاط فيمن
يرسله في الأمور السلطانية، فيوجه في كل قصيه من يقوم بكتابتها ويهض بأعمالها،
ويختص الملوك وأكابر النواب بأكار الريدية وعقلائهم وأصحاب التحارب منهم .
خصوصا في المهمات العظيمة التي يحتاج الرسول فيها إلى تيق الكلام، وتحسين
العبارة، وسماع شبه المرسل إليه . ورد حواره وقامه نسخة تليده، فإنه يقال
يُسندل على عقل الرجل بكتابه ورسوله . وقد قيل من الحق على رسول الملك أن
يكون صحيح الفكرة والمراح، دابيا وعارصيه وابن واستحكام معه . وأن يكون
صيرا مخارج الكلام وأحواله، مؤذيا للألقاط على الملك بمعانيها، صدوقا رشا
من الطمع . وعلى مرسله امتحانه قبل إحضاره في ولا يرسل إلى الملوك
الأحباب، إلا من أحضره بذكر الرسائل إلى بوابه وأهل منكره . فبعد كان الملوك
فيما سلف من الرمن إذا آثروا إرسال شخص مهم . فدموا له جده . رساله إلى بعض
حدا من الملك من في في ثم جعل ما إلى
من حيث لا يسع . إذا أدى رسول رسالته رجع حيا رسول الملك إليه . فإن
(١)

طابق ما قاله الرسول ما أتى به من هو عين عليه وتكرر ذلك منه، صارت له الميرة والتقدمة عند الملك ووجهه حينئذ في مهمات أموره .

وكان أردشيرس ملك آخرميلوك الفرس يقول ”حق على الملك الحارم إذا وحّه رسولا إلى ملك أن يرّده بآخر، وإن وحّه رسولين وحّه بعدهما باثنين، وإن أمكه أن لا يجمع بين رُسله في طريق فعل“ .

ومن الحرم أن الرسول اذا أتاه رسالة أو كتاب في حير أو شرأ لا يُحدث في ذلك شيئا حتى يُرسل مع رسول آخر يحكى له كتابه أو رسالته حرفاً وحرفاً ومعنى معنى فإن الرسول ربما فاته بعض ما يؤمله فافتعل الكتُب، وغير ما شؤفه به فأفسد ما بين المرسل والمرسل إليه من ملك أو نائب ومحوهما، وربما أدى ذلك إلى وقوع فتنة بين المالكين، أو حروح النائب عن الطاعة وتعاقم الأمر بسبب ذلك وسرى إلى ما لا يمكن تداركه .

وقد حكى أن الإسكندر وحّه رسولا إلى بعض ملوك الشرق فحاء رسالة شكّ الإسكندر في حرف منها فقال له ”وَيْلَكَ ! إن الملوك لا تحلو من مقوم ومسدّد اذا مالت وقد حثني رسالة صحيحة الألفاظ بئمة المعاني، وقد وجدت فيها حرفاً يقصّها، أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم يشاك فيه ؟“ فقال دل على يقين منه أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تُكتب الألفاظ حرفاً وحرفاً ويعاد إلى الملك الذي حاء ذلك الرسول من عنده مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له . فلما وصل الرسول الثاني إلى ذلك الملك وقرأ عليه ما كتبت إليه به الاسكندر في أمر ذلك الرسول، أنكر ذلك الحرف الذي أنكره الإسكندر وقال للترجم ”صنع يدك على هذا الحرف“ فوصعها فأمر أن يُعلم علامة وقال ”إني أحلّ ما وصل عن الملك أن أقطعه بالسكّين ، ولكن ليصنع هو فيه وفي قائله ما شاء“ . وكتب إلى الإسكندر ”إن من أسّ المملكة صحة ههنا الرسول ، إذ كان عن لسانه يطق ، وإلى أدبه

يؤدى". فلما عاد الرسول إلى الإسكندر دعا رسوله الأول وقال "ما حملك على كلمة قصدت بها إفساد ما بين ملكين ؟" وأقر أن ذلك كان منه لتقصير آراءه من الملك ، فقال له الإسكندر "فأراك قد سعت لنفسك لا لنا ! فاتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه جعلت ذلك نارا تُوقعه في الأنفس الخطيرة الرهيبة ! ثم أمر لسانه فبرع من قفاه . " وكأنه رأى إتلاف نفس واحدة أولى من إتلاف نفوس كثيرة بما كان يُوقعه بين الملكين من العداوة ويثير من الإحسان وصعائن الصدور .

وقد كان أردشير بن مالك يقول "كم من ديم سفتك الرسول بغير حله ! وكم من حيوش هُيرمت وقُتل أكثرها ! وكم حُرمة انتهكت ! وكم مال هُيب وعقد يُقص بحياة الرسل وأكاذيب ما يأتون به ! " .

الأمر السابع

(نظرة في أمر أراج الحمام ومتعلقاته)

سيأتى فيما بعد أن شاء الله تعالى أن نالبحار المصرفة أراجا للحمام الرسالي-يحمل البطائق في أحضته من مكان إلى مكان ، منها ريح بلعة الحمل . وأراج بطريق الشام بمدينة بليس . وأراج بطريق الإسكندرية . وكان قبل ذلك يدرج إلى قوص ، ومنها إلى أسوان وعيذاب ما يقطع ذلك لأن كل ريح تنقل منه في كل يوم إلى البرح الذي يليه ليطلب ريحه لدى هو . مستوطنه 'دا' أرسل . فإذا عرص أمر مهم أو ورد يريد أو غيره ممن يحتاج إلى مطالعته لأبواب السلطانية به إلى مكان من الأمكنة التي فيها ريح من أراج الحمام . كتب وكتبها لمحدث منها بذلك للأبواب السلطانية . وبعث بها على أحضه حمام . وقد حرب العادة

(١) كذا في الأصل ، بعلمه وبلغه - - - - -

(٢) صوابه مما كما هو واضح

أن تكتب بطاقتان وتؤرّحان ساعة كتاتهما من النهار ، ويعلق كل منهما في حياح طائر من الحمام الرسائلي ويرسلان ، ولا يكتبني بواحد لأحتال أن يعرض له عارض يبعه من الوصول إلى مقصده . فادا وصل الطائر إلى الرّح الذي وحه به إليه ، أمسكه الرّاح وأحد البطاقة من حياحه وعلقها بحياح طائر من حمام الرّوح الذي يليه أي من المَقُول إلى ذلك الرّح ، وعلى ذلك حتّى يذهبى إلى رح القلعة فيأخذ الرّاح الطائر والبطاقة في حياحه ويحصّره بين يدي الدّوادار الكبير فيعرض عليه ، فيضع البطاقة عن حياحه بيده . فإن كان الأمر الذي حصرت البطاقة بسببه حقيقا لا يحتاج إلى مطامعة السلطان به ، استقلّ الدوادار به ، وإن كان مهماً يحتاج إلى إعلام السلطان به ، استدعى كاتب السروطاط لقراءة البطاقة على السلطان كما يفعل في المكاتبات الواردة . وكذلك الحكم فيما يطرأ من المهمات بالأنواب السلطانية وإنه يوحّه بالحمام من رح القلعة إلى الجهة المتعلقة بذلك المهم . وفي معنى ذلك كل بيابة من البيابات العظام بالممالك الشاميه كدمشق ، حلب ، وطرابلس وبحوها مع ما تحتها من البيابات الصغار والولايات ، على ما سيأتى ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى .

:

• الأمر الثامن

(بظره في أمور البداوية)

وهم طائفة من الإسماعيلية المتيسين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، من فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهم فرقة من الشيعة معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم

أَتَقَلَّتْ بِالصَّالِحِ إِلَى عَلِيٍّ أُنَى طَالِبِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ إِلَى أُمِّهِ الْحَسَنِ ، ثُمَّ إِلَى
أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ تَقَلَّتْ فِي سَبِيلِ الْحُسَيْنِ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، ثُمَّ هُمْ يَدْعُونَ أَتَقَلَّ
الإمامة من جعفر الصادق إلى أمِّه إسماعيل ، ثُمَّ سَقَلَتْ فِي بَيْتِهِ .

وَسُمُّوا الْعِدَاوِيَّةَ لِأَنَّهُمْ يُقَادُّونَ بِالسَّالِ عَلَى مَنْ يَقْتُلُونَهُ . وَيُسَمُّونَ فِي بِلَادِ الْعِجَمِ
بِالطَّائِفَةِ لِأَنَّهُمْ يُبْطِطُونَ مَدِّهِمْ وَيُخَفُّونَهُ ، وَتَارَهُ بِمَلَاخِدَةٍ لِأَنَّهُمْ مَدِّهِمْ كُلَّهُ الْخِلَافَ .
وَهُمْ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ أَصْحَابَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ . وَسَيَأْتِي الْكَلَامَ عِنْدَ ذِكْرِ تَحْلِيلِهِمْ
فِي الْكَلَامِ عَلَى الْإِيمَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَانُوا فِي الرِّمَسِ الْمُتَقَدِّمِ قَدْ عَلَتْ كَلِمَتُهُمْ .
وَأَشْتَدَّتْ شَكَايَتُهُمْ ، وَقَوِيَّتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى عَيْنِهِ قَلَاعَ سِلَاحِ الْعِجَمِ وَبِلَادِ
الشَّامِ . فَأَمَّا بِلَادُ الْعِجَمِ وَكَانَ بَدَايَةُ قُوَّتِهِمْ وَانْتِشَارُ دَعْوَتِهِمْ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانِ مَلِكِ سَاهِ
السُّلْجُوقِ فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ مُقَدِّمِيهِمْ رَجُلٌ أَسَمَهُ عَطَاشُ فَنَسَأُ
لَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى أَحْمَدَ فَتَقَدَّمَ فِي مَدِّهِمْ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ فِيهِمْ . وَأَلْفَهُ مِنْهُ فِي بِلَادِ الْعِجَمِ
مِنْهُمْ ، فَعَلَبَ عَلَى قَلْعِهِ نَاصِبًا ، كَانَ قَدْ سَاهَا السُّلْطَانُ مَلِكُ سَاهِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ .
وَقَلْعِيَّةُ الطَّالِقَانِ تَعْرِفُ بِمَلْعَةِ الْمَوْتِ ، وَكَانَ مِنْ تِلْكَ مَدِيَّةِ رَجُلٍ تَمَلَّكَ لَهُ الْحَسَنِ
الصَّيَاحَ دُوشَهَامَةَ وَتَقَدَّمَ فِي عِلْمِ الْإِسْلَامِ وَالْحِسَابِ وَالْحِجُومِ وَالسَّجَرِ . فَهَجَّاهُ بِالْدَّعْوَةِ
لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ . وَهُمْ مِنْ حِمَاةِ طُؤَانِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فَهَزَلَ الْحَسَنِ فِي الصَّبْحِ مَعَهُ
هَارِبًا إِلَى مِصْرَ ، وَهَارِبًا مَعَهُ الْمُسْتَعَصِرُ نَالَهُ حَمَلٌ مِنْ حِلْيَةٍ لَهُ طَمِيصٌ وَكِرْمَةٌ وَأَحْسَنُ
زُيْلَةٍ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْبِلَادِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ وَفِيهِ دِينٌ . وَسَأَلَهُ مِنْ الْإِسْلَامِ
بَعْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ رَأْيٍ وَهُوَ الَّذِي نَسَبَ إِلَيْهِ التَّوَلُّدَ مِنْهُ . فَخَرَجَ مِنَ الصَّبْحِ مِنْ
مِصْرَ وَسَارَ إِلَى السَّامِ . وَالْخَرَجَ . وَدَرَكَ . وَبِلَادُ الدَّعْوَةِ فِي مَدِّهِ الْمُسْتَعَصِرُ .
ثُمَّ آتَاهُ رَأْيٌ مِنْ بَعْدِ . وَسَارَ إِلَى خَرَّاسَانَ وَجَدَهُ رَحِمَهُ . وَرَأَى الْبَلَدَ . وَدَخَلَ كَأَنَّهُ
يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ . ثُمَّ سَارَ إِلَى الطَّالِقَانِ وَاسْمُوهُنِ مَعَهُ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِهِ وَثَمَانِينَ

وأربعائة ، ثم استولى على قلعة أضهان وأستضاف إليها عِدَّة قلاع بتلك البواري
في ستة تسع وتسعين وأربعائة ، وقويت شوكة هذه الطائفة بتلك البلاد ، وعظم
أمرها ، وحافها الملوك وسائر الناس ، وبقي آس الصباح على ذلك حتى مات في سنة
ثمان عشرة وخمسمائة . وتقلت تلك القلاع بعده حتى صار أمرها إلى شخص من
عقبه يسمى حلال الدين بن حسن أليكا الصباحي فأطهر التونة في سنة سبع وخمسين
وخمسمائة ، وبقي على ذلك إلى سنة ثمان وستمائة ، فأطهر شعائر الإسلام ، وكتب إلى
جميع قلاع الإسماعيلية بلاد العجم والشام ، فأقيمت فيها ، وبقي حتى توفي سنة
ثمان عشرة وستمائة ، وقام بعده آس علاء الدين محمد ، وتداول مقدموهم تلك القلاع
إلى أن حرق هؤلاء على بلاد العجم في سنة ست وخمسين وستمائة باستصراخ أهل
تلك البلاد من عيبتهم وفسادهم ، فحرب قلاعهم عن آخرها .

وأما بلاد الشام فكان أول قوتهم بها أنه دخل منهم إلى الشام رجل يسمى سهرام
بعد قتل حاله إبراهيم الأسد ادى سعداد في أيام تاج الملوك بوري صاحب الشام ،
وصار إلى دمشق ودعا إلى مذهبه بها ، وعاصده سعيد المردعاني ورير بوري حتى
علت كلمته في دمشق وسلم له قلعة نابياس ، فعظم أمر سهرام وملك عده حصون^(١)
الحمال أطهر القلاع المعروفة بهم إلى الآن ، وهي سبع قلاع بين حماد وحمص متصلة
بالبحر الرومي على القرب من طرابلس وهي مضيايف ، والرصاص ، والحواني .
والقُدُوس ، والكهف ، والعليقه ، والمبيقة ، ومن هنا سميت قلاع الدعوة . وكان
أحر الأمر من سهرام أنه قُتل في حرب حرث بنه وبين أهل وادي التيم ، وقام مقامه
نقله نابياس رجل منهم اسمه إسماعيل ، وأقام الورد المردعاني حوص سهرام بدمشق^(١)
رحلا منهم اسمه أبو الوفاء فعظم أمره بدمشق حتى صار الحكم له بها ، وهم بتسليمها

(١) لعلها نلساس قال نابوت كورد ولسه صده وحصن بسواحل حص

للفرج على أن يسلموا له صور عوصا منها، فشعر به بوري صاحب دمشق فقتله وقتل وريه المردعاني ومن كان دمشق من هذه الطائفة، ولم يرل أمرهم يتنقل بالشام لواحد بعد واحد من مقدمهم إلى أن كان المقدم عليهم في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبو الحس راشد الدين سان المصري وكان بينهم وبين السلطان صلاح الدين مائة ووشوا عليه مرات ليقتلوه فلم يظفروا بذلك إلى أن حاصر قلاعهم في ستة آمتين وسعين وخمسة وصبق عليهم، فسألوه الصصح عنهم فأحاهم إلى ذلك وبقي راشد الدين سان مقدما عليهم حتى مات في سنة ثمان وثمانين وخمسة مائة .

قال في مسالك الأنصار "وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان مطهرا لهم، ولذلك يتولونه ويرون إتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقل إليه من العجم الأكر رعمهم". قال "ولصاحب مصر عشايعتهم مريئة يخافه بها أعداؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالى أن يقتل بعده. ومن عهده إلى عدو له خشن عن قتله قتله أهله إذا عاد إليهم، وإن هرب تبعوه وقتلوه".

قلت وكأوا في الرمن المتقدم يُسمون كبيرهم المحدث عليهم تدره متداه العداوية. وتاره شيخ العداوية. أما الآن فتدسموا أسمهم بالحدس وكبرهم بالذات لمجاهدين. وقد كانت السلاطين في الرمن المتقدم تمتع هؤلاء من محامله الساس ولا نخرجون من بلادهم إلى غيرها إلا من رُسِم له بالخروج لما سعلوا. الساجدين ولا تمكن أحد من التحار من الدخول إلى بلادهم لشراء قس وسره. وكان كذب بذلك مراسمه من ديوان الإنشاء بالأبواب الساطاسه و... من الساس بحروس... من إيراد شيء من نسخ هذه المراسيم عدد ذكره في يوم أ... كهم في له ذات... الله على

الأمر التاسع

(نطره في أمر العيون والحواسيس)

وهو حرء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة . وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره وإليه رجوع تديره واختيار رحاله وتصريفهم . فيجب عليه الاحتياط في أمر الحواسيس أكثر مما يحتاط في أمر الريدة والرسل لأن الرسول قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو والحاسوس لا يتوجه إلا إلى العدو ، وإذا وثق بحاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر ، وعليه معتمد ، وبه فاعل .

وقد شرطوا في الحاسوس شروطا

مها أن يكون ممن يوثق بصيخته وصدقه ، فإن الطين لا يتفع بحره وإن كان صادقا لأنه رعا أحذر بالصدق فأنهم فيه فتوت فيه المصلحة . بل ربما أثر الصرر لمن هو عيب له إداد المتهم في الحقيقة عين عليك لاعتون لك . وكيف يكون المتهم أميا ! لاسيما فيما يصرف فيه حليل الأموال من القصايا العظيمة إن سلمت بقيسات البوس .

ومها أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة . ليدرك وفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه عن البطق ، ويستدل بما هو فيه سعص الأمور على بعض فإذا تفرس في قضية ولاح له أمر آخر يعصدها قوتى بحثه فيها ناصمام بعض القرائن إلى بعض .

ومها أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ، ويدرك مقصده من أى طريق أمكه . فإنه متى كان قاصرا في هذا الباب أو شك أن يقع طفر العدو به أو يعود صفر اليدين من طلته .

ومنها أن يكون له دُرَّةٌ بالأسفار ومعرفةٌ بالبلاد التي يتوجه إليها ليكون أَعْيٰ له عن السؤال عما وعى أهلها، وربما كان في السؤال تنهٌ له وتيقُّظٌ لأمره فيكون ذلك سبباً لهلاكه، بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن حال ملكه فدلَّ عليه وكان عَيًّا عليه لا له .

ومنها أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها لِيَلْتَقِطَ مَا يَقَعُ مِنَ الْكَلَامِ فيما ذهب بسببه ممَّنْ يحالطه من أهل تلك المملكة وسكَّان البلاد العالمين بأخبارها . ولا يكون مع ذلك ممَّنْ يُتَّهَمُ بِمَمَالَاةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْعَالِمَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ اتِّحَادُ الْخَسْ، وَالْحَسِيَّةُ عِلَّةُ الصَّمِّ .

ومنها أن يكون صَّوْراً عَلَى مَا لَعَلَّه يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ عُقُوبَةٍ إِنْ ضَمَّرَ فِي الْعَدُوِّ نَجِيثَ لَا يَجْرِي أَحْوَالُ مَلِكِهِ وَلَا يُطْلَعُ عَلَى وَهْنٍ فِي مَمْلَكَتِهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحْلُصُهُ مِنْ يَدِ عَدُوِّهِ، وَلَا يَدْفَعُ سَطْوَتَهُ عَنْهُ . بَلْ وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ حَاسُوسٌ أَصْلًا . فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَمُّ هَلَاكُهُ وَيُقْصَى إِلَى خَتْمِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَسَعُ سِتْرُهَا . وَإِذَا وَحَدَّ مِنَ الْعِيُونَ وَالْحَوَاسِيسِ مَنْ هُوَ مُسْتَعْمِلٌ لِمُسَدِّ السَّرِطَةِ وَهُوَ فِي مَعْنَاهَا ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمُ الْوَدَّ وَالْمَصَانِفَةَ وَلَا يُطْلَعُ أَحَدًا مِنْهُمْ فِي رَمِيٍّ حَتَّى يَفْهَمَ أَنَّهُ نَهْمُهُ وَلَا أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ لَدَيْهِ . فَرَبَّمَا أَذَاهُ ذَلِكَ فِي أَصْبَاحِ الْأُمُورِ أَسْ كَرُونَ عَنْ عِيهِ . فَإِنَّ الصَّرُورَةَ قَدْ تَلَحُّثَتْ لِمِثْلِ ذَلِكَ . فَحَتَّى إِذَا كَانَ حَتَّى ذَلِكَ حَدَثَ لِمَنْ لَهُ عَمَلٌ مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّرُورَةِ ، وَالصَّرُورَةُ قَدْ حَتَّتْ بِهَا عَلَى مَنْ هُوَ مُسَدِّ الْأُمُورِ . وَتَحَوَّلَ لَهُمُ الْإِحْسَانُ وَالْبِرُّ . وَلَا يُعْمَلُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا لَا يَنْفَعُ قَسْلَ حَتَّى يَحْبِيحَهُ إِلَيْهِمْ . وَيُرِيدُ فِي ذَلِكَ عَدُوَّهُمْ إِلَى الْمَهْمِ . هُوَ مِمَّا هُوَ فِي حَتْوَرِهِمْ وَسُدَّتْ لِمَلِكٍ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ وَيَسْتَقْصِي بِهِ حَوَاطِرَهُمْ . هُوَ قَسْلٌ عَلَى مَنْ مِمَّنْ هُوَ مُسَدِّ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ حَلَّتْهُ مِنْ أَهْلِهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ مِنْ مَسَدٍ مِنْ إِحْسَانٍ مَا كَانَ يُعْمَلُ لَهُ

إذا ورد نفسه عليه ليكون ذلك داعيا لغيره على الصبيحة . وإن قُدر أن عاد منهم
أحد غير طافر بقصد أو حاصل على طلبية وهو ثقة، فلا يستوحش منه بل يؤليه
الحيل، ويعامله بالإحسان، فانه إن لم يجمع المرة مع الأخرى . وعليه أن يحترق
عن أن تعرف حواسيسه بعضهم بعضا لا سيما عند التوجه للهمات . وإن أستطاع
أن لا يجعل بينه وبينهم واسطة فعل، وإن لم يمكنه ذلك جعل لكل واحد منهم رحلا
من بعض حاصته يتولى إيصاله إليه فانه إذا علم بعضهم بعضا ربما أظهره، بخلاف
ما إذا آتخص الواحد بالسر . وأيضا فانه لا يؤمن اتفاقهم عليه ومما لأشهم لعدوه .
وكذلك يحترق عن تعرف أحد من عسكره عيوبه وحواسيسه، فان ذلك ربما يؤدي
إلى انتشار السر والعود بالمفسدة . وعليه أن يصعق إلى ما يليقه إليه كل من حواسيسه
وعيوبه وإن آتخلف أحارهم ويأخذ بالأحوط فيما يؤديه إليه آتخاذه من ذلك
ولا يجعل إحتلافهم دسلا لأحد منهم، فقد تختلف أحارهم وكل منهم صادق فيما يقوله،
إد كل واحد قد يرى ما لا يرى الآخر، ويسمع ما لا يسمعه . وإذا عثر على أحد
من حواسيسه رلة فليستزها عنه وعليه، ولا يعاقبه على ذلك ولا يؤنحه عليه فان ونحه
في حله نلطف مذكرا له أمر الآخرة وما في مما لاة العدو والحياة من الوال
في الآخرة . ولا ناس أن يحرق له ذكر ما عليه من مصافاته ومودته وأنه مع العدو
على عرر لا يدرى ما هو صائر إليه، فان ذلك أدعى لاستصلاحه . ولا شك أن
استصلاحه إما في الوقت أو فيما بعد خير من شات فسادته . فرما أذاه ذلك إلى مما لاة
العدو ومسا طته، لا سيما إذا كان العدو معروفا بالحلم والصفح، وكثره الدل والعطاء .
وإذا حصر إليه حاسوس بحر عن عدوه استعمل فيه التثنت ودوام السر ولا يطهر
سهاا سايه يطهر معه الحق، ولا إعراسا منه يموت معه مدر المباحه . ولا ضربه
كراهه ما يأييه به من الأحار المكروهه فان ذلك مما تسدحى فيه ليمان السر سبه
يكفه مؤدى إلى الإصرار به .

وقد حكى عن بعض الملوك أنه كان يعطى من يأتيه بالأحجار المكروهة من الحوايسيس أكثر مما يعطى من يأتيه بالأحجار السارة .

واعلم أنه لا يمكن أحداً ممن يجمع بلاده أو عسكره من حوايسيس عدوه . فيجب الاحتراز منهم كتمان السرّ وستر العورة ما أمكنه ، على أنه ربما دعت الضرورة في بعض الأحيان إلى أن يعترف الملكُ عدوه بعض أموره على حقيقته لأمر يحاول به مكيدته . والطريق في ذلك أن يتلطف إلى أن يصير حاسوس عدوه حاسوساً له بأن يتوّد إليه بالاستمالة والترّ وكثرة الدلّ حتى يستحرج بصيحتّه ، فينبذ يلقي إليه ما أراد تليعه إلى صاحبه الأول مما فيه المكيدة فيوصله إليه فيكون أقرب لقوله من بلوعه له من غيره ممن يتهمه .

الأمير العاشر

(نطره في أمور القصاد الدين سافرون بالملطقات من الكتب

عد تعدر وصول الرد إلى ناحية من الواحي)

وهو من أعظم مهمات السلطنة وأكدها . وقد ذكر أس الأثير في تاريخه أن أول من اتحد السعاة من الملوك مع الدولة س نويه أول ملوك الديلم بعد الثلاثين والثلاثمائة وكان سبب ذلك أنه كان سعّاد ، وأخوه ركن الدولة آس نويه ناصبها ومأمعها فأراد مع الدولة سرعة إعلام أخيه ركن الدولة بتحدّات الأحار فأحدث السعاة وانتشئ في أيامه ساعيان اسم أحدهما فصل والآخر مرعوش ، وكان أحدهما ساعى السنة والآخر ساعى الشيعة ، وتعصّب لكل منهما فرقة ، وبلغ من شأهما أن كل

(١) كذا في الأصل . ولعل صوابه "لا يمكن أحداً أن يجمع الخ" منه

واحد مهما كان يسير في كل يوم بيّفاً وأربعين فرسخاً ، وأستمرّ حكم السّعاة بعداد إلى ربّما حتّى إنّ مهم ساعين لركّاب السلطان يمشیان أمامه في المواكب وغيرها على قرب .

قلت ”وقد رأيتهما في خدمة السلطان أحمد بن أويس صاحب بعداد حين قدم مصر في دولة الطاهر برقوق فاذا من تمر“ . أمّا الديار المصرية فإنه لا يتعانى ذلك عندهم إلاّ بحفاف الشباب من مكارية الدواب ومحوهم ممن يعتاد شدّة العدو إلا أنه اذا طرأ مهم سلطاني يقتضى إيصال ملطّف مكاتبة عن الأنواب السلطانية إلى بعض الواحي وتعدّر إيصاله على البريد لحيولة عدوّ في الطريق أو أقطاع حيل البريد من المراكز السلطانية لعارص ، آتتد كاتت السرّ تأمر السلطان من يعرف سرعة المشي وشدّة العدو للسمر ليوصل ذلك الملطّف إلى المكتوب إليه والإتيان بحواه . وربما كُتِب الكّثان فأكثر إلى الشخص الواحد في المعنى الواحد ويجهز كل مهما صحة قاصد مفرد خوف أن يُعترض واحد فيمضى الآخر إلى مقصده كما تقدّم في نطاق الحمام الرّسائي . وقد أحرى بعض من سافر في المهمات السلطانية من هؤلاء أهم في الغالب عند خوف العدو يمشون ليلاً ويكنّون بهارا وإذا مشوا في الليل يأخذون حاسا عن الطريق الحاذة ، يكون من كل آئين مهم مقدار رمية سهم حتّى لا يسمع لهم حسّ فاذا طلع عليهم الهار كمّوا متفرّقين مع مواعدهم على مكان تلاقؤن فيه في وقت المسير .

الأمر الحادى عشر

(نطره في أمر المآور والمحرقات)

أما المآور وسيأتى أنه في الرمن المتقدم عند وقوع الحروب من التتار وأهل هذه المملكة ، كان بين القرّاب آحر الممالك الهاميه وإلى قرب من بلييس من أعمال

الديار المصرية أمكنةً مرتنةً برءوس حبال عوالي، بها أقوام مقيمون فيها، لهم ورق على السلطان من إقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار، وأتصل ذلك بمن بالقلاع المحاورة للفرات من الاعمال الحلبية فإن كان ذلك في الليل أُوقِدَت النار بالمكان المقارب للفرات من رءوس تلك الحبال فيطره من بعده، فيؤقد النار فيطره من بعده، فيؤقد النار وهكذا حتى ينتهي الوقود إلى المكان الذي بالقرب من بليس في يوم أو بعض يوم، فيرسل بطاقته على أحبة الخيام بالإعلام بذلك فيعلم أنه قد تحرك عدو في الحملة فيؤخذ في التأهب له حتى تصل الرُّد بالحر مفصلاً .

وأما الحُرقات فسيأتي أنه كان أيضا قوم من هذه المملكة مرتنون بالقرب من بلاد التتار يتحيلون على إحراق رروعهم بأن تُمسك الثعالب ويحوها وتُرط الحرق المعموسة في الریت بأدباب تلك الثعالب وتوقد بالنار وترسل في رروعهم إذا ينست فيأخذها الدُغمر من تلك النار المربوطة بأدبابها فتذهب في الرروع أحده يمينا وشمالا مما مرَّت شيء منه إلا أحرقتة وتواصلت النار من بعضها إلى بعض فتُحرق المربعة عن آخرها .

قلت وهذا الأمران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

الأمر الثاني عشر

(نظره في الأمور العاتية مما يعود بعه على السلطان والمملكة)

قد تقدّم في أوّل هذا الفصل في الكلام على بيان رُبه صاحب ديوان الإنشاء من كلام صاحب مواد البيان أنه ليس في بدله حَدم السلطان والمتصرفين في مهماته

أحصى منه ، من حيث إنه أول داخل على الملك وأحر حارح عنه وأنه لا غنى به عن معاوصته في آرائه والإفصاء إليه بمهمات ، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات هاره ، وأوقات ظهوره للعامة وحلواته ، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته ، وأنه لا يثق بأحد من حاصته ثقتة به ، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب رُكوبه إليه ، ومن كان هذه الرتبة من السلطان والقرب منه ، وحب عليه أن لا يألوهُ نُصْحاً فيما يعلم أنه أصلح لمملكته وأعمر لسلاطه وأرعم لأعاديهِ وحُسادِه وأثنت لدولته وأقوى لأسباب مملكته .

فقد حكى عن علي بن ريد الكاتب أنه صحب بعض الملوك فقال للملك "أصححك على ثلاث حلال - قال وما هي ؟ - قال لا تَهْتِكُ لى سترأ ، ولا تَشْتِمُ لى عِرْصاً ، ولا تَقْلُ في قول قائل حتى تسترئ . فقال له الملك - هذه لك عدى فالى عندك ؟ قال لا أفشى لك سراً ، ولا أؤخر عنك بصيحة ، ولا أؤثر عليك أحدا - قال نعم الصاحبُ المستصحب أنت ! .

فإذا انتهى إلى صاحب الديوان حري يتعلق بحلب مفعلة إلى المملكة أو دفع مصرّة عما ، أطلع السلطان عليه في أسرع وقت وأغليه قبل فوات الطر فيه ويحلّه فيه صائب رأيه ، ثم ردّ الطر فيه إلى رأى السلطان ليحرج من عهده . وإن آرتاب في حرم المحر أحصره معه إلى السلطان ليسأله فيه حتى يكون بريئاً عن سعيه ، ولا يهمل تلابع حره مخزّد الرسه لأحمال صحته في نفس الأمر ويلحق بواسطة إهماله صرر لا يمكن تداركه . وكذلك الحال في سائر ما يرجع إلى صلاح المملكة وحسن تدبيرها .

— — —

الفصل الرابع

(في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وما يلزمُ رتب كل وظيفة منهم
 فيما كان الأمر عليه في الرمن القديم وأستقرَّ عليه الحال في زماننا)
 أما في الرمن القديم فقد ذكر أبو الفصل الصُّورى في مقدمة تذكرته أن أرباب
 الوظائف فيه على صريين

الصرب الأول - الكُتَّاب

(١) وقد عذاهم إلى سبع كتاب

الأول - كاتب يشئ ما يُكتب من المكاتبات ، والولايات ، تصدئ للإسعاء ملكته
 وعريه طعه . قال ويحب أن يكون هذا الكاتب لاحقاً بصفات متولَّى الديوان
 بحيث يكون كاملاً في الصفات ، مستوفياً لشروط الكتابة ، عارفاً بالصون التي يحتاج
 إليها الكاتب ، مشتملاً على التقدّم في الفصلحة والبلاعة ، قوى الحجة في المعارضة ،
 واسع الباع في الكلام بحيث يقندر مملكه على مدح المدحوم ودم المحمود وصراف
 عسان القول إلى حيث شاء ، والإطباب في موضع الإطباب ، والإيجار في موضع
 الإيجار ، وإبه أحلُّ كُتَّاب الديوان ، وأرفعهم درجة لأنه يتولَّى الإسعاء من نفسه ،
 وتلقى إليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فيشئ على ذلك كلاماً طويلاً ، ويأتى منه
 بالعارة الواسعة ، وهو لسان الملك المتكلم عنه ، فمهما كان كلامه أمدع ، وفي الصوس
 أوقع ، عظمت رتبة الملك ، وأرتفعت منزلته على غيره من الملوك . وهو الذى يشئ
 العهود والتقاليد في الولايات والكُتُب في الحوادث الكار ، والمهمات العظيمة التي

(١) الصواب ما يثبت أسم العدد كما هو واضح

تلى فيها الكتب على صياصي المارورروس الأشهاد . فقد حكى أن يريد بن الوليد كتب إلى إبراهيم بن الوليد، وقد همّ بالعصيان أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فأعتمد على أيهما شئت والسلام، فكان سبباً لإفلاعه عما هم به .

الثاني — كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه، وقد شرط فيه مع ماشرط في المنتصدي للانشاء المتقدم ذكره أن كان هو الذي يثني المكاتبات بنفسه عن الملك أن يكون على دين الملك الذي يكتب عنه ومدهيه، لما يحتاج إليه في مكاتبة الملك المحالف من الاحتجاج على صحة عقيدته، وبصرة مدهيه، وإقامة الدلائل على صحة ذلك، ولن يحتاج لليلة أو المذهب من اعتقد خلافه بل المحالف إنما تدوله مواضع الطعن لا مواضع المحاج . وكذلك أن يكون من علو الهمة، وقوة العزم، وشرف النفس بالمحل الأعلى، والمكان الأرفع، فإنه يكتب عن ملكه، وكل كاتب فإنه يحجزه طبعه وحيلته وجيمه إلى ما هو عليه من الصفات . وكلما كان الكاتب أقوى حاساً وأشدّ عرماً وأعلى همة، كان على التمجيم والتعظيم، والتهويل والترعيب والترهيب أقدر، وكلما نقص من ذلك نقص من كآته بقدره، وأن يكون عالماً بقدر طبقة المكتوب إليه في معرفة اللسان العربية فيحاطب كل قوم على قدر رتبتهم في ذلك وما يعرف من فهمهم .

الثالث — كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة وكرائها، وولاتها، وحوها من النواب والقضاة والكتّاب والمسافرين والعمال، وإنشاء تقليدات دوى الخدم الصغار والإمامات، وكتب الأيمان والقسامات . قال وهي وإن كانت دون الرتبتين المتقدمتين فهي حليته الخطر عالياً القدر، ويجب أن يكون لاحقاً بربّ الخدمة منها، وأن يكون مأموناً على الأسرار، كاف اليد، به النفس عن العرص

الديبوى لأنه يطلع على أكثر ما يجري في الدولة، ويعلم بالوالى قبل توليه والمصروف قبل صرفه، ويكون مع ذلك سريع اليد في الكفاية، حسن الخط اذ كان هذا الصن أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل في وقت من الأوقات

الرابع — كاتب يكتب المباشير والكتب اللطاف والنسخ . قال وهذه المبرلة لاحقة المبرلة التي قبلها وكأها جزء منها . ويحب أن يكون هذا الكاتب مأموراً كتوماً للسر، فيه من الأدب ما يأم من الخط واللحن في لفظه وحطه، ويكون حسن الخط أو العا فيه القدر الكافي . ولكن لما كان هذا الشغل واسعاً وهو أكثر عمل الديوان والدى لا ينفك منه، لم يكدر يستقل به رجل واحد فيحتاج إلى معاصدته وآخر يكون دونه في المبرلة، ويحمل رسم تسطير المباشير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحصرة، وكفاية تذاكر المستخدمين، ويقالها مما يمليه صاحب الديوان ويصدر عنه في نسخ تكون محلاة فيه لا تُعادر الميصة بحرف لتكون موحدة متى احتيج اليها .

الخامس — كاتب يبيص ما يشته المشئ مما يحتاج إلى حسن الخط، كالعهود والبيعات ومحوها . قال الصوري . لما كانت البلاغة التامة التي يصلح صاحبها للإشياء وحسن الخط قلما يجتمعان في أحد، وحب أن يختار للديوان مبيص رسم الإنشاءات والسجلات والتقليدات، ومكاتبات الملوك، وأب يكون حسن الخط إلى العاية الموحدة بحيث لا يكاد يوحد في وقته أحسن خطاً منه لتصدر الكتب عن الملك بالألحاط الرائقة والخط الرائع . فإن ذلك أكل للملكة، وأكثر تفحجاً عند من يكاتبه وتعطيها لها في صدره . ويحب أن يكون مع ذلك في الأمانة، وكتبان السر، ورأهه النفس على ما تقدم .

السادس — كاتب يتصفح ما يكتب في الديوان . قد تقدم أنه لما كان كل واحد من تقدم ذكره غير معصوم من السهو والزلل والخطأ واللحن وعثرات القلم . وكل واحد

يتعطى عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره، وكان رمن متولّى الديوان أصبَق من أن يُوبى بكل ما يكتَب بديوانه حقّ الطار. وكان القصد أن يكون كل ما يكتَب عن الملك كامل الفصيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعرافاً، حتّى لا يجد طاعن فيه مطعماً، وحب أن يستخدم متولّى الديوان معيّناً يتصفح جميع الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يُسَطَّر في ديوانه .

قال أبو الفصّل الصورىّ ويبدى أن يكون هذا المتصفح عالي المِرلة في اللغة والنحو وحفِظ كتاب الله تعالى، ديكّاً، حسن الفِطْطة، عاقلاً، مأموناً وأن يكون مع ذلك بعيداً من العرص والعداوة والشجاء حتّى لا يحس أحداً حقّه، ولا يُحائى أحداً فيما أنشأه أو كتبه — بل يكون الكل عدّه في الحق على حدّ واحد لا يترخ واحد منهم على الآخر . وعليه أن يلزم الكُتّاب عرص جميع ما يكتُوبه ويشتُوبه عليه قبل عرصه على متولّى الديوان — فإذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعرّف رصاه عنه ليلتزم بدرك ما فيه ويرأ مشئته .

السابع — كاتب يكتَب التذاكر والدفاتر المصنّعة لمتعلّقات الديوان .

قال الصورىّ ويحب أن يُختار لذلك كلُّهُ مأمونٌ، طويل الروح، صبور على التّعَب، قال والذى يلزمه من متعلّقات الديوان أمور

أحدها — أن يصع في الديوان تذاكر تشتمل على مهمّات الأمور التي تُهى في ضمن الكتب، ويطن أنه ربما سُئل عنها أو احتيج إليها، فيكون استجراحها من هذه التذاكر أسر من التنقيب عليها والتنقيب عنها من الأصاير . قال ويحب أن تسلّم إليه جميع الكُتُب الواردة بعد أن يُكتَب بالإحالة عنها ليتأمّلها ويقلّ منها في تذاكره ما يحتاج إليه، وإن كان قد أحب عنه شيء قلّه، ويعمل لكل صفة

أوراقا من هذه التداكر على حدة، تكون على رؤوس الأوراق علامات باسم تلك الصفقة أو الجهة، ويكتب على هذه الصفقة فصل من كتاب فلان الوالى، أو المشارف، أو العامل - ورد تاريخ كذا - مصمونه كذا - أحيب عنه كذا - أو لم يحب عنه إلى أن تفرغ السمة يستحد للسمة الأخرى التى تلوها تذكرة أخرى. وكذلك يجعل له تذكرة يسطر فيها مهمات ما تخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة لئلا تفعل ولا يحاب عنها، ويكون على الهيئة المتقدمة من ذكر الواحى وأرباب الخدم. وإذا ورد جواب عن شيء مهم رتل عنده فيقول ورد جوابه عن هذا الفصل تاريخ كذا يتصم كذا، فإنه إذا اعتمد هذا وحد السلطان جميع ما يسأل عنه حاصرا فى وقته غير متعذر عليه.

الثانى - أن يصنع فى الديوان دفترًا بألقاب الولاة وغيرهم من دوى الخدم، وأسمائهم، وترتيب محاطاتهم، وتحت اسم كل واحد منهم كيف يحاطب بكاف الخطاب أو هاء الكاية، ومقدار الدعاء الذى يدعى له به فى السجلات والمكاتبات والمباشير، والتوقعات لأختلاف ذلك فى عرف الوقت. وكذلك يصنع فيه ألقاب الملوك الأماعد والمكاتبين من الآفاق وكنائهم وأسمائهم، وترتيب الدعاء لهم، ومقداره. ويكون هذا الدفتر حاصرا لدى كتّاب الإنشاء يقبلون منه فى المكاتبات ما يحتاجون إليه لأنه ربما تعدر حفظ ذلك عليهم - ومتى تغير شيء منه كتبه تحته. ويكون لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متولّيها ولقبه ودعاؤه - ومتى صُرف كتب عليه صُرف تاريخ كذا، وأستخدم عوضا منه فلان تاريخ كذا وأخرى فى الدعاء على مهاجته، أو ريد كذا أو نقص. ولا يتعاقل عن ذلك فإنه متى أُهمل شيء من ذلك رل رلله الكتّاب وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه.

الثالث — أن يصنع بالديوان دفترًا للحوادث العظيمة وما يتلوهما مما يجري في جميع المملكة، ويدكر كلاهما في تاريخه، فإن المصلحة به كثيرة حتى إنه لو جمع من هذين الدفتريين تاريخ لا اجتماع.

الرابع — أن يعمل فهرستًا للكتب الصادرة والواردة مفصلاً مساهمة ومشاهدة ومياومة، ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهة "كتاب ورد تاريخ كذا"، ويشير إلى مضمونه إشارة تدل عليه أو يسحبه جميعه إن دعت الحاجة إلى ذلك، ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما سياتي ذكره.

الخامس — أن يعمل فهرسًا للأشياء، والتقاليد، والأمانات، والمناشير وغير ذلك مشاهيره في كل سنة بجميع شهورها، وإذا اقتضت سنة استحدث آخر، وعمل فيه على مثل ما تقدم.

السادس — أن يعمل فهرستًا لرحمة ما يترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان العربي من الرومي والفرنجي وغيرهما، مصرحاً بمعنى كل كتاب ومن ترجمه على ما تقدمت الإشارة إليه. قال الصوري: فإذا رويحت هذه القواين أصبحت أمورهم ولم يكدر يحل منه شيء، وكان جميع ما يلتبس منه موحوداً بأنسر سعي في أسرع وقت.

الصرح الثاني

(غير الكتاب وهما آتيان)

أحدهما الخازن. قال الصوري: "يأمن من حذر ردهه خذمه رجل دكتي قطب عاقل مأمون بالغ في الأمانة والثقة وراعي الحس وفقيه الطمع. من خذله لذي لا يريد عليه فإن رماهم جميع الديوان يهدد. من كان عيباً لأمانة رتب أمانته لرشوة إلى

إحراج شيء من المكاتبات من الديوان، وإفشاء سرٍّ من الأسرار فيصرُّ بالدولة صرراً كبيراً . ويجب أن يكون ملارماً للخصور بين يدي كُتَّاب الديوان متى كتب الممشئ أو المتصدى لمكاتبة الملوك، أو المتصدى لمكاتبة أهل الدولة، أو لكاتبة المماشير وغيرها شيئاً، سلمه للمتصدى للنسخ فيأسخه حرفاً بحرف، ويكتبُ أعلى أسححه كتاب كذا— ويذكر التاريخ بيومه وشهره وسنته على ما تقدم في موضعه، ويسلمه للحارن . وكذلك يفعل بالكتب الواردة بعد أبـ يأخذ حطَّ الكاتب الذي كتب حواهاً بما مثاله . «ورد هذا الكتاب من الجهة الغلاية بتاريخ كذا، وكتب حواها بتاريخ كذا» . وإن كان لاجواب عنه، أحد عليه حط صاحب الديوان أنه لاجواب عنه لئلاً دتمته منه ولا يتأول عليه في وقت من الأوقات أنه أحماه ولم يعلم به . ثم يجمع كلُّ نوع إلى مثله، ويجمع متعلقات كل عمل من أعمال المملكة من المكاتبات الواردة وغيرها، ويجعل لكل شهر إصارة، يجمع فيها كُتُب من يكات من أهل تلك الأعمال، ويجعل عليها بطاقة مثل أن يكتب «إصاره لما ورد من المكاتبات بالأعمال الغلاية في الشهر الغلاي» ثم يجمع تلك الأصاير ويجعلها إصارة واحدة لذلك الشهر ويكتب عليها بطاقة بذلك ليسهل استجراح ما أراد يستحرحه من ذلك . قال ويجب على هذا الحارن أن يحتفظ بجمع ما في هذا الديوان من الكتب الواردة وتُسح الكتب الصادرة، والتداكر، وحرائط المهمات، وصرائف الرسوم احتفاظاً شديداً .

الثاني— حاحب الديوان . قال الصوري ” ينبغي لصاحب ديوان الإنشاء أن يُقيم لديوانه حاحماً لا يمكن أحداً من سائر الناس أن يدخل إليه، ماحلاً أهله الذين هو معدوق بهم، فإنه يجمع أسرار السلطان الحفية من الواحد كتبتها ومتى أهمل

(١) في الصوء معروق بهم بالعين المهملة والراء| وهي أصرح في المقام وفي القاموس عرو بكمرح لصق|

ذلك لم يؤمن أن يُطلع منها على ما يكون باظهاره سب سقوط مرتته وإذا كثر العاشون له والداحلون إليه، أمكن أهل الديوان معه إظهار الأسرار اتكالا على أنها تُنسب إلى أولئك، وإذا كان الأمر قاصرا عليهم احتاحوا إلى كتمان ما يعلمونه خشية أن ينسب إليهم إذا طهر^(١).

وأما ما استقر عليه الحال في زماننا فكتب الديوان على طقتين الطقة الأولى - كتاب الدست، وهم الذين يحلسون مع كاتب السر مجلس^(١) السلطان مدار العدل في المواك على ترتيب مدارهم المقدمة ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب حلوسهم ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر. وثبتوا كتاب الدست إصافه إلى دست السلطان وهو مرتبة حلوسه حلوسهم للكتابة بين يديه. وهؤلاء هم أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جواب القصص خلاف غيرهم.

وقد تقدم أنهم كانوا في أوائل الدولة تركية في الأيام الطاهرية بپرس وما والاها قبل أن يلقب صاحب ديوان الإنشاء كاتب السر ثلاثة كتاب، رأسهم القاضي محي الدين بن عبد الطاهر. ثم رددوا بعد ذلك فيلإ إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرافية شعبان بن حسين عشرة. ثم حووه. ثم ترايدوا بعد ذلك شيئا فشيئا خصوصا في سلطه الطاهر برقوق. ثم بعد ذلك حاوروا العشرس وهم آحدون في التزايد

وقد كانت هذه السلسلة من السرى معه ولا يسه إلى أن دخل فيها الدجيل. وقدّم فيها عشر مستحقين. منهم من لا يؤمن من هو دونه. وانخطت رتبتها وصار أهلها في الخصيص لأهله من. ثم بعد أن وحيه لا الأفراد من علت رتته وقليل منهم.

الطبعة الثانية - نُكَّات الدُّرَح ، وهم الذين يَكْتُون ما يُوَقِّع به كاتُّ السُّر أو نُكَّات الدست أو إشارة السائب أو الورير ، أو رسالة الدوادار ومحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ومحو ذلك مما يحرق محراه . وُسُّوا نُكَّات الدُّرَح لكثافتهم هذه المكتوبات ومحوها في دُرُوح الورق ، والمراد بالدُّرَح في العُرف العام الورق المستطيل المُرَّك من عدَّة أوصال ، وهو في عُرف الرمان عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لا غير . قال آس حاحب البعمان في دحية النُّكَّات - وهو في الأصل اسمٌ للفعل أخذنا من دَرَحَت الكتاب أدْرَحَه دَرَحًا إذا أسرعَ طيِّه وأدْرَحْتَه إدْرَاحًا فهو مُدْرَح إذا أعدته على مطاويه وأصله الإسراع في حالة ، ومنه مَدْرَحَة الطريق التي يُسْرِع الناس فيها وفاقَة دُرُوح إذا كانت سريعة . ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يَكْتُون ما يُنشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدّم ذكره ، ولا يجوز أن يطلق عليهم لَقَب الموقِّعين لما تقدّم من أن المراد من التوقيع الكتابة على حوالب القصص ومحوها . وكما راد نُكَّات الدست في العدد راد كتاب الدُّرَح حتّى حرقوا عن الحدّ ، وبلغوا محوا من مائة وثلاثين كتابًا ، وسقطت رئاسة هذه الوظيفة وأحبط مقدارها حتّى إنه لم يرصها إلا من لم يكن أهلا . على أن نُكَّات الدست الآن هم المتصدّون لكتابة المهم من كتابة الدُّرَح كمتعلّقات البريد المحتصة بالسلطان من المكاتبات والعهود والتقاليد وكبار التواقيع والمراسيم والمناشير ، وصار كتاب الدُّرَح في العال محصّين بالمكاتبات في خلاص الحقوق وما في معابها . وكذلك صغار التواقيع والمراسيم والمناشير مما يكتب في القطع الصغير ، وربما شارك أعلاهم نُكَّات الدست في التقاليد وكبار التواقيع وما في معابها إذا كان حسن الخط ، ولا ينظر إلى البلاغة حملة بل كل أحد يلقى ما تهيأ له من كلام المتقدمين غير مُسالٍ بحريمه ولا تصحيفه منتهجا بذلك مطالعا

لغيره في أنه الذي آتدعه وإشكره . وكل من لفق منهم شيئا أو أشأه كتبه محطه على
أى طيقة كان في الخط، ما حلا عهود السلطنة ومكاتات القانات من ملوك الشرق
فانه رُما آتبح لها أعلى أهل الرمان حطًا، توبها بذكرها، ورعة لقدرها .

أما كناية التذاكر والدفاتر فقد كان الأمر مستمزا في بعضها ككناية ما في المكاتات
الوارده والصادرة بدفتر في الديوان إلى آخر مباشرة القاضي بدر الدين بن فصل الله
في الدولة الطاهرية برقوق، ثم رُفص ذلك وترك وأقتصر على ما يرد من المكاتات
وما يكتب من الملحّصات وكناية الموقع الذي يكتب الجواب بسد كل فصل تحته
ليس إلا وترك ما وراء ذلك، وأكتفى من الحارن بدوادار كاتب السر، وصار هو
المتولّى لحفظ ذلك وإيداعه في الأصابير على نحو ما تقدّم، وكذلك صار أمر حيانة
الديوان إليه . ثم للديوان أعوان يسمون المدرا جمع مدير، شأهم أحد القصص^(١)
ومحوها وإدارتها على كاتب السر من دونه من كُتاب الديوان ليكتب كل منهم
ما يلزمه من متعلّقها ولذلك سُموا بهذا الاسم .

(١) كذا في الأصل والمواعد لا تساعد

المقالة الأولى

بعد المقدمة

(في بيان ما يحتاج إليه كاتبُ الإِشاء من المواد، وفيه ما نأمن)

الباب الأول

(فيما يحتاج إليه الكاتبُ من الأمور العِلمية، وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الأول

فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال

وقد آحتلفت مقاصدُ المصنِّفين في ذلك فأن قنينة بعد أب سى كتابه أدب الكاتب على أمور من اللغة والتصريف وطرف من الهجاء قال "وليس كتاباً هذا لمن لم يتعلّق من الإِسْبابية إلا بالحسم، مولاً من الكتابة إلا بالرسم، ولم يتقدم من الأداء، إلا بالقلم والدواء ولكم لمن شداً شيئاً من الإعراب معرّف الصدر والمصدر، وأثقلّ الباء عن الواو، والألف عن الياء، وأشأه ذلك من المطر في الأشكال لمساحة الأَرْخِمين حتى يعرف المثلث القائم الراوية، والمثلث الحاد، والمثلث المنفرح، ومساقط الأحجار، والمرنعات المحتلقات، والقيسى، والمدورات، والعمودين، وتمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر، فإن المحرّ عنه ليس كالمُعائير. ودكر أن العجم كانت تقول من لم يكن عالماً بأحراء المياه، وحفر قُوص

(١) كذا في الأصل وأدب الكاتب . وفي القاموس شداً أحد طرفا من الأدب وهو معنى مناسب لها

والذي في الصوء سدد .

المشارب ورَدَم المَهاوى ، ومَحَارَى الأَيَّامِ فى الرِيادة والنقصان ، ودَوَرانِ الشمس ، ومَطالِعِ الحُومِ ، وحالِ القمرِ فى استِهلاله وأَتصاله ، ووَرِنِ المَوارِسِ ، ودَرَغِ المثلث والمرِّعِ والمُختلفِ الرِّوايا ، ونَصَبِ القِساطِرِ ، والحُسُورِ ، والدَّوالِى ، والنَّواعيرِ على المِياه ، وحالِ أدواتِ الصُّبَّاعِ ، ودقائقِ الحِسابِ ، كان ناقصا فى حالِ كُتاتِه . ثم قال ولا بدَّ له مع ذلك من النِّطْرِ فى حُملِ من الفقه والحديث ، ودراسة أحمارِ اللِّاسِ ، وحِفظِ عُيونِ الأحمارِ لِيُدخلها فى تصاعيفِ سطوره ممتثلا بها اذا كتب ، أو يصل بها كلامه اذا حاورَ . وحتم ذلك بأن قال ومدار الأمرِ فى ذلك كُلُّهُ على القُطْبِ وهو العقل ووحدة القريجة ، فإن القليل معهما بإذن الله تعالى كافٍ ، والكثير مع غيرهما مقصرٌ .

وتابعه أبو هلال العسكرى فى بعض ذلك فقال فى بعض أبواب كتابه «الصباغتين»
”ينبغى أن تعلم أن الكتابة تحتاج إلى آلات كثيرة ، وأدوات حَمَمَةٍ من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصانة المعنى ، وإلى الحِسابِ ، وعلم المساحة ، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهْلَةِ وغير ذلك مما ليس هذا موضعُ دكره وشرحه“ .

ولا يبحى أن ما دكره بعض ما دكره آس قتيبة ، يتواردان فيه فى المعنى وإن اختلف اللفظ . وحالف أبو جعفر النحاس فى كثير من ذلك فدكر فى أوّل كتابه ”صناعة الكتاب“ فى المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالحط أن من أدوات الكتابة البلاغة ، ومعرفة الأصداد مما يقع فى الكتب والرسائل ، والعلم بترتيب أعمال الدواوين ، والخبرة بمَحَارِى الأعمال ، والذُرْبَةِ بوحوه آسِيخِراجِ الأموال ، مما يحب ويمتنع . ثم قال فهذه الآلات ليس لواحد منها تَمَرُّداتُه ، ولا أفرادُ ناسِمٍ يحصه ، وإِمامٌ هو خُزْنٌ من الكتابة وأصلٌ من أركانها . أما الفقه والعرائص والعِلْمُ بالحو واللغة وصناعة الحِسابِ والمساحة والنَّحْوِ ، والمعرفة بأحرارِ المِياه ، والعِلْمُ بالأنساب وكل

واحد منها مفرد على حدته وإن كان الكاتب يحتاج إلى أشياء منها نحو ما يُكتب بالألف والياء، وإلى شيء من المقصور والمدود، ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصعب طريقاً للأسهل والأشق ممّتاحاً للأهون وفي طبع الناس القمار عما ألزمهم من جميع هذه الأشياء .

قلت والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها، فكل نوع من أنواعها يحتاج إلى معرفة من أو منون تختص به .

وقد حكى أن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم قال لما خرج المعتصم من بلاد الروم وصار بابحية الرقة، قال لي ويلك يا عمرو ! لم تزل تمدعي حتى وليت عُمر بن الصريح الرُحَبي الأهورار، وقد قعد في سُرّة الدنيا يأكلها حصاً وقصاً ! فقلت يا أمير المؤمنين فأنا أبعث إليه حتى يؤخذ بالأموال ولو على أحجة الطير - قال كلاً بل تخرج إليه سمسك كما أشرت به - فقلت لهسي إن هذه مبرلة حسياسة، بعد الورارة أكون مستحقاً لعامل حراج ! ولم أجد بداً من الحروج رصاً لأمر المؤمنين - فقلت ها أنا خارج إليه لهسي يا أمير المؤمنين ! قال فصع يدك على رأسك وأحلف أنك لا تقيم سعداداً، ففعلت وأخذت عهداً ماحواي ومبرلي وأني إلى رورق فقيرش لي فيه، ومصبيت حتى إذا صرت بين دير هرقل ودير العاقول إذا شئت على الشط يقول يا ملاح ! رحل عريب يريد دير العاقول فاحملني يا حرك الله ! - فقلت يا علام

(١) في الأصل عمرو الرحبي . والصواب ما أشباه فقد قال ما فوت في الكلام على رُحّ مثال رُحّ ويسب إلى الرح فرج واسم عُمر بن فرج وكأما من أعيان الكتاب في إمام المأمون إلى أمام

الموكل وكان عبد الصمد بن المذل يهجو عمر بن فرج فمن قوله فيه يحاطب يحاحس صلبة

ألع محاح في الكتاب مألوفة * تمصها الرّيح بإصدارا وإيرادا

لإبحر المال عقوا من يدي عمر . أو بعد السيف في موديه إعماداً

الرحصون لا يوفون ما وعدوا . والرححيات لا يخلص معاداً

قَرَّبَ لَهُ - فقال حُجِلْتُ فِدَاكَ^١ يُؤْدِيكَ وَيُصِيقُ عَلَيْكَ - فقلت قَرَّبَ لَهُ لَا أَمَّ
لَكَ^١ فَقَرَّبَ لَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى مُؤَرَّرِ الرُّورِقِ . وَحَصَرَ الطَّعَامُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعُوهُ
إِلَى طَعَامِي ، ثُمَّ قُلْتُ هَلُمَّ يَا فَتَى ، فَوَثَّ وَحَلَسَ ، فَأَكَلَ أَكْلَ حَائِجٍ بِهِمْ إِلَّا أَنَّهُ
بَطِيفُ الْأَكْلِ ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنَ الطَّعَامِ أَحَدْتُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ الْعَوَامُ فَيَتَسَحَّى
وَيَعْسَلُ يَدَيْهِ نَاحِيَةً فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَعَمَرَهُ الْعِلْمَانُ لِيَقُومَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَتَأَوَّمْتُ عَمْدًا لِيَهْصَ
فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاسْتَوَيْتُ حَالِسًا وَقُلْتُ يَا فَتَى^١ مَا صِبَاعَتُكَ ؟ فقال حُجِلْتُ فِدَاكَ^١
أَمَا حَائِكٌ . فقلت فِي نَفْسِي أَنَا وَاللَّهِ حَلَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَتَعِيرُونِي ، فَفَطَسْتُ أُنَى
أَسْتَقْلَتُهُ ، فقال حُجِلْتُ فِدَاكَ^١ إِنَّكَ قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ صِبَاعَتِي فَأَحْتِكُ ، فَأَتِ
مَا صِبَاعَتُكَ ؟ فقلتُ هَذِهِ وَاللَّهِ أَصْرُ مِنَ الْأَوَّلَى أَلَا يَظُنُّ إِلَى عِلْمَانِي وَنِعْمَتِي وَيَعْلَمُ
أَنْ مِثْلَ هَذَا لَا يُسْتَعْلَمُ عَنِ الْحِرْفَةِ ؟ وَلَمْ أَحْدُثْ نَدَا مِنَ الْحَوَابِ ، فَلَمْ أَذْهَبْ إِلَى الْمَرْتَبَةِ
الْعُظْمَى مِنَ الْوَرَارَةِ لَكِنِّي قَرَّبْتُ عَلَيْهِ ، فقلت أَمَا كَاتِبٌ - فقال حُجِلْتُ فِدَاكَ^١
الْكُتَّابُ حَمْسَةُ فَأَيُّهُمْ أَتَى ؟ فَأُورِدُ عَلَى مَا لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَبْلُ - فقلت يَدَّبُّهُمُ لِي - قَالَ
نَعَمْ ، هُمْ كَاتِبُ رِسَائِلٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْمُعْصُولَ وَالْمَوْصُولَ ، وَالْمُقْصُورَ وَالْمَمْدُودَ ،
وَالْإِتْدَاءَ وَالْحَوَابَ ، حَادِقًا بِالْعُقُودِ وَالْفَتْوحِ - قلت أَحِلْ وَمَاذَا ؟ قَالَ كَاتِبُ
حَرَاجٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ السُّطُوحَ وَالْمِسَاحَةَ وَالتَّقْسِيطَ^(١) ، حَيِيرًا بِالْحِسَابِ وَالْمُقَاسَمَاتِ .
قلت وَمَاذَا ؟ قَالَ كَاتِبُ قَاصٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ الْحِلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالتَّأْوِيلَ
وَالْتَرِيلَ - وَالْمُنْتَشَانَةَ وَالْحُدُودَ الْقَائِمَةَ وَالْفَرَائِصَ ، وَالْإِخْتِلَافَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْعُرُوحِ ،
حَافِظًا لِلْأَحْكَامِ ، حَادِقًا بِالشُّرُوطِ - قلت وَمَاذَا ؟ قَالَ وَكَاتِبُ حُنْدٍ يَحْتَاجُ أَنْ
يَعْرِفَ الْحُلَى وَالشَّيَاتِ - قلت وَمَاذَا ؟ قَالَ وَكَاتِبُ شُرْطَةٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ
الْقِصَاصَ وَالْجَرَاحَاتِ ، وَمَوْصِيعَ الْحُدُودِ ، وَمَوَاقِعَ الْعُقُودِ فِي الْحَيَايَاتِ - قلت حَسَنٌ .
قال فَأَيُّهُمْ أَتَى ؟ فَكُنْتُ مَتَكِنًا فَاسْرُوبَ حَالِسًا مُتَعَجِّجًا مِنْ قَوْلِهِ ، فَقُلْتُ

(١) فِي سِجَةِ الطُّسُوحِ وَهُوَ كَسُورُ اللَّاحِيَةِ ، وَرَبْعُ دَانٍ مَعْرَبٌ ١٥ فَاوَسُ .

أما كانتُ رسائلَ— قال فإن أحّا من إخوانك واحب الحقّ عليك معتبيا بأمرورك لا يفعل بها عن صغير ولا كبير يكاتك في كل محبوب ومكروه وأنت له على مثل ذلك تروحتُ أمّه كيف تكتب إليه ° أنهيّه أم تُعريّه °— قلت أهيه ° قال فهيه فلم ينجّه لي شيء— فقلت لا أعريّه ولا أهيه، فقال إلك لا يفعل له عن شيء ولا يمدّ نداء من أن تكتب إليه— فقلت أفلنّ فأنا كاتب حراح— قال فإن أمير المؤمنين وجهك إلى ناحية من عمله، وأمرتك بالعدل والإنصاف وأنت لا تدع شيئاً من حقّ السلطان يذهب صيّاعاً، وحدّرك الظلم والخور، فخرحت حتى قدّمت الناحية فوقهوك على قرّاج أرض حطه قابل قسياً كيف تمسّحه— قلت آخذ وطوله وأخذ طوله فأصره فيه— قال تختلف عليك العطوف— قلت آخذ طوله وعصره من ثلاثة مواضع— قال إن طريقه محدودان وفي تحديده تقويس وذلك يختلف فأعياي ذلك— فقلت أفلنّ فأنا كاتب قاص— قال فإن رحلا هلك وحلّف روحه حرةً وسريّةً حاملتين فوصعتنا في ليلة واحدة وصعت الحرة حاريةً، ووصعت السريّة علاماً، فوصعت الحارية في مهد السريّة، فلما أصبحت السريّة قالت العلام لي، وقالت الحرة بل هو لي كيف تحكّم بينهما °— قلت لا أدري فأقلنّ، فأنا كاتب حيد، قال فإن رحلين من أصحاب السلطان أياك أسمهما واحد، وأحدهما مشقوق الشّقة العليا، والآخر مشقوق الشّقة السفلى، ورزق أحدهما مائة والآخر ألف كيف تُحليهما °— قلت فلان الأعلم وفلان الأعلم، قال إذن يحيى هذا وررقه مائة فيأخذ الألف، ويحيى هذا وررقه ألف فيأخذ المائة— قلت أفلنّ فأنا كاتب شُرطة،— قال فإن رحلين تواسا فشحّ أحدهما صاحبه موصحةً، وشحّه الآخر مأمومةً كيف يكون الحكم فيهما °— قلت لا أدري فأقلنّ، . قال فقات إلك قد سألتني فينّ لي— قال نعم .

أما الذى تروحت أمه فتكتب إليه أما بعد فإن الأمور تجري على عرصات
المخلوقين والله يختار لعباده، فأر الله لك فى قصصها إليه فإن القصور أكرم الأكفاء
والسلام .

وأما القراح من الأرض ، فإنك تسمع أعواحاه حتى تعلم كم قصة تكون فيه
إذا استوى فى يدك عقد تعرفه صرت طرفه فى وسطه . وأما الحرة والسرة
فورن لهما وأيهما كان لهما أحف فالت لها . وأما المشقوق الشفة العليا فأعلم
والمشقوق الشفة السفلى فأفصح . وأما المأمومة ففيها ثلث الدية وهى ثلاث وثلاثون
من الإبل وثلث . وأما الموصحة ففيها خمس من الإبل . فقلت أأست ترعم أنك
حائك ؟ فقال أنا حائك كلام لا حائك يسأحه . قال عمرو بن مسعدة فأحسنت
حائزته وأستصحبته معى حتى عذت إلى المعتصم ، فسألى عما لقيت فى طريق .
فقصصت عليه القصة فأعجب به وقال لم يصلح . فقلت للعمائر . فقتره فيها
وعلت رنته ، فكنت ألقاه فى الموكب الليل فيترحل لى فأهأه ، فيقول . هذه
بعمتك وأنت أفدتها .

فقد بين هذه الحكاية أن لكل نوع من الكناية مآذنه نحتاج إليها بمفرده . والله
تحصها لا يستعنى بها .

على أن كاتب الإنشاء فى الحقيقة لا يستعنى عن علم ولا سمعه الوقوف عند من .
فقد قال الوريصياء الدين بن الأثير فى "المثل السائر" إن صاحب هذه القصصه نوح
إلى التشدث بكل فن من الصنوع حتى إنه نحتاج إلى معرفة ما يحوله الماديه من ال . .
والماشطة عند حلوة العروس ، وإلى ما يقوله المادى فى السوى على السلعة فما طشت
بما فوق هذا وذلك لأنه مؤهل أن يهتم فى كل واحد ، فيحتاج إلى أن يعلم بكل فن .

بل قد قيل إن كل دى علم يسوع أن يُنسب إليه ، فيقال فلان الحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يحور أن يسب المتعلق بالكناية إليها ، فلا يقال فلان الكاتب لما يقتقر إليه من الخوص في كل من .

وأعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان محتاج إلى التعلق بجميع العلوم والخوص في سائر الصنوف فليس احتياجه إلى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج إليه بطريق الدات وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها ويقتبس من مقاصدها كاللغة التي منها استمداد الألفاظ ، والخو الذي به استقامة الكلام ، وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبدع التي هي مناط التحقيق والتحسين والتقيح ومحو ذلك مما يحرى هذا المحرى . وعلى هذا أقصر الورير صياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" وتعه على ذلك الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه "حسن التوسل" . ومنها ما يحتاج إليه بطريق العرص كالطب والهندسة والهيئة ومحوها من العلوم ، فإنه محتاج إلى معرفة الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، وإلى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه ليظم ذلك في حلال كلامه فيما يكتب به من متعلقات كل فن من هذه الصنوف كالألفاظ الدائرة بين أهل الطب ومشاهير أهله وكتبه فيما يكتب به لرئيس الطب . ومحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمستم ، ومحوه من الهندسة فيما يكتب به لمهندس . وربما احتاج إلى معرفة مأهول دون ذلك في الرسة كمعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به في قدمات السدق ، ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به في دسكرة فتوه ومحو ذلك ، بل ربما احتاج إلى معرفة مصطلح سهل الناس لكناية أمور هزلية كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به لطفي - أقبراحا أو أمحاما للحاظ أو روحا للنفس ، مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج إلى

وصفه كأوصاف الأنطال والشُّعمان، والحوارى والعلمان، والحيل والإبل، وحليل
الوَحْش وسائر أصنافه، وحوارج الوَحْش والطير، وطير الواح، والحمام الهدى،
وسائر أنواع الطير، والسلاح بأنواعه، وآلات الحصار، والآلات الملوَّكِيَّة، وآلات
السفر، وآلات الصَّيد، وآلات المعاملة، وآلات اللُّهُو والطَّرَب، وآلات اللعب،
وآلات الشربة، والمدن، والحصون، والمساحد، وبيوت العبادات، والرياض،
والأشجار، والأزهار، والثمار، والترارى، والقفار، والمقاور، والحلال، والرمال،
والأودية، والبحار، والأنهار، وسائر المياه، والسفن، والكواكب، والعناصر،
والأرمة، والأنواء، والرياح، والمطر، والحر، والبرد، والثلج، وما يتعلق بكل واحد
من هذه الأشياء أو يحترط في سلوكه، وبحو ذلك مما تدعو الحاجة إلى وصفه في حالة
من حالات الكتابة على ماسياتي بياحه في آخر الفصل الثانى من هذا الباب إن شاء
الله تعالى .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الأولى

(فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يحتاج إليه من الأدوات، ويشتمل العَرَص منه على خمسة عشر نوعاً)

السور الأول

(المعرفة باللغة العربية، وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأول

(في فصلها وما احتضنت به على سائر اللغات)

أما فصلها فقد أرحح أن أي شَيْئَة تسده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال "تَعَلَّمُوا اللُّغْنَ وَالْفَرَائِصَ فَإِنَّهُ مِنْ دِينِكُمْ". قال يزيد بن هارون "اللُّغْنَ هُوَ اللُّغَةُ". ولا حَقَاءُ أَمَّا أُمْتُ اللُّغَاتِ وَأَوْصَحُهَا بَيَانًا، وَأَدْلَقُهَا لِسَانًا، وَأَمْدُهَا رُؤَافًا، وَأَعْدُسُهَا مَدَاقًا، وَمَنْ شَمَّ أَحْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَشْرَفِ رُسُلِهِ، وَحَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ، وَحَيْرَتَهُ مِنْ حَلْقِهِ، وَصَفَوْتَهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَجَعَلَهَا لَعَةً أَهْلِ سَمَائِهِ وَسُكَّانِ حَتَمِهِ، وَأَرْبَلَ بِهَا كَنَانَهُ الْمُبِينِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ نَسَبٍ يَدِيهِ وَلَا مِنْ حَلْفِهِ.

قال في صِبَاةِ الْكُتَّابِ "وَقَدْ أَنْقَادَ اللُّغَاتِ كُلَّهَا لِلُّغَةِ الْعَرَبِ، فَأَقْلَبْتُ الْأُمَمَ إِلَيْهَا بِتَعَلُّمِهَا".

وأما ما أحتصت به على غيرها من اللغات، فقد حكى في "صناعة الكتاب" أنها
اللغة التامة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص عنها شيء من الحروف فيشبهها
نقصانها، ولم يرد فيها شيء فيعيها زيادته، وإن كان لها فروع أخرى من الحروف
فهى راجعة إلى الحروف الأصلية، وسائر اللغات فيها حروف مولدة، وينقص عنها
حروف أصلية كاللغة الفارسية تجد فيها زياده ونقصانا. وكذلك يوجد فيها من
الاسماء ما لا يوجد في الفارسية وغيرها كالحق والباطل، والصواب والخطأ، والحلال
والحرام، فلا يطق به أهل تلك اللغة إلا عربيا. قال الفراء "وحدنا لغة العرب
فصلا على لغة جميع الأمم اختصاصا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها، ومن حصائصها
أنه يوجد فيها من الإبحار ما لا يوجد في غيرها من اللغات". قال "ومن الإبحار
الواقع فيها أن للصر كلفة واحدة فتوسعوا فيها، فقالوا للصر في الوحه لطم،
وفي القفا صفع، وفي الرأس إذا آدمى شخ، فكان قولهم لطم أو حرم صير على
وجهه". قال في "المثل السائر" "حصرت مع رحل يهودى تاريف باللغات أخرى
ذكر أسم الحمل فقال لا شك أن العربية أحر اللغات، فإن أسم الحمل بالعربية
كامل فسقط منه الواو وحولت الكاف إلى الحيم". قال أبو عبيد وللعرب
في كلامها علامات لا يشتركون فيها أحد من الأمم كعلامة إدخالهم الألف واللام
في أول الاسم، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه مع نقلهم كل ما احتاجوا إليه
من كلام العجم إلى كلامهم، فقد نقل ما قالت حكاء العجم والفلاسفة إلى العربية
ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القراء إلى اعته لجمال لغة العرب. على أن الكثير
من الناس حاولوا ذلك فعسر عليهم نقله، وتعذرت عليهم ترجمته، بل لم يصلوا
إلى ترجمة السملة إلا سقل بعيد.

المقصد الثاني

(في وَحِهْ أَحْتِيَاكِ الْكَاتِبِ إِلَى اللُّغَةِ)

لَا مَرِيَّةَ فِي أَنَّ اللُّغَةَ هِيَ رَأْسُ مَالِ الْكَاتِبِ ، وَأُسُّ كَلَامِهِ ، وَكَثْرُ إِعْقَابِهِ ، مِنْ حَيْثُ
إِنَّ الْأَلْفَاظَ قَوَالِبَ لِلْعَايِ الَّتِي يَقَعُ التَّصَرُّفُ فِيهَا بِالْكِتَابَةِ ، وَحَيْثُ يُحْتَاجُ إِلَى طَوْلِ
النَّاعِ فِيهَا ، وَسَعَةِ الْخَطِّ ، وَمَعْرِفَةِ سَائِطِهَا مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ ،
وَالْتَّصُرِّ فِي وَحْوِهِ دَلَالَتِهَا الطَّاهِرَةِ وَالْحَقِيَّةِ لِيَقْتَدِرَ بِذَلِكَ عَلَى اسْتِعْمَالِهَا فِي مَحَالِّهَا ،
وَوَضْعِهَا فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا ، وَيَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّوَسُّعِ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الصُّوَرِ
الْإِثْمَةِ فِي نَفْسِهِ فَتَنْسَجِعَ عَلَيْهِ بَطَاقُ النُّطْقِ ، وَيَنْفَسِحَ لَهُ الْمَحَالُّ فِي الْعِبَارَةِ ، وَيَنْفَتِحَ لَهُ
بَابُ الْأَوْصَافِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى وَضْعِهِ ، وَتَدْعُو الصَّرُورَةُ إِلَى نَعْتِهِ ، فَيَسْتَظْهِرُ عَلَى
مَا يُنْشِئُهُ ، وَيُحِيطُ عِلْمًا بِمَا يَدْرُهُ وَيَأْتِيهِ ، إِذَا الْمَعَايِ وَإِنْ كَانَتْ كَامِمَةً فِي نَفْسِ الْمَعْرِ
عِهَا فِيمَا يَقْوَى عَلَى إِبْرَارِهَا وَإِبَانَتِهَا مَنْ تَوَقَّرَ حُطُّهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، وَاقْتَدَارَهُ عَلَى
التَّعَرُّفِ فِيهَا لِيَأْمَنَ تَدَاخُلَهَا وَتَكَرُّرَهَا الْمُتَهَيِّجِينَ لِلْعَايِ — وَبَاهِيكَ أَنْ آسَ قَتْبِيَّةً لَمْ يُصَمِّ
كِتَابَهُ ”أَدَبُ الْكَاتِبِ“ عِزَّ اللُّغَةِ إِلَّا الْبَرَزَ الْبَسِيرُ مِنَ الْهَيْئَةِ ، وَأَنَا جَعَلْتُ الْحَاسَّ صَمِّ
كِتَابَهُ ”صَاعَةُ الْكِتَابِ“ حَرْغًا وَافِرًا مِنَ اللُّغَةِ ، وَأَنَا الْفَتْحُ كُشَّاحٌ لَمْ يَرِدْ فِي كِتَابِهِ
”كَتَرُ الْكِتَابِ“ عَلَى ذِكْرِ الْأَلْفَاظِ وَصُورَةِ تَرْكِيبِهَا .

المقصد الثالث

(في بَيَانِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ مِنَ اللُّغَةِ ، وَيَرْجِعُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ إِلَى خَمْسَةِ أَصْنَافٍ)

الْصِّفَةُ الْأَوَّلُ — الْعَرِيبُ ، وَهُوَ مَا لَيْسَ بِمَأْلُوفٍ لِالْإِسْتِعْمَالِ ، وَلَا دَائِرٍ عَلَى الْأَلْسِنَةِ
وَذَلِكَ أَنَّ مَدَارَ الْكِتَابَةِ عَلَى اسْتِحْرَاحِ الْمَعَايِ مِنَ الْقُرَّاءِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَحَادِيثِ السُّوَيَّةِ ،
وَالشَّعْرِ ، وَالْعَاطَافِ لَا تَحْلُوسُ الْعَرِيبُ ، بَلْ رَمَّا عَلَبَ الْعَرِيبُ مِنْهَا فِي الشَّعْرِ عَلَى

المألوف لاسيما الشعرُ الجاهليُّ . وقد قال الأصمعيُّ "توسَّلت بالملح ولبت بالعريب". قال صاحب "الريحان والرياعان" والعريب وإن لم يُنْفِقْ منه الكاتب فإنه يحب أن يُعَلِّمَ وَيُتَطَّلَعَ إليه وَيُسْتَشْرَفَ ، فربَّ لَعَطِيَّةٍ فِي جِلَالِ شِعْرٍ أَوْ حُطْطَةٍ أَوْ مَثَلٍ نَادِرٍ أَوْ حِكَايَةٍ ، فَإِنْ نَقِيتَ مُقْفَلَةَ دَوْنٍ أَنْ تُفْتَحَ لَكَ ، بَقِيَ فِي الصَّدْرِ مِمَّا حَرَارَةُ نُحُوحٍ إِلَى السُّؤَالِ ، وَإِنْ صُنِّتَ وَحَكَ عَنْ السُّؤَالِ ، رَصِيتَ مِمْلَةَ الْهَيْهَالِ . وقد عاب أَسْنُ قَتِيبة رحلا كتب في وصفِ زِدَوْنٍ "وقد بعثتُ به أبيضَ الطَّهْرِ والشفَتَيْنِ" فقليل له هَلَّا قَلَّتْ فِي بَيَاصِ الشَّفَتَيْنِ أَرْثَمَ أَلْمَطَ ، فَقَالَ لَهُمْ فَيَا صَ الطَّهْرُ ، قَالُوا لَا نَذَرِي ، فَقَالَ أَمَّا حَيْهَلْتُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ مَا حَيْهَلْتُ مِنَ الطَّهْرِ . وَدَمَ قَوْمًا مِنْ وَحُوهِ الْكُتَّابِ نَاهٍ أَجْتَمَعَ مَعَهُمْ فِي مَحَلِّسٍ فَتَدَاكَرُوا عُيُوبَ الرِّقِيقِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْوَتَعِ وَالْكُوعِ ، وَلَا بَيْنَ الْحَيْفِ وَالْقَدَحِ ^(١) ، وَلَا بَيْنَ الْإِلَى وَاللَّطَعِ . ثُمَّ قَالَ "وَأَيُّ مَقَامٍ أَحْرَى لِمَصَاحِبِهِ مِنْ رُحُلٍ مِنَ الْكُتَّابِ أَصْطَفَاهُ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ ، وَآرْتَصَاهُ لِسِرِّهِ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ يَوْمًا كِتَابًا فِيهِ مُطَرَّبًا مَطْرًا كَثُرَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ مِمَّا حَمَلَهُ وَمَا الْكَلَامُ ؟" فَتَرَدَّدَ فِي الْحَوَابِ ، وَتَعَثَّرَ لِسَانُهُ ثُمَّ قَالَ لَا أَدْرِي ، فَقَالَ سَلْ عَنْهُ .

قال أبو القاسم الرحاشي في شرح مقدمة أدب الكاتب وهذا الخليفة هو المعتصم والكاتب أحمد بن عمار ، وكان يتقلد العَرَضَ عَلَيْهِ ، وكان المعتصمُ صَعِيفَ النَّصْرِ بالعربية ، فلما قرأ عليه أحمد بن عمار الكتابَ وسأله عن الكَلَامِ فلم يعرفه ، قال إِيَّا اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ! خَلِيفَةُ أُمِّي ، وَكَاتِبُ عَامِّي ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَقْرُبُ مِمَّا مِنْ كُتَّابِ الدَّارِ فَعُرِّفَ مَكَانَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّيَّاتِ ، وَكَانَ يَقِفُ عَلَى قَهْرَمَةِ الدَّارِ فَأَمَرَ بِإِشْحَاصِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ مَا الْكَلَامُ ؟ قَالَ الْبَاتُ كُلُّهُ رَطْبُهُ

(١) هو الخلعاء والبدال الممهلة اعوجاج الرُّسْعِ مِنَ الدَّاءِ أَوْ الرُّجُلِ حَتَّى يَنْفَادَ الْكَفِّ وَتُحْدِثُ اسْمًا فَا مَوْسَى فِي الْأَصْلِ الْفَدَحُ بِالْعَافِ وَالِدَالُ الْمَعْمَةُ وَهُوَ صَحِيفٌ مُتَاهَرٌ مِنْهُ

(٢) هُوَ مَنْ مَاتَ دَخَلَ فِي الْمَحَارِ

ويأيسه، وإذا كان رطبا قيل له حَلًا، وإذا كان يائسا قيل له حَشِيش، وأحد في دكر
السات من أتدائه إلى أكتهاله إلى هيحه، فقال المعتصم "لِتَقْلُدْ هَذَا الْعَرَصَ عَلَيْهَا"،
ثم حُصَّ به حتى آستورره .

فقد طهر أن معرفة العريب من الأمور الصرورية للكاتب التي هي من أهم شأبه .
وأعنى مقاصده . وحل كتب اللغة المصنفة في شأها راحة إليه، كصاحح الجوهرى،
ومحكم آس سیده، ومجمل آس فارس وغيرها من المصنفات التي لا تكاد تُحصى كثرة
والصاحح أقرها ماحداً، والمحكم أمثلها طريقة، وأكثرها حمما، وأكملها تحقيقا .
وقد صرف قوم من المصنفين العناية من ذلك إلى الإقتصار على ذكر الأسماء
والأوصاف كأوصاف الرجال والنساء المحموده والمدمومة، وما يختص من ذلك بالرجال
والنساء، وأوصاف الخيل، وأعصائها، وألوانها، وشيئاتها، وأسمائها، وسيرها، وعذوها
وما يخص الذكور والإناث منها، وأوصاف الوحوش من السباع والطيء والوعول
والقروا والحمر الوحشيين، وأسماء الطير من الخوارج الصائدة والطيور المصيدة، ونعاث
الطير كالرحم، وصعاره كالنحل والحراد، وأوصاف الهوام كالخشرات من الحيات
والورع وبحو ذلك، وأوصاف العلويات من السماء والسحاب والرياح والأمطار،
والأرمة كأوقات الليل والنهار، وأوقات الشهر وفصول السنة وبحو ذلك، وأسماء
النبات من الشجر النرى كالطلع والآراك، والستاني كالنخل والينب، والسات
النرى كالشيع والقيصوم، وأنواع المرعى، وأسماء الأماكن من البرارى والقفار،
والربال والحلال والأحجار، والمياه والبحار والأنهار والعيون والسيول، والرياص
والمحال والأبنية، وأسماء حواهر الأرض من البواقيت وبحوها، وسائر مستحركات
المعادن، كالنحاس والرياص وما يجرى مجراها، ومستحركات البحر من اللؤلؤ
والعبر والمرجان وغيرها، وأسماء المأكولات من الحبوب، والفواكه، والأطعمة

المصبوعة والأطعمة، وأسماء الأشربة كالماء، واللبن، والعسل، والحمر، وأسماء السلاح من السيوف، والرماح، والقيسي، والسهام، والدروع وغيرها، وأسماء اللباس من الثياب على اختلافها، وأسماء الأمتعة، والآلية وسائر الآلات، وأسماء الطيب من المسك، واللبد، والعالية، والزعفران، وما أشبهها. وكذلك كل ما يحرى هذا المحرى. و"كفاية المتحفظ" لآس الأحداى، و"المدهية والمعقة" لآس أصع كافلتان بالكثير من ذلك. وفي "أدب الكاتب" لآس قنية و"فقه اللغة" للثعالى الحرة الوافر من ذلك.

وصرف آخرون عنايتهم إلى التأليف فى الأفعال وتصاريحها كاس درستويه وغيره. وفي "فصيح ثعلب" حرة وافر من ذلك، ولعصرياً الشيخ مقل الصرعتمشى الحوى كتاب راد فيه عليه جمعا ووصوحا.

الصف الثاني - الفروع المتشعبة فى المعانى المختلفة، وهى فروع كثيرة متسعة الأجزاء، متباينة المقاصد، لا يكاد يجمعها مصنف، وإن كان الكاتب لا يستعنى عن شئ منها، ولا يحسن به تركه.

مها المتناين والمترادف. فأما المتناين فهو ما دل لفظ الكلمة مسه على خلاف ما دلت عليه الكلمة الأخرى، كالسواد والبياض، والطول والعرض، ويحتاج إليه فى التعبير عن المعانى المختلفة لاتساع نطاق الكلام. وأما المترادف فهو المتوارد الألفاظ على معنى واحد كالأسد والسبع للحيوان المفترس، والثنية والقُلُوص للباقة، وبحو ذلك. ويحتاج إلى معرفة ذلك للتحلص عن صيق الكلام عليه فى موضع لطول لفظه أو قصرها أو اختلاف وزنها فى شعر، أو رعاية الفاصلة آخر فقره فى نثر، أو غير ذلك مما يضطر فيه إلى إيراد بعض الألفاظ بدل بعض، كما فى قوله

وَتَبِيَّةٌ حَاوَرَتْهَا ثَبِيَّةٌ * حَرْفٌ يُعَارِصُهَا حَبِيبٌ أَذْهَمُ
فإيه أراد بالثبية الأولى العقبة ، والثبية الثانية الباقية ، والحبيب الأدهم استعارة
لطلها . والثبية من حيث وقوعها على الساقية والعقبة أوفقٌ للتحسيس من الباقية ، إذ
لو ذكر الباقية مع الثبية التي هي الطريق لغاتته التحسيس . ومحل الكلام عليهما كتب
الفقه ^(١) ونحوها .

ومنها الحقيقة والمخار . والحقيقة هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي كالأسد
للحيوان المفترس ، والمخار للحيوان المعروف . والمخار هو ما أريد به غير الموضوع له
في أصل اللفظ ، كالأسد للرحل الشجاع بعلاقة الشجاعة في كل منهما ، والمخار للبلد
بعلاقة البلادة في كل منهما ، ويحتاج إليه لقل الألفاظ من حقائقها إلى الاستعارة
والتمثيل والكتابة لما بينهما من العلاقة والمناسبة ، كاليد وإها في أصل اللفظ للمخارحة
أُطلقت على القوة والعمدة محاراً ، من حيث إن القوة تظهر في اليد والعمدة تؤتيها
ومحل ذكرهما أصول الفقه وما في معناها .

ومنها الألفاظ المتصادمة وهي التي تقع كل لفظة منها على صدم ما تقع عليه الأخرى
كالأمانة والحياة ، والصبيحة والعش ، والفنق والرتق ، والنقص والإرام ، ونحو
ذلك فإن الكلام كثيراً ما يبنى على الأصداد وربما غلط الكاتب فجعل مقابل الشيء
عير صده فيلزمه النقص في صاعته ، وفوات ما يقصده من المقابلة والطباق اللذين
هما من أحسن أنواع السديع . وفي "صناعة الكتاب" لأبي جعفر النحاس جملة
صالحة من ذلك ، وفي "كفر الكتاب" لأبي الفتح كساحم جملة حيدة منه أيضاً .
ومنها تسمية المتصادمين باسم واحد كالحون للأسود والأبيض ، والقرء للظهور
والخيص ، والصريم لليل والهار ، ووراء لحلف وقدام ، ونحو ذلك . ويحتاج إليه
للتمييز بين الحقائق التي يقع اللبس فيها . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

ومما المقصور والمدود كالسدئ للثود وبدئ الأرض ، واحمًا لكلال القدم والحافر ، والمدود كالسما للفلك وكل ما علاك ، والبقاء لصد القاء ، وبحو ذلك ، وما يحور فيه المد والقصر جميعا كالرباء والشرء^(١) وما أشبههما . ويحتاج إليه الكاتب من ثلاثة أوجه أحدها أن الدلالة تختلف باعتبار المد والقصر كلفظ الهوى فإنه إن قصر كان معنى هوى النفس ، وإن مد كان معنى ما بين السماء والأرض . الثاني أنه إذا أصيب المدود أصيب ريادة واو في الكتابة في حالة الرفع وريادة ياء في حالة الحذف ، وإذا أصيب المقصور لم يفتح إلى ريادة واو ولا ياء ، ولو كان مما يحور فيه المد والقصر ، حار فيه بعض حركاته . ربما يمد كالدلاء والقلاء ، فإنه إذا كُسِر أولها قُصِرَا وكُنِيَ نالياء وإذا فتح مُدَا وكُنِيَ بالالف . وكالناقلاء فإنه إذا حُفِّف مُدٌ وإذا شُدِّد قُصِرَ ، فمتى لم يعرف الكاتب ذلك كان قاصرا في صاعته ، وفي "أدب الكاتب" من ذلك جملة .

ومما المدكر والمؤث فإنه تختلف أحواله باعتبار التدكير والتأنيث في كثير من الأمور . وذلك أن المؤث على صريين أحدهما ما فيه علامة من علامات التأنيث الثلاث ، وهي الهاء نحو حمرة وطلحة ، والألف المبدودة نحو حمراء ، والألف المقصورة نحو حنلى . وصر لا علامة فيه وإنما يؤخذ من السماع كالسما ، والأرض ، والقوس ، والحرب ، وما أشبهها . وربما كان منه ما يحور فيه التدكير والتأنيث كالطريق ، والسبيل ، والموسى ، واللسان ، والسلطان ، وما أشبهها ، فإن من العرب من يدكر ذلك ومهم من يؤنثه . وربما وقع لفظ التأنيث على الذكر والأُنثى جميعا

(١) أهمله في الأصل وهو من أهمال الناصح

(٢) قوله ولو كان مما يحور الخ كذا في الأصل وهو كما ترى غير مفهوم وهو محل الوجه الثالث الذى سقط من فلم الناصح وحاصله أن الداعى إلى معرفتها إما أن يرجع إلى المعنى وهو الأقول أو إلى الرسم والكتابة وهو الثانى أو إلى الطق والرسم وهو الثالث الساقط فأمل

كالسحلة والحية والجمامة والعمامة والبطّة ومحوها . وأيضا فإن من وصف المؤنث ما يُحذف منه الهاء باعتبار تأويل آخر كصبيعة فعيل فإنه إن كان بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وحصيب بمعنى محسوب، حُذفت الهاء من مؤنثه فيقال امرأة قَتِيلٌ وكَتِفٌ حَصِيبٌ وما أشبه ذلك، وإن كان بمعنى فاعل كعلِيم بمعنى عالم ورحيم بمعنى راحم، تثلّت الهاء في مؤنثه فتقول فيه عَليمة ورحيمة . وعلى العكس من ذلك فعول فإنه إن كان بمعنى فاعل كان يعبره هاء نحو امرأة صُور وشُكُور بمعنى صابرة شاكرة، وإن كان بمعنى مفعول كان مؤنثه بالهاء كالحلوة بمعنى المحلوبة، والركوبة بمعنى المركوبة، وصبيعة مفعيل مما لا يُوصف به الذكور تكون يعبره هاء كأمراة مُرْصِع، فإن أرادوا الفعل قالوا مُرْصِعة، وصبيعة فاعل مما لا يكون وصفا لذكر تكون يعبره هاء أيضا نحو امرأة طاقٍ وحامل، وربما حُذفت الهاء مما يكون للذكر والمؤنث جميعا فتقول أمراة عاقِر ورَحْلٌ عاقِر . وفي "أدب الكاتب" و"فصيح ثعلب" جملة من ذلك . وفي كتب النحو المسبوطة قواعد موصلة إلى مقاصده .

ومنها المَهمُورُ وغير المَهمُور فإن المعنى قد يَختلف في اللفظ الواحد باعتبار الهمز وعدمه كما تقول عَنَاءُ المتاع بالهمز، وعَيَّت الحيش بغير همز، وبارَأْتُ الكَرِيَّ بالهمز من الإبراء، وبارَأْتُ فلانا من المُفارقة بغير همز. وتقول رَأَى من الرأى بغير همز، ورَبَأَ في الحبل إذا رَفَى فيه ومحو ذلك . وربما جاء الهمز وعدمه في الكلمة الواحدة كما تقول شَتَّت بالهمز وشَيَّت بإسكان الباء من غير همز ومحو ذلك . فمَن لم يكن الكاتب عارفا بالهمز ومواضعه صَلَّ في طريق الكُتابة . وفي "أدب الكاتب" باب مَعَرَّدٌ لذلك .

ومنها ما ورد من كلام العرب مُرْدَوْحاً كقولهم الطَّمَّ والرَّمَّ، يريدون بالطَّمَّ الحجر والرَّمَّ الثرى، وكقولهم الحَرَّ والمَدَر، فالحر معروف والمدر التراب البدئ ومحو ذلك .

فإذا عرف الكاتب ذلك تمكّن من وضعه في مواضعه لتحسين الكلام وتيقفه في الطباق والمقابلة، وفي "أدب الكاتب" سدة من ذلك .

ومنها ما ورد من كلامهم مثني إتما على سبيل التعليل كقولهم القمران يريدون الشمس والقمر، والعمران يريدون أما نكرو وعمر، وإما على الحقيقة كقولهم ذهب منه الأظيان، يريدون الأكل والكاح واحتلف عليه الملوأ أو الحديدان، يريدون الليل والنهار، وبحو ذلك، وفي "أدب الكاتب" أيضا طرف منه .

ومنها ما ورد من كلام العرب مرتباً كقولهم أوّل اليوم النّاس، وهو الاحتياح إلى النّوم، ثمّ الوَس، وهو نَقْل النّاس، ثمّ الكرى والعَمَص، وهو أن يكون بين النائم واليقظان، ثمّ التّعقيق، وهو النوم وأت تسمع كلام القوم، ثمّ الإغفاء، وهو النوم الحفيف، ثمّ التّهطاع، وهو النوم القليل، ثمّ الرّقاد، وهو النوم الطويل، ثمّ المَحْجُوع، وهو النوم العرق، ثمّ التّسديح، وهو أشدّ النوم، وما أشبه ذلك، وفي "فقه اللغة" للنعالي قدرٌ صالح مع ذلك .

ومنها ما ورد من كلامهم مؤرد الدعاء إما على يانه في الدعاء كقولهم "أستأصل الله شأفته" يريدون أذهب الله أثره كما ذهب أثر الشّأفة، وهي قرحة تخرج في القدم فتكوى فتذهب، وقولهم "أباد الله حضراءهم" أي سوادهم ومُعْظَمَهم . أو لم يقصد به حقيقة الدعاء، كقولهم "تربت يدك" أي ألصقت بالتراب من العاقة، وقولهم "أزعم الله أنه" أي ألصقته بالرّغام، وهم لا يقصدون به الدعاء . وفي "أدب الكاتب" حمله من ذلك .

ومنها ما تختلف أسماءه مع المشابهة في المعنى كالطُّفَرُ للإنسان، والحافر للقرس والنعل والحجار، والظِّلْف للقر، والمنسَم للبعير، والثُرثُ للسَّاع، وما يحرى هذا المحرى. وفي "فقه اللغة" جزء وافر منه.

ومنها ما تختلف أسماءه وأوصافه باختلاف أحواله كالكَاس لا يُقال فيه كأس إلا إذا كان فيه شراب وإلا فهو قَدَح، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام وإلا فهي حِوَان، ولا قَلَم إلا إذا كان منبرياً وإلا فهو أُنْبُوتة، ولا حَاتَم إلا وفيه فَص وإلا فهو فَتَحَة ونحو ذلك، وفي "فقه اللغة" حملة منه.

ومنها معرفة الأصول التي تُشتقُّ منها الأسماء كنسمة القمر قمرًا لياضه، إداقمر هو الأنيص، وكنسمة ليلة الرابع عشر من الشهر ليلة الدَّرُمَادرة الشمس القمر بالطلوع، أو لتمامه وأمتلائه حينئذ من حيث إن كل تام يُقال له نَدْر، وكنسمة النَحْم نَحْمًا، أحدًا من قولهم نَحْم إذا طَلَع ونحو ذلك، وفي "أدب الكاتب" حملة من ذلك.

ومنها ما نطقت به العرب على وفق لغة العرب، لعدم وجوده في لغتهم وهو المعرب كالكَفَّ والسَّاق والدَّلَال والوَرَّان والصَّرَاف والحَمَّال والقَصَّاب واليَطَّار وما أشبه ذلك، وفي "فقه اللغة" جزء من ذلك كاف.

ومنها ما أشترك فيه العربية والفارسية، كالنُّور، والخَير، والذَّيَّار، والذَّهْم، والصَّابُون، وما أشبه ذلك، وفي "فقه اللغة" أيضا سدة منه.

ومنها ما اضطرت العرب إلى تعريبه وأسعاه في لغتهم من الألفاظ العجمية كالنُّور، والإبريق، والظُّنست، والحِوَان، والظَّق، وغيرها من الآيات، والسَّكَّاح، والربماح، والطَّنايح، والحُوداد، ونحوها من الأفعمة، والحَلَّاب، والسَّكَّنَجِين، ونحوهما

من الأثرية، والحوْلُحان، والكافور، والصَّبْدل، وغيرها من الآفاويه، والطَّيب ونحو ذلك، وفي "فقه اللغة" من ذلك حملةٌ حيَّدة . إلى غير ذلك من الأمور التي لا يَسَع استيعاؤها مما في أدب الكاتب وفقه اللغة الكثيرُ منه .

ومها ما تعددت لغاته، وتعلم أن لغة العرب متعددة اللغات متسعة أرحاء الألسن بحيث لا تُساويها في ذلك لغة . من ذلك ما فيه لعتان كقولهم رَطْل ورَطْل بكسر الراء وفتحها وسمَّ وسمَّ بفتح السين وضمها، وما فيه ثلاث لغات مثل رُقْع بضم القاف ورُقْع بفتحها ورُقُوع بضم الراء وريادة الواو، وحاتم بكسر التاء وحاتم بفتحها وحِيتام، وما فيه أربع لغات مثل يَطْع بكسر النون وفتحها وسكون الطاء ويطع بفتح النون والطاء جميعا وكسر النون، وصَدَّاق بفتح الصاد وصدَّاق بكسرها وصدَّاق بضمها وصدقة بضم الصاد وسكون الدال، وما فيه خمس لغات كقولهم ريح الشمال بفتح الشين من غير همز، والشَّمال بالهمز، والشَّامَل بغير همز، والشَّمَل بفتح الميم، والشَّمَل بسكونها، وما فيه ستُّ لغات كفُسْطاط بضم الفاء وفُسْطاط بكسرها، وفُسْطاط بضم الفاء وإبدال الطاء تاء * وفِسْطاط بكسر الفاء، وفُسَّاط بضم الفاء وتشديد السين، وفِسَّاط بكسر الفاء، وما فيه سبع لغات كالأَمْلة بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الميم وضمها وكسرها، وما فيه عشر لغات كالأَصْبغ بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الراء وضمها وكسرها والعاشرُ أَصْبُوع . وفي "أدب الكاتب" جملة من هذا النمط .

الصنف الثالث — الفصحى من اللغة . وأعلم أن اللغة العربية قد تنوعت واحتلقت بحسب سقوع العرب واحتلاف ألسنتهم ، والذي أعتمده خدّاق الامة وحمايده العربية من ذلك ما نطق به فصحاء العرب ، وهم الذين حلّوا أوساط بلاد العرب ، ولم يخاطبهم من سواهم من الأمم كثير خالطيه ، ولم يُصاقبوا بلاد العمم

فقيت ألفاظهم سالمة من التغير والاختلاط بلغة غيرهم كقريش، وهذيل،
 وكانة، وبعض تميم، وقيس عيلان، ومخوم من عرب الحجاز، وأوساط نجد .
 بخلاف الذين حلوا في أطراف بلاد العرب، وهاوروا الأعاجم فتغيرت ألفاظهم
 بمخالطتهم بحمير، وهمدان، وحولان، والأرد لمحاورتهم بلاد الحدة، وطبي
 وعسان لمحاورتهم بلاد الروم بالشام، وبعض تميم، وعد القيس لمحاورتهم أهل
 الجزيرة وفارس .

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّعْيِيرَ يَدْخُلُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ عِدَّةٍ وَحَوَهِ

مِمَّا أَنْ تُدَلَّ كَلِمَةٌ بَعِيرُهَا كَمَا يَسْتَعْمَلُ أَهْلُ اللُّغَةِ الْحِميرية "ثَبْتُ" مَعْنَى 'أَحْلَسَ'،
 وَهِيَ فِي عَامَّةِ لُغَةِ الْعَرَبِ لِلْأَمْرِ بِالطَّفْرِ . قَالَ الْقَاصِي الرُّشَيْدُ فِي نَرْحِ أُمِّيَّةِ الْأَلْمَعِيِّ
 "وَرَمَّا عَلَتِ الْعُجْمَةُ عَلَى أَحَدِهِمْ حَتَّى لَا يُفْهَمَ عَنْهُ شَيْءٌ" .

وَمِمَّا أَنْ تُدَلَّ حُرُوفًا مِنَ الْكَلِمَةِ بِحُرُوفٍ آخَرَ كَمَا تُدَلَّ حَمِيرُكَافِ الْخَطَابِ شَيْبَا
 مَعْجَمَةً يَقُولُونَ فِي قُلْتُ لَكَ قُلْتُ لَشَّ ، وَرَمَّا أُدْلُوا التَّاءُ أَيْصًا كَافًا يَقُولُونَ
 فِي قُلْتُ قُلُّكَ ، وَكَمَا تُدَلَّ رِبْعَةُ التَّاءِ الْمَوْحَدَةِ مِمَّا يَقُولُونَ فِي بَكَرَ مَكْرَ وَحَوْ دَلَكْ ،
 وَكَمَا يُدَلَّ بَعْضُ الْعَرَبِ الصَّادَ الْمَهْمَلَةَ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةَ يَقُولُونَ فِي صَارَ سَارَ ، وَكَمَا
 يُدَلَّ بَعْضُهُم الطَّاءَ الْمَهْمَلَةَ بِتَاءِ مِثَاةٍ فَوْقَ يَقُولُونَ فِي طَالَ تَالَ وَتُسْمَعُ مِنْ عَرَبِ
 أَهْلِ الشَّرْقِ كَثِيرًا ، وَكَمَا يَدُلُّ قَوْمُ التَّاءِ الْمِثَاةِ فَوْقَ بَصَادَ مَعْجَمَهُ يَقُولُونَ فِي أَتَرَّ أَصْرَ .
 وَمِمَّا أَنْ يُعَاقَبَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ فِي الْكَلِمَةِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ فِي تَلَحَّ فَلَحَّ ، وَفِي أَصْهَانَ
 أَصْهَانَ .

وَمِمَّا أَنْ يَأْتِيَ بِحَرْفٍ بَيْنَ حَرْفَيْنِ فَيَأْتُونَ بِكَافٍ يَحْكُمُ يَقُولُونَ فِي كَجَلْ حَمَلْ . قَالَ
 أَسْ دَرَبْد . "وَهِيَ لُغَةٌ فِي الْيَمَنِ كَثِيرَةٌ فِي أَهْلِ بَعْدَادَ" وَيَأْتُونَ بِحَمٍ كَكَافٍ

على العكس من الأول يقولون في رَحْل رَكْل يقرَّبونها من الكاف، ويأتون شين معجمة تحيم يقولون في أَحْتَمَعُوا أَشْتَمَعُوا، ويأتون بصاد مهملة كراى يقولون في صِرَاطِ رِاط ، ويأتون بحيم كراى يقولون في حَارِ رَار ، ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة، قاله آس سعيد عن سماعة من العرب، ولا يكاد يوجد منهم من يَنطِق بها على أصلها الموصوف في كتب الحويص . وقد ذكر الشيخ أثير الدين أبو حيان ذلك جميعه في شرحه على تسهيل آس مالك .

الصف الرابع — ما تَنَحَّس فيه العامة وتعيَّره عن موضعه نأن يكون مفتوح الأول والعامة تُكسره كقولهم في حَفَّ العين بفتح الحيم حَفَّ بكسرها، أو مفتوح الأول والعامة تصممه كقولهم في القُؤْل الذى هو حلاف الرَّد قُؤْل بضمها، أو مكسور الأول والعامة تفتح كقولهم في دِرْهم بكسر الدال دِرْهم بفتحها، أو مكسور الأول والعامة تصممه كقولهم في التَّمْسَاح بكسر التاء تَمْسَاح بضمها، أو مصموم الأول والعامة تفتح كقولهم في العُضْغُور بضم العين عَضْغُور بفتحها، أو مصموم الأول والعامة تكسره كقولهم في الطُّفْر بضم الطاء طَفْر بكسرها، أو مفتوح الوَسط كقولهم في القَالَب بفتح اللام قَالِب بكسرها، أو مكسور الوسط والعامة تفتح كقولهم في الرِّحْل المُوسَّس، والرُّمَّسَّس، والحن المدوَّد بكسر الواو في الثلاثة مُوسَّس ومُسَّس ومدوَّد بفتحها، أو مصموم الوسط والعامة تفتح كقولهم في الحُدْد جمع حديد حُدْد بفتحها، أو محزك الوسط والعامة تُسَكِّه كقولهم في التُّحْمَة بفتح الحاء تُحْمَة بإسكانها، أو ساكن الوسط والعامة تحزكه كقولهم في الحَلْقَة بإسكان اللام حَلْقَة بفتحها، أو مشددا والعامة تحفقه كقولهم في العارِيَة بتشديد الياء عَارِيَة بتحفيها، أو محففا والعامة تشدده كقولهم في الكَرَاهِيَة بتحفيف الياء كَرَاهِيَة بتشديدها، أو مهمورا والعامة تحذف الهمز من أوله كقولهم في الإِهْلِيلَاح بإثبات همزة في أوله

هَلِيلِحْ مَحْدَفُهَا، أَوْ مَهْمُوزِ الْوَسْطِ وَالْعَامَّةُ تَسْهَلُهُ . كَقَوْلِهِمْ فِي الْمِرْءَةِ بِإِثْنَاتِ الْهَمْرَةِ مِرَاةً
مَحْدُوفًا، أَوْ عَيْرِ مَهْمُورِ الْأَوَّلِ وَالْعَامَّةُ تَثْبُتُ الْهَمْرَةَ فِي أَوَّلِهِ كَقَوْلِهِمْ فِي الْكُرَّةِ، أَكُرَّةً^(١)،
أَوْ كَانَ بِالطَّاءِ الْمَعْمُومَةُ فَجَعَلْتُهُ بِالضَّادِ الْمَعْمُومَةُ كَالْوَطِيقَةِ وَمَحَوَهَا، أَوْ بِالضَّادِ فَجَعَلْتُهُ
بِالطَّاءِ كَقَوْلِهِمْ فِي الْبَيْضَةِ بَيْطَةً، أَوْ بِالذَّالِ الْمَعْمُومَةُ فَجَعَلْتُهُ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ
كَالدَّرَاعِ، أَوْ كَابٍ بِالْحِيمِ فَجَعَلْتُهُ بِالْقَافِ كَقَوْلِهِمْ فِي مَحَادِيفِ السَّيْفِ مَقَادِيفَ،
أَوْ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ فَجَعَلْتُهُ بِالنَّاءِ الْمُنْثَاةِ فَوْقَ كَقَوْلِهِمْ فِي دَحَارِيصِ الْقَمِيصِ تَحَارِيصَ،
وَيَحُو ذَلِكَ مِمَّا شَاعَ وَدَاعَ فِي "أَدَبِ الْكَاتِبِ" لِأَنَّ قَتْنَةَ نُسْدَهُ مِنْ لَحْنِ أَهْلِ
الْمَشْرِقِ، وَكَتَابَ "تَثْقِيفِ اللِّسَانِ" لِأَنَّ مَكِّيَّ التَّوَسُّيَ مَوْصُوعٌ فِي لَحْنِ أَهْلِ
الْعَرَبِ، وَفَصِيحٌ ثَعْلَبٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَقْصِدِ .

الصف الخامس - الألفاظ الكناية، وهي ألفاظٌ أَتَمَّهَا الْكُتَّابُ وَاتَّقَوْهَا
مِنَ اللَّعَةِ اسْتِحْسَانًا لَهَا وَتَمِييزًا لَهَا فِي الطَّلَاوَةِ وَالرَّشَاقَةِ عَلَى عَيْرِهَا . قَالَ الْحَاحِظُ
"مَا رَأَيْتُ أَمَثَلَ طَرِيقَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ، فَإِنَّهُمْ اتَّخَذُوا مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ
مَتَوَعَّرًا حُوشِيًّا، وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا" . وَقَدْ ذَكَرَ آسُ الْأَثِيرِ فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ" أَنَّ
الْكَتَّابَ عَرَبَلُوا اللَّعَةَ وَاتَّقَوْا مِنْهَا أَلْفَاظًا رَائِقَةً اسْتَعْمَلُوهَا .

ثُمَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ أَسْمَاءٌ وَأَفْعَالٌ فالأسماء كَقَوْلِكَ فِي الْمَدْحِ فَلَانُ عُرَّةِ الْقَبِيلَةِ،
وَسَامِيهَا، وَدُوَانَتَهَا، وَدِرْوَتَهَا، وَهُوَ سَعَةُ أَرْوَمَتِهِ وَأَنْلَقُ كَتِيبَتِهِ وَمِذْرَهَ عَشِيرَتِهِ وَيَحُو
ذَلِكَ . وَالْأَفْعَالُ كَقَوْلِكَ فِي إِصْلَاحِ الْعَاسِدِ أَصْلَحَ الْعَاسِدَ، وَلَمْ الشَّعَثَ، وَرَأَبَ
الشَّعْبَ، وَصَمَّ النَّشْرَ، وَرَمَّ الرِّثَّ، وَحَمَعَ الشَّتَاتَ، وَحَرَّ الْكُسْرَ، وَأَسَا الْكَلْمَ،
وَرَقَعَ الْحَرْقَ، وَرَتَّقَ الْفَتَقَ، وَشَعَبَ الصَّدْعَ . وَفِي "كِتَابِ الْأَلْفَاظِ" لِعِدِّ الرَّحْمَنِ
آسُ عَيْسَى الْكَاتِبِ كِفَايَةً مِنْ ذَلِكَ . وَلَهُ مَخْتَصَرٌ أَرْنَى عَلَيْهِ . وَفِي "كُتُبِ الْكُتَّابِ"
لِكُشَايْحِمَ مَا فِيهِ مَقْعٌ .

المقصود الرابع

(في كيفية تصرف الكاتب في الألفاظ اللغوية . وتصريفها في وُجوه الكتابة)

لاحفاء أنه إذا أكَثَرَ من حفظ الألفاظ اللغوية ، وعَرَفَ الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد والمتقاربة المعاني ، تَمَكَّنَ من التعبير عن المعاني التي يُصْطَرُّ إلى الكتابة فيها بالعبارات المختلفة ، والألفاظ المتباينة ، وسَهِّلَ عليه التعبير عن مقصوده ، وهَانَ عليه إنشاء الكلام وترتيبه . وفي الأمثلة التي أوردناها كُشِّحَ في "كبر الكتاب" حيث يعبر عن المعنى الواحد بعبارات متعددة ما يُرْشِد إلى الطريق في ذلك ، ويَهْدِي إلى سُلُوكِ الحَادَةِ الْمُوصِلَةِ إلى القَصْدِ منه .

وهذه نسخة مكاتبة منه في التهئة بمولود يُسْتَصَاءُ بها في ذلك ، وهي

قد حَعَلَكَ اللهُ مِنْ سَعَةِ طَائِتٍ مَعَارِسُهَا ، أَرُومِيَّةٍ رَسَّحَتْ عُرُوقُهَا ، شَجَرِيَّةٍ رَكَتْ
عُصُوبُهَا ، فَرَجَ شَرْفُ مَبَائِثِهِ ، مَعْدِنِ رَكَتْ عِلَائِقُهُ ، حَوْهِي شَاعَتْ مَكَارِمُهُ ، عَصِيرِ
سَقَتِ فُرُوعِهِ ، مَحْتِدِ دَاعَتْ مَحَامِدُهُ ، أَصِيلِ نَحْتِ مَائِرِهِ ، سِنَحِ حَلَصَتْ مَبَاقِيهِ ،
يَصَابِ صَرُحَتْ مَقَارِحِهِ ، نَحْرَمَتْ مَسَاعِيهِ ، أَصِيلِ قَصَلَتْ مَعَالِمُهُ ، عُصِيرِ بُصِرَتْ
مَحَاسِنُهُ ، مَتَمَّى كَثُرَتْ مَبَاقِيهِ . فالريادة فيها ريادة في جوهر الكرم ، مَطَاهِرُ في نحو
ثرى الإفصال ، دَحِيرَةٌ بَقِيسَةٌ لدوى الآمال ، نِعْمَةٌ كَامِلَةٌ السَّعَادَةِ ، عِطَّةٌ شَامِلَةٌ
الدَّشَاشَةِ ، سُرُورٌ يُوَاحِدُ الْأَوْلِيَاءِ ، حُورٌ تَحْتَوِيهِ الْأَعْدَاءُ ، عِطَّةٌ تَصِلُ إِلَى الْأَحْرَارِ ،
آتِحَاحٌ لدوى الْأَحْطَارِ . فتَوَلَّى اللهُ يَمِينَهُ عِدْكَ بِالْحِرَاسَةِ الْوَاقِيَةِ ، بِالْوِلَايَةِ الْكَافِيَةِ ،
الْكَيْفِيَةِ الْمُتَطَاهِرَةِ ، الدَّفَاعِ الْكَالِي ، الْحِفَاطِ الدَّاعِي ، الصُّنْعِ الْحَمِيلِ ، الدَّفَاعِ الْحَسَنِ ،
الْعَافِيَةِ الْمُتَكَاتِفَةِ . وبلغى الحُرِّيَّةَ اللهُ الْمُسْتَحْدَةَ ، الْوَلَدَ الْمَسَارَكِ ، الْفَرْجَ الطَّيِّبَ ،
السَّلِيلَ الرَّيْصِي ، الْوَلَدَ الصَّالِحَ ، الْأَبْنَ السَّازِ ، الثَّمَرَةَ الْمُثْمِرَةَ ، السَّلَالَةَ الرِّكِيَّةَ ، السَّحْلَ

الميمون، الذي عمّر أُمِّيَّة السِّيادة . راد في موثيق العهد والرياسة، أرسى قَوَاعِدَ السِّيادة، ثَبَّتْ أَسَاسَ الرُّفْعَةِ، أَوْثَقَ عُرى المَحد، مَكَّنْ أَرْكَانَ العَصَل، وَطَّدَ أَسَاسَ المَكَارِمِ، أَكْثَدَ عَلَائِقَ الشَّرَفِ، أُنْذِرَ أَوَاحِيَ الكَرَمِ، أَرْمَ حِجَالَ الحُودِ، أَمَرَ أَسْبَابَ الطُّولِ، شَيَّدَ بُيُوتَ الكَمَالِ، أَخْصَفَ أَيْدِيَ السَّمَاحَةِ، أَحْكَمَ قُوَى الرَّاحَةِ، أَوْثَقَ عَقْدَ العُلَا، رَفَعَ دَعَائِمَ الطَّهَارَةِ، أَمَرَ أَعْلَامَ المَارَةِ، أَطْهَرَ عِلَامَاتِ الحَيْرِ . فَنَاشَرْتُ بِهِ، أَمْتَحَنْتُ، أَحْتَدَنْتُ، أَعْتَضْتُ، وَرَحْتُ، سِرَرْتُ، أَسْتَشَرْتُ . حَمَلَهُ اللهُ تَرَا نَقِيًّا، سَيِّدًا، حَمِيدًا، مَنِيوًّا، مُبَارَكًا، طَيِّبًا، عَمِيرًا، سَعِيدًا، طَهِيرًا، عَوْنًا، نَاصِرًا، رَاجِحًا، رَيِّجًا، وَرَرًا، مَلَحًا . يَتَقَبَّلُ سُلْطَانَهُ، وَيَقْتَنِي أَثَرَهُمْ، يَنْسَلِكُ مِنْهَا حُهُمْ، يَنْسُ سُنَّتَهُمْ، يَنْتَعِ قَصْدَهُمْ، يَسِيرُ سِيرَتَهُمْ، يَسْعَى مَسَاعِيَهُمْ، يَتَحَوُّ مِثَالَهُمْ، يَحْدُو حَذْوَهُمْ، يَتَحَلَّقُ بِأَحْلَافِهِمْ، يَنْتَصِرُ بِصَبْرَتِهِمْ، يُوْطِ أَعْمَالَهُمْ، يَتَرَسَّمُ رُسُومَهُمْ . وَأَمِينَ بِهِ عَدَدَكَ، كَثُرَ بِهِ دُرِّيَّتُكَ، أَرَاكَ فِيهِ عَايَةَ أَمَلِكِ، شَعَعَهُ اللهُ بِإِخْوَةِ رَرَةٍ، وَفَقَّهُهُ اللهُ لِأَدَاءِ حَقِّكَ، حَمَلَهُ حَيْرَ حَلَفٍ كَمَا هُوَ لِحَيْرِ سَلَفٍ . رَيِّبَ بِهِ الْعَشِيرَةَ، وَهَبَ لَهُ السَّمَاءَ، نَلَعَ بِهِ أَكْلَاءَ الْعُمُرِ، مَكَّنَ لَهُ فِي رَفِيعِ المَرَاتِبِ، حَقَّقَ فِيهِ وَرَاسَتَكَ، وَهَبَ لَهُ تَمَامَ الفَصِيلَةِ، وَأَوْرَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، أَحَارَكَ فِيهِ مِنَ الثَّكْلِ، سَرَّكَ بِعَائِدَتِهِ، أَسْعَدَكَ بِرُؤْيَيْهِ، أَطَابَ عَيْشَكَ بِهِ، مَتَّعَكَ بِعَطِيَّتِهِ، أَلْهَمَكَ شُكْرَ مَا حَوْلَكَ، وَأَصَلَ لَكَ المَرِيدَ بِرَحْمَتِهِ .

فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْكَاتِبُ أَنْ يَسْتَحْرِجَ مِنَ أَلْفَاظِ هَذَا الْكِتَابِ عِدَّةَ كُتُبٍ تَهْنِئَةً بُولَدَ، فَعَلَّ . كَمَا إِذَا قَالَ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ مِنْ سَعَةِ طَائِفَاتٍ مَعَارِسُهَا، فَالْإِيَادَةُ فِيهَا رِيَادَةٌ فِي حَوْهَرِ الكَرَمِ، فَتَوَلَّى اللهُ نَعْمَهُ عِنْدَكَ بِالحِرَاسَةِ، وَبَلَعَى الحُرْمَةَ اللهُ الْحَدِيدَةَ الْمُسْتَحْدَةَ، الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ الَّذِي عَمَّرَ أُمِّيَّةَ السِّيَادَةِ، فَنَاشَرْتُ بِهِ، حَمَلَهُ اللهُ تَعَالَى تَرَا

تقيا، يَتَقِيلَ سَلَفَهُ، وَأَيْمَنَ بِهِ تَدَدَكَ، وَأَوْرَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَوَأَصَلَ لَكَ الْمُرِيدَ رَحْمَتَهُ، كَانَ ذَلِكَ تَكْنِاسًا كَافِيًا فِي هَذَا النُّوعِ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ وَقِسْ عَلَيْهِ .

السُّوْعُ الثَّانِي

(المعرفة باللغة العجمية، وهي كل ما عدا العربية من التركية، والفارسية،
والرُومِيَّة، والعِرَنجِيَّة، والدرِيَّة، والسُّودَان، وغيرهم، وفيه مقصداً)

المَقْصِدُ الْأَوَّلُ

(في بيان وحده احتياح الكاتب إلى معرفة اللغات العجمية)

لَا يَحِمْيُ أَنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي كَمَالِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ لُغَةِ الْكُتُبِ الَّتِي تَرِدُ عَلَيْهِ لِلْمَلِكَةِ
أَوْ أَمِيرِهِ لِيَفْهَمَهَا وَيُحِبَّ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ أَطْلَاعٍ تَرْجُحَانِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ أَصْنَافَ لُغَتِهِ لَمَلِكَةٍ،
وَأَبْلَغُ فِي كُلِّ مَقْصَدِهِ .

وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُدَائِنِيِّ فِي "كُتُبِ الْقَلَمِ وَالِدَوَاءِ" نَسْجَهُ إِلَى رِيْدَسِ ثَلَاثِ
رَضَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّهُ يَرِدُ عَلَى أَشْيَاءَ
مِنْ كَلَامِ السُّرْيَانِيَّةِ لَا أَحْسِمُهَا فَتَعَلَّمْ كَلَامَ السُّرْيَانِيَّةِ فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا﴾ وَفِي رِوَايَةٍ
قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ السُّرْيَانِيَّةَ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِكُتُبِهَا،
قُلْتُ لَا . قَالَ فَتَعَلَّمْتُهَا وَتَعَلَّمْتُهَا فِي سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا، فَكُنْتُ أَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَأُ كُتُبَ يَهُودَ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ قَالَ لِي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَأْرِنْدُ تَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي
قَالَ فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ مَرَّةً لِي سِتَّةَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ
إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ وَأَحْيُ إِذَا كَتَبَ﴾ وَفِي رِوَايَةٍ الْغُرَابِيَّةِ بَدَلَ السُّرْيَانِيَّةِ .

قال محمد بن عمر المدائني بل قد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً إلى قوم لا يفهمهم، ولذلك كلّم سلمان الفارسية . وساق بسنده إلى عكرمة أنه قال سئل أس عّاس هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية قال نعم، دخل عليه سلمان فقال له درسته وسادته قال محمد بن أميل أطمه مرححاً وأهلاً . وحيدئذ ويكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر ريدا تتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه لا أنه أمره تتعلم لغتهم .

المقصد الثاني

(في بيان ما يتصرف فيه الكاتب من اللغة العجمية)

اعلم أن الذي ينبغي له تعلّمه من اللغات العجمية هو ما تتعلق به حاجته في المحاطة والمكاتبة .

أما المحاطة فإن يكون لسانُ ملكه بعض الألسن العجمية أو كان العال على لسان عجمي مع معرفته بالعربية كما علّت اللغة التركية على ملوك الديار المصرية، وكما علّت اللغة الفارسية على ملوك بلاد العراق وفارس، وكما علّ لسان البربر على ملوك بلاد المغرب مع تبعية عسكر كل ملك في اللسان العال عليه له في ذلك ويحتاج الكاتب إلى معرفة لسان السلطان الذي يتكلم به هو وعسكره ليكون أقرب إلى حصول قصده من فهم الخطاب وتفهمه، وسرعة إدراك ما يلقي إليه من ذلك، وتأدية ما يقصد تأديته منه، مع ما يحصل له من الخطوة والتقريب بالموافقة في اللسان، فإن الشخص يميل إلى من يحاط به بلسانه لا سيما إذا كان من غير حسنه

كما يميل بموس ملوك الديار المصرية وأمرائها وحُندها لمن يتكلم بالتركية من العلماء
والكُتّاب ومن في معاهم على ما هو معلوم مشاهد .

وأما المكتاتسة فإن يكون يعرف لسان الكُتُب الواردة على ملكه ليرحمها له
ويُحيبَ عنها بلغتها التي وردت بها، فإن في ذلك وقعاً في الموس، وأستحلانا للقلوب،
وصوبنا للسرعن أطلعنا ترجمان عليه، وأمرُ النبي صلى الله عليه وسلم لريدس ثاب
تعلّم السريانية أو العبرانية على ما تقدّم طاهرٌ في طلب ذلك من الكاتب وحثّه عليه .
ثم اللغات العجمية على صريين أحدهما ماله قلم يُكتب به في تلك اللغة كاللغة
الفارسية، واللغة الرومية، واللغة الفريجية ومحوها، فإن لكل منها قلماً يخصّه يُكتب به
في تلك اللغة . والثاني ما ليس له قلم يكتب به، وهي لغات القوم الذين تعلب عليهم
الدّاوة كالترك والسودان . ولأجل ذلك ترد الكُتُب من القانات ملوك الترك سلاط
الشّمال المعروف في القديم بيت ركة، والآل مملكة أربك باللغة المعالية بالخط العربي .
وترد الكُتُب الصادرة عن ملوك السودان باللفظ العربي والخط العربي . أما اللغات
التي لها أقلام تحصى فإن كتبهم ترد بخطهم ولغتهم كالكتب الواردة من ملوك
الروم والفريخ ومحوها من لغته قلم يخصّه على اختلاف الألسنة واللغات .

السوع الثالث .

(المعرفة بالحجوة، وفيه مقصّدان)

المقصد الأول

(في بيان وجه احتياح الكاتب إليه)

لا راع أن الحجوة هو قانون اللغة العربية، وميران تقويمها، وقد تقدّم في السوع
الأول أن اللغة العربية هي رأس مال الكاتب، وأُسُّ مقالته، وكر إيقاقه . وجبّئد

فيحتاج إلى المعرفة بالحو وطُرق الإعراب، والأحد في تعاطي ذلك حتى يجعله دأبه،
ويُصيرُه ديدنه ليرتسم الإعرابُ في فكره، ويدورَ على لسانه، ويطلقَ به مقالَ قلبه
وكلِّه، ويروى به الوهم عن سجيته، ويكونَ على بصيرة من عبارته . فإنه إذا أتى من
البلاغة ناعلي رتبة ولحن في كلامه، دهست محاسن ما أتى به، وأهدمت طبقة كلامه
وألغى جميع ما حسنه، ووقِف به عند ما جهله . قال في "المثل السائر" وهو أول
ما ينبغي إثبات معرفته، على أنه ليس محتصاً بهذا العلم خاصة بل بكل علم، لا بل
ينبغي معرفته لكل أحد يطق باللسان العربي ليأمن معزة اللحن . قال صاحب
"الريحان والرياعان" ولم يرل الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحنثون
على تعلم العربية، وحفظها والرعاية لمعانيها، إدهى من الذين بالمكان المعلوم، والمحلل
المخصوص . قال عثمان المهري « أتنا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ونحس
نأذريحان يأمرنا بأشياء، ويدكر فيها "تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتريد
في المرأة" . وكان لخالد بن يزيد بن معاوية أح شاء يوماً فقال إن الوليد
أس عند الملك يعثني ويحتقري، فدحل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال
يا أمير المؤمنين ! إن الوليد قد احتقر أس عمه عبد الله وأستصعره ، وعدد الملك
مطريق وربع رأسه وقال (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) الآية — فقال خالد
(وإذا أردنا أن نهلك قرية) الآية — فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني ؟ وقد دحل
على ما أقام لسانه لحناً — فقال خالد أنعم الوليد تُعول ؟ فقال عبد الملك إن
كان الوليد يلحن فإن أحاه سليمان — فقال خالد وإن كان عبد الله يلحن فإن أحاه
خالد في كلام كثير طويل ليس هذا موضع ذكره .

وقال الرشيد يوماً لبيه "ما صرّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ؟
أيسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمتيه ؟" . ومن كلام مالك بن أنس

”الإعراب حَلَّى اللِّسَانِ فلا تَمْتَعُوا أَلْسِنَتَكُمْ حُلِيِّهَا“ . والله دَرَّ أُنَى سعيد البصرى^١
حيث يقول

النَّحْوُ يَسُطُّ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكِيِّ * وَالْمَرْءُ تَكْرُمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَرْبِ
وإِذَا طَلَّتْ مِنَ الْعُلُومِ أَحْلَاهَا * فَأَحْلَاهَا عِنْدِي مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

قال صاحب ”الريحان والريعان“ واللحن قبيح في كراء الناس وسراتهم، كما أن الإعرابَ جمال لهم، وهو روع الساقط من السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه من كان فوق مَنطه وصنعه. قال وإذا لم يتح الإعراب فسد المعنى، فإن اللحن يعبر المعنى واللفظ ويقبله عن المراد به إلى صَدِّه حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه . وقد رَوَى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ﴾ بختر رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال أَوَرَىَّ اللَّهُ مِنْ رَسُولِهِ؟، ولمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يُحَسِّسُ العربية . على أن الحسن قد قرأها بالخر على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لحفائه . وقرأ آخر ﴿إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهُ مِنَ الْعِدَةِ﴾ العلماء روع الأول ونصب الثانى ، فوقع في الكفر بقل فتحة إلى صمة وصمة إلى فتحة فقبل له يا هذا إن الله تعالى لا يحشى أحدا فتنه لذلك وتقطَّعَ له . وسمع أعرابى رجلا يقول أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على البعت فقال يفعل ماذا؟ . وقال رجل لآخر ما شأنك؟ بالنصب فطن أنه يسأل عن شيء به فقال عَظُمَ في وجهي . وقال رجل لأعرابى كيف أهلك؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلنا . ودخل رجل على رِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فقال إن أنونا مات وإن أحيانا وَتَّ عَلَى مال أأما فأكله — فقال رِيَادُ لِلَّذِي أَصْعَتَهُ من كلامك أَصَّرَ عَلَيْكَ مِمَّا أَصْعَتَهُ من مالك . وقيل لرجل من أين أقبلت؟ فقال من عند أهلونا، فحسده آخر

حين سمعه وطن ذلك فصاحته فقال أنا والله أعلم من أين أحدها ؟ من قوله ﴿شَعَلْنَا
أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾ فاصحك كل مهما من نفسه . قال صاحب "الريحان والرياعان"
وكان من يؤثر عقله من الحلفاء يعاقب على اللحن ويبصر من حط القول ، ولا يحير أن
يخطأ به في الرسائل اللدانية ، ولا أن يوقف به على رؤسهم في الخطب المقامية
قال وهو الوحة . فأنذيتهم مطلب الكمال ، ومطأن الصواب في إحكام الأفعال ، فكيف
في إحكام الأقوال . قال آس قادم الحوى "وحه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعنى وهو
أمير فأحصرني فلم أذري ما السب ، فلما قرئت من مجلسه تلقاني كاتبه على الرسائل
ميمون بن إبراهيم وهو على داية الهلع والخرع ، فقال لى بصوت حى إنه إسحاق ! ومرة
غير مثلت حتى رجع إلى إسحاق ، فراعى ما سمعت ، فلما مثلت بين يديه ، قال كيف
يقال وهذا المال مال أو وهذا المال مالا ، فعلمت ما أراد ميمون الكاتب فقلت له
الوحه وهذا المال مال ويمور وهذا المال مالا ، فأقبل إسحاق على ميمون كاتبه بعلطة
وقطاطة ثم قال «آلم الوحه في كُنتك ودع ما يمحور !» ورمى كتاب كان في يديه ،
فسألت عن الحرف إذا ميمون قد كتب عن إسحاق إلى المأمون وهو سلاط الروم
ودكر مالا حملة إليه فقال «وهذا المال مالا» ، فخط المأمون على الموضع من الكتاب
ووقع بخطه في حاشيته تكاتني باللس . ويقال إنه لم يتجاوز موضع اللحن في قراءة
الكتاب فقامت عند إسحاق ، فكان ميمون الكاتب بعد ذلك يقول لا أدرى
كيف أشكر آس قادم بقى على روى ونعمتى . ووقف بعض الحلفاء على كتاب
لعص غمالة فيه لحن في اعطه فكتب إلى عامله قنع كاتبك هذا سوطا معاقة على
لحه . قال أحمد بن يحيى كان هذا مقدارا أهل العلم ، ومحسه كانت الرعة في طلبه
والخذر من الزلل . قال صاحب "الريحان والرياعان" فكيف لو أبصر بعض كتاب
رماسا هذا ؟ قلت قد قال ذلك في رمايه هو وفى الناس بعض الرمق والعلم طاهر
وأهله مكرمون ، وإلا فلو عمر إلى رماسا بحى لقال ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ﴾ .

ثم المَرَجع في معرفة الحو إلى التلَقُّ من أفواه العلماء الماهرين فيه ، والطر
في الكُتُب المعتمَدة في ذلك من كتب المتقدمين والمتأخرين .

وأعلم أن كتب الحو من المسوطات والمختصرات والمتوسطات أكثر من
أن يأخذها الحصر . ومن الكتب المعتمدة في زماننا عدد أساء المشرق "المفصل"
للمرحشري و"الكافية" لآس الحاح . وعد المصريين كتب آس مالك كالنسهيل
والكافية الشافية والألفية وغير ذلك من كتب آس مالك وغيرها .

قال أبو جعفر الحاس وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلّى العربية جهلا
وتعدّيا حتى إهم يحتجون بما يرغمون أن القاسم س مُحمّرة قال «الحو أوله شغل
وأخره نعى» قال وهذا كلام لامع له لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل
وكذا أوائل العلوم . أفترى الناس تاركين العلوم من أحل أن أوطأ شغل . قال وأما
قوله « وآخره نعى » إن كان يريد به أن صاحب الحو إذا حدقه صار فيه رهو
وأستحقر من يلحق بهذا موحود في غيره من العلوم من الفقه وغيره في بعض الناس
وإن كان مكروها . وإن كان يريد بالمعنى التهاوّر فيما لا يحل فهذا كلامٌ محال وإن
الحو إنما هو العلم باللغة التي رل بها القراءان وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم
وكلام أهل الحمة وكلام أهل السماء . ثم قال بعد كلام طويل وقد كان الكتاب
فيما مضى أرعب الناس في علم الحو وأكثرهم تعظيما للعلماء حتى دخل فيهم من
لا يستحق هذا الاسم فصعب عليه باب العدد فعابوا من أعرب الحساب ، وعدت
عليهم معرفة الهمزة التي يصم ويصمّح ما قلها ، أو تختلف حركتها وحركة ما قلها
فيكتون يقرؤه بريادة ألف لامع لها في كلام آخر يتعلق بالهاء ليس هذا موضع
ذكره . — أما التعمق في الإعراب والمالعة فيه فإن حكمه في الاستكراه حكم التعمق
في العريب ، وقد كانوا يذمون من يتعاهاه ، ويسحرون من يتعاطاه . قال الأصمعي

حاصم عيسى بن عمر الجوهري رحلا إلى ملال بن أبي ردة فجعل عيسى يُشيع الإعراب ويتعمق في الألفاظ، وجعل الرجل يطرأ إليه - فقال له القاضي "لأن يذهب بعض حق هذا أحت إليه من تركه الإعراب، فلا تتساعل به وأقصد مُحْكَمَك". وحاصم بجوى بجوى آخر عبد بعض القصة في دين عليه فقال "أصلح الله القاضي إلى علي هذا درهمان" - فقال حصمه "وانه أصلحك الله! إن هي إلا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما". فهذا وشبهه قد صار مدموما والمتشئت به ملوما، ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الإعراب يُعرب كلامه ولا يُحِيل إلى السامع أنه يُعرب، فإن عرص مع التعمق في الإعراب الحس، كان ذلك أبلغ في الشناعة، وأحذر تنوُّحه اللوم على صاحبه والسحرية من المتكلم به. وقد قال الحافظ «إب أقبح الحس الحس أصحاب التقدير والتشديد والتمطيط والجهورية والتفجيم». قال «وأقبح من ذلك الحس الأعراب البارزين على طريق السائلة ونقرب محامع الأسواق». وعلى الجملة فالحو لا يُستعنى به ولا يوحد مد منه، إذ هو حلل الكلام، وهو له كما قيل كالمالح في الطعام. قال في "المثل السائر" والجهل بالحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجهل به نفسه لأنه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الباطقون باللة فوحب آتاعهم، ولذلك لم يطم الشاعر شعره وعرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو محرى محراهما وإما عرضه إيراد المعنى الحس في اللفظ الحس المتصفيين بصفة الفصاحة والبلاغة. قال ولذلك لم يكن الحس قادحا في نفس الكلام لأنه إذا قيل جاء ريد را كُ بالرفع لو لم يكن حسا إلا أن يقال جاء ريد را كما بالنصب لكان الحو شرطا في حس الكلام وليس كذلك فتنين أنه ليس العرص من نظم الشعر إفاة إعراب كلماته وإما العرص أمر وراء ذلك - وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من المنشور مع

ما حكي أن الحسن وقع لحماة من الشعراء المتقدمين في شعرهم ، كقول أبي نواس
في محمد الأمين

يا حَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ * إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَأْمُونُ

ورفع المستثنى من الموح . وكقول المتنبي

أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقِيٍّ فِي نَاقَةٍ * نَقَلَتْ يَدًا سُرْحًا وَحُمًّا مُجْمَرًا
تَرَكْتَ دُحَانَ الرِّمِّثِ فِي أَوْطَانِهَا * طَلَمَّا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَصْرَا
وَتَكْرَمَتْ رُكَّتُهَا عَنْ مَرْيَكٍ * تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكَ أَذْوَرَا

جمع في حالة التثنية ، لأن الناقية ليس لها إلا رُكَّتَانِ وقد قال رُكَّتَاهَا .

وأعلم أن الحسن قد قشأ في الناس ، والأليسة قد تعيرت حتى صار التكلم بالإعراب
عيباً ، والطق بالكلام الفصيح عيباً . قلت والذى يقتضيه حال الرمان ، والحرى
على مهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القراء الكريمة ، والأحاديث السوية ،
وفي الشعر والكلام المسجوع ، وما يدون من الكلام ، ويكتب من المراسلات
ويحوها ، ويعتمر الحسن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه
بينهم ويتحاورون به في محاطاتهم ، وعلى ذلك حرت سنة الناس في الكلام مدسدت
الأليسة ، وتعيرت اللمعة حتى حكي أن القراء مع حلافة قدره وعلو رتته في النحو
دخل يوماً على الرشيد فتكلم بكلام حسن فيه ، فقال حميرس يحيى يا أمير المؤمنين إنه
قد حسن — فقال الرشيد للقراء أتلحن يا يحيى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن طماع
أهل الندو الإعراب وطماع أهل الحصر اللحن فإذا حبطت أو كنت لم ألحن وإذا
رجعت إلى الطمع لحنت — فاستحسن الرشيد كلامه . وقد قال الحافظ في كتابه
”البيان والتبيين“ « ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب وإياك أن

تَحْكِيهَا إِلَّا مَعَ إِعْرَافِهَا وَمَحَارِحِ أَلْفَاطِهَا ، فَإِنَّكَ إِنِ عَيَّرْتَهَا نَأَن لَحَسْتَ فِي إِعْرَافِهَا
 أَوْ أَحْرَحْتَهَا مَحَرِّحَ كَلَامِ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ ، حَرَحْتَ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَعَلَيْكَ فَصْلٌ
 كَبِيرٌ ، وَإِنْ سَمِعْتَ نَادِرَةً مِنْ بَوَادِرِ الْعَوَامِّ وَمُلْحَةً مِنْ مُلَحِّهِمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ لَهَا
 الْإِعْرَافَ أَوْ تُعَيِّرَ لَهَا لَفْظًا حَسَنًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ الْإِمْتِنَاعَ بِهَا وَيُفْرِحُهَا مِنْ
 صُورَتِهَا الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا وَيُذْهِبُ اسْتِطْنَاتَهُمْ إِيَّاهَا . قَالَ "وَاللَّحْنُ مِنَ الْخَوَارِ
 الطَّرَافِ ، وَمِنْ الْكَوَاعِبِ الْبَوَاهِدِ ، وَمِنْ الشَّوَابِّ الْمَلَايحِ ، وَمِنْ دَوَاتِ الْخُدُورِ أَيْسَرُ
 وَرَمَى اسْتَمْلَحَ الرَّحْلُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ مَا لَمْ تَكُنِ الْخَارِيَّةُ صَاحِبَةً تَكْلُفٌ " وَلَكِنْ إِذَا كَانَ
 اللَّحْنُ عَلَى سَجِيَّةِ سُكَّانِ الْبَلَدِ كَمَا يَسْتَمْلِحُونَ اللَّتْعَاءَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثَةُ السِّنِّ إِذَا أُسْتُتِ
 وَأَكْتَهَلَتْ سُمِّيَ ذَلِكَ الْاسْتِمْلَاحَ . قَالَ "وَمِنْ اسْتَمْلَحَ اللَّحْنُ فِي السَّاءِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَسْمَاءِ
 فَقَالَ فِي بَعْضِ سَائِهِ

أَمْعَطَى مَيِّ عَلَى نَصَرِي لِلنَّحْبِ أُمِّ ابْنِ أَكْلِ الْبَاسِ حُسْنًا
 وَحَدِيثِ أَلَدِهِ هُوَ مِمَّا * تَشْتَبِيهِ الْأَسْمَاعُ يُورُنُ وَرَنًا
 مَنَظِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّ أَحْيَا * تَا وَحَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

وَالْبَاسُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِحَسَبِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ وَإِنْ تَعَيَّرَتْ أَلِسَتْهُمْ
 مَخَالِطَةٌ مِنْ عِدَاهِمُ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْلُو كَلَامُهُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ الْإِعْرَافِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ
 وَالْخَرَجِ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ حُصُوصًا عَرَبِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ السَّادِيَةِ مِنْهُمْ . وَقَدْ قَالَ
 الْخَاطِطُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ «وَلَأَهْلُ الْمَدِينَةِ أَلْسِنَةٌ دَلِيقَةٌ ، وَالْعَاطُ حَسَنَةٌ ، وَعَارُهُ حَيِّدَةٌ ،
 وَاللَّحْنُ فِي عَوَامِّهِمْ فَاثٍ وَعَلَى مَنْ لَمْ يَطَّرْ مِنْهُمْ فِي الْحَوِّ عَالٌ » .

المقصود الثانى

(فى كيفية تصرّف الكاتب فى علم العربية)

وأعلم أن اتّباع الكاتب بالنحو من وجهين أحدهما الإعراب وما يُلحق به .
ومن أهم ما يُعتنى به من ذلك التّسبُّ لكثرة استعماله فى الألقاب ومحوها ، وكذلك
العدّد وإبه مما يقع فيه اللّبس على المتدبّئ ، ومحل ذلك كلّ كتّاب النحو . الثانى فيما يقع
الكاتب فيه بطريق العرّص ، ويحتاج من ذلك إلى معرفة النّحاة ومشاهير أهل العربية
كأبى الأسود الدؤلى ، وسيبويه ، والقراء ، وأبى على ، وأبى عثمان المارنى وغيرهم من
المتقدّمين ، وآس عُضْمُور وآس مالك وآس مُعْطَى وغيرهم من المتأخّرين ، وكذلك أسماء
كتبهم المشهورة فى هذا الفن من المسوّطات والمختصرات من كتب المتقدّمين
والتأخّرين ومصطلحاتهم التى أصطلحوا عليها من ذكر الأسماء ، والفعل ، والمعروف ،
والسّكّرة ، والمتدبّئ ، والحر ، والحال ، والتميّز ، وألقاب الإعراب من الرفع والنصب والجر
والحرم وغير ذلك مما تحرى به عباراتهم ، ويدور على ألسنتهم فى استعمالهم من
قولهم صرّب ريد عمرا ويحو ذلك ليُدْرَحَ ما عَنّ له من ذلك فى حلال كلامه حيث
احتاج إليه فى التّوابع والمكاتبات وغيرها .

قال فى « التعريف » فى وصية نحوى وهو ريد الرّمان الذى يصرّب به المثل ،
وعمره الأوّان ، وقد كثر من سبوه المثل وما رى الوقت لكنه لم يَسْتَحِجِ الإبل ،
وكسائى الدهر الذى لو تقدّم لمّا اختار غيره الرشيد للأموال ، ودو السّودد لا أبو الأسود
على أنه ذو السّابقة والأخراهم . وهو ذو البرّة المأثور ، والقدر المرفوع ولو أُوّه
المصوب ودبّل فخاره المحرور . والمعروف بما لا يُنكر لمثله من الحرّم ، والذاهب
عمله الصالح بكلّ العوامل التى لم يبق منها لحسوده إلا الحرّم . وهو ذو الأنيّة التى

لا يفصح عن مثلها الإعراب ، ولا يُعرف أفصحُ منها فيما أُحد عن الأعراب .
والذى أصححت أهدأه فوق عمامِ العائم ثلاث ، ولم يرل طول الدهر يُشكر
منه أسسه ويومه وعدّه وإمما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل
ما ذكر فيه من علم الحو نحو هذا ورياده . وليكن للطلبة تحما به يُهتدى ، ويرفع
تعليمه قدر كل حريكون حرراً له وهو المستدا . وليقدم مهم كل من صلح للتدريس ،
وأستحق أن يُصب إماماً بالتميز . وليؤرد من موارده أعدب الطاف ، وليحر إليه كل
مصاب إليه ومصاب . وليوقمهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم دقائق الحوث
حتى اشتقاق الاسم هل هو من السمو أو من السماء . وليبين لهم الأسماء العجمية
المقولة والعربية الحاصلة ، ويدلهم على أحسن الأفعال لا ما يتشبه بصفات كان
وأحواتها من الأفعال الناقصة ، وليحفظهم المثل وكلمات الشعراء ، وليصب نفسه لحد
أدهان بعضهم بعض نصب الإعراء . وليعامل جماعة المستفيدين منه بالعطف ،
ومع هذا كله فليترقق هم فما بلغ أحد علماً بقوة ولا غايةً نعسف .

وكما قال الشيخ جمال الدين س سانة رحمه الله من حملة توقيع مدرس «ولأنه
في البيان دو الانتقاد والانتقاء . والعرفى الذى كان لرقاب الفصل آس مالك فإن
قريبه أبو البقاء .

وكما كتب القاصى محي الدين س عبد الطاهر في رسالة أقرحت عليه في هذا
الباب وهى «حرس الله نعمة مولاي ا ، ولا رال كليم السعد من آسمه ، وفعله ،
وحرف قلبه يألف ، ومادى خوده لا يُرحم وأحمد عيشه لا يصرف . ولا عديم
مستوصل الرق من راعته التى لا تقف الوصل^(١) ولا عديمت تحاة الخود

من نواله كل مور وب معدود ، ومن فصله وطله كل مقصور وممدود . ولا حاطت الأيام مُتَمِّسَه إلا بلام التوكيد ، ولا عدوه الا بلام المحود . هذه المفاوضة اليه أعره الله ^١ تفهمه أنا بلعا أن فلانا أصمر سيدنا له فعلا عدا به متصبا للكايد ومعتلا وليس موصولا كالدى بصلة وعائد . وما داك إلا لأن معرفتها داخلها التكير ، وقدر لها من الاحتمالات أسوأ التقدير . وبعوت ضحخته تكررت فحار قطعها نسب ذلك التكرير . وسيدنا يعلم بالعلمية المذكور^(١) من الإفاة ، وما لإصافته إلى حالته من الائماء الذى يجب أن يكون لأحله عيشه به حفصا على الإصافة . وكان الطل أن الأشعال التى جمعت له لا تكون جمع تكسير بل جمع سلامة ، وآية لا تكلف تعليما على وصول لأنه فى الديوان كالحرف لا يحبر به ولا عه والحرف ليست له علامة . وحاش لله ^١ أن يصيح معرب إحسانه مديا ، وأن يريل كرمه يكون للمكرات نأى محيكا أو أن يأتى سيدنا بالمصاحى من الأفعال فى معنى الاستقبال ، أو أن يجعل بدل عطله الإبدال للاشتمال . أو يدعم من مودته مطهرا ، أو أنه لا يجعل لمتدا محته مخبرا ، أو أن لا يكون له من أنية تدير سيدنا مصدرا . ولا يرح سيدنا تسبح وحده فى أموره ^١ ولا زال حلمه يتناسى الهفوات لا يشتعل مفعوله عن فعله بصميره .

السوع الرابع

(المعرفة بالتصريف)

ويجب على الكاتب المعرفة به ليعرف أصل الكلمة ، وريادتها ، وحدفها ، وإبدالها فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة إليها وغير ذلك لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها ولم يعرف الأصل فى حروف الكلمة وريادتها وحدفها وإبدالها ، صل حينئذ عن السبيل ، وشأ من ذلك محال للعائ والطاع .

(١) كذا فى الاصل بالبدال المهملة وذكر المباح بصد بعضه على بعض وهو عر ما سب فعله مصحف عن المكون بالران بمعنى المعلوم فدا مل

قال صياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" وتظهر لك فائدة ذلك طهورا واصحا
 فيما إذا قيل للحوى الحاهل بعلم التصريف كيف تصغر لفظة أصطراب فإنه يقول
 صُطِيرِب^(١)، ولا يلام في ذلك لأنه الذي تقتضيه صياغة الحو . لأن السحاة يقولون
 إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف رائد أو لم يكن حذفته منها، نحو
 قولهم في مطلق مطيلق وفي تخميرش حيمرش^(٢) . ولفظة مطلق على خمسة أحرف
 وفيها حرفان رائدان هما الميم والنون ، إلا أن الميم ريدت فيها لمعنى فلدلك لم تُحذف
 وحُذفت النون . وأما لفظة تخميرش لخاسية لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا .
 وإذا بنى الحوى على هذا الأصل، إما أن يحذف من لفظة أصطراب الألف
 أو الصاد أو الطاء أو الراء أو الاء ، وهذه الحروف غير الألف ليست من حروف
 الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الرائد ويترك الحرف الأصلي فيصغر
 لفظة أصطراب حينئذ على صطيريب ، ولم يعلم الحوى أن الطاء في أصطراب مدلة
 من تاء وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذي كانت عليه . فيقال صتيريب
 فإن هذا مما لا يعلمه إلا التصريفي والسحاة أطلقوا ما أطلقوه من ذلك أتكالا مهم
 على تحقيقه من علم التصريف ، إذ كل من الحو والتصريف علم مفرد رأسه ،
 فتكليف الحوى الحاهل بعلم التصريف إلى معرفة ذلك كتكليفه ما ليس من علمه .
 قال فثبت مما ذكر أن علم التصريف مما يحتاج إليه لئلا يعلط في مثل ذلك .
 قال ومن العجب أن يقال إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف وهذا نافع من أى نعيم
 وهو من أكبر القراء السعة قدرا وأحفظهم شأنا قد قال في معائش معائش بالهمز ،
 وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه بإجماع من علماء العربية لأن الياء فيها ليست

(١) أى ما ثابت الياء بعد الراء وهى ناء الصعر وليس مفعلة عن ألف الأفعال كما قد سوه بل ألف
 الأفعال محدودة

(٢) كذا في الأصل وصوابه تخميرش كما خصه الفوائد الصرفية أنظر باب الصعر من الكتاب

مدلة من همزة وإما الياء التي تدلُّ من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سَقَّاشْ ، ولم يعلم نافع الأصل في ذلك فأحد عليه وعيَّ عليه من أحله وذلك أنه اعتقد أن مَعِيشَةً على ورن فَعِيلَةٌ تجمع على فَعَائِلٍ ولم يطر إلى أن الأصل في مَعِيشَةٍ مَعِيشَةٌ على ورن مَفْعِلَةٌ لأن أصل هذه الكلمة من عاش لكن أصلها عيش على ورن فَعَلْ ، ويلزم مصارع فَعَلْ المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يَعِيشُ ثم تنتقل حركة العين إلى العاء فتصير يَعِيشُ ثم يبنى من يَعِيشُ مفعول فيقال مَعْيُوشٌ به كما يقال مَسِيرٌ به ثم يحذف ذلك بحذف الواو فيقال مَعِيشٌ به كما يقال مَسِيرٌ به ثم توثَّ هذه اللفظة فتصير مَعِيشَةٌ . ومن حملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف إِب نافعاً لم يدر ما العريَّة .

وحكى أبو جعفر الحاس أن عبيد الله بن سليمان بطر في بعض كُتُب الكُتَّاب وإذا فيه حرف مُصْلَح هو وقد لَهَوْتُ عن حياية الحراح ، فأعْتَاط وقال لا يحكه عيرى حَكَّهُ فأصلحه وقد لَهَيْت بالياء بدل الواو . قال وحكى عن أحمد بن إسرائيل مع تقدّمه في الكتابة أنه قال ، وكانت رسومهم مُسَانَةً ثم صارت مشاهرة ثم صارت مُبَاوَمَةً ثم صارت مُسَاعَاةً ، فأخطأ . وكان يحب أن يقول مُسَاوَعَةً . قال في "المثل السائر" وكثيراً ما يقع أهل العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا أَطْلَاعَ لهم عليها ، وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يقع العلط فيما يُوجِب قَدْحاً ولا طَعَباً . قال وقد وقع العَلَطُ لأنى نُؤَاس فيما هو أطهر من ذلك ، وهو قوله في صفة الجمر

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُزْنَى مِنْ فَوَاقِعِهَا * حَصَبَاءُ دَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الدَّهَبِ

(١) أى التي تكون الهمزة بدلا منها

(٢) لعله التي كما حصه الساق

(٣) المشهور مقامها انظر شرح الأسموني في باب أفعال الفصل

وإن فُعِلَ أفعَل لا يجوز حذف الألف واللام منها وإما يجوز حذفهما من فُعِلَ التي لا أفعَل لها محو حُلْ إلا أن تكون فُعِلَ أفعَل مصافةً، وها هنا قد عَرِيت عن الإصافة وعن الألف واللام وكان الصواب أن يقال كأن الصُّعْرَى والكُفْرَى أو كأن صُعْرَاهَا وكُفْرَاهَا . فاطر كيف وقع أبو نُوَّاس في مثل هذا الموضع مع قُرْبهِ وَسُوءِ لُغَتِهِ . وعلط أبو تمام أيضا في قوله

بِالْقَائِمِ النَّامِ الْمُسْتَخْلَفِ أَطَّادَتْ * قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُتَمَدِّدًا لَهَا الطُّولُ

فقال أَطَّادَتْ والصواب أَتَطَدَّتْ لأن التاء تُدَلُّ من الواو في موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا سبت أَتَعَلَ من الوعد قلت أَتَعَدَّ وكذلك أَتَطَدَّتْ في البيت فإنه من وَطَدَ يَطْدُ كما يقال وَعَدَ يَعِدُ، وإذا بُي منه أَتَعَلَ قيل أَتَطَدَّتْ ولا يقال أَطَّادَ . وأما غير المقيس فقولهم في وَحَاهُ نُحَاهُ وقالوا تُكَلِّلَانِ وَأَصْلُهُ الْوَاوُ لِأَنَّهُ مِنْ وَكَّلَ فَأَدَلَّتِ الْوَاوُ تَاءً لِلْإِسْتِحْسَانِ : ثم قال إن المخطئ في التصريف أندر وقوعاً من المخطئ في الجواز لأنه قلما تقع له كلمة يحتاجُ في استعمالها إلى الإدخال والقل في حروفها . والمعصوم من عصمه الله، والكلام في تصرف الكاتب في التصريف على ما تقدم في النحو .

السُّوْعُ الْخَامِسُ

(المعرفة بعلوم المعاني ، والبيان ، والنديع ، وفيه مقصدان)

المَقْصِدُ الْأَوَّلُ

(في وَحِهْ أَحْتِيَاحُ الْكَاتِبِ إِلَى ذَلِكَ)

اعلم أنه لما كانت صباغة الكتابة مبدية على سلوك سُئِلِ الفصاحة واقتناء سَنَ

البلاغة، وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة، اضطرت الكاتب إلى معرفتها، والإحاطة بمقاصدها ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب، وإنشاء الحوار، حاربا في ذلك على قوايين اللغة في التركيب، مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء واللغاة من الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاعتها وحلوها عن اللكنى، وتأدية المطلوب بها، وتكامل الأقاويل الشعرية تراكات أو نظما، في بلوغها عايتها وتأدية ما هو مطلوب بها، وأما كيف نتعين بحسب الأعراس لتعيد ما يحصل بها من التحجيل الموحى لانتقال النفس من سطر وقصص، والشئ يذكر بصدده، فيذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض.

قال أبو هلال العسكري "إن صاحب العربية إذا أحل طلب هذه العلوم، وقط في التماسها، فائته فضيلتها، وعلفت به رديلة قوتها، وعفى على جميع محاسنه، وعمى سائر فضائله، لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد، وآخر رديء، ولطف حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر، وآخر بارد، نال جهله، وطهر نقصه، وإذا أراد أن ينشئ رسالة أو يصنع قصيدة وقد فائته هذه العلوم، مراح الصفو بالكدر، وحلط العرر بالغرر، جعل نفسه ماهرة للجاهل، وعرة للعاقل. وكذلك إذا أراد تصنيف كلام مهور أو تأليف شعر مطوم وتحطى هذه، ساء اختياره، وقحت آباره، فأحد الرديء المردود، وترك الحيد المقبول، فدل على قصور فهمه، وتأخر معرفته، مع ما في هذه العلوم الثلاثة من الوسيلة إلى فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين مهما يستمد الكاتب شريف المعاني، ويستعر فصيح الألفاظ، بل مهما تستفاد سائر العلوم، وتقتس نائس الفصائل". قال "وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به، والقارئ المقتدى هديه، والمتكلم المشار إليه في حسن

مباطرته ، وتمام آتته في محادثته ، وشدة شِكيمته في حِجّاحه ، والعرى الصَّليب ،
والقُرشي الصريح ، أن لا يعرفَ فَمَهُمَ إغماز كتاب الله إلا من الجهة التي يعرفها منها
الرَّيحي والسَّطي ، وأن يستدلَّ عليه بما يستدلُّ به الخاهل العي ” .

على أن الشيخ هاء الدين السسكي رحمه الله قد ذكر في شرح تلخيص المفتاح أن
أهل مصر لا يحتاجون إلى هذه العلوم وأهم يَدُرُوها بالطبع ، فقال في أثناء خطبته
”أما أهل بلادنا فهم مستَعُون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الدِّوق السليم ،
والفهم المستقيم ، والأدهان التي هي أرقُّ من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المُحيّا
الوسيم ، أكَسَهُمُ اللَّيْلُ تلك الحلاوة ، وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه
الطَّلاوة ، فهم يدركون بطاعهم ما أُنْتُ فيه العلماء فصلا عن الأعمار ، الأعمار ،
ويرون في مِرْءاة قلوبهم الصَّقيلة ما أحتجَّ من الأسرار ، حلف الأستار .

والسَّيف ما لم يُلف فيه صَيِّقَلٌ * مِنْ طَنِعِهِ لم يَتَنَصَّعْ بِصَقَالٍ
فيا لها عيمةٌ لم يُوحَفَ عليها من حَيْلٍ ولا رِكاَب ، ولم يُرْحَفَ إليها بعدَ وعيديهِ^(١)
ولا لَحاَقٍ لاحِيقٍ وأنْيسَكَبَ سَكَابٌ ، فلدلك صرُّوا هَمَمهم إلى العُلوم التي هي
نتيجةٌ أو مادةٌ لعلم البيان ، كاللغة والنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن ” . ثم قال
”وأما أهل بلاد الشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم ، ولا سِيَّما العلوم العقلية
والمُنطق ، فاستوفوا هَمَمهم الشاعحة في تحصيله ، وآستولوا بحِذَمهم على حملته وتفصيله .
ووردوا ماهل هذا العلم فصَدَرُوا عنها مَمَلٌ يتخلهم ، وكيف لا وقد أخلُّوا عليه
بِحيلهم ورخلهم . فلدلك عَمَرُوا منه كل دارس ، وعَمَرُوا من حُصُونِهِ المَشيدة ما رَقَدَ
عنه الحارس . ولعلوا عَنانَ السماء في طلبه ، و”ولو كان الدِّينُ في التُّريا لئالهُ رِجَالٌ من

(١) أى نوح نحاس منسوبه الى نوح العدي حتى من العرب ولا حتى وسكات ورسا للعرب مشهوران .

فارس". إلى أن حرح عنهم المفتاح، فكأنّ الباب أُعْلِقَ دُوبهم، وطهر من مِسْكَاة
بلاد العرب المصباح، فكأنما حِيلَ بينه وبينهم . وأدارت الميون على قُطْطهم الدوائر،
فتمَطَّلت بوفاته من علومه أفواهُ المحار ونُطُون الدفاتر . وأنْقَطَعَتْ رَهْرَاتُهم الطَّيِّبة
عن المقتطف، وتسلَّطَ على العَصْد لسانُ من يعرف "كَيْفَ تُؤْكَلُ الكَتِيف" . فلم
يظفر بعد هؤلاء الأئمةِ رحمهم الله من أهل تلك البلاد من مَحَصَّ هذا العلم فآلَقِي
للطالب رُندته، ومَحَصَّ الصَّبح فشر على أعطاف العارى رُندته ، ولا حملت قُوب
القُوب إلى ما عهم بِطافه ، ولا حَصَلَتْ لِلتَّطْلَعين لهذا العلم على تلك الأبواب طاقه ،
ولا رأيا بعد أن أنْطَمَسَتْ تلك الشُّمُوسُ المشرقة، وأندرسَتْ طَبَقَةُ تُحَرِّى العرقه ،
ولم يبق إلا رسوم هى من فصائلهم مسترقه . مَنْ أطلع عُصْفُ قلمه من روص
الأدهان رهرةً على ورقه ، ولا من علق شبه بطقتهم يقال وافقَ شُ طَقَه ، بل
رَكَدَتْ بينهم فى هذا الرمان رِيحه ، وحَتَّ مصابيحُه ، وباداهم الأدب سِوَاكُمْ أعْيى
و"رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْيى" .

وما نَعَصُ الإقامة فى دِيَارٍ * يُهَابُهَا القَتَى إلا بلاء

بعد ذلك أرمع هذا العلم الترحل، وآدن بالتحوُّل .

وإذا الكَرِيمُ رأى الجُوبَ رَيْلَه * فى مَنَرٍ فالرَّأى أن يَتَحَوَّلَا

وَقَرَعَ إلى مصر فآلَقِي بها عصا التَّسْيَار ، وأشدَّ مَنْ نادى من تلك الديار .

أَقْنَتُ نَارِصٍ مِصْرَ فلا وَرَأَى * تَحْتُ فى الرِّكَاثُ ولا أَمَامِي

ولقد أحسن رحمه الله فى بيان السبب، والتعويل فى أنيحال أهل مصر على هذا
العلم على علاقة الصَّهر والسَّب . حيث قال فى أوائل حطته فى أنشاء الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما حَفَقَتْ للبلاعة راية

تُحَدِّثُ فِي عَالِي سِيفِهِرْ ، وَتَعَلَّقَتْ بِأَرْمَةِ الْمَصَابِحَةِ أَهْلَ مِصْرَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ
نَسَبِ وَصِيهِرْ .

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه "حسب التوسل إلى
صناعة الترس" وهذه العلوم وإن لم يُصَطَّرْ إليها ذو الدهن الثاقب، والطبع السليم،
والقريحة المطاوعة والفكره المُنَقَّحة، والديهة المُجَيَّدة، والروية المنتصرفة، لكن العالم
بها مُمْتَكِنٌ من أَرْمَةِ المعاني، وصناعة الكلام، يقول عن علم، ويتصرف عن معرفة،
ويتقيد بَحْجَةٍ، ويتخير بدليل، ويستحسن برهان، ويصوغ الكلام بترتيب .

وحقيق ما قاله . فإن الأديب والكاتب العارفين عن هذه العلوم قاصرون عن
أدنى رُتَبِ الكمال يجحِدان ، ولا يَدْرِيان كيف يُجَيِّبان . فلو سئل كل منهما عن علمه
معنى استحسنه أو لفظ استحلاه أو تركيب استحاده ، لم يقدر على الإتيان
بدليل على ذلك .

وقد حكى الإمام عبد القادر الحُرْحَرِيُّ قال "ركب الكندي المتفلسف إلى
أبي العباس وقال له إني أريد في كلام العرب حسناً - فقال له أبو العباس وأنت
موضع - قال وحدت العرب تقول عند الله قائم ثم يقولون إن عند الله قائم
ثم يقولون إن عند الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد - فقال له أبو العباس
لا ، بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم عند الله قائم إحصار عن قيامه ،
وقولهم إن عند الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وقولهم إن عند الله قائم جواب على
إنكار منكر قيامه ، فما أحوار المتفلسف حواها . وإذا ذهب مثل هذا على الكندي
فما الظن بغيره ؟ وإن كان من محاسن الكلام ما لا يحكم في أمراجه بالقلوب غير
الدوق الصحيح كما قال الشاعر

شَيْءٌ بِهِ قُتِبَ الْوَرَى عِزُّ الدِّى * يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أُدْرِى مَا هُوَ
لكن العالِب في الكلام أن يعلم سبب تحسيه، وتعليل مواد تمكيه . ويُجَابَ
عن العلة في أمحطاطه وارتفاعه ، ويدكر المعنى في ارتفاعه من حصيص القول
إلى يقاعه .

قلت وهذا العلم وإن شئنا أئمة الكتاب — كما قال أبو هلال العسكري في كتابه
”الصباغتين“ والورير صياء الدين بن الأثير في ”المثل السائر“ والشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي في ”حسن التوسل“ فإنه ليس محتصا بنص الكفاية بل هو آلة لكل
كلام آتقصى البلاغة ، كما أن المبطق آلة لكل العلوم العقلية، التي يحتاج إليها
تصحيح الفكر .

وقد أكثر الناس من المصنفات فيه كالرمانى والخرحاني وغيرهما، وأكثر اعتماد
أهل الرمان فيه على تلخيص المفتاح للقاصي حلال الدين القرويني فأعنى ما وضع
فيه عن إيرادها .

المقصود الثاني

(في كيفية آتقاع الكاتب هذه العلوم)

غير حاف أنه إذا مهر فيها وعرف طرقها، أتى في كلامه بالسحر الحلال، وصاع
من ألقاطه ومعانيه ما يقصى له بالصباحة التامة، والبلاغة الكاملة، من وحوه تحقيق
الكلام، وتحسيه وتديججه وتميجه . وإذا فائته هذه العلوم ، أو كان ناقصا فيها،
نقصت صاعته بقدر ما يتقص من ذلك . ثم كما يحتاج إلى هذه العلوم بطريق
الدات، كذلك يحتاج إليها بطريق العرص من جهة المعرفة بالسعاء الذين يُصَرَّبُ

هم المثل في البلاغة كقُتس بن ساعدة ، وبتحان وائل ، وعمروس الأهم ، وبحوهم من لعاء العرب ، وآبن المقفع وبحوه من المحدثين . وكما قيل في عتي ناقل - وهو رجل انتهى به العتي إلى أنه اشترى طيبا بأحد عشر درهما ، فسأله سائل في الطريق ، وهو ممسك الطي - كم اشتريته ؟ فلم يجنس التعبير عن أحد عشر ، ففرق أصابعه العشرة وأحرج لسانه مشيرا إلى أحد عشر فتعلت الطي وفتر هاربا - . وكعروة أئمة الصبغة كالحرحاني والرماي . وكذلك المعرفة بالأسماء التي أصطلح عليها أهلها من الفصل ، والوصل ، والشبيه كما تقدم ، والمقابلة ، والمطابقة ، وغير ذلك من أنواعها .

أما احتياجه إلى المعرفة بأسماء اللعاء ولعة أهل الصبغة ، فلأنه ربما احتاج إلى تفصيل بعض من يكتب له ممن ينسب مثله إلى البلاغة ويفصله بمساواته للبيع من اللعاء ، أو إمام من أئمة الصبغة كما كتب الوريصياء الذين س الأثير في دم كاتب هَذَا وهو يدعى أنه في الفصاحة أئمة وحده ، ومن قُتس إياد وبتحان وائل عده ، وكما قال بعضهم يهجو صيفا له

أَنَا وَمَا دَانَاهُ بَتَحْنُ وَائِل * بَيَانًا وَعِلْمًا نَالِدِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا رَالَ عِنْدَالْلَقَمِ حَتَّى كَانَهُ * مِّنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ نَاقِلُ

ومما أتى على ذكر جماعة من أهل هذا الشأن قولي في كلام قليل جاء ذكره في آخر رسالة كتبت لها في تقرير المقتر الفتحي ، صاحب دواوين الإيضاء الشريف ، بالأبواب السلطانية بالديار المصرية - وهو "على أني أستقبل من التقصير في إطرائه ، والتعريض في مدحه لما لا أهص بأعائه . فلو أن الحاحط بصيري ، وآبن المقفع طهيري ، وقُتس بن ساعدة يسعدني ، وبتحان وائل يُعجدي ، وعمروس

أس الأهم يُرشدى ، لكان أعتراى بالتقصير ألع مما آتبه ، وإقرارى بالقصور أولى بما أحصيه ، من توالى طوله وأياديه“ .

وأما احتياحه إلى معرفة ألقاط أهل الصباعة ، فلا نه ربما ورى ها فى تفاصيل كلامه ومحو ذلك — كما كتب الشيخ رىٰ الدين أبو بكر السحىٰ علىٰ البديعة التى نظمها عيسىٰ العالفة الشاعر ، مصاهفا بها بديعة الصمىٰ الحلىٰ فقال

”وبعد فقد وقعت علىٰ هذه المعجرة التى أفاها عيسىٰ مئت البديع ، وحوذ ماشاء فيها من التصريح والترصيع ، ورقم لأعطافها حلل التوشيع والتوشيع ، ونظم لأفاها أفاها فرائد المعانى المستخرجة من بحر فكره علىٰ يد براعه المربع ، وقلدها من درر لفظه بما هو أرهىٰ من رهر الرهر علىٰ همر المحرة وهالات الدور ، وشف المسامع بها بما هو أنهىٰ من الور فى العيون وأوقع من الشفاء فى الصدور ، وأولج الليل فى النهار بما طرس به الطروس ، وأطلع فى ذلك الليل من ماصع معايفه محوما تزهىٰ علىٰ الشموس ، وأودع المهارق شذورا تريف دهب الأصائل ، وتسرع وحوه حسان تفوق آتسام ثعور الأراهر بن الحمائل ، وسلك فى السديع طريقة مثلىٰ ، أظهر فيها من شهد ألقاطه وخواهر معايفه ماحلا وحلىٰ ، ولم يدع للحلىٰ فى مهتها محلا ، وأحسن التدييل والترشيع والتهم عليه ، من عير ألقاها لما أهمله ولم يتعرض إلفه ، وعادت المعانى تأوىٰ من حسن تصرفه إلىٰ ركىٰ شديد ، وتحوىٰ نشا أعلامه كل مارامه من تأبفد التأبفد ، وتلقىٰ مقالفدها منه إلىٰ ملىٰ بحس التحفيل والتحول فى بظمه ونثره ، وتحكم لمن حكم له كمال وصفه ووصف كماله بأنه سبفح وفده وفرفد عفره ، وأحرىٰ فى حللة البديع ففاد أعلامه خار قصب الرهان ، وأصفىٰ لها موارد النفس فارتوت وأستخرحت من طلماته خواهر البان ، وبطقت بما هو

(١) المهرق ككرم الصبفة مفر همه مهارق فاموس

المالوف من عرائب حِكْمَةِ الحسان، وتأملتها فوجدتها قد أحاد فيها راعة المَطْلَع،
وبالغ في تحسين المَتَرَعِ والمَقْطَعِ، ودخل حِجَانِ الحساس فاحتجى من قُطُوفِهَا الدائية
ماراق، وأطردت له أهبأرها فاستطرد منها في أعلى الطَّاقِ، وقابل وحوه حُورِهَا
أحسن المقالة، أمّا فيها من الاشتراك والمثالة، وأوضح الفروق بين التَّوَرِيَةِ والإِهَامِ،
والتوجيه والاستخدام، وأبان في التتميم بقصّ أنى تَمَّام، وأوحى في إيهامه
عقد الحناصر على بطنه، وفوّض براهته السليم له وطلب سَلْمِهِ، ولم يقع بما فيه
الاكتفاء من التدييل والتدبيب، بل أتى في الاستدراك على من تقدّمه بالعجب
العجيب، معتمداً في تكميل مقاصده الاقتصار والإيجاز، ولو ادعى الإعجاز على
الحقيقة لا المحار لحار، وتحققت أن ليس له في هذا الفن مُقَاوٍ ولا مقاوم، ولا مساوٍ
ولا مساوم، فكم حلب من بحر براعته دُرّةُ أشرق في ليالى الفترة المسودة، وكم
حلب من ثدى براعته دُرّةٌ لها ألف رُندَه، وكم بلغ الباطن من وصف بيانه مجمع
البحرين، وسمع ورأى من فصله الحزل وفصله الحريل ماهو عين المراد ومراد
العين، وكم حلا من عرائس أفكاره وأشكاره صَاحَ الوحوه الصّاح، وحقّق
في الحافقين لمقاصده وبصائرُه حَاحَ السّاح. قد أصبحت كتابته لحُصُورِ العرائد
مَاطِق، ولدُورِ الفوائد مَشارِق، وإطلائع أسرار المَنَانِ، آلات، ولَمَطَالع أُمُحَارِ
المعاني، هالات، وقد وقفت حين وقفت على بديعته هذه بين دأين كل مهما
الأحطر، وبين أمرين أمرين كل مهما الأعسر، إن لم أكتب عليها شيئاً فقد
أحلت بالفرص الواحد، وإن كنت قد فصحت نفسي وعرضتها للعيايب،
ولكني رُحْتُ على طَلْعِي متحاملاً، وعدوت على حسب طاقتي في هذا الباب قائلًا

(١) الدرّ بالدرّ والمره والكسر منه الدرّ وكبره مصباح | وقد أعجم الدال في الاصل وهو ن إهمال

الاصح كما هو ظاهر

عَاشَ الدَّيْعُ وَكَانَ مَيِّتًا وَأَيْتَى * مَادَى الْحَاسِسِ رَاهِيًا مَحْرُوسًا
أَحْيَاهُ عَيْسَى لِحُلِّ مَحَاجٍ وَتَمَّ * مِنْ مَيِّتٍ أَحْيَاهُ قَدْ مَاتَ عَيْسَى

السَّوْعُ السَّادِسُ

(حفظ كتاب الله العزيز، وفيه مقصداً)

المَقْصِدُ الْأَوَّلُ

(في بيان احتياج الكاتب إلى ذلك في كتابته)

قال في "حسن التوسل" ولا بد للكاتب من حفظ كتاب الله تعالى، وإدامة قراءته، وملازمة درسه، وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصوراً في فكره، دائراً على لسانه، ممثلاً في قلبه ليكون ذا كرامه في كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ وكفى بذلك مغيهاً له على قصده، ومغيهاً له عن غيره. قال تعالى ﴿مَا قُورَظُوا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال حل وعصر ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. قال في "المثل السائر" كان بعضهم يقول لو صاع لي عقال لوحدته في القراء الكريمة. قال في "حسن التوسل" وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم، ومحاطاتهم، مع قصور كل لفظ ومعنى عنه، وعجز الإيس والحق عن الإتيان بسورة من مثله — كما حكى أن سائلاً سأل بعض العلماء أين تجد في كتاب الله معنى قولهم "الحار قُلَّ الدار"؟ قال في قوله تعالى ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا آمَرَاتٍ رِعُونَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ فطلعت الحار فصل الدار، وبطائر ذلك كثيره.

وقد احتُلف في حوار الاستشهاد بالقرءان الكريم في المكاتبات ومحوها فذهب أكثر العلماء إلى حوار ذلك ما لم يُحَلَّ عن لفظه ولم يتغير معناه . فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كَتَبَ في كِتَابِهِ إلى هِرَقْلَ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله مسامون ، وروى ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه في عهده لعمر بن الخطاب ﴿وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا آكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ . وَسِعِلَّمُ الَّذِينَ طَلَبُوا أَيْ مُقَلِّبٍ يَقْلِبُونَ﴾ على ما سياتى في ذكر عهود الخلفاء عن الخلفاء إن شاء الله تعالى .

وكتب على س أنى طالب كرم الله وجهه في آخر كتاب إلى معاوية "وقد علمت مواقع سُيُوفِنا في حَدِّكَ وحالك وأحيك" ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ . وقال للبيعة أس شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّحِدَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾ .

وكتب إلى عامل من عماله بعد السملة ﴿قَدْ حَاءَتْكُمْ بَيْسَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَخْسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةُ اللَّهِ حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ . وقال الحسن بن علي لمعاوية حين نازعه في الخلافة ﴿وَأِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ بَقِيَّةُ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ . ويروى عن أس عباس مثله . وكتب الحسن بن علي لمعاوية أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ﴾ .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي إلى المصور في صدر كتاب ﴿طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ سَمِ مَوْسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَبَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَحُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ . ولم يرل العلماء وفصلاء الكتاب يستشهدون بالقرءان الكريم في مكاتباتهم في القديم والحديث ، من غير كبير ، وذلك كله دليل الحوار . ونقل عن الحسن البصري ما يدل على كراهة ذلك

حيث بلغه أن المحاح أنكر على رجل آستشهد بآية فقال أسى نفسه حين كتب إلى عبد الملك بن مروان يلعي أن أمير المؤمنين عطس فشمت من حصر فرد عليهم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورَ قَوْرًا عَطِيًّا﴾ . قال في "حسن التوسل" وإذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون إنكاره على المحاح لكونه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم إلى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به إلا فيما يضاف إلى الله سبحانه مثل قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وقوله ﴿لَيْلَى وَرُسُلُنَا لَتَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ وبحود ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى .

فأما تعبير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز بحال .

قال في "المثل السائر" وإذا ضُمَّت الآيات في أماكنها اللاتفة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، فلا شبهة فيما يصير للكلام من الصَّحامة والحرالة والرويق . قال في "حسن التوسل" ومن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة المحجة ، وقطعُ البراع ، وإدعاءُ الخصم . قال في "حسن التوسل" . وأين قول العرب - القتلُ أهى للقتل - لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ . وقد روى أن المحاح قال لبعض العلماء أنت ترعى أن الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتى على ذلك شاهد من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك فقرأ عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَكَّزْنَاهُ بِمَنْحِهِ وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فعيسى آس بنته فأسكت المحاح . وأيضا فإن الآية الواحدة تقوم في بلوع العرض ، وتوفية المقاصد مالا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة .

من أحصر ما وقع في ذلك وألغ أنه كان على الروم هزيمة في أيام الرشيد امرأة منهم ، وكانت تُلطف الرشيد ولها آس صغير ، فلما نشأ فوصت الأمر إليه فعات

وأفسد وحاشَ الرشيد، خافت على مُلك الروم فقتلت ولدها، فعصب الروم لذلك، فخرج عليها رجل مهم يقال له يَقْفُور فقتلها وأستولى على المُلك وكتب إلى الرشيد أما بعد، فإن هذه المرأة وصعتك موضع الشاة، ووصعت نفسها موضع الرُح، ويدعى أن تعلم أنى أنا الشاة وأنت الرُح فأد إلى ما كانت المرأة تؤدى إليك ! فلما قرأ الكتاب . قال للكتاب أحيوا عه فأَتوا مما لم يرتضه، وكان الرشيد حطيا شاعرا . فكتب

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى يَقْفُور كلب الروم . أما بعد، فقد فهمت كتابك ، والحواب ما تراه لا ماتسمعه ، والسلام على من أتبع الهدى .

ثم حرج في جمع له لم يُسمع مثله فتوَعَّل في بلاده وقتك وسى . فأوقد يَقْفُور في طريقة نارا شديدة فخاصها محمد بن يزيد الشيباني، وتبعه الناس حتى صاروا من ورائها، فلما رأى يَقْفُور أنه لا قِبَلَ له به، صالحه على الحرية يؤديها عن رأسه وعن سائر أهل مملكته .

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوَعَّده ويهدده فأمر الكتاب أن يكتبوا حوايه فلم يُعجبه مما كتبوا شيء فقال لعصم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فقد قرأت كتابك، وفهمت خطاك، والحواب ما ترى لا ماتسمع (وسيعلم الكافر لِمَنْ عُقِيَ الدار). هذا مع ما ينسب إليه المعتصم من ضعف النصر بالعربية كما تقدم في الكلام على اللغة . ولا يستكثر مثل ذلك على الطمع السليم، والرجوع إلى سلامة العُصْر وطيب الحُتْد .

ومثل ذلك في الحواب وأحصر منه أب الأدفوس ملك الفرنج بالأندلس . كتب إلى يعقوب بن عبد المؤمن أمير المسلمين بالأندلس ، محط وريرله يقال له

آس الفجار نأسمك اللهم فاطر السموات والأرض والصلاة على السيد المسيح
 آس مريم العفيف، أما بعد فلا يحى على دى دهي ناقب، وعقل لارب، أنى أمير
 الملة الصرايية، كما أنك أمير الملة الحيفية، وقد علمتم ما هم عليه رؤساء حرية
 الأندلس من التّحادل والتواكل والإحلال إلى الراحة وأنا أسوهم الحسف وأحلي
 مهم الديار، وأحوس البلاد، وأسنى الدرارى، وأقتل الكهول والشّان لا يستطيعون
 دفاعا، ولا يطيقون امتناعا، فلا عذر لك في التحلف عن نصرهم، وقد أمكنتك يد
 القدرة، وأنتم تعتقدون أن الله عز وجل فرّص عليكم قتال عشرة ما واحد منكم،
 والآل حفف الله عنكم وعلم أن فيكم صغقا، ولتقاتل عشرة منكم الواحد ما،
 ثم بلعى أنك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربة الإقال، وتماطل بعسك عاما
 بعد عام وأراك تقدّم رحلا وتؤخر أخرى، ولست أدري إن كان الحسن أظالك
 أو التكديف بما أرسل عليك رثك، ثم حكي لي أنك لا تحدد إلى الحوار سيلا لعة
 لا يبور لك التفهم به معها، فأنا أقول ما فيه الراحة لك، وأعتذر لك وعك، على
 أن تهي لي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهن، وترسل إلى بحلة من عبيدك
 بالمراكب والشواني، وأحور نحتي إليك، وأبارك في أعر الأماكن عليك، وإن كانت
 لك مبيمة وحثت إليك، وهدية عطيمة مثلت بين يديك. وإن كانت لي كانت
 يدى العليا عليك وأستوحب سيادة الملتين، والحكم على الدينين، والله تعالى يسهل
 ما فيه الإرادة، ويوفق للسعادة، لارب غيره، ولا حير إلا حيره.

فكتب رحمه الله حوايا على أعلى كتابه ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَسْأَلِيَهُمْ بِمُحُودٍ لَا قِلَّ لَهُمْ بِهَا
 وَلَنُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

(١) كذا في الأصل نالفا والحاء المعجمة و يظهر أنه تصحف عن الفصح نالفا والحاء المعجمة
 والمصحف في الشئ الإقدام عليه من غير ربه ولا بدروأمل

وطير ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب إلى الديوان
العريير سعداد كتابا يعدد فيه موافقه في إقامة دعوة بني العباس بمصر . فكتب
حواله من ديوان الخلافة ﴿ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَتَّبِعُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

المقصد الثاني

(في كيفية استعمال آيات القرآن الكريم)

وأعلم أن تصنيف الكلام بعض آي القرآن الكريم يقسم عند أهل البلاغة إلى
قسمين

أحدهما — الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وهو أقلهما وقوعا في الكلام ودورانا
في الاستعمال وهو أن يصمم الكلام شيئا من القرآن الكريم ويده عليه مثل قول
الحريرى في مقاماته فقلت وأنت أصدق القائلين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .
وقول أنى إسحاق في عهد لملك عن حليفة بعد الأمر بالتقوى والحث عليها وإذا أطلع
الله منه على نقاء حبه ، وطهارة ديله ، وصحة مروءته ، وأستقامة سيرته ، أعابه على
حفظ ما استحفظه ، وأهصه بثقل ما حمله ، وحمل له محلصا من الشبهة ، ومخرجا من
الخيبة . فقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ ﴾ وقد قال الله تعالى عر وحل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وقال عر اسمه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾
إلى آي كثيرة حصصها على كرم الخلق ، وأسلم الطرق ، فالسعيد من نصها رأى
باطره ، والشقى من سدها وراء طهره ، وأشقى منه من يحث عليها وهو صادق عنها ،
فأحباب إليها وهو بعيد منها . وله ولأمثاله يقول الله عر وحل ﴿ اتَّأَمَّرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَتَسُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وأكثُر مشى الصابى فى كتابه على هذا الأسلوب من الاستشهاد ، والتبنيه على آى القراء فى حلال كلامه ، دون الإشارة إليه ، والاقتصار على اقتباس معناه .

ومن ذلك قول علاء الدين س عام من حطبة قدمة كتبت لها لمطهر الدين موسى س أقوش وقد صرع لعلعة ، وأدعى لها للملك المؤيد صاحب حماء بحمده على توفيقه الذى ساد به من ساد وسما ، وأصاب تفويقه بمعوبة ربه طير السماء ، فحس أن يتلى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ .

ومن ذلك قولى فى المقامة التى أشأتها فى كتابة الإشاء ، فى الكلام على فصل الكناية فقد بطق القراء الكريم فصلها ، وحاءت السنة الغراء بتقديم أهلها ، فقال جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فأحر تعالى أنه علم بالقلم ، حيث وصف نفسه بالكرم ، إشارة إلى أن تعليمها من حريل نعمه ، وإيداناً باب منحتها من أوفر حوده وفائض ديمه ، وقال حلت قدرته ﴿بِ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَحْضُونَ﴾ فأقسم بالقلم ، وما سطرته الأقلام ، وأتى بذلك فى أكد قسم ، فكان من أعظم الأقسام . وقال حلت عظمته ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ . فجعل الكناية من وصف الكرام ، كما قد حاء فعلها عن جماعة الأنبياء عليهم السلام ، وإعما مبها النبى صلى الله عليه وسلم معجزة قد بين الله تعالى سبها ، حيث ذكر أحرارهم بقوله ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُنْتُنَّهَا﴾ .

وقولى من هذه المقامة فى التعبير عن المقر الدرى س فصل الله

(١) أى ان الحطة عملت لعال تحية لعدم المطهر بعد صرع العذر المسى لعلعة

قلت حَسْبُكَ قد دلى عليه عُرْفُهُ ، وأرشدني إليه وَضَعُهُ ، وإن لي مَحْتَدُهُ العَاجِرَ
وَحَسَنَهُ الصِّمِيمَ ، وعرفت أصله الزَّاكِيَ وورعه الكَرِيمَ ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وقولِي في احتتام هذه المقامة معترًا عن المقرِّ الدرِّي المشار إليه فلما تحقَّقت
أنى قد أثنتُ في ديوانه ، وكنت من حُملةِ علمائه ، رجعتُ الفهقرى عن طلب
الكسب ، وتساوى عدى المحلِّ والجُنب ، فاستعيتُ سَطْرِي إليه عن الطعام
والشراب ، وتحققت أن بطرة منه تُرَقِّي إلى السحاب ، وتلوُّتُ لسان الصدق على
الملأ وهم يسمعون ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقولِي في بيعة حليقة أشأتها بعد ذكر تخليف أهل البيعة وأشاهدوا عليهم بذلك
من حصر مجلس العقد من الأئمة الأعلام ، والشهود والحُكَّام ، وحملوا الله على
ما يقولون ويكلا ، فاستحق عليهم الوفاء بقوله تعالى ، وَلَا تَقْصُصُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْفِيًّا ﴿ . وهم يرمعون إلى الله تعالى أن يُصاعف
لهم بحسب بيتهم الأُحور ، ويَلْحَظُونَ إليه أن يجعل أئمتهم من أشار تعالى إليه بقوله
﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا
عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

وقولِي في بيعة أخرى والله يجعل استقامتهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يُسرَى إلى
يُمَى ، ويحقق لهم من استحلطه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .

الثانى — الاقتباس وهو أن يصمَّ الكلام شيئاً من القرآن، ولا يند عليه .
كقوله فى حطة "التعريف" بحمده على فواصل رادت محاسن العلوم . وعرفت
تفاوت درجات الأولياء اذ قالوا ﴿ وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ . وقوله بعد ذلك .
وسماء الشسبة بصحى المشيب قد تحلَّت ، والنفس قد ﴿ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَحَلَّت ﴾ .
وقول آس سانة السعدى فى بعض حطه . وأياها العملة المطرقون . أما أتم
هذا الحديث مُصدِّقون . مالكم لا تسمعون . ﴿ قَوْرَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
مِثْلُ مَا أَنْكُمْ تُطِيقُونَ ﴾ . وقوله يوم يبعث الله العالمين خلقاً حديداً ، ويجعل الطالمين
لار حهم وقوداً . يوم تكونوا ﴿ شهداء على الناس وَيَكُونُ الرَّسُولُ دَلِيلُكُمْ شَهِيداً ﴾ .
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا مَلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّخَصَّراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيداً ﴾ .

وقول غيره . أتظنون أنكم دُونَ غيركم محلِّدون ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقول الحريرى فلم يكن ﴿ إِلَّا كَلْبُحِ النَّصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَب ﴾ . حتى أشد فأعرب .
وقوله ﴿ أَنَا أَنْتُمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ . وأمير صحيح القول من عليه .

وقول صياء الدين بن الأثير فى فصل من كتاب فى مدح الحود ودم السحل
وقد علم أن المال الذى يُحتَرَن ، كالماء الذى يُحتَقَن ، فكما أن هذا يَأْخُضُ تعطيل
الأيدي عن امتياح مشاربه . وكذلك يَأْخُضُ هذا تعطيل الأيدي عن امتياح
مواهبه . وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تُملك به القلوب . وتُقل به الخطوب .
ويُرَكَّب به طهرُ العرم الذى ليس برُكُوب ، ومن سَطَّ يده فيه ثم قصها نُحْلُهُ ، فإنه

(١) فى الصو. ثم تكونون شهداء الخ

(٢) لعله اسباح بالخاء المهملة .

يقف دون الرحال معتمورا . ويقعد عن سبل المعالي محسورا . وإذا أدركته مبيته مصى وكأنه لم يكن شيئا مذكورا * وقوله في وصف كاتب له دت فكر ما تمحصت بمعنى إلا تحتته من غير ما تمهله . و﴿أتت به قومها تجله﴾ . ولم تعرض على ملا من اللعاء إلا ألقوا أقلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله .

وقول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد لسلطان وجمع بك شمل الأمة بعد أن كاد يبيع قلوب قريبي منهم ، وعصديك لإقامة إمامته أولياء دولتك الدين رضى الله عنهم ، وحصصك أنصار دينه الدين ههصوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون ﴿وقلوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ . وقوله من عهد السلطان الملك المنصور لاجين وحمل عدوه وإن أعرض بحوش الرغب محصورا . وكفاه بالنصر على الأعداء التوغل في سلك الدماء فلم ﴿يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾ . وقوله في حطه صداق في وصف نكاح وأحيا به الأثم وقد قصي ديبهم . وجمع بين متفرقين ﴿لو أنفقت مائي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ . وقوله من توقيع بإمامة صلاة وليعلم أنه في المحراب مباح لربه . واقف بين يدي من ﴿يحول بين المرء وقليه﴾ .

وقولي في حطة هذا الكتاب في الإشارة إلى فتح الديار المصرية فتوحته إليها عرائم الصحابة رمى الفاروق خأسوا حلال الديار ، وغرها وسهلها . وأقطعتها أيدي المسلمين من الكفار ، وكانوا أحق بها وأهلها . وقولي في المقامة المتقدمة الذكر قال إدن قد تعلقت من الصعة ناساها . وأتيت البيوت من أنواها . وقولي فيها قلت قد نابت لي علومها . وما رؤسوما — قال إن أعاءها لهاهطة جملا . وإها لكيرة إلا . ولكن سأحدث لك دكرا . وأنتك بما لم تحط به حنرا .

وقولى فى المعاصرة بين السيف والقلم فى الصلاة على' السى صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الدين قامت نُصْرَتِهِمْ دولةُ الإسلام فسَمَتْ بهم على
سائر الدول . وكرَّعتْ فى دماء الكفر سيوفُهم فعادت مخلوق النُصر لا بُحْمرةُ المَحَل .
صلاة يقضى دون أنقصائها تعاقتُ الأيام . وتَكَلَّ ألسنة الأقلام عن وصفها
ولو أن ما فى الأرض من شجرة أفلام .

وربما اقتصر على' التلويح والإشارة خاصة كقول القاصى الفاضل فيما كتب به
عن السلطان صلاح الدين يوسف س أيوب إلى الديوان العري يسعدادى الاستصراح
وتهويل أمر العرّيج رَبِّ إِنْى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ، وها هى فى سديك مسدوله ،
وأحى وقد هاجر إليك حجرة يرحوها مقنوله .

وقول صياء الدين س الأثير فى وصف عمار الحرب وعقد العاح سقفا فاعقد .
وأراا كيف رفع السماء تغير عَمَد . غير أنها سماء بُيْت لَسَاك الحياذ . وريبت
تُحوم الصُّعاد . ففها ما يُوعَد من المايا لا ما يُوعَد من الأرزاق . ومها تُقَدَف
شياطينُ الحرب لا شياطينُ الاستراق .

قال الوري صياء الدين س الأثير رحمه الله "والطريق فى استنباط المعانى من
القرآن الكريم وأستعمال الآيات فى حلال الكلام أن تعمد إلى سورة من القرآن ،
وتأخذ فى تلاوتها وكلما مرَّ بك معنى أثنته فى ورقة مفردة حتى تنتهى إلى آخرها ،
ثم تأخذ فى استعمال تلك المعانى التى طهرت وإدخالها فى حلال الكلام وكلما عاودت
التلاوة وكررتها طهر لك من المعانى ما لم يطهر لك فى المرة التى قبلها" .

ولتعلم أب الآية الواحدة قد تقع فى الاستعمال على عدة وحده يورده السائر
فى معنى ثم يثقله لمعنى آخر غيره كما فعل صياء الدين س الأثير فى قوله تعالى حكاية

عن يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاحِدِينَ﴾ . فقال في دعاء كتاب وصل كتاب من الحصرة السامية أحسن الله أثرها ، وأعلى حطرها ، وقضى من العلياء وطرها ، وأطهر على أيديها آيات المكارم وسورها ، وأسعد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها . ثم أمره في معنى آخر فقال أكرم العم ما كان فيه ذكرى للعائدين . وتقدمه إلى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاحِدِينَ . فهذه العمدة هي التي تأتي بتيسير العسير . وتحلو طلمة الخطب بإصباح المير . فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يُخَيِّ الأَرْضَ تَعَدَّ مَوْتَهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ثم نقله إلى معنى آخر فقال من تقليد يكتب من ديوان الخلافة لعص الوراء وقد علم أن أمير المؤمنين أدنى مجلسه من سمائه ، وآتسه على وحدة الأفراد مُحَقِّلُ نَعَائِهِ . ورفعه حتى ودَّت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من نُدَمَائِهِ . وذلك مقام لا تستطيع الحُدُود أن ترقى إلى رتبته . ولا الآمال أن تَطُوفَ حول كعبته ، ولا الشَّعَاءُ أن تتشرف بتقيل نُزْبَتِهِ . فليَرَدِّدْ إعْجَامًا مَا نَأْتَهُ مِنْ مَوَاطِئِ أَقْدَامِهِ ، وليَطْرُقْ إلى سحود الكواكب له في يَقْطِنُهُ لَا فِي مَمَامِهِ .

قال في "حس التوسل" والباس في استجراح المعاني من القرآن الكريم ، وأستعملها في الكلام على قدر طقاتهم وتفاوت درجاتهم . فمهرط في الحس ومقرط و فوق كُلِّ دِي عِلْمٍ عَالِمٌ .

قلت وكما يحتاج الكاتب إلى حفظ كتاب الله تعالى والعلم بتفسيره ليقنن من معانيه كذلك يحتاج إلى معرفة العلوم المختصة به كالعلم بالقراءات السبع والشواذ ، ومعرفة رجالها ، ومن أشهر مهم وعرف بخودة القراءة ، ومعرفة أعيان المفسرين ورؤوسهم ، ليمثل أفاضلهم ويقايس أعيانهم ، في حلال ما يعرض له من الكلام

مطابقا لذلك كما قال في "التعريف" في وصية مقرر في القسم الثالث من الكتاب وليدّم على ما هو عليه من تلاوة القرآن، وإياه مصباح قلبه . وصلاح قرّنه، وصباح القول المؤدّن له رصا ربه، وليجعل سُوره له أسوارا، وآياته تطهر يس عييه أوارا . وليل القرآن محروقه وإدا قرأ استعاد، وليجمع طُرقه وهى التي عليها الجمهور ويترك الشواذ . ولا يرتدّ دون عاية لإقصار، ولا يقفّ فعد أن أتمّ لم يبق بحمد الله إحصار، وليتوسع في مداهه ولا يجرّح عن قراءة القراء السعة أئمة الأمصار، وليبدل للطلبة الرّغاب، وليشبع فإنّ دوى النّهمة سّعاب . وليزّ السّاس ما وهبه الله من الاقتدار وإياه آحتص السّبع ودحل العاب، وليتمّ ما بيّ ما أتمّ آس عامر وأو عمرو له التعمير، ولّفه الكسائي في كساه ولم يقل حدّى آس كثير، وحمّ نه لجرة أن يعود داهب الرمان، وعرف أنه لا عاصم من أمر الله يلحاً معه إليه وهو الطوفان، وتدقق يتفحّر علما وقد وقفت السيول الدوافع، وصرّ أكثر قراء الرمان لعدم تفهيمهم وهو باع، وليُقيل على دوى الإقبال على الطلب، وليأحدهم بالترية فما مهم إلا من هو إليه قد آنسب . وهو يعلم ما من الله عليه يحفظ كتابه العرير من السماء، ووصل سنّه مه محل الله المتمدّن من الأرض إلى السماء . فليقدّر حقّ هذه النعمة بحس إقباله على التعليم، والإبصار إذا سئل فعلم الله لا يتأهى وفوق كلّ دى علم عليم .

• السّوع السّابع

(الاستكثار من حفظ الأحاديث السوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(في بيان وحه آحتياح الكاتب إلى ذلك)

قال "في حسّ التوسل" لاند للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث السوية، والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم، وخصوصا في السير، والمعارى،

والأحكام، وتأمل فصاحتها، والطرق معرفة معانيها وعريها، وفقه ما لا ند من معرفته من أحكامها ليقف منها على سعة، ويستشهد بكل شيء في موضعه، ويحتج بمكان الحجة، ويستدل بموضع الدليل، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه، وينبئ كلامه على أصل لأيرلزل، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يصلح عنه، وإن الدليل على المقصد إذا استند إلى البص قويت فيه الحجة، وسلم له الخصم، وأدعى له المعاد، والفصاحة والطلاقة إذا طليت عايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي حوامع الكلم وقال "أنا أفصح من نطق الصاد".

وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يحتجون بالحديث، ويستدلون به في مواطن الخلاف والبراع، فيقاد الخوض ويستسهل الصعب، وقد رجع الأنصار يوم السقيفة إلى حديث "الأئمة من قریش" حيث رواه لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وأدعوا له، وابعوه بعد ما اجتمعوا إلى سعد بن عباد وقالوا "ميا أمير وميمكم أمير". على ما سيأتى بيانه في موضعه إن شاء الله. ورجع عمر رضى الله عنه لحديث الهبي عن دحول بن الطاعون فعاد إلى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه أن به الطاعون. وقال على رضى الله عنه في حق الأنصار "لو رأوا لركت معهم" لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرؤل معكم حيث ما رلستم".

ثم الذى أشار إليه آس قتيبة في "أدب الكاتب" أن الأحاديث التى ينبغى للكاتب حفظها الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه كقوله صلى الله عليه وسلم "البينة على المدعى. واليمين على المدعى عليه. والحرّاح بالصمان. وخرج العجاء حار".

(١) ولا يعلق الرهن . والمبحة مردودة . والعارية مؤداة . والرقيم عارم . ولا وصية لوارث . ولا قطع في ثمر ولا كثر . ولا قود إلا بحديدة . والمرأة تُعاقل الرجل إلى ثلث ديتها . ولا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا أعترا . ولا طلاق في إعلاق ، والبيعان الحيار ما لم يتمزقا . والجار أحق بصقه . والطلاق بالرجال والعدة بالنساء . وكهيه في البيوع عن المحارة والمحاقلة ، والمراسة ، والمعاومة ، والثنيا ، وعن ربح ما لم يضم ، وعن بيع ما لم يقص ، وعن بيعتين في بيعة ، وعن شرطين في بيع ، وعن بيع وسلف ، وعن بيع العرد وبيع الموصفة ، وعن الكالي الكالي ، وعن تلقى الركان . وما أشبه ذلك ليعتنى بحفظها وتدر معانيها عن إطلاات الفقهاء .

قلت والتحقيق أن حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه ، بل تتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصا الحكم والأمثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به في الكتابة والإقتباس من معانيه . قال في "المثل السائر" ويذم أن يكون أول ما يحفظه من الأخبار ما تصممه كتاب "الشهاب في المواعظ والآداب" للقصاصي ، فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكما وآدانا ، فإذا حفظته وتدرت أستعمله ، حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة مما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل ، وعد ذلك نتصحه كتاب صحيح البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وغيرها من كتب الحديث ، وتأخذ ما تحتاج إليه ، و"أهل مكة أحرص شعاها" . قال والدي تأخذه إن أمكنك

(١) الحديث في المصاح لا يعلق الرهن مما فيه أى لا يسحبه المرتب بالدين الذي هو

درسه وحفظه فهو المراد لأن ما لا تحفظه فليست منه على ثقة، وإن كان لك محفوظات كثيرة كالقرءان الكريم، ودواوين كثيرة من الشعر، وما ورد من الأمثال السائرة، وغير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه وما يأتي ذكره، فعليك مداومة المطالعة للأحبار، والإكثار من استعمالها في كلامك، حتى ترتقم على حاطرك فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وحدته، وسهل عليك أن تأتي به آرتحالا، فتأمل ذلك وأعمل به . ثم قال وكنت حُرِّدت من الأحبار السوية تكاها يشتمل على ثلاثة آلاف حر تدحل كلها في الاستعمال، وما رلت أواطى مطالعته مدّة تريد على عشرين، فكنت أُنهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على طبرى وحاطرى ما يريد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشد منه عى شيء .

المقصد الثانى

(فى بيان كيفية استعمال الأحاديث والآثار فى الكُتابة)

قال الوردى صياء الدين س الأثير وأعلم أنّ أكثر الأحاديث تدحل فى الاستعمال، ولا يخرج عنه إلا القليل النادر، ولقد دار بينى وبين بعض علماء الأدب فى هذا الأسلوب كلامٌ فاستوعره واستكره، وقال هذا لا يتبها إلا فى الشيء اليسير من الأحبار السوية — فقلت لا، بل يتبها فى الأكثر منها — فقال قد ورد عن النبىّ صلى الله عليه وسلم "أنّه أحْصَمَ إليه فى حين فقصى على من أسقطه نعمةً عند أوامة" أين تستعمل هذا؟ فأفكرت فيما ذكره، ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام، وأودعته فيه وهو "قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وصُيرَ المثل ساقل وكَم فى هذه الصورة المثلّة من ناقل، ولو عرف كل إنسان قدره لما مشى دُنْ إلّا تحت رأسه، ولا آتصب رأسٌ إلّا على يديه، ولكان صاحبُ العامة

أحقّ بعلمته وصاحب الرس أحقّ برسه . وكنت سمعتُ بكاتب من الكُتّاب كَلِمَةً
إلى عَنَانِهِ ، وَقَلَمُهُ نُعَانُهُ لَا يَسْتَسِرُّ وَأَيُّ نَطَشٍ لُغَانُهُ . وإذا وحب الوصوء على غيره
بالخارج من السيليل، وحب عليه من سُكُل ثلاثة . هدا وهو يدعى أنه في الفصاحة
أُمَّة وحده ، وَمَنْ قُسَّ إِيَادٍ أَوْ سَحَانٌ وَأَيْلٍ عَسَدُهُ ، وإذا كُشِفَ حَاطَرُهُ وَحَدَ بَلِيدَا
لَا يَجْرُحُ عَنِ الْعَمَةِ وَالْكَمَةِ ، وإن رام أن يستنحه في حين من الأحيان قصى عليه بَعْرَةٌ
عند أو أَمَةٍ ، وكثيرا ما يتقدّم وبقيصته هذه على الأفاضل من العلماء ، وقد صار الناس
إلى رمان يعلو فيه حصيصُ الأرض على هام السماء . فلما أوردته عليه ، ظهرت
أَمَارَةُ الحسد على صفحات وجهه مع إغماحه به وأستعرابه فيه إياه .

ثم قال وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو "لَا تَدْخُلُ
الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا تَمَثَّلُ" فهذا أين يُستعمل من المكاتبات ؟ فترويت في قوله
ترقيا يسيرا ثم قلت هدا يستعمل في كتاب إلى ديوان الخلافة ، وأملت عليه الكُتّاب ،
لحاء هذا الحديث في فصل منه ، وهو "إذا أفاص الحادُمُ في وصف ولّائه ، نَكَصَتْ
هُمْ الْأَوْلِيَاءُ عَنْ مَقَامِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ أَحَدُ الْأَمْرِ بِرِمَامِهِ ، فَقَدْ أَصَحَّ وَلَيْسَ نَقْلُهُ سَوَى
الْوَلَاءِ وَالْإِيمَانِ ، وَهَذَا يَطْهَرُ أَثَرُهُ فِي طَاعَةِ السَّرِّ وَهَذَا فِي طَاعَةِ الْإِعْلَانِ ، وَمَا عَادَاهُمَا
وَإِنْ دَحَوْلَهُ إِلَى قَلْبِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْطُورَةِ ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تِمْنَالٌ وَلَا صُورَةٌ ،
فَلْيَعُولُ الدِّيَوَانُ الْعَرَبِيَّ مِنْهُ عَلَى سَيْفٍ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ يَقْرِي ، وَلَا صَارِبٍ ، وَيَسِيرِي ،
وَلَا حَامِلٍ ، وَلَا يُسَلُّ إِلَّا بِيَدِ حَقٍّ ، وَلَا يُعَمِّدُ إِلَّا فِي طَهْرٍ بَاطِلٍ . وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كَرِشَهُ
وَعَيْنَتَهُ فِي تَصْمُّنِ الْأَسْرَارِ ، وَأَنَّهُ أَحَدُ سَعْدِيهِ إِذَا عُدَّتْ مَوَاقِفُ الْأَنْصَارِ" .
فلما رأى هذا الفصل مُهِتَ لَهُ وَنَجَّ مِنْهُ . قال ولم أقع بإيراد الحديث الذي
ذكر حتى أَصَفْتُ إِلَيْهِ حَدِيثًا آخَرَ ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الْأَنْصَارُ
كَرِشِي وَعَيْنِي" .

ثم تصميم الكلام شيئاً من الأحاديث على ما تقدم في القراءان الكريم، فيقسم إلى الاستشهاد والاقتباس على ما تقدم .

فأما الاستشهاد فهو أن يصم الكلام شيئاً من الحديث، ويده عليه كقول أى إسحاق الصائى فى وصية عهد من حليقة لسلطان وأن يقوم بما يعقده الرجل من عرص المسلمين ، فإن دمنه دمة جميع المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ”المسالمون يسعون يديمتهم أذناهم، وهم يد على من سواهم“ .

وكما كتب بعض الكُتاب فى صدر كتاب لديوان الخلافة والحمد لله على أن صار إلى أمير المؤمنين ميراث الطاهرين من آثائه، وحصه مما حارله من حريل الفصل وحنائه، وحقق للدولة العباسية وعد النبى صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعنه العباس رصواب الله عليه ”ألا أشرك ياعم اى حتمت السؤة ويولدك تُتَمُّ الخلافة“ . وكقوله من عهد آخر وأمره أن يصع الرصد على من يختار فى الجمالة من أناق العبيد، والأحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم إلى أن قال وأن يعرفوا اللقط ويتبعوا أثرها، ويشيعوا حرها، فإذا حمصر صاحبها وعلم أنه مستوحها، سُمِت إليه ، ولم يُعترص فيها عليه . والله حل وعمر يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ”صالة المؤمنين حرق النار“ إلى غير ذلك من الاستشهادات .

وأما الاقتباسات فهو أن يصم الكلام شيئاً من الحديث ولا يده عليه .
فمن ذلك ما ذكره الحريرى فى مقاماته من قوله وكتبان الفقر رهاده ، وآتظار القرح بالصبر عاده . وقوله شاهت الوحوه، وقبح اللكم ومن يرحوه .
وقد أكثر الوري رصياء الدين س الأنير من هذا الباب .

من ذلك قوله في دعاء كتاب "أعاد الله أيامه من العير، وبين يحظر محمده بقص كل حطر . وحصل ذكره راداً لكل رك ، وأنساً لكل سمر . ومسحه من فصله ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا حطر على قلب نشر". أحد ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف بعم الحمة "فيها ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا حطر على قلب نشر" فقله إلى الدعاء .

ومن ذلك ما ذكره في النصر على العدو في مواطن القتال ، وهو "أحدنا سئة رسول الله في النصر الذي رحوه ، وسدناً في وجه العدو كفاً من التراب وقلبا شاهت الوحوه، فثنت الله ماترل من أقداما، وأقدم حيروم فأعنى عن إقداما . أحد المعنى الأول من حديث عروة حين وأن النبي صلى الله عليه وسلم أحد قصة من التراب وألقى بها في وحوه الكفار وقال "شاهت الوحوه" . وأحد المعنى الثاني من حديث عروة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين لاقى رجلا من المشركين وأراد أن يصربه فخر على الأرض ميتا قبل أن يصل إليه ، وسمع الرجل المسلم صوتاً من فوقه وهو يقول أقدم حيروم فناء النبي صلى الله عليه وسلم فأحده فقال "ذلك من مدد السماء الثالثة" .

ومن ذلك ما ذكره في صيق محال الحرب ، وهو "وصاق الصرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور ، وتصاحت العرر بالعرر والشدور بالصدور . وأستطل حينئذ بالسيوف لأشنتك محالها وتوئت مقاعد الحمة التي هي تحت طلائها" . أحد ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم "الحمة تحت طلال السيوف" .

ومن ذلك ما ذكره في وصف بعض البلاد الوحه ، وهو "ومن صفاتها أنها مدرة مستوالة الطيبة، مجموع لها بين حرمكة ولأواء المدييه . إلا أنها لم يؤمن

حرَّها من الحطَّفة، ولا يُقَلَّتْ حُمَّاهَا إلى الحُجفة . أحد المعنى الأول من قوله صلى الله عليه وسلم ”مَنْ صَرَ عَلَى حَرْمَكَةٍ وَلَاوَاءِ الْمَدِينَةِ صَمْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْحَمَّةُ“ . والمعنى الثانى من قوله صلى الله عليه وسلم فى دُعائه للديبة ”اللَّهُمَّ حَبِّهَا إِلَيْنَا كَمَا حَبَّتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وَأَنْقَلْ حُمَّاهَا إِلَى الْحُجفة“ . ورشح ذلك معنى قوله تعالى : أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ حيث قال إلا أنها لم يؤمن حرَّها من الحطَّفة .

ومن ذلك ماد كره فى وصف كريم ، وهو ”فأعنى بحوده إعاء المطر، وسَمَّا إلى المعالي سُمُو الشمس وسار فى مارها مَسِيرَ القمر . وتَبَحَّ من أنكار فصائله ما إذا ادَّعاه غيره قيل للعاهر الحجر“ . أحد ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم ”الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ“ . إلى غير ذلك من مقتساته المستكثرة، وأستباطاته التى هى غير قاصرة ولا مستكثرة .

ومن ذلك ماد كرهته أنا فى المفاخر بين السيف والقلم، وهو ”وبدأ القلم فتكَلَّمَ، ومضى فى الكلام بصدق عَزَمَ مَا تَوَقَّفَ وَلَا تَلَعَّمْ، فقال نَسَمَ الله تعالى أَسْتَفْتَحْ، ويحمده أَيْتَمُّ وَأَسْتَجِجْ، إِدْ مِنْ شَأْنِي الْكَتَابَ، ومن فَيَّ الحَطَّاهُ، وكلُّ أُمْرِ دَى بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ نَسَمَ الله تعالى فهو أَحَدَمُ، وكل كَلَامٍ لَا يُفْتَتَحُ بِحَمْدِ الله فَاسَاسُهُ عَيْرُ مُحْكَمٍ“ . أحدث ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم ”كُلُّ أُمْرِ دَى بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ نَسَمَ الله أَوْ يَحْمَدُ الله فهو أَحَدَمُ“ على اختلاف الرواية فى ذلك .

وأعلم أنه كما يحتاج الكاتب إلى حفظ الأحاديث والآثار بطرق الدات للاستشهاد بها، والاقتناس من معانيها على ما تقدم بيانه كذلك يحتاج إلى المعرفة بأنواع الحديث وأقسامها كالصحيح، والحسن، والمرسل، والمرفوع، والمُسند، والمتصل، والمقطوع، وبحود ذلك . وكذلك المعرفة بأسماء الرجال، والمشاهير من محدثين

كالبحارى، ومسلم، وأبى داود، والسنائى وغيرهم ليورد ما يحتاج إليه من ذلك
 فى عُصون كلامه عند احتياجه إليه فى كتابة ما يتعلق بذلك من توقيع محدث ويحوه
 كما قال فى " التعريف " فى وصية لمحدث فى قسم الوصايا من الكتاب " وقد أصبح
 بالسنة السوية مُصطليعا ، وعلى ما جمعه طُرُق أهل الحديث مُطَّلعا ، وصح الصحيح
 أن حديثه الحسن ، وأن المُرسَل منه فى الطلب مقطوع عنه كُلِّ دى لَس . وأن
 مُسنَّده هو المأخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى . وأن مثله
 لا يوحى فى نسبه المُعَرَّق ، ولا يُعرَف مثله للحافظين اسِ عبد البر بالمعرب وحطيب
 بعداد بالمُشْرِق . وهو يعرف مقدارَ طلب الطالب وإبه طال ما شدَّ له الطَّاق ،
 وسعى له سعيه وتحشَّم المشاق . ورحل له يشتدَّ به حرصه والمطايا مزمومة ، ويُنبه
 له طلُّه والخُفُونُ مُقَفَّلة والعيون مَهْمُومة . ووقف على الأبواب لا يُصِجره طولُ
 الوقوف حتَّى يؤدَّ له فى وُلُوحها ، وقعد القُرُفُصاء فى المجالس لا تَصِيق به فُرُوحها .
 فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملةً من حَرَب ، وليتُسَّط للأقراء مهمم ويُؤنِّس
 العُرَّاء ما هو إلا من طلب آوِيَّة من قريب وآوِيَّة تعرَّب . وليُسْفِرْ لهم صَاحُ قصده
 عن الصَّاح ، وليَقُتِّقْ لهم من عُقُوده الصَّحاح ، وليوصح لهم الحديث ، وليُرْخِ حواطِرهم
 تقريبه ما كان سار إليه السير الحثيث ، وليؤتِهم ما وسَّع الله عليه فيه المحال ،
 ويعلمهم ما يحب تعليمه من المُتَوَب والرحال ، ويَصِّرْهم بمواقع الخرج والتعديل ،
 والتوجيه والتعليل ، والصحيح والمعتل الذى تتأثر أعصاؤه سَقما كالعليل .
 وغير ذلك مما لرحال هذا الشأن به عاياه ، وما يُتَقَّب فيه عن دراية أو يُقَع فيه
 مخزَّذ روايه . ومثله ما يراد حاملا ، ولا يُعرَف من رَحَص فى حديثٍ موضوع
 أو كتم علما . وسيأتى ذكر هذه الوصيه فى موضعها إن شاء الله تعالى .

وكما قال الشيخ جمال الدين بن نائلة من حملة توقيع لعص مدزسى الشام
 ”ولأنه الحافظ الذى أحيا ذكر أس نُقطة بعد ما دارت عليه الدوائر، وأعنى وحده
 دمشق عن أتى فى السب عساكر“ .

السوع الثامن

(الإتكار من حفظ حُطّ البلاء، والتعشُّ فى أساليب الخطاء، وفيه مقصداً)

المقصد الأول

(فى وجه احتياح الكاتب إلى ذلك)

قال أبو جعفر الحاس ”وهى من آكد ما يحتاج إليه الكاتب ، وذلك أن
 الخطب من مستودعات سرّ البلاعة ، ومحامع الحكم ، بها تفاخرت العرب
 فى مشاهدهم ، وبها نطق الحلفاء والأمراء على مسارهم ، بها يتميز الكلام ، وبها
 يُحاطب الخاص والعام ، وعلى موال الخطبة تُسجّ الكُتّاب ، وعلى طريق الخطباء
 مشيت الكُتّاب . وقد قال أبو هلال العسكري رحمه الله فى ”الصباغتين“ والرسائل
 والخطب متشاكلتان فى أهمّ كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتساكلا أيضاً
 من جهة الألفاظ والعواهل ، فالفاظ الخطب تشبه ألفاظ الكُتّاب فى السهولة
 والعدوبة ، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل“ . قال ”والفرق بينهما
 أن الخطبة يُضاف بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تحمل حطه والخطبة تحمل رساله
 فى أيسر كلمة“ .

واعلم أنه كان للعرب بالخطب والبشر عاية الاعتناء حتى قال صاحب ”الريحان
 والربعان“ إن ما تكلمت به العرب من أهل المدّر والور من حيدّ المشور ومردّوح

الكلام أكثر مما تكلمت به من المورون إلا أنه لم يُحفظ من المنشور عشره ، ولا صاع من المورون عشره . لأن الخطيب إما كان يحطّب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك ، أو الحالات ، أو الإصلاح بين العشائر ، أو حطة الكاح ، فإذا آنقضى المقام حطّطه من حطّطه ، ونسيه من نسيه . بخلاف الشعر فإنه لا يصح منه بيت واحد . قال ” ولولا أن حطة قسّ من ساعدة كان سدها مما يتناقسه الأنام ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي رواها عنه فأطارد كرها ، ماتميرت عما سواها “ .

قلت وليس ما أشار إليه لرفض الثرعة وقلة اعتنائهم به ، بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه في حاصرهم واديهم ، وخاصهم وعائهم ، بخلاف الحطّاة فإنه لم يتعاطها منهم إلا القليل النادر من المصاحف . فذلك عرّ حطّطها وقلّ عنهم نقلها . وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب ، ورؤسائهم من فارقدح الفصل ، وسق إلى درى المحدث ، ويحصبون ذلك بالمواقف الكرام ، والمشاهد العظام ، والمحاسن الكريمة ، والجامع الحفيلة ، يقوم الخطيب في قومه ويحمد الله ويثني عليه . ثم يدكر ماسح له من مطابق قصده وموافق طلبه من وعظ يدكر أو خرا وإصلاح أو نكاح ، أو غير ذلك مما يقتضيه المقام .

من حطّطهم في الجاهلية خطبة كعب بن لؤى حدّ النبي صلى الله عليه وسلم فيادكره أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل . وهي اسمعوا وعوا ، وتعلموا تعلموا ، وتعلموا تعلموا ، ليل ساج . وهاهنا صاحب^(١) والأرض مهاده ، والحال أوتاده ، والأقوال كالآخريين ، كل ذلك إلى نلاء ، فيصلوا أرحامكم ، وأصلحوا أموالكم ، فهل رأيتم من

(١) لعله صاح من مولم صح اليوم صبحون اذا صاحوا وحلوا . وفي الصو لل داخ وهاهنا صاح تأمل

هَلِكْ رَجْعَ ، أَوْ مَيَّا تُنْشِرُ ، الدَّارَ أَمَامَكُمْ وَالطَّنْ حَلَّافَ مَا تَقُولُونَ ، رَبُّيَا حَرِّمَكُمْ وَعَظْمُوهُ ،
وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تُفَارِقُوهُ ، وَسَيَأْتِي لَه سَاءَ عَظِيمٌ ، وَسَيُجْرَحُ مِنْهُ سَيُّ كَرِيمٌ . ثُمَّ قَالَ
هَارُوتُ وَلِيلُ وَأَخْتِلَافُ حَوَادِثٍ * سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا
يَتُونَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْتُوا * وَالتَّعَمُّ الصَّابِيُّ عَلَيَّا سَتُورُهَا
صُرُوفٌ وَأَسَاءٌ تَقْلَبُ أَهْلُهَا * لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا
عَلَى عَقْلَةٍ يَأْتِي إِلَى مُجْدٍ * يُجْبِرُ أَحْبَارًا صَدُوقًا حَبِيرُهَا

ثُمَّ قَالَ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ شَاهِدْ لِحُجْوَاءِ دَعْوَتِهِ ١ * حِينَ الْعَشِيرَةِ تَتَّبِعِي الْحَقَّ حَذَلَانَا
وَمِنْ ذَلِكَ خُطْبَةُ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ ، سُوقُ عُكَاظٍ فِيمَا قَلَهُ أَصْحَابُ
السَّيْرِ عَنِ إِحْمَارِ الْبَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ وَهِيَ أَيُّهَا النَّاسُ ٢ اسْمَعُوا وَعُودُوا ، مَنْ
عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاحٍ ، وَهَارٌ سَاحٍ ، وَسَمَاءٌ
دَاتٌ أَرَاخٌ ، وَخُحُومٌ ، تَزْهَرُ ، وَبَحَارٌ تَزْهَرُ ، وَحَالٌ مُرْسَاهُ ، وَأَرْضٌ مُدْحَاهُ ، وَأَهَارٌ مُخْرَاهُ .
إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَحَرًّا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعَرًّا ٣ مَا نَالُ النَّاسُ نَذْهُونُ وَلَا يَرْجِعُونَ .
أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَمَا مَوْا . يُقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا يُثْمِرُ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ دِيًّا هُوَ أَرْضِي
لَهُ وَأَفْصَلُ مِنْ دِيكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مَكْرًا ٤ . وَيُرْوَى أَنَّ
مُسَا أُنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ

فِي الدَّاهِيَةِ الْأُولَى — مَنْ مِنَ الْقُرُونِ لَمَّا نَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا . لِلْوَيْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْصَوْهَا تَمْنَى الْأَكْبَارِ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاصِي إِلَى وَلَا مِنَ الْبَاهِيَةِ غَائِرُ
أَيْقَنْتُ أَنَّي لَا مَحَا . لَمَّا حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

قال صاحب الأوائل ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "يُعرَضُ هذا الكلام يوم القيامة على قُسٍّ ساعده وإن كان قاله لله فهو من أهل الجنة" .

ومن ذلك خطبة أبي طالب حين حطّ النبي صلى الله عليه وسلم حديجة وهي الحمد لله الذي جعلنا من رزق إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا . ثم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أحمى من لا يؤادّن بأحد إلا رحمته ، ولا يُعدّل بأحد إلا فصله ، وإن كان في المال قُلٌّ فإن المال طُلٌّ رائل ، وله في حديجة رعة ولها فيه مثلها ، وما كان من صداق هي مالي ، وله ساء عظيم وحرٌّ شائع .

ومن حطّ النبي صلى الله عليه وسلم "أيها الناس كأنّ الموت فيها على غير ما قد كنتم ، وكأنّ الحق فيها على غير ما قد وُحِّت ، وكأنّ الذي تُسبِّح من الأموات سفرٌ عمّا قليل إليها راحعون ، سوئهم أحداثهم ، وما كُلٌّ من تراثهم كأنّا محلّون بعدهم ، وسياكلٌ واعطة وأمياكلٌ حائجة ، طوئى لمن شعلته عينه عن عيوب الناس ، طوئى لمن أُنق مالا آكتسه من غير معصية ، وحالّس أهل الفقه والحكمة ، وحالط أهل الدّلّ والمسكنة ، طوئى لمن ركّبت وحسنت حليقته ، وطانت سيريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوئى لمن أُنق الفصل من ماله ، وأمسك الفصل من قوله ، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة " .

ومن خطب أبي بكر الصديق رضى الله عنه فيما ذكره أبو جعفر الحساس في "صناعة الكتاب" وهي ألا إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة المملوك ، المملك إذا ملك ربه الله حلّ وعمر فيما عسده ، ورعته فيما في يدي غيره ، وأتقصه شطر أهله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، وإذا وحيّت نفسه ، ونصب عمره وصحّا طله ،

حاسه الله حل شأؤه وأشد حسانه ، وأقل عفوّه ، وسترون بعدى ملكاً عَصُوصاً ،
وأمة شَحَاحاً ، ودماً مُسَاحاً ، وإن كات للباطل رَوَّةٌ ، ولأهل الحق حَوَلَةٌ ، يعفوها
الأثر وتموت السُّنَنُ ، فالرموا المساحِدَ واستشيروا القُرءانَ ، وليكن الإِرامُ بعد التَّشاورِ ،
والصَّفقةُ بعد التَّناظرِ .

ومن خطب عمر رضى الله عنه أيها الناس ! إنه أتى على حين وأنا أحسب
أن من قرأ القرآن إنما يريد الله وما عنده ، ألا وإنه قد حِيلَ إلى أن أقواما يقرءون
القرآن يريدون ما عند الناس ! ألا وإريدوا الله نقرأكم ، وإريدوه أعمالكم ، وإما
كما يعرفكم إِد الوحي يرل وإد النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرها ، فقد رفع الوحي
ودهب النبي عليه السلام ، وإما أعيركم بما أقول لكم ألا من أظهر لنا حيرا طساً
به حيرا وأثينا به عليه ، ومن أظهر لنا شرا طسا به شرا وأعصاه عليه ، أقدعوا
هذه العفوس عن شهواتها ، وإلها لَمَلِقة ، وإلها لَمَلِقة ، وإلها لَمَلِقة ، وإلها لَمَلِقة .
إن هذا الحق ثَمِيلٌ مَرِيءٌ ، وإن الباطل حَيفٌ وَبِيءٌ ، وترك الخطيئة حرام
مُعالحة التَّوبة ، ورُبَّ بطرِة ررعت شهوة ، وشهوة أورت حُرّاً طوبلاً .

ومن خطب عثمان رضى الله عنه وقد أنكروا عليه بتقديم نبي أمية على غيرهم
أما بعد فإن لكل شىء عاقبة ، وآفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيَّابون ،
طعَّابون ، يُظهرون لكم ما يُخبون ويُسرُّون ما تُكْرهُون . أما والله يامعشر المهاجرين
والأنصار ! لقد عثمتُ على أشياء وقمتم مئى أموراً قد أقرتم لآس الخطأ بمثلها
ولكنه وقمتم وقفاً ، ودمعتم حتى لا يحتري أحدكم مملأً بصره منه ولا يُشِير بظرفه

(١) كذا في الأصول فالشئ المعجمه ولعله تصحيف من الملة في السان ونور القرآن بحث عن معاسه
وعن عليه وأورد في ذلك حدث عبد الله أبيرو القرآن فان فيه حر الاول والآخر وحدا آخر من
أراد العلم فليور القرآن (٢) في غير هذا الكتاب وفيكم والوم والدع العهر والإدلال

إلا مُسَارَقَةً إِلَيْهِ ، أما والله لَأَنَا أَكْثَرُ مَنْ أَسَ الحَطَّابَ عَدَدًا ، وَأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَحَدَر
إِنْ قَالَ هَلُمَّ أَنْ يُحَاجَّ . هَلْ تَعْقِدُونَ مِنْ حَقُوقِكُمْ وَأَعْطِيَاتِكُمْ شَيْئًا فَإِنِّي إِلَّا أَفْعَلُ^(١)
فِي الْفَصْلِ مَا أُرِيدُ فَلِمَ كَسَتْ إِمَامًا إِدْنَ ؟ أما والله ما عَابَ عَلَى مَنْ عَابَ مِنْكُمْ أَمْرًا
أَحَبَّهُ وَلَا أَتَيْتُ الدِّيَّ أَتَيْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ .

وَمَنْ حَطَبَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ حِينَ تُوَيِّعُ الْخِلَافَةَ إِنْ اللَّهُ أَرَلَّ نَكْمًا
هَادِيًا يَبِّ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، خُذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعُوا الشَّرَّ ، الْعَرَائِصَ أَتَدُوها إِلَى اللَّهِ
تُؤَدِّيكُمْ إِلَى الْحَيَةِ . إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ حُرْمًا غَيْرَ مَجْهُولَةٍ ، وَفَصَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ
كُلِّهَا ، وَسَدَّدَ الْإِحْلَاصَ وَالتَّوْحِيدَ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ . فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا الْحَقَّ ، لَا يَجِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَحِبُّ ، فَأَدُّوا أَمْرَ الْعَامَّةِ ، وَحَاصَّةُ
أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ . إِنْ النَّاسَ أَمَامُكُمْ وَإِنَّمَا خَلَقَكُمْ السَّاعَةَ تُدَكِّرُكُمْ . تَحَقَّقُوا تَلَحُّقُوا ، وَإِنَّمَا
يَنْتَظِرُ النَّاسَ أَثْرَاهُمْ . اتَّقُوا اللَّهَ عَادَ اللَّهُ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مُسْئِلُونَ حَتَّى عَنِ
الْبِقَاعِ وَالْمِهَائِمِ ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ . وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ خُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ
الشَّرَّ فَدَعُوهُ ، وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ .

وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُوا أَنَّ الْحِلْمَ رَيْنٌ ، وَالْوَقَارَ
مَوَدَّةٌ ، وَالصَّلَاةَ نِعْمَةٌ ، وَالْإِكْثَارَ صِلَفٌ ، وَالْعَجَلَةَ سَقَمٌ ، وَالسَّهْفَ صَعْفٌ ، وَالْقَلَقَ
وَرِطَةٌ ، وَمَحَالَسَةُ أَهْلِ الدَّعَاةِ شَيْنٌ ، وَمَحَالَّةُ أَهْلِ الْمَسْوَاقِ رِيَّةٌ .

وَمَنْ خَطَبَ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَهْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَهْيٍ أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّ الْحَرْبَ صَعْبَةٌ ، وَإِنَّ السَّلَامَ مَنْ وَمَرَّةٌ^١ أَلَا وَقَدْ رَسَنَّا الْحَرْبَ وَرَسَّاهَا

(١) فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَمَّا إِنْ فَلَمْ يَلَمْ أَنَّ مَحَابِدَ دَعْوَتِي مِنْ عَمْرِى وَالرَّوَايَاتِ مَعَارِفُهُ .

وَالْفِتْنَا وَالْفِصَاةَ، وَحَسُّوْهَا وَهِيَ أُمَّا . أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْتَقِيمُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى ،
وَدَعُوا الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ ، وَالْبِدَعَ الْمُرْدِيَةَ ، وَلَسْتُ أُرَاكُمْ تَرْدَادُونَ بَعْدَ الْوَصَاةِ
إِلَّا اسْتَحْرَاءَ ، وَلَنْ أُرْدَادَ بَعْدَ الْإِعْدَارِ وَالْمَحْجَةِ عَلَيْكُمْ إِلَّا عِقُوبَةٌ ! ، وَقَدْ أَلْتَقِيَا بَحْسَ
وَأْتَمَّ عَدَّ السَّيْفِ مَنْ شَاءَ فَلْيَتَحَرَّكَ أَوْ يَتَقَهَّقِرْ وَمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ آسَ قَيْسُ
آسَ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيِّ .

مَنْ يَصِلَ يَأْرَى بِلَا دَنْبٍ وَلَا تِرَةٍ * يَصِلُ سَارِ كَرِيمٍ عَيْرٍ عَدَّارٍ
أَنَا السَّيْرُ لَكُمْ مَيِّ مُحَاهِرَةٍ . كُنْ لَا أَلَامَ عَلَى سَهْبِي وَإِنْدَارِي

وَمَنْ خَطَبَ عَثْبَةَ بَنِ أُنَى سَعْيَانَ ، وَهُوَ يَوْمُنَدُ أَمِيرَ مِصْرٍ وَقَدْ نَلَعَهُ عَنْ أَهْلِهَا
أُمُورٌ أَنْ صَعِدَ الْمَسْرُوقَالُ ^(١) يَا حَامِلِي الْأَلَمِ أُنُوفٍ رُكَّتْ بَيْنَ أَعْيُنٍ ! إِمَّا قَلِمْتُ
أَطْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسَى إِيَّاكُمْ ، وَسَأَلْتَكُمْ صَلَاحَكُمْ لَكُمْ إِذَا كَانَ فِسَادُكُمْ رَاحِعًا عَلَيْكُمْ ،
فَأَمَّا إِذَا أَنْيَمْتُمْ إِلَّا الطُّغْيَانُ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْعَتَّةُ عَلَى السُّلَفِ وَالْخُلَعَاءُ ، فَوَاللَّهِ لَا تُقَطَّعُ
تُطُونِ السَّيَاطِطِ عَلَى طُحُورِكُمْ ! فَإِنْ حَسَمْتُمْ مُسْتَشْرِىَ دَائِكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ
وَرَائِكُمْ . فَمَنْ عَطِيَّةً لَنَا قَدْ صَمَّتْ عَنْهَا آدَانُكُمْ ، وَزَحْرَةً مِمَّا قَدْ مَحَّتْهَا قُلُوبُكُمْ ،
وَلَسْتُ أُنْجِلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا مَحَدْتُمْ عَلَيَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا مُؤَيِّسًا لَكُمْ مِنَ الْمَرَاغَةِ
إِلَى الْحَسَنِ إِنْ صَرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَرْتٍ وَأَتَقَى .

وَمَنْ خَطَبَ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ حِينَ قَدِمَ إِلَى الْمِصْرَةِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَةَ
الْجَهْلَاءَ ، وَالصَّلَاحَةَ الْعَمِيَاءَ ، وَالْعَيَّ الْمُؤَيِّ نَافِلَةً عَلَى النَّاسِ فِيهِ سَهَوَاتُكُمْ ، وَيَشْتَمِلُ
عَلَيْهِ حُمَاؤُكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَحَاشَى عَنْهَا الْكَبِيرُ ، كَأَنَّكُمْ
لَمْ تَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ

(١) لعل عامل أن محذوف والأصل فما كان منه إلا أن الخ

الأئيم لأهل معصيته ، في الرمس السرمدي الذي لا يرؤل . إنه ليس منكم إلا من
 طرقت عينه الديا ، وسدت مسامعه الشهوات ، وأختار الغاية على الباقية ، ولا
 تدكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحداث الذي لم تُسَقُوا إليه من ترككم الضعيف
 يُقَهَر ، والضعيفة المسلمونة في المهار لا تُنصر ، والجمع غير مفترق .
 ألم يكن منكم هُداة يمعون العُواة عن دَح الليل وعارة المهار ؟ قرَّتم القراءة ! وما عدتم
 الدَّير ، تعتدرون بغير العدر ، وتُعْصُونَ على الشُّكر . كل أمرئ منكم يرث عن سفيهه
 صُنع من لا يحاف عقابا ولا يرجو معادا . فلم يرَ لهم ما تَرَوْنَ من قيامكم دُومهم
 حتَّى أتْهَكُوا حُرْم الإسلام ثم أطرفوا وراءكم كُفُوسا في مكائس الرِّيب ، حرام على
 الطعام والشراب حتَّى أصْع هذه المواخير بالأرض هَذَا وإحراقا . إلى رأيت آحر هذا
 الأمر لا يصلح إلا بما صَلَح به أَوْلَاهُ . إِنْ في غير صَعْف ، وشدة في غير عُنْف ،
 وإلى لأقسم بالله لا أحدٌ الوليِّ المألوف ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتَّى يلقي
 الرجل أحاه يقول "أَنْحُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ" أو تستقيم لي قناتكم . إن كَذَبَ
 الأمير لِقَاء مشهورة ، وإذا تعلقتم على كَذَبَ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ معصيتي ، وقد كان بيني
 وبين قوم لِحَاحٌ لِحَلَّتْ ذلك دَرَأْدِي وتحت قَدَمِي . إلى لو علمت أن أحدكم قد
 قتله السُّلُّ من نُعْصَى لم أكشف له قِباعا ، ولم أهلك له سِترا ، حتَّى يُنْذِرَ لي صَفْحَتَهُ ،
 وإذا فعل ذلك لم أناطره ، فاستأنفوا أموركم وراعوا على أنفسكم ، فربَّ مَنَسَّ
 قدوما سيئسّر ، ومسرور قدوما سيئتسّر . أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم
 ساسةً ، وعكم دَادَةٌ تُسَوِّسُكم سلطان الله الذي أعطانا ، وبدود عكم بمِءِ الله الذي
 حوّلنا ، فلما عليكم السَّمْعُ والطاعة فيما أحبنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وُلِّينا ، فاستوحوا
 عدلنا وقيتنا مُماصِحَتِكُمْ لنا ،

(١) في العقد الفريد والصفحة المسلمونه في المهار المصر (٢) وقع في الأصل الماحير وهو صحيح
 عن المواجه اطر اللسان والعقد الفريد . (٣) في العقد الفريد وأعيوا

فقام إليه عبد الله بن الأهمم وقال "أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطأ" قال . "كدت" داك بي الله داود^١

ومن خطب عبد الملك بن مروان، لما قتل عمرا الأشدق بن سعيد بن
العاص إرموا أنصاركم نحو أهل المعصية، وأجعلوا سلفكم لمن عثر منكم عظة،
ولا تكونوا أفعالا من حسن الاعتذار، فتبرل بكم حائضة السطوات، وتحوس حلالكم
توادر البقيات، وتطأ رقابكم بثقلها العقوبة فتجعلكم همدا رفانا، وتشتمل عليكم بطون
الأرض أمواتا . وإياي من قول قائل، ورشقة جاهل^٢ إياي بي وبكم أن أسمع
العوة فأصم تصميم الحسام المطرور^٣، وأصول صيال الحرق الموتور، وإما هي
المصاحفة والمكافئة طبات السيوف وأسة الرماح، والمعاهدة لكم لسوء الصباح،
فتاب تائب، وهذل حائب، والتوب مقبول، والإحسان مدلول، لمن عرف رُشدته^٣
وأصر حظه . فابطروا لأنفسكم، وأقبلوا على حطوطكم، ولتكن أهل الطاعة يدا على
أهل الجهل من سفيائكم، وأستديموا العمة التي آتدأتكم رعيد عيشها وبهيس
ريبتها، فإنكم من ذلك بين فصيلتين عاجل الخفص والدعة، وأحل الحراء والمثوبة
عصمكم الله من الشيطان وقتنه ورعه، وأمدكم بحس معرته وحفظه . اهتصوا
رحمكم الله إلى قص أعطياتكم غير مقطوعة عنكم، ولا مكدره عليكم .

شرح القوم من عده بدارا كلهم يحاف أن تكون السطوة به .

ومن خطب الحاج بن يوسف الثقفي عند قدومه الكوفة أميرا على

العراق يا أهل العراق أنا المحاج بن يوسف^١ .

(١) كذا في الأصل الإهمال وهو بصحيف عن المعجمة والعوة والعه أول الحيه قبل ان يسببه

(٢) المطرور براءين المحدود المشحود وفي الأصل بالذال المهملة وهو بصحيف

(٣) في الأصل نالها واهمال الدال واعظام حائب ولعله بالمم واعظام الدال بمعنى صخر وعلق واه ال الحاء

من حائب محرر

أَنَا أَنُ حَلَا وَطَّلَاغُ النَّشَايَا ، مَتَى أَصَحَّ الْعِمَامَةُ تَعْرِفُونِي

والله يا أهل العراق إني لأرى رءوساً قد أبيعَتْ وُحانَ قِطَافِهَا ، وإني لصاحِبُهَا
والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العائِمِ وَاللَّحْي . يا أهل العراق ما يُعَمَّرُ حَاطِي كِتْمَارِ
التَّيْسِ ، وَلَا يُقَعِّقُ لِي نَالِ الشَّانِ . وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَرْدَ كَاءٍ ، وَفُتِّشْتُ عَنْ نَحْرَةِ ، وَأَحْرِيْتُ
مِنَ الْعَايَةِ ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْمَلِكِ تَرَكَا تَهْ مِنْ يَدَيْهِ فَعَجَمَ عِيدَانَهَا عُدُودَا
عُدُودَا فَوَحَدَنِي أَمْرَهَا عُدُودَا . وَأَشَدَّهَا مَكْبِرَا ، فَوَحَّيَ إِلَيْكُمْ وَرَمَاكُمْ نِي يَا أَهْلَ
الْكُوفَةِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالْمَقَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَحْلَاقِ . لَأَنْتُمْ طَالَمَا أَوْصَعْتُمْ فِي الْقِتَّةِ ،
وَأَصْطَحَعْتُمْ فِي مَنَامِ الصَّلَالِ ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّ الْهَيْتِ ، وَآيَمَ اللَّهِ لِأَلْحَوْنَكُمْ لِحَوِ الْعُودِ ،
وَلَا فَرَعَكُمْ قَرَعَ الْمُرُوءَةِ ، وَلَا عَصَدَكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ ، وَلَا أَصْرَكُمْ صَرَبَ عَرِيَةِ
الْإِبِلِ . إني والله لا أحلف إلا بصدق ، ولا أعد إلا بوقت . إِيَّايَ وَهَذِهِ الرِّرَافَاتِ ،
وَقَالَ وَمَا يَقُولُ ، وَكَانَ وَمَا يَكُونُ . وَمَا أَنْتُمْ وَدَاكَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ . إِمَّا أَنْتُمْ أَهْلُ
قَرْيَةٍ كَانَتْ أَمِيَّةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِقْفُهَا رَعْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَكَثُرَتْ بِنَعِيمِ اللَّهِ ، فَأَنَاهَا
وَعِيدُ الْقُرَى مِنْ رَهَا . فَاسْتَوْفُوا وَاعْدِلُوا وَلَا تَمْلُوا ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَشَايَعُوا
وَبَايَعُوا .

وَأَعْلَمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا نَكَارٌ وَإِلْهَادٌ وَلَا مَعَ ذَلِكَ الْقَارِ وَلَا الْعِرَارِ ، إِمَّا هُوَ
أَتَصَبَّأُ هَذَا السَّيْفَ ، ثُمَّ لَا يُعَمَدُ الشِّتَاءُ وَلَا الصَّيْفُ ، حَتَّى يُدِلَّ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عِرْكُمُ ، وَيُقِيمَ لَهُ أَوْدَكُمْ وَصَعْرَكُمْ . ثُمَّ إِنْ وَحَدْتُ الصَّدَقَ مِنَ الرِّ ، وَوَحَدْتُ الرِّ
فِي الْحَسَّةِ ، وَوَحَدْتُ الْكَدْبَ مِنَ الْمُحْجُورِ ، وَوَحَدْتُ الْمُحْجُورَ فِي السَّارِ . وَإِنْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي أَنْ أُعْطِيَكُمْ أَعْطِيَاتِكُمْ ، وَأُشْحِصَّكُمْ لِمَحَاهِدِ ، عَدُوَّكُمْ وَعَدُوَّ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ وَأَحْلَلْتُكُمْ ثَلَاثًا ، وَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا بِوَاحِدِي بِهِ
وَيَسْتَوْفِيهِ مِنِّي لَنْ تَحْلِفَ مِنْكُمْ بَعْدَ قِصِّ عَطَائِهِ أَحَدٌ لِأَصْرَبِّ عُنُقِهِ وَأَهْبَبِّ مَالِهِ .

ثم أَلَمَّتْ الى أهل الشام فقال أتم البطانة والعشيرة^١ والله لريحكم أطيئ من ريح المسك الأدقر، وإما أتم كما قال الله تعالى ﴿وَصَرََبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ الآية .
وَأَلَمَّتْ الى أهل العراق فقال والله لريحكم أتن من ريح الأنحر، وإما أتم كما قال الله ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية .

ومن خطه لما قدم البصرة يهدد أهل العراق ويتوعدهم
أيها الناس من أعياء داؤه فعدى دواؤه^١ ، ومن أستطال أحله ، فعلى أن أغضله ،
ومن ثقل عليه رأسه وصعت عنه ثقله ، ومن أستطال ماصي عمره قصرت عليه
ناقيه . إن للشيطان طيقا ، وللسلطان سيفا^١ ، من سقيمت سريرته ، صحت عقوبته ،
ومن وضعه دسه ، رفعه ضلله ، ومن لم تسعه العافية ، لم تصق عنه المهلكة ، ومن سقته
بادرة فمه ، سقى بدنه سفك دمه ، إلى أنذر ثم لا أنظر ، وأحذر ثم لا أعذر ، وأتوعد
ثم لا أعمو . إما أفسدكم تربيق ولاتكم ، ومن أسترحى له ، ساء أدبه . إن الحرم
والعرم سكا في وسطى ، وأبدلاني به سيمى فقامه في يدي ، وبجاده في عقي ، ودنائه
قلادة لمن عصاني^١ ، والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد
ويخرج من الباب الذي يليه إلا صرئت عنقه .

ولعمر من عبد العرير ، وسليمان من عبد الملك من حلفاء سى أمية ، وأنى جعفر
المصور ، وهارون الرشيد ، وآبى المأمون من حلفاء سى العباس وعمرهم ، من حلفاء
الدولتين وأمر أنهم حطب فائقة ، وبلاعات معجزة رائقة ، يصيق هذا الكتاب
عن إيرادها ، وقد أوردنا من ذلك ما فيه كفاية للديب ، وموقع للأريب .

ومن حطب أنى نكر بن عبد الله أمير المدينة السوية على ساكها أفصل
الصلاة والسلام ، والحية والإكرام ، وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة أنهم يبالون
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسعهم آخرون على ذلك .

أيها الناس^(١) إني قائل قولاً من وعاه وأداه فعلى الله حراؤه، ومن لم يبعه فلا يعد من ديمائها، إن قصرت عن تفصيله، فلن تعجزوا عن تحصيله. فأرعوه أنصاركم وأوعوه أسماعكم وأشعروه قلوبكم، فالموعظة حياة، والمؤمنون إحوة، وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداناكم أجمعين. فأتوا الهدى تهنّدوا، واحتبوا النور ترشدوا. وأيدوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. والله حلّ حلاله. وتقدست أسمائه أمركم بالجماعة ورصيها لكم. وسهاكم عن العرقه وخبطها مسكم. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها. جعلنا الله وإياكم من يتبع رسوله ويحسب خطئه وإيا من به وله. وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين، وأختاره على العالمين، وأختار له أصحاباً على الحق ووراء دور الخلق. واحتصم به وأتبعهم له، فصدّقوه وبصروه وعزّروه ووقّروه، فلم يقدّموا إلا لأمره، ولم يُخجموا إلا عن رأيه، وكانوا أعرافه بعهدته، وحلفاءه من بعده. فوصفهم فأحسن وصفهم ودكرهم فأثنى عليهم فقال وقوله الحق ﷺ محمد رسول الله والدين معه أشدّاء على الكفار ﷻ إلى قوله ﷻ معفره وأخراً عطياً ﷻ من عاظه كفر وحاب وخر وحسر. وقال الله حل وعمر ﷻ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﷻ إلى قوله ﷻ رسّاً إراك رءوف رحيم ﷻ من حاله شريطه الله عليه لهم وأمره إياه فيهم فلا حق له في النعم، ولا سهم له في الإسلام في آي كثيرة من القرآن، ففرق مارقته من الدين. وفارقوا المسلمين وجعلوهم عصيين. وحرّبوها أحراباً، أشانات وأوشانا. خالفوا كتاب الله فهم خابوا وحسروا

(١) كذا في الاصل ولكن ما همال الاء من بعد ولعل مراده فلا يخرج عن حرها الى المعالة

الدنيا والآخرة . دَلِكْ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِين . أَقْسَ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَيْفَ رِيٍّ لَهُ
سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّعَوْا أَهْوَاءَهُمْ . مَا لِي أَرَى عُيُوبًا خُرًّا ، وَرِقَاقًا صُغْرًا ، وَطُوبًا نَحْرِي^(١) ،
شَيْئًا لَا يُسَبِّعُهُ الْمَاءُ ، وَدَاءً لَا يُشْرَبُ فِيهِ الدَّوَاءُ . أَفَصَرِبَ عَنْكُمْ الدَّكْرَ صَفْحًا أَنْ
كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ . كَلَّا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ الْهَيْسَاءُ وَالظَّلَاءُ حَتَّى يَطْهَرَ الْعُدر ، وَيُوحِ
السَّرَّ ، وَيَصْحَ الْعَيْبُ ، وَيَشُوشَ الْحَيْبُ . وَإِنْكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عِشًا وَلَمْ تَتْرَكُوا سُدًى ،
وَيُحْكَمْ لِي لَسْتُ أَتَاوِيًا^(٢) أَعْلَمُ ، وَلَا نَدَوِيًّا أَفْهَمُ . قَدْ حَلَلْتُمْ أَشْطَرًا ، وَقَلَّتُمْ أَنْطَبًا
وَأَطْهَرًا . فَعَرَفْتُمْ أَنْعَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنْ قَوْمًا أَطْهَرُوا الْإِسْلَامَ نَأْسَتَهُمْ ،
وَأَسْرَوْا الْكُمُرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَصَرَبُوا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَعَصَ ، وَلَدَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَصَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَحَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ
الْحِلْهِلِ مِنْ أَسَائِهِمْ أَعْوَابًا يَأْدُبُونَ لَهُمْ ، وَيَضَعُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا^(٣) ، قَدْ وَقُوعُ
الْقَوَارِعِ وَطُولُ الرِّوَايَةِ . هَذَا لَهَذَا وَمَعَ هَذَا ، فَلَسْتُ أَعْتَشُ أَتَانًا وَلَا نَائِنًا ، عَقَا اللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ يُدَوِّنُ الْقِيَامَ . فَأَسْرَوْا حِرًا وَأَطْهَرُوهُ ،
وَأَحْهَرُوا نَهْ وَأَحْصَوْهُ . وَطَالَمَا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى نَاكِسِينَ . وَلِيَعْلَمَ مَنْ أَدْرَ وَأَصْرَ
أَهْلًا مَوْعِظَةً بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوَكُمْ إِلَى هَوًى يُنْبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يَنْتَدِعُ .
إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُتْلَى ، الَّتِي فِيهَا حَيْرَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، مَنْ أَحَابَ إِلَى رُشْدِهِ ،
وَمَنْ عَمِيَ عَنْ قَصْدِهِ . فَهَلُمُّ إِلَى الشَّرَائِعِ ، الْخَدَائِعِ ، وَلَا تُؤَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَا تَسْتَدْلُوا الدِّيَّ هُوَ أَدْنَى مَا لَدَى هُوَ حَيْرٌ لِنَفْسٍ لِلطَّالِمِينَ نَدَلًا . إِيَّاكُمْ وَنَبِيَّاتِ
الطَّرِيقِ ، فَعِدْهَا التَّرْبِيقَ وَالتَّرْهِيْقَ . وَعَلَيْكُمْ بِالْحَاذَةِ هِيَ أَسَدٌ وَأُورِدَ ، وَدَعُوا الْأَمَانِيَّ

(١) لَعَلَّه تُحْرَجُ جَمْعُ أَحْمَرٍ وَالْحَرَّ عَطَمُ الْمَطَرِ

(٢) الْأَتَاوِيَّ الدَّرَبُ الَّذِي لَسَ فِي وَطْهِ

(٣) أَيْ أَطْلَمَ رَاحِمًا وَلَا نَائِنًا مِمَّا حَصَلَ وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ اعْتَشَى وَهُوَ يَصْحَفُ لَا مَعْنَى لَهُ هَذَا

فقد أودت من كان قلكم . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . والله الآخرة والأولى .
ولا تفترؤا على الله الكذب فيسحقكم بعدايب وقد حاب من أفتري . رسا لا ترغ قلوبنا
بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ومن خطب خالد بن عبد الله أمير البصرة أيها الناس ! ما يسوا في المكارم
وسارعوا إلى المعام . واشتروا الحمد بالحدود ، ولا تكسوا ما ظل دما ، ولا تعتدوا
بالمعروف ما لم تعلموه ، ومهما يكن لأحد منكم عد أحد بعمه فلم يلع شكرها ، فإله
أحسن لها جراء ، وأحرل عليها عطاء . وأعلموا أن حوائج الناس إليكم ، بعمه من
الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتحوّلوا قبا . وأعلموا أن أفضل المال ما أكتسب أحرأ ،
وأورث دكرا . ولو رأيتم المعروف رحلا ، رأيتموه حسا حميلا يسر الباطرين .
ولو رأيتم السحل رحلا ، رأيتموه مشوها فيبحا تفر عنه القلوب ، وتغص عنه الأنصار .
أيها الناس ! إن أحوذ الناس من أعطى من لا يرحوه ، وأعظم الناس عقوا من
عفا عن قذرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن لم يبط حرته لم يرك
بته ، والأصول عن معارسها تنمو ، وناصولها تسمو . أقول قولي هذا وأستعصر الله
لي ولكم .

ومن خطب قطري بن السجاعة حطته المشهورة في دم الديار والتحدير
عها ، وهي .

أما بعد إني أحذركم الديار ، وإها حلوة حصرة ، حفت بالشهوات ، وراقت
بالقليل . وتحببت بالعاحلة ، وحليت بالآمال ، وترينت بالمرور . لا تدوم بصرتها ،
ولا تؤمن بفتحها . عرارة ، صرارة . وحائلة ، رائلة . ووافدة ، نائدة . أكالة ،
عولة . لا تعدوا إذا تاهت إلى أمية أهل الرعه فيها والرصا عها أن تكون كما قال
الله تعالى ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْطَاطْ بِهِ سَاتِ الْأَرْضِ فَأَصْحَحْ هَسِيماً تَذَرُوهُ ﴾

الرَّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١﴾ مع أن أمراً لم يكن منها في حرة، إلا أعتقه
 بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً، إلا مآخذه من صرائها طهراً. ولم يصله عيشة
 رخاء، إلا هطلت عليه مرته نلاء. وحرية إذا أصححت له متصرة أن يمسى له
 حادثة متكررة. وأى حابٍ منها أعدودت وأحلولى، أمر عليه منها حاب وأونا.
 وإن آتت أمراً من عصبوها ورقاً أرهقته من بوائها تماً. ولم يمس منها أمراً
 في حاح أن إلا أصبح منها على قوادم خوف، عرارة عرور ما فيها، فاسية،
 فإن من عليها، لا حير في شيء من رادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه.
 ومن استكثر منها، استكثر مما يؤنقه ويطيل حربه، ويؤمكى عينه. كم وائقيها قد
 خفعتسه، ودى حُكم ثنته إليها قد صرعته، ودى احتيال فيها قد خدعتته. وكم دى
 أته فيها قد صيرته حقيراً، ودى نحوه قد ردته دليلاً. ومن دى تاج قد كتنه للبدن
 والهم. سلطانها دول. وعيشها ريق، وعدنها أحاح، وحلواها صبر، وعداؤها سمام،
 وأسامها ريام. قطافها سلع. حياها نعرص موت، وصحيفها نعرص سقم. مبيعها
 نعرص آهتصام. ومملكها مسلوب، وعريتها مغلوب. وسليمها مكروب، وحارها
 محروب. مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المطلع، والوقوف بين يدي
 الحكم العدل ﴿٢﴾ ليحري الدين أساءوا بما عملوا ويحري الدين أحسنوا الحسنى. .
 ألستم في مساكن من كل قبلكم أطول منكم أعماراً، وأوصح منكم آثاراً، وأعدت
 عديداً، وأكثف حدوداً. وأشدت عتوداً. تعبدوا للدينا أى تعبد، وآثروها أى
 إثارتها، وطعنوا عنها بالكره والصغار. فهل ملعكم أن الدينا سمحت لهم نفساً بهدية،
 أو أعتت عنها فيما قد أهلكتهم بخط بل أرهقتهم بالعوادح، وصعصعتهم بالوائت،

(١) في غير هذا الكتاب ولم يطله من الطل ويطهران عنه مصحفه عن سبه والعنه الدفعة من المطر

(٢) في نسخة وأولى

وَعَقَرْتَهُم بِالصَّخَائِعِ . وقد رأيتُم تَكْرُها لِمَن رادها وآثرها وأحلد إليها ، حينَ طَعَّوْا عَها
لِإِراقٍ إلى الأبد إلى آخر الأمد . هل رَوَدْتَهُم إِلَّا السَّعْبُ ؟ ، وَأَحَلَّتْهُم إِلَّا الصَّبْكَ ،
أو نُورَتْ لَهُم إِلَّا الظُّلْمَةُ ، أو أَعَقَّتْهُم إِلَّا الدَّامَةُ ؟ أُوْهَدُهُ تُوْثِرُونَ ، أم على هَذِهِ تَخْرِصُونَ
أم إِلَيْها تَطْمَئِنُّونَ ؟ . يقول الله حل ذكره ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِيتَهَا نُوفَ
إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ ﴾ نلست الدار لمن أقام فيها فاعلموا إد أنتم
تعلمون أنكم تاركوها الأبد ، وإما هي كما وصعها الله تعالى باللعب واللهو ، وقد قال
تعالى ﴿ أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْتَوْنَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ
نَبَطْتُمْ حَارِينَ ﴾ .

إلى غير ذلك من حطب حلفاء الدولتين وأمرائهم مما يطول القول بإيراده ،
ويجرح الكتاب بذكره عن حده .

المقصد الثاني

(في كيفية تصرف الكاتب في الخطب)

قد تقدّم في أوّل المقصد الأوّل من هذا النوع قول أُنَى هلال العسكري إن الرسائل
والخطب متشاكلتان في أهمّهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية والمشاكلّة في العواصل
وإن الخطب يُشَاهِبه بها محلاف الرسالة ، والرسالة تحمل خطبة والخطبة تحمل رسالة
في أيسر كُلفَةٍ . وحيثُ إدّا أراد الكاتب نقل الخطبة إلى الرسالة أمكه ذلك ، إدّا
أكثر صاحب هذه الصبغة من حفظ الخطب البليغة ، وعلم مقاصد الخطّانة وموارد
الفصاحة ومواقع السلاعة ، وعرف مصابيح الخطباء ومشاهيرهم ، أسع له المحال
في الكلام وسهلت عليه مستوعرات البث ، ودلّت له صعبات المعاني ، وفاض على
لسانه في وقت الحاجة ما كنّ من ذلك بين ضلّوعه فأودعه في ثره ، وصممه في رسائله ،

فاستعنى عن شغل الفكر في استبطاط المعاني البديعة، ومشقة التعب في تنقُّع الألفاظ
 الفصيحة، التي لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد، ولا يسمح حاطره سطيها ولو
 دأب. إن الخطب حرة من أحرار الكتابة، وبوع من أنواعها، يحتاج الكتاب إليها
 في صدور بعض المكاتبات، وفي البيعات والعهود والتقاليد والتعاضد وكرار
 التواقيع والمراسيم، والمناشير، على ماسياتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى،
 وما لعله ينشئه من حطة صداق أو رسالة أو نحو ذلك. وكذلك يعرف مصابيح
 الخطباء، ومشاهير الفصحاء، واللغاة، كقوس ساعدة الإيادي التي تقدمت
 حطته آنفا في صدر الخطب. ويتحان الوائلي وهو رجل من بني وائل، ليس ببيع
 يضرب به المثل في البيان، وغيرهما ممن يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة، ومن
 ينسب إلى العتي والعروة كافل وهو رجل من العرب اشترى طيبا بأحد عشر درهما
 فقبل له بكم اشتريته ففتح فيه وفتق أصابعه العشرة وأخرج لسانه، يشير بذلك إلى
 أحد عشر ولم يحسن التعبير عنها، فاهلت الطي فضرب به المثل في العتي. وإذا
 عرف البليغ وغير البليغ، وعالي الرتبة وسافلها، عرّص حينئذ ذكر من أراد مهم
 مقاييسا للعامل بمثله، وللعنى سطيها كما قال القاصي العاقل في بعض رسائله،
 في جواب كتاب ورد عليه من بعض إخوانه

فأما شوقه لعدده فالمولى قد أنقاه الله قد أوتي فصاحة لسان. ويتح ديل العتي
 على سحان.

وكما قال الشيخ صياء الدين أحمد القرطبي من رسالة كتبها للشيخ تقي الدين
 أس دقي العيد، يصف رسالة وردت منه عليه إن كلمها يمس في صدورنا
 وأعجارها، وتنال عليها أعراض المعاني بين إسهائها وإبحارها، فهي فرائد آتلفت
 في أنكار الوائلي والإيادي.

السَّوْعُ التَّاسِعُ

(مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ حاسب حيد من مكاتبات الصدر الأول،
ومحاوراتهم، ومراجعاتهم، وما آذعاه كل منهم لنفسه أو لقومه، والطر
في رسائل المتقدمين من للاء الكتاب، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في وحه احتياح الكاتب إلى معرفة ذلك)

أما حفظ مكاتبات الصدر الأول ورسائلهم فلأنها مع^(٢) مستدع البلاء
وكرر الفصاحة غير ملاسة لطريقة الكتاب في أكثر الأمور، ويستعان بحفظها على
مواقع البلاء ولا يطمع الحاضر بالانكال على إيراد فصل منها برمته لمخالفته لأسلوب
الكتاب في أكثر الأمور.

وأما الطر في رسائل اللعاء من فصلاء الكتاب، فلما في ذلك من تنقيح القرينة،
وإرشاد الحاضر، وتسهيل الطرق، والنسخ على منوال الحميد، والافتداء بطريقة
المحسن، وأستدراك ما فات، والاحتراز مما أظهرة القدر، ورد ما هرحه السك .
وأقتصر على النظر فيها دون حفظها لئلا يتكل الحاضر على ما يأتي به فأصله مما ليس
له فيتشع بما لم يعط فيكون كلاس ثوى رور . اللهم إلا أن يريد بحفظها المحاصرة
دون الإشاء فإن اللائق به الحفظ دون غيره .

(١) كذا بالأصل زيادة من وفي الصوء إسقاطها وهو الصواب

(٢) بياض بالأصل .

المقصد الثاني

(في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلا إلى معرفة

ما يحتاج إلى حفظه من ذلك)

أما مكاتباتهم المشتملة على المحاورة والمراعاة ، فمها ما كتب به معاوية بن
أبي سفيان رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه في زمن
المشاهرة بينهما ، وهي ^(١)

أما بعد ، فإن الله أصطفى محمدا ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ،
وأختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم ، وكانوا في منارهم عنده على قدر فصائلهم
في الإسلام ، فكان أفصلهم في الإسلام ، وأبصحهم لله ولرسوله الخليفة ، وخليفة
الخليفة ، والخليفة الثالث ، فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بعيت . عرفنا ذلك في بطرك
الشمر ، وتنفك الصعداء ، وإطائك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تقاد كقائد
الغير المحشوش حتى تابع وأنت كاره ، ولم تكن لأحد منهم أشد حسدا منك لآس
عمك عثمان ، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك به ، في قرانته وصهره ، فقطعت رحمه ،
وقبحت محاسنه ، وألنت عليه الناس حتى صيرت إليه آناط الإبل ، وشهر عليه
السلح في حرم الرسول ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة ، لا تؤذى
عن نفسك في أمره بقول ولا فعل ، أفسم قسما صادقا لو قمت في أمره مقاما
واحدا تهيئ الناس عنه ، ما عدل بك ممن قلنا من الناس أحد ، ولما ذلك عنك
ما كانوا يعرفونك به من المحاسة لعثمان والمعنى عليه . وأحرى أنت بها عند أولياء

(١) كتاب معاوية بن سفيان في الأصل فملأه من العقد الفريد لآس عند ربه جزء ٢ صفحته ٢٨٥

(٢) أى المحمول منه الخشاش وهو عود يحمل في عظم أنف العير مصباح

(٣) الهائمه الصوت المزعج

اس عَقَّان صبين ، إيوأؤك قَتلة عثمان ، فهم بَطانتك ، وعَصْدُك وأبصارك . فقد
 بلعى أُنك تنجى من دمه وإن كنت صادقاً فأدفع إليّ قتلته تقتلهم به . ثم نحن
 أسرعُ الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عدنا إلا السيف . والذى نفس
 معاوية بيده لأطْلُس قَتلة عثمان فى الحمال ، والرمال ، والرر ، والبحر ، حتى تقتلهم
 أو تلحق أرواحنا بالله .

فكتب إليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى جواب ذلك
 أما بعد فقد أتانى كتابك . تذكر فيه أصطفاء الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم
 لدينه وتأنيده إياه بمن أيدته به من أصحابه ، ولقد حَمَّ لنا الدهرُ منك عَمَّا أَطْعِفْتَ
 تحرباً بآلاء الله عندما ، فكتب كفاً للتمر إلى هجر أو داعى مِذْرِهِ إلى النَّصَال ،
 ورعيت أن أفصل الناس فى الإسلام فلان وفلان وقد كرت أمراً إن تم أعترك كلُّه ،
 وإن نقص لم يلحقك قُله ، وما أنت والفاصل والمفصول والسائل والمسئول .
 وما للطلقاء وأسَاء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين ، وترتيب درجاتهم ،
 وتعريف طبقاتهم ، هيئات الهدى قدح ليس منها ، وطبق يحكم فيها من عليه الحكم
 لها ، ألا ترعى على طلعك ، وتعرف قصور دَرْعك ، وتتأخر حيث أحرَّك القَدَر ، فما
 عليك عِلَّة المعلوم . ولا لك طَقَر الطافر . وإليك لَدَهَاب فى التَّيِّه ، رَوَّاع عن
 القصد . ألا ترى غير محمرك ولكن سعة الله أحدثت ، أن قوماً أسْتَشْهَدُوا فى سبيل
 الله ولكل فضل حتى إذا أسْتَشْهَد شَهِيداً قيل سيد الشهداء ، وحضه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم تسعين تكبيرة عند صلاته عليه ، ألا ترى أن قوماً قطعت أيديهم
 فى سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فُعل بواحد ما فُعل بواحد منهم قيل الطَّيَّار
 فى الحمة ودوا الحاحين ، ولولا ما هُبى عن تركية المرء نفسه لذكر دكر فصائل حمة ،

تعرفها قلوبُ المؤمنين ، ولا تمنحها آذان السامعين . فدع عنك من مالت به الرمية فإنما صائع رسا ، والباس بعدُ صائع لنا ، لم ينعما قديمُ عرا ، ومديد طولنا على قومك أن حلطاهم بأنفسا فكحنا وأنكحنا ، فعل الأكفاء ولستم هماك ، وأنى يكون ذلك كذلك ؟ وما النى ومكم المكذب ، وما أسد الله ومكم أسد الأحلاف ، وما سيدا شباب أهل الحمة ، ومكم صنية النار ، وما حير ساء العالمين ، ومكم حمالة الخطب ، وإسلاما قد سمع وجاهلينا لا تدفع ، كتأب الله يجمع لنا ما شدد عما وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ نَعْتُهُمْ أُولَى سَعِصِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنْ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فمن مرة أولى بالقراءة وتارة أولى بالطاعة . ولما آتحت المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقحوا عليهم ، فإن يكن القلح به فالحق لنا دؤبكم ، وإب يكن بعيره فالأنصار على دعواهم . ورعمت أنى لكل الحلفاء حسدت ، وعلى كلهم بعيت ، فإن يك ذلك كذلك فليست الحباية عليك ، فتكون المعيرة إليك * وتلك شكاة طاهر عك عارها *

وقلت إني كست أفاد كما يقاد الحمل المحشوش حتى أبايع . ولعمرك الله ! لقد أردت أن تدم حمدة ، وأن تفصح فافتصحت ، وما على المسلم من عصاصة في أن يكون مطلوما ما لم يكن شاكاً في ديه ، ولا مرتاناً في يقيه . وهذه محتى إلى عيرك قصدها ، ولكى أطلقت لك منها بقدر ما مسح لك من دكرها .

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر عثمان ، فأيا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله آمنٌ بدل له نصرتة فاستعده واستكفه أم من استصره فتراحى عنه وبث المون إليه ، حتى أتى قدره عليه . كلا والله ! لقد علم الله المعوقين منكم والقائلي لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون الناس إلا قليلا . وما كنت أعتذر من أنى كست أقم عليه

أحدانا فإن يكنى الدبُّ إليه إرشادى وهدايتى له ”فَرُبَّ مَلُومٍ لَادَتْ لَهُ . وقد يَسْتَعِيدُ
الطَّيَّةَ الْمُتَصَّحُ“ وما أردتُ إلا الإصلاحَ ما أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا مَالِلُهُ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

ودكرت أنه ليس لى ولا محماني إلا السيف فلقد أصحكت بعد أستعمار متى
ألفيت بنى عبد المطلب عن الأعداء ما كلبى؟ أو بالسيوف محوئين .
(و) لَمَّا قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلٌ * سَيَطْلُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَعِدُّ ،
وَأَنَا مُرْقِلٌ بِمَحْوِكَ فَيُخَفِّلُ مِنَ الْمَاهِرِينَ ، وَالْأَنْصَارِ وَالنَّاعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ
رَحَامَتِهِمْ ، سَاطِعِ قَتَامِهِمْ ، مُسْرِلِينَ سِرَابِيلَ الْمَوْتِ . أَحْبُُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَهْمٍ .
قد صحتهم دُرِّيَّةٌ بِدُرِّيَّةٍ وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَلِمَتْ مَوَاقِعَ بَصَالِيهَا فِي أَحْيَاكَ وَحَالِكَ ،
وَحَدَّكَ ، وَأَهْلَكَ ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الطَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وكما كتب ”أبو جعفر المصور“ ثانياً حلفاء بنى العباس ، وهو يومئذ خليفة ،
إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، حين نوبع له بالخلافة
وخرج على المصور يريد أنتراعها منه . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن
عبد الله . أما بعد ﴿ إِنَّمَا حَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَبٌ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلُّوا أَوْ تُقَطِّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ حَلَائِفٍ أَوْ يُقْتَلُوا مِنْ
الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُّورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ولك دمة الله وعهده وميثاقه
وحق بنه محمد صلى الله عليه وسلم إن تُنت من قل أن يُقدَّر عليك أن أؤمِّك على
نفسك وولدك وإحوتك ومن يابك وجميع شيعتك ، وأن أعطيك ألف ألف
درهم ، وأبرلك من البلاد حيث شئت ، وأقصى لك ماشئت من الحاجات ، وأن
أطلق من بنى سخي من أهل بيتك وشيعتك وأبصارك ، ثم لا أُنْبِعَ أحداً منكم بمكروه

وإن شئت أن نتوثق لفسك فوجه إلى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأيمان
ما أحبت . والسلام .

فأحابه محمد بن عبد الله بما نصه

من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد . أما بعد ﴿ طسم ، تلك
آيات الكتاب المبين تنزلنا عليك بن سبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن
فرعون علا في الأرض وحمل أهلها شيئا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم
ويستحيي نسائهم إنه كان من المفسدين ويريد أن يمس على الدين استضعفوا
في الأرض وتحملهم أئمة وتحملهم الوارثين وتمكن لهم في الأرض ويرى فرعون
وهامان وحودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل
الذي أعطيتني ، وقد تعلم أن الحق حقا ، وأنكم إنما أعطيتموه سا ، وهصتم فيه
نسعيًا وحطتموه بفصلنا ، وأن أنا عليا عليه السلام ، كان الوصي والإمام ، فكيف
ورثتموه دوبا ، ونحن أحياء ! وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل
فصلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا وسيدنا ، وإنا سوأتم أنى رسول الله فاطمة
بنت عمرو في الحالية دونكم ، وسوآنته فاطمة في الإسلام من بينكم ، فإنا أوسط
بني هاشم نسبا ، وحيرهم أما وأنا ، لم تلدى العجم ، ولم تُعرق في أمهات الأولاد .
وإن الله عز وجل لم يرل يختار لنا فولدى من البين أفضلهم محمد صلى الله عليه
وسلم . ومن أصحابه أقدمهم إسلاما ، وأوسعهم علما ، وأكثرهم جهادا على من
أنى طالب ، ومن نسائه أفضلهن حديجة بنت حويلد أول من آمن بالله وصلى إلى
القيلة ، ومن سائه أفضلهن ، وسيدة نساء أهل الحمة ، ومن المولودين في الإسلام
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الحمة . ثم قد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين ،
وأن عبد المطلب ولد الحسن والحسين مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولَدْنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قَبْلِ حَدَّثِي الْحَسَّ وَالْحُسَيْنَ ، فَمَا رَأَى إِلَهًا يُخْتَارُنِي حَتَّى أَحْتَارُنِي
فِي الْبَارِ فَوَلَدَنِي أَرْفَعُ الْبَاسَ دَرَجَةً فِي الْحَيَاةِ ، وَأَهْوَنُ أَهْلَ الْبَارِ عِدَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَنَا
أَسُّ حَيْرِ الْأَحْيَارِ ، وَأَسُّ حَيْرِ الْأَشْرَارِ ، وَأَسُّ حَيْرِ أَهْلِ الْحَيَاةِ ، وَأَسُّ حَيْرِ أَهْلِ الْبَارِ . وَلَكِ
عَهْدُ اللَّهِ إِنْ دَخَلْتَ فِي بَيْعَتِي أَنْ أَوْفِدَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وَكُلِّ مَا أَصْنَعُهُ إِلَّا حَدًّا
مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَوْ مَعَاهِدٍ . فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يَلِرْمُكَ فِي ذَلِكَ فَأَنَا أَوْفِي
بِالْعَهْدِ مِنْكَ ، وَأَنْتِ أُخْرَى يَقْبُولُ الْأَمَامُ مِنِّي . فَأَنَا أَمَامُكَ الَّذِي عَرَضْتَ عَلَى
وَأَيُّ الْأَمَامَاتِ هُوَ ؟ أَمَامُ أَسِّ هَبِيرَةٍ ، أَمْ أَمَامُ عَمِكَ عِدَانَةَ سِ عَلَى ، أَمْ أَمَامُ مُسْلِمٍ
وَالسَّلَامُ .

وَأَحَابُهُ الْمَصُورُ مِنْ عِدَانَةِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عِدَانَةِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدُ
فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ، وَبَلَغَنِي كَلَامُكَ ، وَإِذَا حُلُّ فُحْرِكَ بِالسَّاءِ ، لَتُصِلَّ بِهِ الْحَقَّةُ
وَالْعَوَاءُ ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ السَّاءَ كَالْعُمُومَةِ ، وَلَا الْآثَاءَ كَالْعَصَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَقَدْ جَعَلَ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَّ أَنَا ، وَبَدَأَ بِهِ عَلَى الْوَالِدِ الْأَدْنَى . فَقَالَ حُلُّ شَاؤُهُ عَنْ بَنِيهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ﴿وَأَتَّعْتُ مِلَّةَ آتَانِي لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَ وَتَعَالَى نَعْتَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعُمُومَتُهُ أَرْبَعَةٌ
فَأَحَابُ أَثَانٍ أَحَدُهُمَا أَبِي ، وَكُفَرَاءُ أَثَانٍ أَحَدُهُمَا أَبُوكَ .

وَأَمَّا مَا دَكَرْتَ مِنَ السَّاءِ وَقَرَّائَتِهِ ، فَلَوْ أُعْطِيَ عَلَى قَدْرِ الْأَنْسَابِ ، وَحَقُّ
الْأَحْسَابِ ، لَكَانَ الْخَيْرُ كُلُّهُ لِأَمَةِ سِتِّ وَهَبَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُخْتَارُ لَدَيْهِ مَنْ يُشَاءُ
مِنْ حَلْقِهِ .

وَأَمَّا مَا دَكَرْتَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسِيدِ أُمِّ عَلِيٍّ سِ أَنْى طَالِبٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتِ الْحُسَيْنِ
وَأَنْ هَاشِمًا وَلَدَتْ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ ، وَأَنْ عِدَّ الْمُطَّلَبَ وَلَدَ الْحُسَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، خَيْرَ الْأَوَّلِينَ

والآخريين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلِدْه هاشم إلا مرة واحدة ، ولم يَلِدْه
عد المطلب إلا مرة واحدة .

وأما ماد كرت من أنك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قد
أنى ذلك فقال ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾
ولكنكم قرابة آتته ، وإياها قرابة ذريته ، غير أنها امرأة لا تحور الميراث ، ولا يحور
أن تؤم فكيف تُورث الإمامة من قبلها ؟ ولقد طلماها أنوك من كل وجه فأرحها
تُخاصم ، ومَرَصَهَا سَرًا ، ودفعها ليلا ، فأنى الناس إلا تقديم الشيعيين . ولقد حصر
أنوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بالصلاة غيره . ثم أحد الناس رجلا
فلم يأحدوا أنك فيهم . ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها ، وبايع عبد الرحمن
عثمان وقلها عثمان وحارب أنك طلحة والزبير ، ودعا سعدا إلى تبعته فأعلق بأنه دونه .
ثم بايع معاوية بعده ، وأقصى أمر حذك إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية يحرق
ودراهم ورح إلى المدينة ، فدفع الأمر إلى غير أهله ، وأحد مالا من غير حله . فإن
كان لكم فيها شيء فقد بتموه .

وأما قولك إن الله أختار لك في الكفر ففعل أنوك أهو أهل النار عدا ما ليس
في الشرحار ، ولا من عذاب الله هي ، ولا نعى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر
أن يفتح النار . سترد فتعلم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وأما قولك إنه لم تلدك العجم ، ولم تعرف فيك أمهات الأولاد ، وإني أوسط
في هاشم سسا ، وحيرهم أمًا وأنا ، فقد رأيتك حرت على بني هاشم طرا ، وقدمت
نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا ، وأصلا وفصلا . حرت على إبراهيم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى
عدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصل من على

آس الحسين وهو لأُم ولد، ولقد كان حيرا من حدك حسس س حسس. ثم آس محمد س
 على حير من أليك وحدته أُم ولد. ثم آس جعفر وهو حير منك ولدته أُم ولد.
 ولقد علمت أن حدك عليا حَكَمَ حكيمين وأعطاهما عهدا وميثاقه على الرضا بما حكما
 به فأحتمعا على حَلَعه، ثم حرج عُمك الحسين على آس مرحلة وكان الناس معه
 عليه حتى قتلوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطيه كالسني المحلوب إلى الشام.
 ثم حرج منكم غير واحد فقتلكم سو أمية وحرَقوكم بالنار وصلَّوكم على حدوع الحل
 حتى حرجا عليهم فأدركا شاركم إدم لم تُذكره، وروعا أقداركم، وأورشاكم أرضهم
 وديارهم بعد أن كانوا يلعبون أناك في أدار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فمعاهم
 وكفرباهم، وبيما فصله وأشدنا يدكره، فأتحدث ذلك عليا حجة، وطست أنا بما
 دكرنا من فصل على قدماءه على حمرة والعباس وجعفر، كل أولئك مصوا سالمين
 سلما منهم وأنتلي أبوك بالكرماء. ولقد علمت أن ماثرا في الخاهلية سقاية الحاج
 الأعظم، وولاية رمرم، وكالت للعباس دُون إحوته فارغ فيها أبوك إلى عمر
 فقضى لها عمرها. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا
 إلا العباس فكان وارثه دُون سى عبد المطلب، فطلب الخلافة غير واحد من سى
 هاشم فلم يئلها إلا ولده. فأجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم حاتم
 الأبناء، وسُوهُ القادة الخلفاء، فقد ذهب بفصل القديم والحديث، ولولا العباس
 أخرج إلى بدر كرها لما ت عمّاك طالب وعقيل حُوعا أو يتخشمان حقان عتة وشيبة،
 فأذهب عهما العار والشَّار. ولقد جاء الإسلام والعباس يُمون أنا طالب للأزمة
 التي أصابتهم. ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مُّاكم في الكفر، وفدياكم من الأسر،
 وورثا دويكم حاتم الأبناء، وحراب شرف الآباء، وأدركا شاركم إدم عخرتم عه
 ووصعناكم حيث لم تصعوا أنفسكم والسلام.

ومن مكاتبات ملوك الفرس اللغاء ما كتب به أرسطوطاليس إلى الإسكندر
إبه إنما تملك الرعية بالإحسان إليها، وتطفر بالمحبة منها، وإنَّ طلبك ذلك بإحسانك،
هو أدوم بقاء منه باعتسافك بعصك. وأعلم أنه إنما تُملك الأبدان، فأجمع إليها القلوب
بالمحبة. وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل، فأحتد أن لا تقول
تسلم من أن تفعل .

ومما كتب به أرويز إلى آسه شيرويه يوصيه بالرعية كتابا فيه ليكن من تختاره
لولايتك رحلا كان في وصيعة فرقتة، ودا شرف كان مهملا فأصطعته . ولا تجعله
امرا أصبته بعقوبة فأصع لها ، ولا أحدا ممن يقع بقلبك أن إرالة سلطانك أحث
إليه من شوته ، وإناك أن تستعمله صريعا، عمرا، كثيرا إعجائه نفسه، قليلا تحرته
في غيره، ولا كثيرا مديرا، قد أحد الدهر من عقله ، كما أحدث السُّ من جسمه .

ومما كتب به أرويز إلى آسه شيرويه أيضا إن كلمة منك تسعك دما، وأحرى
بحق دما، وإن سخطك سيف مسلول على من سخط عليه، وإن رصاك ركة مفيدة
على من رصيت عنه، وإن نجاد أمرك مع طهور كلامك، فاحترس في عصك من
قولك أن يُخطئ، ومن لولك أن يتعير، ومن حسدك أن يحف، فإن الملوك تعاقد
حرما، وتعفو حُلما .

ومما كتب به أردشير إلى رعيته من أردشير المؤيد، ملك الملوك، وارث العطاء،
إلى القهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حَقطة البيضة ، والكتّاب
الذين هم رِئ المملكة، ودوى الحروب الذين هم عمدة البلد . السلام عليكم ، إنا محمد
إليكم الله سالمين، وقد وضعنا عن رعيتنا فصل رأينا بها إتاتوها الموطعة عليها، وبص
مع ذلك كاتون بوصية لا تستشعروا الحقد فيدْهمكم العدو، ولا تحتكروا فيشمكم

القحط ، وتزوّحوا القرائن فإنه أمس للرحم ، وأثنت في السب ، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا ، ولا ترفصوها ، فإن الآخرة لا تدرك إلا بها .

وأما رسائلهم ومخاطباتهم . من ذلك رسالة الصديق رضى الله عنه إلى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه حين تلکأ عن مابيعته ، عليّ لسان أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، مع ما أصم إلى ذلك من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من حوار عليّ عنها .

قال أبو حيان عليّ بن محمد التوحيدى العدادى سَمَرًا ليلةً عند القاضي أبي حامد أحمد بن نشر المرورودى سعداد ، فنصرف في الحديث كل متصرف ، وكان عزيز الرواية ، لطيف الدراية ، فخرى حديث السقيفة ، فركب كل مرثكا ، وقال قولاً ، وعرض بشيء ، ورجع إلى فن . فقال . هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق ، رضى الله عنه إلى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وحوار عليّ عنها ، ومابيعته إياه عقيب تلك المناظرة . فقال الجماعة لا والله ، فقال هي والله من سات الحقائق ، ومحآت الصادق ، ومسد حفيظتها مارويتها إلا لأبي محمد المهلبى في وراثته ، فكتبها عبيده ، وقال . لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين ، وإما لتدلّ عليّ علم وحلم ، وفصاحة وساهة ، وتعدّ عور ، وشدة عوص — فقال له العدادى أيها القاضي فلو أتممت المنة عليها روايتها ، أسمعها ، فحسن أوعى لك من المهلبى ، وأوجب ديماما عليك ، فأدفع وقال

”حدثنا الخراعى بمكة ، عن أبي ميسرة ، قال حدثنا محمد بن أبي قبيح عن عيسى بن دؤاب بن المتاح ، قال سمعت مولاي أبا عبيدة يقول لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار ، بعد فتنة كاد الشيطان بها ، فدفع الله شرها ويسر حيرها ، بلغ أنا بكر عن عليّ تلکؤ وشماس ، وتهنم وبناس ،

فكره أن يتمادى الحال فتدو العورة، وتشتعل الحجرة، وتفتق دات الين، فدعاى
محصرته فى حلوة، وكان عنده عمر من الخطاب رضى الله عنه وحده فقال يا
عبدة ما أيمى ماصيتك، وأين الخيرين عبيك، وطالما أعز الله لك الإسلام
وأصلح شأنه على يدك، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان
المحوط، والمحل المعوط، ولقد قال فيك فى يوم مشهود "لكل أمة أمين وأمين
هذه الأمة أبو عبيدة"، ولم ترل للدين ملتحا، وللؤميس مرنحا، ولأهلك ركا،
ولإحواك ردا. قد أردت لك لأمر خطر محوف، وإصلاحه من أعظم المعروف،
ولئن لم يسدمل خرجه يسارك ورفقك، ولم تحب حيته برقيتك، وقع اليأس،
وأعصل اليأس، واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق، وأعسر منه وأعلق،
والله أسأل تمامه لك، وبطامه على يدك. فتأت له أنا عبدة وتلطف فيه، وأنصح لله
عر وحل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولله العصاة غير آل جهدا، ولا قال
حمدا، والله كالك وباصرك، وهاديك ومصرك، إيا شاء الله. امص إلى على
وأحفص له حماحك، وأعصص عنده صوتك، وأعلم أنه سلالة أنى طالب، ومكانه
من فقدناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانه، وقل له الحر مفرقة، والبر مفرقة،
والخو أكلف، والليل أعذف، والسماء حلواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر،
والهبوط متعسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل عوف عسوف، والعجب قداحة
الشر، والصنع رائد النوار، والتعريض شجار الفتنة، والقحة ثقب العداوة، وهذا
الشیطان متكى على شماله، متحيل يمينه، نافح خضيه لأهله، ينتظر الشتات
والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحاء والعداوة، عاددا لله عر وحل أولا، ولآدم
ثانيا، ولنبى صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثا، يوسوس بالفجور، ويذلى بالغرور،
ويبى أهل الشرور. يوحى إلى أوليائه رُحوف القول عرورا بالباطل، دأبا له مد

(١) نأى فلا من لا مر تها له وأما من وجهه

كان على عهد أدينا آدم صلى الله عليه وسلم، وعادة له مدد أهايه الله تعالى في سالف
 الدهر لا منحي منه إلا نَعَصُّ اللاحد على الحق، وعَصَّ الطرف عن الباطل، ووطء
 هامة عدو الله بالأشد والأشد، والآكد فالآكد، وإسلام النفس لله عز وجل في آتعاء
 رصاه . ولا نَدُّ الآن من قول يبيع إذا صرَّ السُّكوت وحيث عِثَّه، ولقد أرشدك
 من أفاء صائتلك، وصافاك من أحيا مودته بعتاك، وأراد لك الخير من أثر البقاء
 معك، ما هذا الذي تُسَوِّلُ لك نفسك، ويدوى به قلبك، وبتوى عليه رأيك،
 ويتحاوَّض دونه طرفك، ويسرى فيه طمعك، ويزاد معه نَفْسُكَ، وتكثر عده
 صَعْدَاؤُكَ، ولا يَفِيضُ به لسانك . أُنْجَمَةُ بعد إفصاح ° أتلّيس بعد إفصاح °
 أدين عيردين الله ° أحلق عير حلق القرآن ° أهدى عير هدى النبى صلى الله عليه
 وسلم، أمثلى ° تَمْشَى له الصَّراءُ وتَدْبُّ له الحَجَرُ °، أم مثلك يَنْقِصُ عليه الفصاء،
 ويُنْكَسَفُ في عيه القَمَرُ، ماهده القَعْقعة بالشَّان ° وما هذه الوعوعة باللسان °
 إليك والله حدُّ عارفٍ بأسْتَحَانَتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومجروحنا
 عن أوطاس وأموال وأولادنا وأحبتنا، هجرة إلى الله عز وجل، وبصرة لديه
 في رمان أت فيه في كِنِّ الصبا، وحذر العرارة، وعُفْوان الشَّيْبة، عاقلٌ عما يُشَيَّبُ
 ويُربى، لانعى ما يُرَادُ ويُشَاد، ولا تحصِّل ما يُسَاقُ ويُقَاد، سوى ما أت حار عليه
 إلى عاييتك التي إليها عدل بك، وعددها حُطَّ رحلك، غير مجهول القدر ولا محدود
 الفصل، ونحن في أنشاء ذلك نُعَايِ أحوالاً تُزِيلُ الرِّوَايَ، ونُقَاسِي أحوالاً تُشَيَّبُ
 اللواصى، حائِصِينَ عِمَارِها، راكِبِينَ تِيَّارِها، مَحْرَجَ صَاهِها، ونُشْرَحَ عِيَابِها، ونُحْكَمُ
 آسَاسِها، ونُزَمُ أَمْرَاسِها، والعيون تُنْجِدُ الحسد، والأُفُوفُ تَعْطَسُ الكِبَرُ، والأُصْدُورُ
 تَسْتَعِيرُ الْعَيْطُ، والأعماقُ تَتَطَاوَلُ بالحجر، والشَّعَارُ تُسْحَدُ بالمكر، والأرضُ تَمِيدُ

بالخوف ، لا تنتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ، ولا تدفع في بحر
أمرئ إلا بعد أن تحسب الموت دونه ، ولا سلع مرادا إلا بعد الإياس من الحياة
عنده ، فادين في جميع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم ، والحال
والعم ، والمال والنسب ، والسند واللد ، والهبة والبلية ، يطيب أنفس ، وفرة
أعين ، ورحب أعطان ، وثبات عرائم ، وصحة عقول ، وطلاقة أوجه ، ودلافة
أنس ، هدا مع حقيات أسرار ، ومكشوبات أحبار ، كت عنها عاولا ، ولولا سبك
لم تكن عن شيء منها باكلا ، كيف وفؤادك مشهور^{لهم} ، وعودك مغحوم . والآن
قد بلغ الله بك وأهص الحير لك ، وحعل مرادك بين يديك ، وعلم أقول
ماتسمع ، فارتقت رمانك ، وقلص أردانك ، ودع التقعس والتحسس لمن لا يطلع
لك إذا حطا ، ولا يترخ عك إذا عطا ، فالأمر عص ، والمفوس فيها مخص ،
وإلك أديم هذه الأئمة فلا تحلم لحاحا ، وسيفها العصب ، فلا تب أعوجاحا ، وماؤها
العدب ، فلا تحل أحاحا . والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
الأمر ، فقال لي يا أبا بكر هو لمن يرع عنه لاملن يحاحش عليه ، ولمن يتصائل عنه
لا لمن يتفح إليه ، هو لمن يقال هو لك لا لمن يقول هو لي .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر ، فدكر فتيا من قريش
فقلت أين أنت من علي ، فقال صلى الله عليه وسلم إلى أكره لفاطمة مئة شياه ،
وحداثة سنة . فقلت له متى كفته يذك ورعته عيبك ، حقت هما البركة ،
وأُسِّعت عليهما النعمة ، مع كلام كثير حاطته به رعة فيك ، وما كنت عرفت
ملك في ذلك لاحواء ولا لوجاء ، فقلت ما قلت وأما أرى مكان عيرك ، وأحد راحة
سوالك ، وكنت إدادك حيرا لك ملك الآن لي ، ولئن كان عرّص لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، فلم تكن مغرّصا عن عيرك ، وإن كان قال فيك

فما سكت عن سِوَاكَ ، وإن تلجَحَ في نفسك شئ ، فهلمَّ فالحكم مَرصِيٌّ ، والصواب مسموع ، والحقُّ مُطاع . ولقد يُقَلُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ، وهو عن هذه العِصَابَةِ راضٍ وعليها حَديرٌ يسره ماسرها ، ويسوءه ماساءها ، ويكيده ما كادها ، ويُرْضيه ما أَرْضاها ، وَيُسَيِّطُهُ ما أَسْطَظَّهَا . أما تعلم أنه لم يدع أحدًا من أَصْحَابِهِ ، وَأَقَارِبِهِ ، وَنَحْوَانِهِ ^(١) ، إِلَّا أَنَا بِهِ نَصِيْلَةٌ ، وَحَصَّةٌ عَمْرِيَّةٌ ، وَأُفْرَدَ بِحَالَةٍ . أَتَظُنُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سُدًى نَدَدًا ، عَاهِلًا ، مَبَاهِلًا ، طَلَاحِيٍّ مَقْتُوْبَةٍ ^(٢) ، نَالِطًا ، مَعْبُوْبَةٍ عَنِ الْحَقِّ ، لَا رَائِدَ وَلَا رَائِدَ ، وَلَا صَاطِطَ وَلَا حَائِطَ ، وَلَا سَاقِيَّ وَلَا وَاقِيَّ ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ كَلَّا ' ، وَاللَّهِ مَا أَشْتَقُّ إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى ، وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِصْوَانِهِ وَقُرْبِهِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ صَرَبَ الْمَدَى ، وَأَوْصَحَ الْهُدَى ، وَأَبَانَ الصُّوْبَى ، وَأَتَمَّنَ الْمَسَالِكَ وَالْمَطَارِحَ ، وَسَهَّلَ الْمَارِكَ وَالْمَهَاجَ ، وَإِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَحَ يَافُوحَ الشَّرِكِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَشَرَمَ وَحَهُ الْعَقَاقِ لَوْحَهُ اللَّهُ سَحَابَهُ ، وَحَدَّعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي دَاتِ اللَّهِ ، وَتَقَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بَعْوَنَ اللَّهِ ، وَصَدَّعَ مَلَأَ فِيهِ وَيَدَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وبعد ، فهذه المهاجرون والأنصار عندك ومعك في ثُقَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَدَارٍ حَامِعَةٍ ، إِنْ اسْتَقَالُونِي لَكَ ، وَأَشَارُوا عِدَى لَكَ ، فَأَنَا وَاصِعٌ يَدِي فِي يَدِكَ ، وَصَائِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيكَ . وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَكُنِ الْعَوْنَ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وَالْقَاتِحَ لِمَعَاقِبِهِمْ ، وَالْمُرْشِدَ لَصَالَتِهِمْ ، وَالرَّادِعَ لَعَوَايَتِهِمْ . فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَالتَّنَاصُرِ عَلَى الْحَقِّ . وَدَعْنَا نَقْصِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِصُدُورِ بَرِيْثَةٍ مِنَ الْعِلِّ ، وَلْيَقْبَلْ اللَّهُ تَعَالَى بَقُلُوبِ سَلِيْمَةٍ مِنَ الصَّعِّ .

وبعد فالناس ثُمَامَةٌ فَارْتُقَ هَمُّ ، وَأَحْسُ عَلَيْهِمْ وَلِيْنُ لَهْمُ ، وَلَا تُشَقُّ نَفْسُكَ بِمَا حَاصَّةٌ

(١) بالنسبة المهمة جمع بغير كَامِير وهو الصدوق

(٢) بالاء الموحدة في الوريين ومعها مَهْمَلَةٌ أَطْرَ السَّانِ .

فيهم ، وأتركّ الجحْد حصيدا ، وطائرَ الشرِّ واقعا ، واثاب الفتنة مُعلّقا ، فلا قال
ولا قيل ولا لوم ولا تنييع والله على ما يقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .
قال أبو عبيدة فلما تأهّنت للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه كن لدى الباب هُبيّة
فلي معك دَور من القول ، فوقفت وما أدري ما كان عدى ، إلا أنه لحقنى نوحه يندى
تهللا ، وقال لى قل لعلّ الرقاد تحلمه ، والهوى مقحّمه ، وما ما إلا له مقام معلوم ،
وحقّ مشاع أو مقسوم ، وسأ طاهر أو مكتوم ، وإن أكيس الكيس من منح الشارد
تألّقا ، وقارب البعيد تلطّقا ، وورن كلّ شيء يرايه ، ولم يحاط حره بعيانه ، ولم يجعل
فتره مكان شيره ديبا كان أو دُنيا ، صلالا كان أو هدّى . ولا حيرى علم مستعمل
فى جهل ، ولا حيرى معرفة مشوية سُكر . ولسا كحلدة رُقع البعير بين العجان والدب ،
وكل صالٍ مساره ، وكل سيل إلى قراره . وما كان سكوت هذه العصاة إلى هذه
الغاية ليعي وثى ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق . وقد حدع الله محمد صلى الله
عليه وسلم أنف كلّ دى كثر ، وقصم طهر كل حنّار . وقطع لسان كل كدّوب ،
فمأنا بعد الحقّ إلا الصلال . ما هذه الخرواة التى فى قرّاش رأسك ، ما هذا السّجا
المعترض فى مدارج أناسك ؟ ما هذه القمّادة التى تعسّت ناطرَك ؟ وما هذه الوحره
التي أكلت شراسيقك ؟ وما هذا الذى ليست بسده جلد البئر ، وأشتلت عليه
بالشجاء والسكر ، ولسا فى كسروية كسرى ، ولا فى قيصرية قيصر ' تأمل لإحوان
فارس وأساء الأصفر ' قد جعلهم الله حرّرا أسنوبا ، ودرثة إرماحا ، ومرمى
لِطعابا ، وتعا لسطاطيا ، بل نحن فى نور نوره . وصياء رساله ، وعبره حكمه . وأثره
رحمه ، وعنوان بعمه ، وطل عصمه ، بل أمة مهديّة بالحق والصدق . مأموية على
الرتق والفتق ، لها من الله قلب أبيض ، وساعد قوى ، وذ ناصره . وعن ناصره .
أطلن طبا ياعلى أب أنا بكر وث على هذا الأمر . مُتاتنا على الأمة حادعا لها ،

أو متسلطا عليها ؟ أترأه حل عُقُودها وأحال عقولها ؟ أترأه حمل سهارها ليلا ، ووزنها
 كَيْلًا ، وَيَقْطَعُهَا رُقَادًا ، وَصَلَاحُهَا قَسَادًا ، لا والله سلا عَمَّا فَوَلَّهَتْ لَهُ ، وَتَطَامِسُ لَهَا
 فَاصِغَتْ بِهِ ، وَمَالُ عَمَّا فَالَتْ إِلَيْهِ ، وَأَشْتَأَّرُ دَوْبَهَا فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ، حَمَوَةٌ حَمَاهُ اللَّهُ
 هَا ، وَعَاقِبَةٌ لِّلَّهِ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَبِعَمَّةٍ سَرَّ لَّهِ حَمَالُهَا ، وَيَدُّ أَوْحِبِ اللَّهُ عَلَيْهِ شُكْرَهَا ، وَأَمَّةٌ
 نَظَرَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُحَلِّقِهِ ، وَأَرَأْفُ بِعَادِهِ ، يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْحَيَرَةُ .
 وَإِلَّاكَ يَحِثُّ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ السُّوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَلَا يُجَحَّدُ حَقُّكَ
 هِيَ آتَاكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَكَ مَنْ يَرَا حُكَّكَ بِمِثْلِكَ أَصْحَمَ مِنْ مِثْلِكَ ، وَقُرْبِ أَمْسٍ مِنْ
 قَرَانِكَ ، وَسَنِّ أَعْلَى مِنْ سَنِّكَ ، وَشَيْبَةِ أَرْوَغٍ مِنْ شَيْبَتِكَ ، وَسَيَادَةِ لَهَا أَصْلُ
 فِي الْخَاهِلِيَّةِ ، وَفِرْعُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفُ لَيْسَ لَكَ فِيهَا حِمْلٌ وَلَا نَاقَةٌ ، وَلَا تُذَكَّرُ
 مِنْهَا فِي مَقْدَمَةٍ وَلَا سَاقَةٍ ، وَلَا تَصِيرُ فِيهَا بَدْرَاعٌ وَلَا إِبْصَاعٌ ، وَلَا تُخْرَجُ مِنْهَا سَارِلٌ
 وَلَا هُجَعٌ . وَلَمْ يَرْلِ أَوْ نَكْرَحَّةَ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِلَاقَةُ نَفْسِهِ ،
 وَعَيْبَةُ سِرِّهِ ، وَمَقَرِّعُ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، وَرَاحَةُ كَفِّهِ ، وَمَرْمَقَ طَرْفِهِ . وَدَلَّكَ كُلُّهُ
 مَحْصَرُ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ مِنَ الْمَاهِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، شُهْرَتُهُ مَعِيَّةٌ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ .
 وَلَعَمْرِي إِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَابَةً ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَبُ مِنْكَ
 قُرْبَةً ، وَالْقَرَابَةُ لِلْحِمِّ وَدَمٍ ، وَالْقُرْبَةُ نَفْسٌ وَرُوحٌ . وَهَذَا فَرْقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَدَلَّكَ
 صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ ، وَمَهُمَا شَكَّكَتَ فِي ذَلِكَ ، فَلَا تَشْكُ أَنْ يَدَّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ ،
 وَرِصْوَانَهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ ، فَأَدْخَلَ فِيهَا هُوَ حَيْرُكَ الْيَوْمَ ، وَأَنْعَمَ لَكَ عَدَاً ، وَالْفِطْرَ مِنْ
 فِيكَ مَا يَغْلِقُ بَلَهَاتِكَ ، وَأَنْهَتْ سَخِيمَةَ صَدْرِكَ عَنْ تُقَاتِكَ ، فَإِنَّ يَكُ فِي الْأَمَدِ طُولٌ ،
 وَفِي الْأَحْلِ فَسْحَةٌ ، فَسْتَأْكُلُهُ مَرِيئًا أَوْ عَيْرَ مَرِيءٍ ، وَتُسْتَنْثَرُهُ هَيْئًا أَوْ عَيْرَ هَيْءٍ ،
 حِينَ لَا رَادَّ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آيِسًا مِنْكَ ، وَلَا تَنْبَغُ لَكَ إِلَّا مَنْ كَانَ طَامِعًا مِنْكَ
 يَخْشَى إِهْلَاكَ ، وَيَعْرُكُ أَدِيمَكَ ، وَيُرْزَى عَلَى هَدْيِكَ . هَالِكٌ تَقَرَّعَ السِّنُّ مِنْ بَدَمٍ ،

وتجرع الماء ممروحا بدم، وحيث تأسى على ما مضى من عمره، ودارح قوتك، فتود أن لو سُقيت بالكأس التي أيتها، ورُدِدَت إلى حالتك التي آستعويتها، والله تعالى فيا وفيك أمر هو بالعه، وعيب هو شاهده، وعاقبة هو المرحولسراًها وصرأها، وهو الولي الحميد، العفور الودود .

قال أبو عبيدة، فتمشيت مترملاً أبوء كأما أخطو على رأسي، قرأ من الفرقه، وشققاً على الأئمة، حتى وصلت إلى علي رضى الله عنه في حلاء، فانتثته حتى كلفه، ورئت إليه مسه، ورفقت به . فلما سمعها ووعاها، وسرت في معاصله حياءها، قال "حلت معلوطه، ولت محروطه"، وأنشأ يقول

إحدى لياليك فيهيبي هيبي * لاتعمي الليلة بالعريس

بعم يا أبا عبيدة أكل هذا في نفس القوم، ويحسون به، ويضطربون عليه " قال أبو عبيدة فقلت لأحوابك عدى إما أنا قاص حق الدين، ورائق فتق المسلمين، وساد ثلثة الأئمة . يعلم الله ذلك من حلحلال قلبي، وقراره بنسي .

فقال علي رضى الله عنه والله ما كان فعودي في كن هذا البيت قصداً للخلاف، ولا إنكاراً للعروف، ولا راية على مسلم، بل لما قد وقدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرافه، وأودعي من الحزن لفقده . وذلك أحي لم أسهد بعده مشهداً إلا حدد على حزناً، ودكرني شجماً . وإن الشوق إلى الخلق به كاي عن الطمع في غيره . وقد عكمت على عهد الله أطرفيه . وأجمع ما تفترو . رحاء ثواب معد لمن أحلص لله عمله، وسلم لعلمه ومشيتته، وأمره ومهيته . على أنى ما علمت أن التطاهر على واقع، ولا عن الحق الذي سبق إلى دافع، وإد قد أقعم الوادي نى . وحينئذ البادى من أحلى، فلا مَرَحاً مما أساء أحداً من المسلمين وسرى . وفي النفس كلام لولا

سابق عقد ، وسألف عهد ، لشقيت عيطى يحصرى وبصرى ، وحضت لحته
ناحصى ومقرى ، ولكى ملحم إلى أن ألقى الله رنى ، وعده أحسب ما رلى .
وإلى عاد إلى حمايتكم ، مابغ صاحبكم ، صار على ما ساءنى وسركم ^(١) ليقيص الله
أمرًا كان مفعولاً .

قال أبو عبيدة فعذت إلى أنى بكرصى الله عه فقصصت عليه القول على
عره ، ولم أحترل شيئاً من حلوه ومره ، ونكرت عذوه إلى المسجد ، ولما كان صاح
يومئذ وإذا على محترق الجماعة إلى أنى بكرصى الله عهما ، فبايعه ، وقال حيرا ،
ووصف حميلاً ، وحلس رميئاً ، وأستاذ للقيام ^(١) فصى وتعه عمر مكر ما له ، مستأثراً
لما عده .

فقال على رصى الله عه ما قعدت عن صاحبكم كارهاً ، ولا أتيته قرقاً ، ولا أقول
ما أقول تعلقة . ولا إلى لأعرف مستهى طرقى ومحط قدمى ومترع قوسى ، وموقع
سهمى ، ولكى قد أرميت على فأسى ثقة رنى فى الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رصى الله عه كفكف عرك ، وأستوقف سرك ، ودع العصى
بلحائها ، والدلاء على رشائها . فإن من حلها وورائها ، إن قدحاً أوريا ، وإن متحماً
أزوريا ، وإن قرحاً أديماً ، ولقد سمعت أمائلك التى تهرت بها عن صدر أكل
بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقاتلك ما إن سمعته بدمت على ما قلت . ورعمت ألك
قعدت فى كنى بيتك لما وقدك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقهه ، فهو
وقدك ولم يقذ عيرك ٥ بل مضاه أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حق مضاه أن
لا تصدع شمل الجماعة بفرقة لا عصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان فى نقائها . هده

العرب حولها ، والله لو تداعت عليا في صُبح هار لم يلتقي في مسائه . ورعمت أن الشوق إلى الخلق به كاي عن الطمع في غيره ^١ من علامة الشوق إليه بصره ديه ، وموارة أوليائه ، ومعاوتهم . ورعمت أنك عكمت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ، من العكوف على عهد الله الصبيحة لعاد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبدل ما يصلحون به ، ويرشدون عليه . ورعمت أنك لم تعلم أن التطاهر واقع عليك وأي حق لظ^(١) دؤوك . قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سرا وحرها ، وتقلت عليه نطما وطهرها ، فهل ذكرت أو أشارت بك أو وحدت رصاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم لسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوما بعينه ؟ أو هم في نفسه ؟ أتظن أن الناس صلوا من أحلك ، وعادوا كغفارا زهدا فيك ، وابعوا الله تحاملا عليك ؟ لا والله ! لقد حاءني عقيل من رباد الحررحي في بقر من أصحابه ومعهم شرحيل من يعقوب الحررحي وقالوا إن عليا ينتظر الإمامة ، ويرعم أنه أولى بها من غيره ، ويكر على من يعقد الخلافة ، فأنكرت عليهم ، ورددت القول في بحرهم حيث قالوا إنه ينتظر الوحي ويتوگف مناحاة الملك . فقلت داك أمر طواه الله بعد بيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر معقودا بأنسوطه ، أو مشدودا بأطراف ليطه ؟ كلا ! والله لا أعجاء بمحمد الله إلا أفصحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت . ومن أعجب شأنك قولك ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيت عيطي ، وهل ترك الدين لأهله أن يشقوا عيطهم بيد أو لسان ؟ تلك حاهلية وقد استأصل الله شأفتها وأقتلع حرثومتها ، وهوز ليلها ، وعوز سيلها ، وأبدل منها الرّوح والريحان ، والهدى والرهان . ورعمت أنك ملتم ، ولعمري إن من آتق الله ، وآثر رصاه ، وطلب ما عده ، أمسك لسانه وأطبق فاه . وحمل سعيه لما وراه .

(١) لظ أن محمد ووع في بعض النسخ لل وفي بعض له وكلام ، تصحيف

فقال عليّ رضى الله عنه مهلاً يا أبا حفص والله ما دلت ما دلت وأنا أريد
نكته، ولا أقررت ما أقررت وأنا أتعى حولاً عنه . وإن أحسر الناس صفقة
عد الله من أثر الباق ، وأحتصن الشقاق وفي الله سلوة عن كل حادث ، وعليه
التوكل في جميع الحوادث . ارجع يا أبا حفص إلى محاسنك نافع القلب ، مبرود العليل ،
مسيح اللسان ، فصيح اللسان ، فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر ،
ويطخ الورر ، ويصع الإضر ، ويجمع الألفة مشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة رضى الله عنه فأصرف عليّ وعمر رضى الله عنهما . وهذا أصعب
ما مرّ عليّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك كلام عائشة رضى الله عنها في الاعتصار لأبيها .

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أنا نكر رضى الله عنه ،
فأرسلت إلى أرقلة من الناس فلما حصروا ، أسدلت أستارها ، وعلت وسادها .
ثم قالت أئى وما أبىه أئى والله لا تعطوه الأيدى ، داك طود مبيد ، وفرع مديد ،
هيئات كدبت الطون ، أحمج إدا كدتم ، وسق إدا وبتم * سق الحواد إذا استولى
على الأمد * فتى قريش ناشئا ، وكهفها كهلأ ، يكك عابها ويريش مملقها ، ويرأب
شعبها ، ويلم شعبها حتى حايته قلوبها ، ثم استشرى في دين الله فما رحت شكمته
في ذات الله عر وحل حتى آتحد بهائه مسجدا يحيي فيه ما أمات المطلقون ، وكان
رحمه الله غيرير الدمة ، وقيد الخواص ، شفى الشيخ ، فاقصت إليه يسوان مكة
وولدأها يستحرون منه ويستهرئون به (الله يستبرى بهم ويمدّم في طغيانهم يعمهون)
فأكرت ذلك رحالات من قريش حست قسيها وفوقت سهاهما وأنتلوه عرصا ،
فما قلوا له صفاة ، ولا قصصوا له قاة ، ومرّ على سيسائه ، حتى إذا صرب الدين يحراه ،

ورسّت أوتاده ، ودحل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، آختر الله لبيّه ما عسده ، فلما قص الله بيه صلى الله عليه وسلم صرب الشيطان رؤوفه ، ومدّ طسه ، ونصب حائله ، وأحلب نجيله ورّخله ، وأصطرب حلّ الإسلام ، ومرّح عهدّه ومأح أهله ، وئبى العوائل ، وطّنت رحال أن قد أكنثت أطماهم مهرها ولات حيب الدي يرحون ، وأنّى والصدّيق بين أطهرهم . فقام حاسرا مشمرا ، جمع حاشيتيه ورّفع قُطريه ، فردّ رسّ الإسلام على عرّه ، ولمّ شعثه بيطّه ، وأتاش الدين فعشه ، فلما أراح الحقّ على أهله ، وقرّر الرؤوس على كواهلها ، وحقّ الدماء في أهيها ، أنته ميته ، فسدّ ثلثته سطيّره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدّله . دالك أنّ الخطاب لله دَرّ أتمّ حملت به ودرّت عليه ١ لقد أوجدت به ، ففتح الكفرة وديجها ، وشرّد الشرك شدّر مدرّ ، ونعّح الأرض ونعّحها فقاءت أكلها ، ولطّط حناها ، ترأّمه ويصّدف عنها ، وتصدّئ له ويأناها . ثم ورّع فيها فياها وودّعها كما صحّحها . فأروى مادا ترتئون وأى يومى أى تقيمون أيوم إقامته إاد عدل فيكم أم يوم طعنه إاد بطر لكم ؟ أقول قولى هدا وأستعمر الله لى ولكم . ثم أقلت على الناس بوحهها بقالت أئشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئا ؟ قالوا اللهم لا .

ومن ذلك كلام أم الخير بنت الحريش السارقية يوم صبيّين في الانتصار لعلى رضى الله عنه .

يروى أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقية رحلها ، وأعلمه أنه محاريه بقولها فيه بالخير حيرا وبالشرّ شرّا . فلما ورد

(١) في بعض النسخ وردّ شرّ الدين على عرّه ولمّ شعثه بطله

عليه كتابه، ركب إليها فأقرأها الكتاب، فقالت أما أما فعير رابعة عن طاعة ولا عتلة
نكد^١ ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدرى . فلما شيعها
وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه يحاربى بقولك
في بالخير حيرا وبالشر شرا، فما عندك؟ قالت يا هذا لا يُطِيعُكَ رُكْى أن أسرك
ساطل، ولا تُؤْنِسُكَ معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق . فسارت حير مسير حتى
قدمت على معاوية فأرسلها مع حريمه، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع، وعنده
جلساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال لها عليك
السلام يا أم الخير، والارعم منك دعوتينى بهذا الاسم . قالت مَهْ يا أمير المؤمنين
فإن بديهة السلطان مذحصة لما يحب علمه ﴿وَلِكُلِّ أَحِلِّ كِتَابٌ﴾ . قال صدقت .
فكيف حالك يا حالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ . قالت لم أرل في عافية وسلامة
حتى صرْتُ إليك فأنا في مجلس أبقى، عند ملك رقيق - قال معاوية تحس ببقى
طهرتُكم - قالت يا أمير المؤمنين أعيدك بالله من دحس المقال وما تُردى عاقته
قال ليس هذا أردنا . أحيرى كيف كان كلامك يوم قُتل عمارس ياسر؟ قالت لم أكن
والله رورته قتل ولا رويته بعد . وإمما كانت كلمات يقهن لسانى حين الصدمة
فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت - قال لا أشاء ذلك . ثم التفت
إلى أصحابه فقال أيكم يحفظ كلام أم الخير فقال رجل من القوم أما أحفظه
يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد - قال هاته - قال نعم كأتى بها يا أمير المؤمنين
في ذلك اليوم عليها رُرد ربيدى^(١) كثيف الحاشية، وهى على حمل أرمك وقد أحيط
حولها، ويدها سوط منتشر الطهر، وهى كالصحل يهدير في شقشقتها تقول

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ رَزَاقَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ١ إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْصَحَ الْحَقَّ ، وَأَمَّا الدَّلِيلُ ، وَنُورُ السَّبِيلِ ، وَرَفْعُ الْعِلْمِ ، فَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي عَمِيَاءٍ مُثَمِّمَةٍ ١ وَلَا سُودَاءَ مَدْهِمَةٍ إِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ . أَفِرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فِرَارًا مِنَ الرَّحْفِ ، أَمْ رَعْمَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ آرْتَدَادًا عَنِ الْحَقِّ . أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ (وَلَسَنُؤْتِكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَسَلْوَ أَخَارَكُمْ) ٢ .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول .

قَدْ عِيلَ الصِّدْرُ ، وَصَعَفَ الْيَقِينُ ، وَأَنْتَشَرَتِ الرَّعْصَةُ ، وَبَيَّدَكَ يَا رَبُّ أَرِمَةُ الْقُلُوبِ فَاحْمِ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلَّفِ الْقُلُوبَ عَلَى الْهَدْيِ ، هَلُمُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالْوَصِيِّ الْوَفِيِّ ، وَالصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَأَحْقَادَ حَاهِلِيهِ ، وَصَعَائِشَ أُحْدِيهِ ، وَثَبَّهَا بِمَعَاوِيَةِ حِينَ الْعَقْلَةِ لِيُذَكِّرَ بِهَا ثَارَاتِ سَيِّدِ عَدَدِ شَمْسٍ .

ثم قالت (قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا آيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) ٣ . صِدْرًا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَّاتٍ مِنْ دِيَارِكُمْ ، وَكَأَنِّي لَكُمْ عَدَا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كُحْمًا مُسْتَنْفِرَةً ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَةِ . لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُهَا مِنْ بَحَاةِ الْأَرْضِ ، نَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْذِيَا ، وَاشْتَرَوْا الصَّلَاةَ بِالْهَدْيِ ، وَنَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى وَنَعْمًا قَلِيلٌ لِيُضَيِّحَ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحُلُّ بِهِمُ الْبَدَامَةُ فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ ٤ إِيَّاهُ وَاللَّهُ مَنْ صَلَّى عَنِ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْحَيَاةَ رَلَّ فِي الْبَارِ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْأَيْكَاسُ اسْتَقْصَرُوا عَمَرَ الدِّيَا فَرَقُّوْهَا وَاسْتَطِغُوا مَدَّةَ الْآخِرَةِ فَسَعَوْا لَهَا . وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا أَنْ تَطَّلَ الْحَقُّوقُ ، وَتَعَطَّلَ الْحُدُودُ ، وَيَطْهَرَ الطَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ ، لَمَا أَحْتَرَبَا وَرُودَ الْمَايَا عَلَى حَفْصِ الْعَيْشِ وَطِيْبِهِ ، وَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَنْ آسِ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُوحِ ابْنَتِهِ وَأَبْنَيْ آبِيهِ ٥ خُلُقِ

من طينته ، وتفترع عن سَعته ، وحَصَّه سِرّه ، وجعله باب مدينته ، وأعلم محمـه
المسلمين ، وأمان سعصه المفاقيـن . فلم يرل كذلك يؤيده الله بمعونه ويمصـى على
سَنِ استقامته ، لا يعترح لراحة اللدّات ، وهو مُعلّق الهام ، ومكسّر الأصنام إـد
صلّى والناس مشركون ، وأطاع والناس مرتانـون . فلم يرل كذلك حتّى قتل مُباررى
ندر ، وأفـى أهل أحد ، وفرّق جمع هوارن ، فـالها وقائع ا ررعت فى قلوب قوم بـفاقا ،
ورِدّة وشقاقا ، وقد آحتهدت فى القول ، وبـالعت فى النصيحة وبالله التوفيق والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية والله يا أم الخير ما أردت هـدا إلا قتلى ا والله لو قتلتك ما حرّحت
فى ذلك .

قالت والله ما يسوءنى ياس هـد أن يُجرى الله ذلك على يدى من يُسعدنى الله
نشقائه — قال هيات يا كثيرة الضُـفُول ، ماتقولين فى عثمان س عـمان ؟ — قالت وما
عسيت أن أقول فيه استحلّقه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راصون — فقال
ليها يا أم الخير هـدا والله أصلك الذى تنبى عليه — قالت لكن الله يشهد وكفى بالله
شهيدا ما أردت عثمان نقصا ، ولقد كان سّاقا إلى الحيرات ، وإـنه لرويع الدرحة —
قال فما تقولين فى طلحة س عيد الله ؟ — قالت وما عسى أن أقول فى طلحة أعتيل
مـمأمه ، وأتى من حيث لم يتحدّر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحـة — قال فما تقولين فى الربير ؟ قالت يا هـدا لا تدعى كرجيع الصّـبُع يُعرك
فى المِرْكَن — قال حقا لتقولن ذلك وقد عرمت عليك — قالت وما عسيت أن أقول
فى الربير أس عمـة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريّه ، وقد شهد له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحـة ، ولقد كان سّاقا إلى كل مكرمة فى الإسلام . وإنى أسألك
بحق الله يا معاوية فإن قریشا تحدّث أنك من أحلمها أن تسعـى بفصل حلمك ،

وأن تُعفى من هذه المسائل، وأمص لما شئت من غيرها — قال نعم وكرامة قد أعفيتك، وردّها مكّمة إلى بلدّها .

وبحو ذلك كلام الرّقاء بنت عدى بن قيس الهمدانيّة يوم صبيّ أيضا .
يروى أنّها ذكرت عند معاوية يوما، فقال لجلسائه أيكم يحفظ كلامها؟ — قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين — قال فأشيروا علىّ في أمرها فأشار بعضهم بقتلها — فقال نأس الرأى أيحسّ مثلى أن يقتل امرأة؟ . ثم كتبت إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقيّة من دوى تحرّمها وعدّة من فُرسان قومها، وأن يمهّد لها وطاء لبا، ويسبّرها ستر خفيف، ويوسع لها في البقعة . فلما دخلت على معاوية، قال مرحبا بك وأهلا! قدّمت حير مقدم قدمه واهد، كيف حالك؟ — قالت بحير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة! — قال كيف كنت في مسيرك؟ قالت ربيّة بيت أو طفلًا مُمهّداً — قال بذلك أمراهم . أتدريين فيم بعثت إليك — قالت وأتى لي لعلم ما لم أعلم؟ وما يعلم العيب إلا الله عز وجل — قال ألسنت الراكّة الحمل الأحمر، والواقعة بين الصقيّين بصقيّ تحضّين اللّاس على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟ — قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس، وتبرّ الدّب، ولن يعود مذهب، والدهر دويّير، ومن تفكر أنصر، والأمر يحدث بعده الأمر — قال لها معاوية أن تحفظي كلامك يومئذ — قالت لا والله ولقد أنسيته — قال لكى أحفظه لله أنوك حين تقولين

أيها اللّاس ارعّوا وأرحمّوا! إنكم أصبحتم في فنة عشتكم حلايب الطّلم، وحارتكم عن قصّص المحجّة . فيالها فنة عمياء، صماء، نكّاء لا تسمع لناعقها، ولا تلسّس لقائدها . إن المصباح لأبصى في الشمس، والكواكب لا تير مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشّد أرشدها، ومن سألها أجابها .

أيها الناس إن الحق كان يطلب صائته فأصابها ١ فصبرا يا معاشر المهاجرين والأبصار على العَصَص، فكأن قد أبدل شَعْب الشَّتَات، وألأمت كلمة التقوى، ودمع الحق ناطله ١ فلا يحفل أحد فيقول كيف العدل وأنى ليقصى الله أمرا كان معولا . ألا وإن حصاب النساء الحياء ، وحصاب الرجال الدماء ١ ولهذا اليوم ماعده ، والصدور حير في عواقب الأمور . أيها الحرب قُدمَا غير ما كصين، ولا متشا كسين .

ثم قال لها يار رواء لقد شَرَّكت عليا في كل دم سَفَكه — قالت أحسن الله شارتك، وأدام سلامتك، فمثلك من شَرَّ بغير وسر حليسه — قال ويسرك ذلك ٩ — قالت نعم سِررتُ بالخير فأنى لي تصديق الفعل ٩ فصحك معاوية وقال : لو فائزكم له بعد موته أعجبُ عدى من حُكم له في حياته ١ ادكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين أليت على نعى أن لأسأل أميرا أعت عليه أدا، ومثلك من أعطى من غير مسألة، وحاد من غير طنة — قال صدقت، وأمر لها وللدن حاءوا معها محواز وكسا .

وقريب من ذلك كلام عكرشة بنت الأنطرش يوم صيئ أيضا .

يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عُكَّار لها فسلمت عليه بالحلاقة ، ثم جلست — فقال لها معاوية الآن صرتُ عندك أمير المؤمنين ٩ قالت نعم إدا لعللى حتى ١ — قال ألسيت المتقلدة حمائل السيف نصيئين ٩ وأنت واقعة بين الصفيين تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يصركم من صل إدا اهتديتم ، إن الحسة لا يجر من قطما ، ولا يهرم من سكتها ، ولا يموت من دخلها ، فأتاعوها بدار لا يدوم بعيمها ، ولا تصرف همومها . وكوونا قوما مستعصرين في ديمهم مستطهريين على حقهم ، إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة . دعاهم إلى الباطل فأحابوه ، وأستدعاهم إلى الدنيا فلبوه .

فَاللَّهُ اللَّهُ عَمَادُ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ^١ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَاتُكُلَ فَإِنْ ذَلِكَ يَنْقُصُ عُرَى الْإِسْلَامِ،
وَيَطْغَى نَوْرُ الْحَقِّ. هَذِهِ نَذْرُ الصَّعْرَى، وَالْعَقْنَةُ الْأُخْرَى، يَامَعْشَرَ الْمُهَاكِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
أَمْصُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَرِيْمَتِكُمْ. فَكَأَنِّي نَكَمٌ عَدَا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ
كَالْحُمْرِ الْبَاهِقَةِ تَقْصَعُ قَصْعُ الْعَيْرِ

ثُمَّ قَالَ فَكَأَنِّي أُرَاكَ عَلَى عَصَاكَ هَذِهِ قَدْ أَنْكَمَأَ عَلَيْكَ الْعَسْكَرَانِ يَقُولُونَ هَذِهِ
عَكْرَشَةُ نَتِ الْأَطْرَشِ فَإِنْ كَدَتِ لَتُفْلِئَ أَهْلَ الشَّامِ لَوْلَا قَدْرُ اللَّهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا
مَقْدُورًا، مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ — قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ اللَّهُ حُلْ دِكْرَهُ ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُنَادَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ الْآيَةُ، وَإِنْ اللَّيْبُ إِذَا كَرِهَ
أَمْرًا لَا يَحِبُّ إِعَادَتَهُ — قَالَ صَدَقْتَ فَاذْكُرِي حَاجَتَكَ — قَالَتْ كَانَتْ صَدَقَاتُنَا تَوْحِدُ
مِنْ أَعْيَانُنَا فَنَزَدَتْ عَلَى فُقَرَانَا وَقَدْ فَقَدْنَا ذَلِكَ، فَمَا يُجَحِّدُ لَنَا كَسِيرًا، وَلَا يُبْعَثُ لَنَا فَقِيرًا .
وَإِنْ كَانَ عَنْ رَأْيِكَ فَمِثْلَكَ مِنْ آتَنِهِ مِنَ الْعَمَلَةِ وَرَاحَةِ التَّوْبَةِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِ
رَأْيِكَ فَمَا مِثْلَكَ مِنْ آسْتَعَانَ بِالْحَوَاةِ وَلَا آسْتَعْمَلَ الطَّلَامَةَ — قَالَ مَعَاوِيَةُ يَا هَذِهِ،
إِنَّمَا يَوْمُهَا مِنْ أُمُورٍ رَعِينَا نَعُورُ نَتَفَتَّقُ، وَنُحَوِّرُ نَتَدَفَّقُ. — قَالَتْ سَحَابُ اللَّهِ^١ وَاللَّهُ
مَافَرِصَ اللَّهِ لَهَا حَقًّا لِحَمَلِ فِيهِ صَرَرًا لِعِيرَانَا وَهُوَ عَلَامُ الْعِيُوبِ — قَالَ مَعَاوِيَةُ هِيَاتَ
يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ تَهْكُمُ عَلَى فُلٍّ تُطَاقُوا . ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِمْ فِيهِمْ وَإِصَابِهِمْ .

وَالشَّاهِدُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَلَامُ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَرَاحِمَاتِ ،
وَالْمَحَاطَّاتِ، وَالْمَقَاوِلَاتِ، وَالْمَحَاوِرَاتِ، الصَّالِحَةِ لِلْإِسْتِشْهَادِ لِلْفَصْلِ الْمُتَقَدِّمِ قَبْلَ
ذَلِكَ . وَهَذَا نَابٌ مُتَسَعٍ لَا يَسْعُ اسْتِيفَاؤُهُ، وَلَا يُمْكِنُ اسْتِيعَانُهُ وَفِيَا ذِكْرًا مَقْعًا .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّهُ عَلَى سِ أُنَى طَالِبِ كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ^١ أُرْسِلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ
الشَّامَ كِتَابًا صَحِيحَةً صَعْبَةً مِنْ صُوحَانَ، فَسَارَ بِهِ حَتَّى أَتَى دِمَشْقَ، فَأَتَى نَابَ مَعَاوِيَةَ
فَقَالَ لِآدِهِ . أَسْتَأْذِنُ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سِ أُنَى طَالِبِ ، وَمَا لِي بِحِمَاةٍ

من بنى أمية ، فأحدثه النعال والأيدى لقوله "أمير المؤمنين" . وكثرت عليه
الحلة ، فأنصل ذلك معاوية فادن له ، ودخل عليه ، فقال السلام عليك ياس
أبى سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين — فقال معاوية أما إنه لو كانت الرسل تُقتل
في جاهلية أو إسلام ، لقتلتك . ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستحره ليعرف
طعنا أو تكلفا — فقال له ممن الرجل — قال من يرار — قال وما كان يرار قال كان
إذا عرا انكش ، وإذا لقي افترش ، وإذا أنصرف أحترش . قال من أبى أولاده أنت ؟ —
قال من ربيعة — قال وما كان ربيعة ؟ — قال كان يطيل الجاد ، ويعول العباد ،
ويضرب سقاع الأرض العباد — قال من أبى أولاده أنت ؟ — قال من حديلة —
قال وما كان حديلة ؟ — قال كان في الحرب سيفا قاطعا ، وفي المكرمات عينا نافعا ،
وفي اللقاء لهما ساطعا — قال من أبى أولاده أنت ؟ — قال من عبد القيس — قال
وما كان عبد القيس ؟ — قال كان حسا أبيص وها ، يقدم لصبيعه ما وجد ،
ولا يسأل عما فقد ، كثير المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام العيث من السماء —
قال ويحك ياس صوحان ! فما تركت لهذا الحى من قريش محدا ولا خرا ، — قال بلى
والله ياس أبى سفيان ! تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم ، ركت لهم الأحمر والأبيض
والأصفر ، والسرير والمنبر ، والملك إلى المحشر ، ففرج معاوية وطن أبى كلامه
يشتمل على قريش كلها ، قال صدقت ياس صوحان إن ذلك لكذلك فعرف صعصعة
ما أراد ، فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد . ثم دتم عن أبى
المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء — قال ولم ذلك ويحك ياس صوحان ! فقال الويل
لأهل السار ، ذلك لى هاشم — قال قم فأحره — فقال صعصعه الوعد بنى

(١) أبى حذ الاصمعى انكش في أمره واسم روجد بمعنى واحد وقوله افترش أى صرع فقال لى فلان
فلانا فافترشه إذا صرعه وهو مناسب ها وقوله احترش أى كتب أو صاد

وَيْدِكَ لَا الْوَعِيدَ مَنْ أَرَادَ الْمُسَاحَرَةَ يَتَمَلَّ الْمَحَارَةَ - فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لَشَيْءٍ مَّا سَوَّدَهُ قَوْمُهُ
وَوَدِدْتُ أُنَى مِنْ صُلَيْهِ، ثُمَّ آتَيْتُ إِلَى سَيِّ أُمِيَّةَ فَقَالَ هَكَذَا فَلْتَكُنِ الرَّحَالُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عَثْمَانَ بْنَ عَقَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ
وَأَنَّهُ يَرِيدُ إِلَى حَاسِهِ فَقَالَ لَهُ ائْتَمَّكَ أُنَى، وَأَصْطَلَعَكَ حَتَّى نَلْعَكَ نَاصِطَاءَهُ إِيَّاكَ
الْمَدْيُ الَّذِي لَا يَحَارِي، وَالْعَايَةُ الَّتِي لَا تُسَامَى، فَمَا حَارَيْتَ أُنَى تَالِائِهِ حَتَّى قَدِمْتَ
هَذَا عَلَى، وَجَعَلْتَ لَهُ الْأَمْرَ دُونِي . "وَأَوْمَأَ إِلَى يَرِيدَ" وَاللَّهُ لِأُنَى حَيْرٌ مِنْ أُمِيَّةَ وَأُمِي
حَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ وَلَا نَأَى حَيْرٌ مِنْهُ ! - فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ . أَمَا مَا دَكَرْتَ يَا أَحَى مِنْ تَوَاتُرِ
الْأَلَائِكِ عَلَى، وَتَطَاهُرِ تَعَائِكُمْ لَدَيَّ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَوَحْ عَلَى الْمَكَافَأَةِ وَالْمَحَارَةِ،
وَكَانَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاهُ أَنْ طَلَبْتُ بَدْمَهُ حَتَّى كَانَتْ أَهْوَالُ الْبَلَاءِ، وَعَشِيتُ عَسَاكَرَ
الْمَيَا إِلَى أَنْ شَبِيتَ حَرَارَاتِ الصَّدُورِ وَتَحَلَّيْتُ تِلْكَ الْأُمُورَ . وَلَسْتُ لِنَفْسِي بِاللَّائِمِ
فِي التَّشْمِيرِ، وَلَا الرَّارِي عَلَيْهَا فِي التَّقْصِيرِ .

وَدَكَرْتُ أَبَ أَنَّكَ حَيْرٌ مِنْ أُنَى هَذَا "وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَرِيدَ" فَصَدَقْتَ
لِعَمْرِ اللَّهِ لَعَثْمَانَ حَيْرٌ مِنْ مَعَاوِيَةَ ! أَكْرَمَ كَرِيمًا، وَأَفْضَلَ قَدِيمًا، وَأَقْرَبُ إِلَى عَجْدِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَا . وَدَكَرْتُ أَنَّ أَتَمَّكَ حَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ فَلِعَمْرِى إِبَ أَمْرَأَةً مِنْ
قُرَيْشٍ حَيْرٌ مِنْ أَمْرَأَةٍ مِنْ سَيِّ كُلِّ . وَدَكَرْتُ أَنَّكَ حَيْرٌ مِنْ يَرِيدَ فَوَاللَّهِ يَا أَحَى
مَا يَسْرَتْنِي أَنْ الْعُوطَةَ عَلَيْهَا رَحَالٌ مِثْلُ يَرِيدَ . فَقَالَ لَهُ يَرِيدَ "مَمَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
أَسْ أَحِيكَ أَسْتَعْمَلُ الدَّلَالََةَ عَلَيْكَ، وَأَسْتَعْتِكَ لِهَسِهِ، وَأَسْتَرَادَ مِنْكَ قِرْدَهُ وَأَحْجَلَ لَهُ
فِي رَدِّكَ، وَأَحْمَلَ عَلَى نَفْسِكَ، وَوَلَّهَ حُرَاسَانَ شُعَاعَتِي وَأَعِنَهُ بِمَالٍ يَطْهَرُ بِهِ مَوْرُوثُهُ"
فَوَلَّاهُ مَعَاوِيَةَ حُرَاسَانَ، وَأَحَارَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَانَ ذَلِكَ أَعْمَبَ مَا طَهَرَ
مِنْ حِلْمٍ يَرِيدَ .

(١) الَّذِي فِي الْمَثَلِ مَنْ أَرَادَ الْمَحَارَةَ فَمِثْلُ الْمَحَارَةِ وَلَعَلَّ مَا هِيَ بِصَحْفٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ بَصْرِفِ الْمُنْشَى .

ومن ذلك ما يروى أن ريدس منه قدم على معاوية فشكا إليه دينا لرمه فأعطاه ستين ألف درهم، وكان عتة بن أنى سفيان قد تروّح آسة يعلى أحمى ريدس منه، وهو يومئذ عامل بمصر - فقال له معاوية الحق بصهرك "يعنى عتة" فقدم عليه مصر فقال "إني سرت إليك شهرين أحوص فيهما المتألف ألبس أردية الليل مرة وأحوص في لحج السراب أخرى، موقرا من حُس الطل بك، وهاربا من دهر قِطم، ودين أريم، بعد عني حدعنا به أنوف الحاسدين، فلم أحد إلا إليك مَهْرًا وعليك معولا - فقال عتة مرحبًا بك وأهلا! إن الدهر أعارني عني وحلطكم سائم أسترده وأحد ما أمكه أحده، وقد أتى لكم ما ملاصيقة معه وأما رافع إليك يدي بيد الله" فأعطاه ستين ألفا كما أعطاه معاوية .

ومن ذلك ما يحكى أن عبد العرى بن رُرارة وفد على معاوية وهو سيد أهل الوَر، فلما أدن له وقف بين يديه وقال يا أمير المؤمنين لم أرل أهرش دوائ الرعاء إليك، ولم أحد معولا إلا عليك، أمتطى الليل بعد النهار، وأسم الحاهل بالآثار، يقودنى إليك أمل، ويسوقنى إليك بلوى، والمحتهد يُعذر، وإد لعتك فقط . فقال معاوية فاحطط عن راحتك رَحَلها .

وخرج عبد العرى هذا مع ريدس معاوية إلى الصائفة وأبوه رُرارة عند معاوية فهلك هناك فكتب يريد إلى أبيه معاوية بذلك - فقال معاوية لررارة أتانى اليوم نعى سيد شباب العرب - قال ررارة يا أمير المؤمنين هو آى أو أبك؟ - قال بل آسك فقال "لموت ما تلد الوالدة" . أحد بعضهم هذا المعنى فقال

وَلِلْمَوْتِ تَعْدُو الْوَالِدَتُ سِحَالَهَا * كَمَا لِحَرَابِ الدَّهْرِ تُنَى الْمَسَاكِينُ

ومن ذلك ما يروى، أن مروان بن الحكم، وهو وال على المدينة في حلافه معاوية حبس علما من بني ليث في حياية حناها بالمدينة، فأنته حدة العلام "وهى أم

سَيِّانٍ بِنْتُ حَشْمِيَّةٍ^(١) سَ خَرَشَةُ الْمَدْحِيَّةِ، وَكَلِمَتُهُ فِي الْعِلَامِ، فَأَعْلَطَ لَهَا مَرَوَانُ،
فَحَرَحَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَحَلَتْ عَلَيْهِ فَأَتَسَتْ لَهُ مَعْرِفَهَا، فَقَالَ مَرْحَا بِنْتُ حَشْمِيَّةِ
مَا أَقْدَمَكَ أَرْضًا؟ وَقَدْ عَهْدْتُكَ تَشْتُمِيَا، وَتُحْصِي عِلْيَا عَدُوًّا، قَالَتْ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لَنِي عِدْمَافَ أَحْلَاقًا طَاهِرَةً، وَأَعْلَامًا طَاهِرَةً، لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ،
وَلَا يَسْقَهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ، وَلَا يَشْتُمُونَ بَعْدَ عَفْوٍ، وَإِنْ أَوْلَى النَّاسِ مَاتَاعَ مَا سَنَ آثَاؤُهُ
لَأَنْتَ، قَالَ: "صَدَقْتَ بَحْنٍ كَذَلِكَ فَكَيْفَ قَوْلُكَ

عَرَبَ الرُّقَادُ فَمُقَلَّتِي لَا تَرْقُدُ * وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ الْهُمُومَ وَيُورِدُ
يَا آلَ مَدْحٍ لَا مُقَامَ فُشِّرُوا * إِنْ الْعَدُوَّ لَا لَ مَدْحٍ يَقْصِدُ
هَذَا عَلِيٌّ كَالْهَلَالِ تَحْفَهُ * وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ
حَيْرُ الْخَلَائِقِ وَأَبْرُ عَمِّ مُحَمَّدٍ * إِنْ يَهْدِيكُمْ النَّوْرُ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَا رَأَى مُدَّ شَيْدِ الْخُرُوبِ مَطْفَرًا * وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ"

قَالَتْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْحُو أَنْ تَكُونَ لَنَا حَلْفًا بَعْدَهُ، فَقَالَ رَحِلْ
مِنْ حِلْسَانِهِ كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَهِيَ الْقَائِلَةُ

إِنَّمَا هَلَكْتَ أَمَا الْحُسَيْرِ فَلَمْ تَزَلْ * بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا
فَادْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ * فَوْقَ الْعُصُوفِ حَمَامَةٌ قُرِيًّا
قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ حَلْفًا لَنَا * أَوْصِي إِلَيْكَ بِنَا وَكُنْتَ وَفِيًّا
وَالْيَوْمَ لَاحِلَفٌ يُؤْمَلُ نَعْدَهُ * هَيْبَاتَ تَأْمَلُ بَعْدَهُ إِسْـئِيًّا

قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِسَانُ بَطْنٍ، وَقَوْلُ صَدُوٍّ، وَلَيْسَ تَحَقُّقُ فَيْكَ مَا طُشَاهُ،
فُحْطِكَ الْأَوْفَرُ، وَاللَّهِ مَا أَوْزَكَ الشَّيْءَ، فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، فَأَذِخْصُ

(١) لم نعر على اسم هذه الصبيغة فلم نحرر

مقاتلتهم، وأنعد مرلتهم، وإناك إن فعلت ذلك تردّد من الله قرنا، ومن المسلمين
 حنا. قال وإناك لتقولين ذلك ° قالت سبحان الله ! والله ما مثلك من مدح
 ساطل، ولا اعتد إليه بكذب، وإناك لتعلم ذلك من رأيا، وصمير قلنا. كان على
 والله أحب إليا منك، وأنت أحب إليا من غيرك. قال ممن ° قالت من مروان
 وسعيد بن العاص — قال وم استحققت ذلك عندك ° — قالت نسعة حاكم، وكريم
 عقوق — قال وإيهما يطمعان في ذلك — قالت هما والله من الرأى على ما كنت عليه
 لعثمان بن عفان — قال لقد قارت وما حاتك ° — قالت يا أمير المؤمنين ! إن
 مروان تنك في المدينة تنك من لا يريد منها الرّاح، لا يحكم عدل، ولا يقصى نسعة،
 يتبع عورات المؤمنين، حسد أس آى فأنتنه فقال كيت وكيت، وأسمنته أحش
 من المحر، وألقمته أمر من الصبر. ثم رجعت إلى هسي باللائمة، وقلت لم لأصريف
 ذلك إلى من هو أولى بالعوم، فأيتك يا أمير المؤمنين، لتكون في أمرى باطرا،
 وعليه مديا — قال صدقت لأسالك عن دسه، والقيام بحجته، اكتسوا لها بإطلاقه —
 قالت يا أمير المؤمنين وأنى بالرحمة وقد قيد رادى، وكلت راحلى، فأمر لها برحلة
 موطاة وحسة آلاف درهم.

ومن ذلك ما روى أن معاوية حج فسأل عن امرأة من بني كاة كانت تبرل الخون
 يقال لها الدارمية، وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر سلامتها فحىء بها، فقال ما حالك
 يا آسة حليم؟ — قالت لست لحام أدعى، إن عتني أنا امرأة من بني كاة — قال
 صدقت أندريس لم أرسلت إليك ° قالت لا يعلم العيب إلا الله — قال بعثت إليك
 لأسالك علام أحنت عليا وأعصيتي، وواليتيه وعاديتي ° — قالت أو تعفني

يا أمير المؤمنين - قال لا أُعْطِيكَ - قالت أما إذا أبيت ، فإنى أحدت عليا على عذله
 في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأعصتكَ على قتالك من هو أولى بالأمر منك ، وطلبك
 ما ليس لك بحق ، وواليتُ عليا على ما عَقِدَ له من الولاية ، وعلى حَسِّه المساكين ،
 وإعطائه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وحورك في القضاء ، وحكك
 بالهوى - قال ولذلك آتَمَحَ بَطْنُكَ ، وعُطِمَ ثدياك ، وربَّتْ عَجِزَتُكَ - قالت يا هذا مهد
 كانت تصرف الأمثال ، لاني - قال يا هذه أربعي إنا لم نَقُلْ إلا حيرا إنه إذا آتَمَحَ
 بطن المرأة تَمَّ حلق ولدها ، وإذا عُطِمَ ثدياها تَرَوَى رضيعها ، وإذا عَطُمَت عَجِزَتُها رَزُنَ
 مجلسها فرجعت وسكَّتْ - قال لها فهل رأيت عليا ؟ قالت لقد كُت رأيتُه -
 قال كيف كُت رأيتُه ، قالت رأيتُه لم يفتنه المُلْكُ الذي فتك ، ولم تشعله النِّعْمَةُ
 التي شعلتك - قال لها فهل سمعت كلامه ؟ قالت نعم ، والله كان يحلُّو القلوب من
 العمى ، كما يحلُّو الریت الطَّسْت من الصدأ - قال صدقت فهل لك من حاجة ؟
 قالت وتُفعل إذا سألتك ؟ - قال نعم - قالت تعطيني مائة ناقة حمراء فيها خلٌّها وراعيها -
 قال تصعين بها ماذا ؟ - قالت أُعَدِّي أناها الصُّعَار ، وأُستحيي بها الكِبَار ، وأُصلح
 بها بين العشائر - قال فإن أعطيتك ذلك فهل أحلُّ عندك محلِّي علي ؟ - قالت ماءٌ
 ولا كَصَدَاء ، ومرعى ولا كالسَّعْدَان ، وقِيَّ ولا كالكَلْك ، ياسبحان الله أو دُونَهُ ، فأشأ
 معاوية يقول

إِذَا لَمْ أَعُدْ بِالْحِلْمِ مِثِّي إِلَيْكُمْ * فَمَنْ دَا الَّذِي بَعْدِي يُؤْمَلُ بِالْحِلْمِ
 حُدَيْهَا هَيْثًا وَأَذْكُرِّي فِعْلَ مَا حُدِّدَ ۝ جَرَّكَ عَلَى حَرْبِ الْعَدَاوَةِ بِالسَّلَامِ ۝

ثم قال أما والله لو كان عليا ما أعطاك منها شيئا - قالت والله ولا ورة واحدة

من مال المسلمين ۝

ومن ذلك ما يروى أن أم البراء بنت صفوان آستأدت على معاوية فأذن لها
فدخلت عليه، وعليها ثلاثة ذُرُوع رُود تسحها دراعا، قد لاثت على رأسها كُورا
كالمِسْف فسأمت وحلست، فقال لها معاوية كيف أنت يا أئمة صفوان؟ - قالت
بحيرا أمير المؤمنين - قال كيف حالك؟ - قالت كسبت بعد نشاط - قال شتان
بيك اليوم وحين تقولين

يَا رَيْدُ دُونِكَ صَارِمًا دَا رَوَيْقِ * عَضِبَ الْمَهْرَةَ لَيْسَ بِالْخَوَّارِ
أُسْرِخْ حَوَادِكَ مُسْرِعًا وَمُسْمِرًا * لِلْغُرَبِ عَيْرَ مَعُودٍ لِيَصْرَارِ
أَحِبِّ الْإِمَامَ وَدُبَّ تَحْتِ لَوَائِهِ * وَالْقَى الْعَدُوَّ بِصَارِمٍ تَبَارِ
يَا لَيْتَنِي أَصَحْتُ لَسْتُ قَعِيدَةً * فَأَدُبْتُ عَنْهُ عَسَا كِرَ الْعُحَارِ

قالت قد كان ذلك، ومثلك من عما عمّا سلف ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. قال
هيئات، أما والله لو عاد لعديت، ولكنه احترم منك - قالت أحل! والله إني لعل
بينة من ربي وهدي من أمري - قال كيف كان قولك حين قتل؟ - قالت أنسيته؛
قال بعض جلسائه هو والله حين تقول*

يَا لَلرَّحَالِ لِعُظِيمِ هَوْلِ مُصِيبَةٍ * فَدَحْتُ فَلَيْسَ مُصَابُهَا بِالْخَائِلِ
الشَّمْسُ كَأَسْفَةٍ لَفَقْدِ إِمَامٍ * حَيْرَ الْخَلَائِقِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ
حَاشَى الْبَيِّ لَقَدْ هَدَدَتْ قُوءَا^(١) * فَالْحَقُّ أَضْجَعُ حَاصِعًا لِلْبَاطِلِ

فقال معاوية فإتلك الله وما تركت مقالا لقائل، أدكرى حاجتك - قالت
أما الآن فلا، وقامت فعثرت، فقالت تعيس شائى على! فقال رعميت أن لا،
قالت هو كما علمت، فلما كان من العدم بعث إليها بخاترة، وقال إذا صيغت الحلم
فمن يحفظه؟

(١) جمع القوة قوى معصود وإماما مد للصورة.

ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدى بن أربطة أن أجمع بين
إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة قول القصاء أهدهما ، فجمع بينهما ، وكانا غير
راعيين في القصاء . فقال إياسُ أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصير
الحسن وآس سيرين ، وكان القاسم يأتي الحسن وآس سيرين ، وإياس لا يأتيهما ،
فعلم القاسم أنه إن سألهما عنه أشارا به ، فقال له لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي
لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفاقه مني وأعلم بالقصاء ، وإن كنت كادما فما أشير
عليك أن تولي وأما كادب ، وإن كنت صادقا فيسعى لك أن تقل قولي - قال له
إياس إنك حئت رجل فوقفته به على شفير جهنم فحسني نفسه منها يمين كادنة
يستعمر الله منها ويحوم مما كان - قال له عدى أما إذ فهمتها فأنت لها فاستقصاه .

ومن ذلك ما حكاه صاحب العقد عن زياد بن مالك بن أس ، قال
”حط أبو جعفر المنصور ، حمدا لله ، وأثني عليه ، ثم قال أيها الناس اتقوا الله ،
فقام إليه رجل من عرص الناس ، فقال أدركك الذي دكرتنا به . فأحابه أبو جعفر
بلا فكر ولا روية سمعنا سمعنا لمن دكرنا الله ، وأعود بالله أن أدركك به وأساءه
فتأخذني العرة بالإثم ؟ لقد صلتك إذا وما أنا من المهتدين ، وأما أنت فوالله ما الله
أردت هدا ، ولكن يقال قيام فقال ، فعوقف فصر ، وأهون بها لو كانت ، وأنا
أدركم أيها الناس أحتها ، فإن الموعدة عليا رلت ، وفيما أنشئت . ثم رجع إلى مكانه
من الحطة .

ومن ذلك ما يحكى عن الربيع قال كما وقفوا على رأس المنصور ، وقد طرحت
للهدى بن المنصور وسادة إذ أقبل صالح بن المنصور ، وكان قد رشحه أن يوليّه بعض
أمهه ، فقام بين السماطين والناس على قدر أساهم ومواضعهم ، فتكلم فأحاد ، فمد

المصور يده إليه، ثم قال يا بُنَيَّ^١ وأعتقه، وطرى وحوه أصحابه هل فيهم أحد
يدكر مقامه ويصف فصله، وكلهم كره ذلك وهاب المهدي، فقام شدة من عقل
التميمي، فقال "لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه
وأحسن بياناً وأمعى حمانه وألّ ريقه وأسهل طريقه". وكيف لا يكون
كذلك وأمير المؤمنين أبوه، والمهدي أخوه، وهو كما قال رهبري أنى سُنِي
يَطْلُبُ شَأْوَ أَمْرَيْنِ قَدَمًا حَسًّا * نَدَا المَلُوكَ وَنَدَا هَدَى السُّوْقَا
هُوَ الحَوَادُّ فَإِنْ يَلْحَقْ شَأْوَهِمَا * عَلَى تَكَالَيْفِهِ فَمَثَلُهُ لِحَقَا
أَوْ يَسْقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْل * فَمَثَلُ مَا قَدَمَا مِنْ صَالِحِ سَقَا
قال الربيع فأقبل على بعض من حصر، وقال والله ما رأيت مثل هذا تحلصاً^(١)
أرضي أمير المؤمنين، ومدح العلام، وسلم من المهدي. فالتفت إلى المصور،
وقال يارب لا يصيرُ التيمي إلا ثلاثين ألف درهم.

ومن ذلك ما حكى أن رجلاً دخل على المهدي ولي عهد المصور، فقال
يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين المصور شتمني وقذف أُمِّي، وإما أمرتني أن أحلله،
وإما عوصتني فاستعفرت له - قال ولم شتمك؟ - قال شتمت عدوه بحصرته،
فعصب - فقال ومن عدوه الذي عصب لشتمه - قال إبراهيم بن عبد الله بن
حسن - قال إن إبراهيم أمس به رجلاً، وأوحى عليه حقاً، وإن كان شتمك كما
رعمت فعن رجحه دَبَّ، وعن عرصه دَفَعَ، وما أساء من أنتصر لآس عمه - قال
فإيه كان عدوه - قال فلم يتصر للعداوة، إنما أنتصر للرحم، فأُسكِت الرجل،
ولما ذهب ليولّي قال لعلك أردت أمراً فلم تحدد له دريعةً عندك أُلِّغَ من هذه
الدعوى^٢ - قال نعم، فتسّم وأمر له بحمسة آلاف درهم.

ومن ذلك ما حكى. أن المصبور قال لعص قواده صدق الذى قال "أَجْعُ كَلِّكَ
يَنْتَعَكَ" فقال له أبو العباس الطوسى أما تحشى يا أمير المؤمنين أن يلوح له عيرك
رعيفا فيتبعه ويدعك .

ومن ذلك ما يحكى أنه وفد أهل الحجار من قريش على هشام بن عبد الملك بن
مروان، ومعه محمد بن أبى الحنهم بن حديفة العدوى ، وكان أعظمهم قدرا ،
وأكثرهم ساء ؛ فقال - أصلح الله أمير المؤمنين ، إن حطاء قريش قد قالت فيك ،
وأقلت وأكثرت وأطبت ، وما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مطيهم فصلك ،
وان أدنت فى القول قلت - قال قل وأوحر - قال تولاك الله يا أمير المؤمنين
الحسنى ، وريك بالتقوى ، وجمع لك حير الآخرة والأولى ' إن لى حوائج أفاد كرها ،
قال هاتها - قال كيرت سى ودق عطى ، وبال الدهر مى ، فإن رأى أمير المؤمنين
أن يخبّر كسرى ، ويسمى فقرى - قال وما الذى يبنى فرك ويحرك كسرك - قال
ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار . فأطرق هشام طويلا ، ثم قال : هيات
ياس أبى الحنهم ، بيت المال لا يحتل ما سألت - فقال أما إن الأمر لواحد ،
ولكى الله أترك لمجلسك فإن تعظما حنمأ أذيت ، وإن تمعنا سأل الذى بيده
ما حويت ، إن الله جعل العطاء حنمة ، والمع منعة ، ولأن أحك أحب إلى من
أن أنقصك - قال فألف دينار لمادا - قال أقصى ها دينا قد حنم قصاؤه ،
وحماي حمله ، وأصرى أهله - قال فلا ناس تُقس كربة ، وتؤدى أمانة ،
وألف دينار لمادا - قال أروح ها من بلغ من ولدى - قال نعم المسلك سلكت ،
أعصمت بصرا ، وأعقت دكرا ، ورؤحت سلا ، وألف دينار لمادا - قال

أشترى بها أرضا يعيش بها ولدى ، وأستعين بصلها على نوائى دهرى ، وتكون
دُخرا لمن عدى ، قال إنا قد أمرنا لك بما سألت — قال فالمحمودُ الله على ذلك ،
وشرح — فقال هشام . ما رأيت رجلا أوفرى مقال ، ولا أبلغ فى بيان منه ، وإنا للعرف
الحق إذا رل ، وبكره الإسراف والخل ، وما تُعطى تديرا ، ولا يجمع تقتيرا ، وما
يحس إلا حران الله فى بلاده ، وأماؤه على عبادته ، فإن أدن أعطيا ، وإذا مع أبيا ،
ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ماحمها قائل ، ولا رددا سائل ،
فسأل الذى بيده ما استحققتا أب يُحرّيه على أيديا فإنه ينسبط الرزق لمن يشاء
ويقدر ، إنه كان يعباد حبرا بصيرا . فقالوا يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فأنلت ،
وما لى فى كلامه ما قصصت ، فقال إنه مستدى ، وليس المستدى كالمقتدى .

والحكايات والأخبار فى ذلك كثيرة ، والإطبايح يُخرج عن المقصود ، ويؤدى
إلى الملل ، وفيما ذكرنا من ذلك مَقَمَع والله أعلم .

المقصد الثالث

(فى كيفية تصرف الكاتب فى مثل هذه المكاتبات والرسائل)

عير حاف على من تعاطى صباغة النثر والظم أنه لا يستقل أحد باستخراج جميع
المعاني من معناه ، ولا يستغنى عن الطر فى كلام من تقدمه لأقتباس ما فيه من المعاني
الرائقة ، والألفاظ الفائقة ، مع معرفة ترتيب أهل كل رمن وأصطلاحهم ، فينسح
على موالهم ، أو يقترح طريقة تحالفهم ، وتوارد الكتاب والشعراء على المعاني غير
مجهول ، فإن التوارد يقع فى الشعر الذى هو منى على أصل واحد من وزن وقافية ،
فإنه إذا وقف على المعنى وترتيب الكلام ، عرف كيف ينسح الكلام ، مثل أن

يكتب في تهنية مولود قد جعلك الله من سعة طائت معاريسها، ورستت عروقها،
 فالريادة فيها ريادة في جوهر الكرم، ودحية نيسة لدوى الإقبال، فتولى الله
 يعمه عدك بالحراسة الوافيه، والولاية الكافية. وقد بلعى الحبر محدث الولد
 المبارك، والفرع الطيب، الذى عمر أفيصة السيادة، وأضحك مطلع السعادة،
 وتناشرت بذلك وآتتهجته به، فجعله الله رآ تقياً، سعيداً حميداً، يتقبل سلفه،
 ويقتنى أثرهم، وأيمن به عددك، وكثر به ذريتك، وأورعك الشكر عليه، وأحارك
 فيه من الشكر رحمة.

فيأحد آخر المعنى، ويورده ألفاظ أخرى، فيقول قد جعلك الله من شجرة
 ركت عصبوها، وورع شروت مآته، فالمؤفيا بعمه كاملة السعادة، وعنطة شاملة
 السرور، فتولى الله فصله عليك بالحقاط الراعى، والدفاع الكالى، وقد آنصل بى
 حبر السليل الرصى، والولد الصالح الذى حدد فوائد السيادة، وثنت أساس الرفعة،
 فاعتظت به واستشترت، جعله الله تعالى ولدا مميئوا، وبحلا سعيدا، يسلك مآهج
 سلفه، ويحدو فى المحاسن حدوهم، وراد به فى ثروتك، وأراك فيه غاية أملك، وسرك
 بوحوده، وأسعدك برؤيته.

فالمعنى والفصل واحد، والألفاظ مختلفة. وكذلك ما يجرى هذا المجرى وما
 فى معناه.

قلت ولا يهص بمثل ذلك إلا من رستت فى صبعة الكفاية قدمه، وأمترح
 بأحراء العصاحة والبلاعة لحمه ودمه، وهذا المهج هو أحد أنواع الإبحار فى القراء
 الكريم، فإن القصبة الواحدة تكرر فيه مرارا فى سور متعددة، ترد فى كل سورة
 بلفظ وتركيب غير الذى وردت به فى الأخرى، مع استيفاء حد البلاعة وهاية أميد
 العصاحة، ولذلك قل من سلك هذا المهج، أو ارتقى هذه الذروة، وقد أتى على بن

حمرة بن طلحة في كتابه "الاقتداء بالأفاضل" من ذلك بالعجب العجيب، فإنه قد استحس كلام الخطيب أس سادة الفارقي، والأمير قابوس الخراساني، والوزير أبي القاسم المقرئ، والصاحب أس عباد، وأبي إسحاق الصاني، الذين هم رؤساء الكتابة، وأئمة الخطابة، من الرسائل والعهود الدبعية، والخطب الموحدة الرائقة، فترد معانيها من ألقاطها، وأحترع لها ألقاطا غير ألقاطها، مع زيادة تميم، ومراعاة ترصيف، على أتم نظام، وأحسن آلتثام .

وهاتان نسحتا كتابين، الأولى مهما كتبها أبو إسحاق الصاني عن عمر الدولة أس نويه حوانا عن كتاب وصل إليه عن أخيه عصد الدولة يحمره مولود ولد له . والثانية عارصها على س حمرة المذكور أنا إسحاق الصاني في ذلك ألقاط أخرى مع اتحاد المعنى .

فأما التي كتبها أبو إسحاق الصاني عن عمر الدولة إلى عصد الدولة فهي

"وصل كتاب سيدي الأمير عصد الدولة أطل الله بقاءه بالحر السائر للأولياء، الكاتب للأعداء، في الولد الحبيب الأثير، والسيد المقيّل الخطير، الذي راد الله به في عددنا، وحدد نعمه عذنا، وحقق فيه آمالنا والآمال لنا، فأحد ذلك مني مأخذ الاعتباط ورل عدى أعلى مارل الانتهاج، وسألت الله تعالى أن يحتضنه بالبقاء الطويل، والعمر المديد، وأن يجعل مواهبه لسيدى الأمير بامية نموّه، ناشية بشوّه ليكون كل يوم من أيامه ثمدا له من فصله عاده، وواعدة له من عده برياده، ومحدثا لديه منحة نتصاعف إلى ما سبق من أمثاله، ومحدثا له عارمة تتلو ما سلف من أشكالها، وأن يريه إياه عزة في وجه دولته، ووارثا بعد سالفه البقاء لميرلته، قائما للالك قيامه، وسادا منه مكانه، ويهت له بعد الأكابر الحباء السابقين، أترابا من الإحوة لاحقين،

تألف منهم من مباراة المتنوع، وشافع من محارة المشعوع، في فائدة تقدم بمقدمه،
وعائدة تريد بمورده، ويحرس هذه السعادة من حلل يعترض اتصالها، أو فترة تحترم
رماها، أو نائمة تشوها، أو تنقصها، أو ررية تنلها، أو تنقصها. إلا أنها الأمد الأبعد^(١)
والعمر الأطول، ثم تُقصي به عَصَاة هذه الدار الدنيا، إلى قرارة الدار الأخرى، مؤأ
أوفي مراتها، ملأ أقصى مآلها، حالاً أرفع درجاتها، محتصاً بأعمها، متبها بها،
مستثمراً ما قدمه لصالح سعيه، ومستوفياً ما أفاء عليه متحرراً الرأخ، وآثاره البادية
لإيقاقه في أيام بطرى^(٢) التي استشعرت نورا من سائته، وآست حمالا من سائته،
وثابت مصالحها بركته، وتوافت حيراتها بيمه، وأعقدت أن السعادات طالعة على
بطلته، وأساسها ناحية إلى منجحه، فلو أستطعت أن أكون مكان كنانى هدامشافها
بالهبة لسيدي الأمير عصبة الدولة أطال الله بقاءه ومقبلاً لسلطه، لكنت أولى عبيده
بالمسارعة إلى ناله، وأحقهم بالمادرة إلى فائه لأشى معوق عن تلك الخدمة بخدمة
أنا فيها من قبله. ومقيم هذه الحصرة، إقامة المتصرفين تحت أمره، وقد وقبت بعمه الله
تعالى، الواهب منه أيده الله تعالى ما يقتر عين الولي، ويقدى عين العدو ويطرفها،
حقها من الشكر الممتري للقسام والمريد، بدوام العر والتأييد، وأسأل الله تعالى أن
يجعل ذلك مقبولا عه، ووافماً له، وعائداً عليه وعليها بطول العمر وساهى الشؤ
والنماء، وأن يعرف سيدي الأمير عصبة الدولة أيده الله بركة مولده، ويمن بمورده،
ويبقى حتى يراه والأمرء السابقين أيدهم الله تعالى آباء أمثالهم، وأشياح ذريتهم،
ملأ في كل منهم أفصل ما رتخته له أمايه، وأعلى ما ألدست آماله فيه، بقدرته.
وأنا أتوقع الكتاب مما يقتر عليه أسم الأمير السيد وكتبته، أعلاها الله تعالى
لأستأنف إقامة الرسم في مكاتنته، وتأدية العرص في خدمته، وسيدي عصبة الدولة،

(١) لعله إلى إلهاء كما عبده السابق . (٢) كذا في الاصول وليحبر

أطال الله نقاءه ، أعلّٰى عينا فيما يراه بمطالعتي بذلك وكل ما يؤليه الله من مستأنف
بعمه ، ويحدّده له في حادث مواهده له ، لآخذَ محطى مهمما ، فأصرتَ سهمى وبهما ،
وتصريحى بين أمره ومهيه ، وتشريحى بعوارص خدمته ، إن شاء الله تعالى .

وأما التى عارضها بها علىّ من حمرة من طلحة وهى

وصلّى كتأب سىدى الأمير عصد الدولة ، أطال الله نقاءه ، بالشرى المتسمة
عن واحد السعد الآف ، والنعى المتسمة عن صبا المجد المتصاعف ، التى أشرقت
مطالع الإقبال عن محياها ، وتصوّعت بفتح ذرك الآمال عن رايها ، وصدقت
من الأولياء طوبهم المرتقة ، وآ تحت من الأعداء غيوبهم المرتبة ، بالولد الحبيب
الخطير ، الأمير الحبيب الطهير ، المحيد المعمر ، المقيّل المؤمّر ، الذى كثرا الله به عددًا
معشر أهليه ، وعدّدا بما يرتقه منه وراعيه ، وهو تكّرمة مُحقق طوبوا بما له برتحيه ،
وما يؤمّله من السعادة المقلّة فيه ، فاستفرتى عنطة استحوذت علىّ حوامع لبيّ ،
وتملكنتى هجة ثوت في مراع قلّى ، وطفقت متبلا ، وتصرّعت متوسلا ، إلى دى
العرش المحيد ، الفعّال لما يُريد ، أن يجمع له بين العُمر المديد ، والحلّة السعيد ، كهاء
ماقرن له بين المجد العتيد ، والمُلك الوطيد ، وأن يجعل تحيّات أياديه لدى سىدى
الأمير متصاعفة الأعداد ، مترادفة الأمداد ، مشرة بضماء الأولاد ، يرى آئها على
السالف بسعده ، ويُلهى عن تالدها الطارف بعلو محده ، وأن يريه إياه على مفرق
دولته ، وعُرة تُشرق في حمة دزيته ، وباهضا بأعما مملكته ، وقائما بهصرة دعوته ،
حتى يرى أولاد أولاده حُدودا ، مطمرا سعيدا ، وأن يُتبعه أترا من الإحوة البهاء ،
الأماحد السعداء ، متحارين في حلّات علو الهمم ، متبارين في مريّات إيلاء النعم ،
ليترادّ أردحام وُود السعادة في عتاب ناه ، ويرافد اقتحام حود الإقبال رحيب
حبابه ، ويحرّس لديه ماحوله من مواهده وأياديه ، ويحفظ عليه مانه فصله من مناقبه

ومعاليه، ويقيه من كيد عائد إذا عُد، ويحميه من شر حاسد إذا حسد، وأن يؤتیه عائدتي العاحلة والعقبي، ويُحيطيه سعادتي الآخرة والأولى، وأن يجعل سعيه في مصالح عبادته مشكوراً، وبطّره في مآخ بلائه مدوراً، وأن يُعادر متآخّره وتقواه راحه، كما جعل حواطر سره وبحواه صالحه، فرياص الأيام بعذله بواصر، وبواطر الأنام إلى فصله بواطر، ومصالحهم بُيْئته وركنهم موافيه، وراعتهم بهمتهم وسعادته موافيه، وإني لأعتقد أن مقبلي في أفياء السعادة، وتبلي كل مأمول وإرادته، وتوفيق فيما أوفق فيه، بما أعتدّه وآتیه، حذول من تيار فصله وسعادته، موطّ العُرَى سموهته، وأودّ أن أكون عوضاً عن كتّاني هذا إليه، وحطّاني الوارد آتفا عليه، لأسعد بالآلاء عُمرته، وأحطّي بالأشرف من خدمته، أدام الله أيام دولته لأني أحذر عيده بالمهاجرة إلى نابه، وأولّي خدمته بالمبادرة إلى حماه، ولولا تجلّ أعاء خدمته التي طوقها، وكوى نائه لدى هذه الحصرة فيها، ثاويًا بأوامره وبواهيته في معانيها، لما شقّ عاري من أمّ دُراه، ولا آتّع آثارى مُسرّع رام لُقياه. ولقد قمت بالواحد على اللعنة أيده الله المترلة إلى، والمؤهبة بمقدمه كلاًه الله المُكَمَّلَة لدى، التي أصحّت بها الواحد المخلص صاحكةً مستشره، وأمسّت سندها وحوه الكاشحين عاسّةً مستسره من وافر شكرٍ يمتري المريد، وعتيق الإمام والعبيد، والصدقة الدارة على التأيّد، وأنا أرفع إلى الله تعالى رعةً متوسل إليه، أمل بما لديه، أن يجعل ركة كل حيردزّت به أحلافه، وكُرت لأحله أحلافه، عائدةً عليه، ومياميه نائسةً إليه، مؤدبة بتعميره ملكاً حَلّاحلاً، لا يلقى مؤملوه ليم فصله ساحلاً، وأن يمدّ لسيدى عصيد الدولة في البقاء، ويمتعه به وسابقه من إحقوته الأمراء، ويريه فيهم وفيه، قُصوى ماتسمو إليه هممه وأمايه. وإني لمتوكف لما يصلني من كتّاب يني عن اسمه الكريم وكينته، لأعتمد ما أستوحه في خدمته ومكاتبته،

وسيدى عصد الدولة أدام الله علاه، ولّى ما يستصوبه ويراه من الأمر بمكاتتى
بذلك وبتحددات النعم، وأوائف المواهب العالية القيم، لأحد وأفرسهمى من
السرور، وحريل قسّمى من الحدلّ والخبور، وتصريهى بين أمره الممثل المطاع،
وبهيه المقابل بالآتاع، إن شاء الله تعالى .

السّوع العاشر

الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة، خصوصاً أشعار العرب وما توفرت دواعى
العلماء بها على اختياره كالحماسة، والمقصّليّات، والأصمعيّات، وديوان هذيل،
وما أشبه ذلك، وفهم معانيها واستكشاف عوامصها، والتوفّر على مطالعة شروحها،
ويلتحق بذلك شعراً المولّدين من العرب، وهم الذين كانوا في أوّل الإسلام كحرير
والفرردق، والأحطل وغيرهم، وكذلك حفظ حاب جيد من شعر المقلّين من
المحدّثين كأبى تمام، ومسلم بن الوليد، والبحتري، وآس الرومى، والمتنّى ومحوهم،
وفيه مقصدان .

المقصد الأوّل

(فى بيان أحتياج الكاتب إلى ذلك)

أما شعر العرب والمولّدين فلما فى ذلك من عرارة المواد، وصحة الاستشهاد، وكثرة
النقل، وصقل مرآة العقل، وأنتراع الأمثال، والاحتذاء فى آحتراع المعانى على أصح
مثال، والأطلاع على أصول اللغة وشواهداها، والأصطلاح من بواذر العربية
وشواردها . وقد كان الصّدر الأوّل يعتنوا بذلك غاية الاعتناء . قال محمد بن سلام
عن بعض مشايخه "كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرّض له أمر إلا أنشد

فيه بيت شعر". وذكر صاحب "الريحان والرياح" عن سعيد بن المسيب أنه قال كان أبو بكر وعمر وعليّ يحيدون الشعر وعلىّ أشعر الثلاثة . قال وكان عمر بن الخطاب يقول أفضل صاعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها بين يدي حاجته يستعطف بها الكريم ، ويستتر بها اللئيم . وقد ذكر عن الشافعيّ رضى الله عنه أوعيره من بعض الأئمة الأربعة أنه كان يحفظ ديوان هذيل ، وأما قول الشافعيّ رضى الله عنه .

وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُرَى * لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَيْدٍ

فإنه يريد من صرف همته إلى الشعر، بحيث صار شأنه وديده، وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم "لَأَنْ يَمْلَأَ أَحَدُكُمْ خَوْفَهُ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْلَأَهُ شَعْرًا" أى أراد صرف همته إليه حتى يملأ خوفه منه . وقد قال صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً" . وكان عمر رضى الله عنه يسمع البيت يُعْجبه فيكرره مرارًا كما ذكره الحافظ وعيره . وقد ذكر أبو البركات بن الأنباري في كتاب "طبقات الأدباء" في ترجمة أنى جعفر أحمد بن إسحاق الهلول بن حسان الأنباري أنه كان فقيها ، عالما ، واسع الأدب وتقليد القصاء لعنة من الخلفاء . ثم حكى عن ولده أنى طالب أنه قال كنت مع والدى في حارة بعض أهل بغداد من وجوه الناس وإلى جانبه أبو جعفر الطبري ، فأخذ أنى يعط صاحب المصيبة ويسليه ، ويُشدد أشعارا ، ويروى له أحارا ، فداحله الطبري في ذلك ، ثم اتسع الأمر بينهما في المداكره ، وحررا إلى فون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاصرون وأنعموا بها . وتعالى الهار وأتوقفا ، فقال لى أنى يائى من هذا الشيخ الذى داحلنا في المداكرة ؟ فقلت يا سيدى كأنك لم تعرفه ، فقال لا ، فقلت هذا أبو جعفر الطبري ، فقال إنا لله ! ما أحسنْتُ عِشْرَتِي معه ، فقلت كيف يا سيدى ؟ قال ألا سَهَّيْتُ في الحال ،

فكنت أداكره بعير تلك المداكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والأتساع في صوف العلوم، ماذا كرته بحسبها، ومصت على ذلك مدة محضرا في حق آخر وحلسا، وإذا بالطبرى قد دخل إلى الحق. فقلت له أيها القاصي هذا أبو جعفر الطبرى قد جاء مقلدا، فأوما إليه بالحلوس عسده، فعدل إليه وحلس إلى حاسه، وأحد يحاريه، فكلمنا حاء إلى قصيدة ذكر الطبرى منها أياتا، قال أنى هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها فيتلثم الطبرى فيشدها أنى إلى آخرها، وكلما ذكر شيئا من السسير، قال أنى هذا كان في قصة فلان، ويوم سى فلان، مرّ يا أبا جعفر فيه فرمّا مرّ فيه، وربما تلثم، ويمرّ أنى في جميعه. ثم قمنا، فقال لى أنى الآن شعيتُ صدى.

وأما أشعار المحدثين، ولطف مآخذهم، ودوران الصبغة في كلامهم، ودقة توليد المعانى في أشعارهم، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة، والكثابة، وخصوصا المتنبي، الذى كأنه يطق عن ألسنة الناس في محاوراتهم، وكثير الاستشهاد لشعره حتى قلّ من يحمله، وإذا أكثر المترشح للكثابة من حفظ الأشعار وتدرّج معانيها، ساقه الكلام إلى إررار دحيرة ما في حفظه منها، فاستعملها في محلها، ووضعها في أماكنها، على حسب ما يقتضيه الحال في إيرادها واقتباس معانيها.

المقصد الثانى

(في كيفية استعمال الشعر في صباغة الكثابة)

علم أن للكاتب في استعمال الشعر في كتابته ثلاث حالات

الحالة الأولى

(الاستشهاد)

وهو أن يُورد البيت من الشعر، أو البيتين، أو أكثر في حلال الكلام المشور مطابقا لمعنى ما تقدم من البئر، ولا يشترط فيه أن يمد عليه يقال ويحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية، وإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام، فلا يحتاج إلى التنبه عليه. وأكثر ما يكون ذلك في المكاتبات الإحوايات مثل ما كتب به القاصي الفاضل إلى بعض إخوانه يستوحش منه، ويتشوق إليه

فِيَارَتْ إِنْ الْبَيْتِ أَصْحَحْتُ صُرُوفَهُ * عَلَى، وَمَالِي مِنْ مُعِينٍ فَكُنْ مَعِي
عَلَى قُرْبِ عُدَالِي وَنُعْدِ أَحْتِي * وَأَمْوَاهِ أَحْصَايَ وَيَبْرَأِ أَصْلَحِي

هذه تحية القلب المعذب، وسريرة الصبر المذبذب، وطلامة عزم السلوك المكذب، أصدرتها إلى المجلس وقد وقَّد في الحشا بأرهما، الرقيب أوارها، والدُموع شرارها، والشوق آثارها، وفي الفؤاد ثارها

لَوْ رَأَيْتُ مِنْكُمْ حَيَالٌ هَاجِرٌ * لَهَدَيْتُهُ فِي طَلَبَاتِهِ أَنْوَارَهَا

أسما على أيام الاجتماع التي كانت مواسم السرور والأسرار، ومواسم الشعور والأوطار، وتدكر لأوقات عذب مدافها، وأمتد بالأس رواقها، وروحت بكرها، ودوَّع دكرها.

وَاللَّهِ مَا تَسَيَّيْتُ نَفْسِي حَلَاوَتَهَا * فَكَيْفَ أَذْكُرُ أَيَّ الْيَوْمِ أَدْكُرُهَا

ومد فارقت الحباب، لارال حنا حنايه بصيرا، وسنا سنايه مستطيرا، ومثلكه في الحافقين حافق الأعلام، وعمره على الحديد حديد الأيام، لم أقف منه على

كتاب تخلف سطورهُ ما غسل الدمعُ من سَوادِ باطرى ، ويُقدِّم بياضِ مطومه
ومنتوره ما وزَّعه الين من سُويداءِ حاطرى

ولم يبقَ في الأحشاءِ إلَّا ضَبَابُهُ * من الصَّبرِ تحرى والدموعِ التَّوَادِرُ

وأسأله المآب ، شريف الحباب ، وأداءِ فرص ، تقيل الأرض ، حيث تلتقى
وعود الدنيا والآخرة ، وتعمُرُ البيوتَ العامرة ، المنى العامرة ، وفصلُ الطل غير
مسوح مهيره ، ويُشَرِّحُ المحمَّدُ شخصَ لا تسمَحُ الدنيا سطيحه

تَظَاهِرُ في الدُّنيا بأشرفِ طاهيرِ * فلم ترَ أنقى منه غيرَ صَبيهِ

كفاني حرا أن أُستَيَّ بعنيدِهِ * وحسبي هَدْيًا أن أُسيرَ سُورِهِ

فأى أميرٍ ليس يَشْرُفُ قدرُهُ * اذا ما دَعَاهُ صادقًا بأَميرِهِ

ولم يَهِ في السؤالِ نكتُهُ أن يوصِّلها ليُوصِّلَ لها لدى تهاى تملأ يَدَى ويُدِيعُها
عدى مَسَرَّةً تقدَحُ في الشكرِ رَيْدَى .

عَهِدْتُكَ دا عَهِدٍ هو الوردُ نَصْرَةً * وما هوَ مثْلُ الوردِ في قِصْرِ العَهِدِ

وأنا أترقب كَنَاهُ أرتقاب الهلالِ لثُفَيطِرين عن الكَرَى صائمه ، وترد نفس

عن مواردِ الماءِ حائمه اه .

بل ربما كان كلُّ المكاتبة أو حلها شعرا ، وقد يكون صدر المكاتبة شعرا وديلتها
ثرا ، والعكس . وقد يكون طرفاها ثرا وأوسطها شعرا ، وعكس ذلك محسب
ما يقتضيه الترتيب ، ويسوق إليه التركيب ، وربما أكتفى بالبيت الواحد من الشعر
في الدلالة على المقصد ولوع العرص في المكاتبة كما كتبت بعض ملوك العرب
إلى من كرر كُتُّه ورسله إليه بقول المتن

ولا كُتُّ إلا المَشْرِيفَةُ عِنْدَهُ * ولا رُسُلٌ إلا الحميسُ العَرَمَرُمُ

إلى غير ذلك من المكاتبات المتضمنة للأشعار . أما مكاتبات الملوك الآن فقل
 أن تستعمل فيها الأشعار، أو يستشهد فيها بالمنطوم والمشور ، وقد تحيى التلقينات
 بأبيات الشعر في غير المكاتبات من الرسائل الموصوعة لرياضة الدهن ، وتقيح الفكر
 كالرسائل الموصوعة في صيد ملك أو فتح بلد أو نحو ذلك ، وقد أودعت المقامة التي
 أنشأتها في كتابة الإنشاء حملة من الأبيات الشعرية ، أوردتها مورد الاستشهاد على
 ما يقتضيه المقام ، ويسوق إليه سياق الكلام ، على ما سلف ذكره عند الكلام على
 فصل الكآنة فيما تقدم . وعند مطالعة كلامهم ، والوقوف على رسائلهم ، ترى من
 أصناف الاستشهادات ما يروقك بطره ، ويُطربك سمعه .

الحالة الثانية

(التصميم)

وهو أن يصف البيت الكامل من الشعر أو يصف البيت لعص القرية . أما
 تصميم البيت الكامل من الشعر أو يصف البيت لعص القرية فمثل ما كتب به
 القاصي العاقل

وصل من الحصرة

كَتَبَ بِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ وَقَعَهُ السَّحَابُ فَكَأَنِّي إِذَا طَفِرْتُ بِهِ الْحَضْرُ
 فَوَقَعْتُ عِنْدَهُ مِنْهُ عَلَى

عُقُودُ، هِيَ الدَّرْدِيُّ أَنْتَ نَحْرُهُ * وَدَلِكْ مَا لَا يَدْعِي مِثْلَهُ الْحَرُ

وَرْتَعَتْ مِنْهُ فِي

رِيَاضِ يَدِ بَحْيٍ وَعَيْنِ وَحَاطِرٍ * تَسَاقَتْ فِيهَا النُّورُ وَالرَّهْمُ وَالنَّمْرُ

وَكَرَعَتْ مِنْهُ فِي حِيَاصِ

تَسْرُ حَايِبَهَا إِذَا مَا حَيَّ الطَّيْلُ . وَتُرَوَّى مَحَارِبَهَا إِذَا يَجِلُّ الْقَطْرُ

وما رلت منه أنشده

كأني ساري سريرة ليلة * فلما بدا كثرت إدا طلع الفجر

ووافي على ما كنت أعهد

فلت أن العين من سحر كفه * من دا ومن دا فيه ينثر الدر

وأسترح فأت الدماء من مؤرده

وما كان عيدي تعدد فراقه * نأني أرى يوماً به بعد الدهر

ونفس عن النفس أبيض أثمانه وعين العين أسود إثمده

به لهما سحر طويل فهديه * على حاطر برد ، وفي حاطر بدر

وحدد إليه أشواقا حديدها

يمتر به ثوب الحديد دأماً * فيل ولا يئل وإن بلي الدهر

ودكر أياماً لا يرأل يستعيدها

وهيات أب يأتي من الأمر فأت * فادع عنك هذا الأمر قد قضى الأمر

وأما تصميم نصف البيت مثل قول القاصي الفاضل

وصل كتاب مولاي بعدما * أحاب المبادي للصلاة فاعتما

فلما استقر لدى * تحلى الدي من حاب البذر أطلما

فقرأته * يعبر إذا استطرثها أمطرت دما

وساءلته * فسألت مضر وفا عن النطق أعما

(١) في نسخة سمح وفي أخرى يح وكلاهما مصحف كما هو ظاهر ادشير إلى الآية الكريمة (إن لك في النهار

سحا طولا)

* وَمَا ذَا عَلَيْهِ لَوْ أَحَابَ الْمُتِمِّا ؟	ولم يرّ حواما ،
* فَعُورِلْتُ دُونَ الْجِلْمِ أَنْ أَتَحَلَّيَا	ورددته قراءة ،
* كَمَا يَحْفَظُ الْحُرُّ الْحَدِيثَ الْمَكْتَمَا	وحفظته ،
* فَسَ حَيْثُ مَا وَاحَتْهُ قَدْ تَسَمَا	وكررت ،
* فَقَلَّتْ ذُرًّا فِي الْعُقُودِ مُطَمَّمَا	وقلته ،
* فَكُنْتُ مَمْقُورِصٍ الْحَمَّةِ قِيَمَا	وقمت له ،
* وَلَيْسَ عَلَى حُكْمِ الْحَوَادِثِ مُحْكَمَا	وأحصلت لكتابه ،
* وَلِكَيْتَهُ قَدْ حَاطَ اللَّحْمَ وَالْدَمَا	ولم أصدقته ا
* فَكَأَبَ لَا يَدِي الْوَسَائِمِ مَوْسِمَا ^(١)	وأزحت وصوله ،
* فَوَادٍ أُمِّيهِ وَقَدْ نَلَعَ الطَّمَا	وشفيت به عليل
* حَشَا صَرَّمَا فِيهِ مِنَ الْبَارِصَرَّمَا	وداويت عليل
* حَمَاهَا عَلَى اللَّوْمِ الْمُقَامُ عَلَى الْحِمَا	فأما تلك الأيام التي
* مَلَأَتْ نُحُورَ اللَّيْلِ بَيْصًا وَأَنْحَمَا	والليالي العذاب التي
* فَلَوْ صَاحَتْ رَضْوَى لَرُصَّ وَهْدَمَا	وأرسلت الرفرة
* كَمَا أُنْشَأَ الْأَفُقُ السَّحَابَ الْمُدَيِّمَا	وأسلت العبرة
* فَاسْأَلْ مَعْدُومًا وَأَمْلْ مُعْدِمَا	وحطت السلوة
* أَفْصُ بِهِ مِسْكًَا عَلَيْهِ مُحْتَمَا	فأما الشكر وإنما
* أَرَانِي بِهِ دُورَ الرِّيَّةِ أَفْوَمَا	وأقوم منه بفرص
* وَكَيْفَ تُؤَوِّي الْأَرْضُ قَرَصًا مِنَ السَمَا	وأوى واحب فرص

(١) كذا في الأصل ولعله جمع يد وأصيب للكلم

وربما ركت القرية الكاملة على البيت أو نصف البيت كما كتب به القاصي
الفاضل أيضا .

ورد كتاب الحصرة بعد أن عددت { * وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا
الليالي ليلة بعد ليلة لطلوع صديعه
وبعد أن آتت طرقت القيظ والشتاء { * فَمَا لِلسَّوَى تَرْبِي لَيْلِي الْمَرَامِيءُ
لفصل ربيع
وَأَسْتَرْوَحْتُ إِلَى نَسِيمِ سَحَرِهِ * إِذَا الصَّبْفُ أَلْقَى فِي الدِّيَارِ الْمَرَّاسِيَا
ومددت يدي لأقتطاف ثمره * وَلِلَّهِ مَا أَحْلَى وَأَخْيَ الْحَايَا
ووقفت على شكواه من رمانه * فَتُ لِسُكُوَاهُ مِنَ الدَّهْرِ شَايَا
وعشت لعمى اللخيط عن مكانه * وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمُ فِيهِ الْمَعَايَا
وتوقعت له دولة يعلوها الفصل * إِذَا هَرَمَ مِنْ تِلْكَ الْبَرَاجِ عَوَالِيَا
ورثة يرتقي صهوتها تحكم العدل * فَرَّتْ مَرَاقِي يُتَدَدُّ مَهَاوِيَا
والى الله أرفع في إطلاع سعوده * رَوَاهِرَ فِي أَفْقِ الْعَلَاءِ رَوَاهِيَا
وفي إهاص عثرات حدوده * فَقَدْ عَثَرْتُ بَعْدَ الْهُوِصِ الْعَوَالِيَا

وربما رُكَّتْ نصف البيت على نصف القرية ، كما ذكرت في المفاخرة بين
السيف والقلم في الكلام على لسان السيف في محاطته للقلم . وهو وأنت وإن
ذكرت في التريل ، وتمسكت من الأمتنان بك في قوله (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) شبهة التفصيل ،
فقد حرم الله تعالى تعلم حطك على رسوله ، وحرملك من مس أنامله الشريفة ما يؤسى
على فوته ويُسرَّ محصولة ، لكى قد نلت من هذه الرتبة أسى المقاصد ، وشهدت
معه من الوقائع ما لم تُشَاهِدْ ، وحلّانى من كفه شرفا لا يروى حليّه أبدا ، وقتت سصره

في كلِّ مُعْتَرِكٍ ، ، * فَسَلَّ حُبِينًا وَسَلَّ نَذْرًا وَسَلَّ أَحَدًا * ، فرغمت بصف بيت
الردة على بصف قريية . وما ذكرته في الرسالة التي كتبتها للمقر الفتحى صاحب
ديوان الإنشاء الشريف بالأنواب السلطانية بالديار المصرية . وهو قد ليس شرفا
لا تطمع الأيام في حله ، ولا تتطلع الزمان إلى رعه ، وآتته إلى المحدث فوقف ،
وعرف الكرم مكانه فاحاز إليه وعطف ، وحلت الرئاسة بصائه فاستعنت به عن
السوى ، وأماحت السيادة بأفائه . فألقت عصاها وأستقر بها الموى .

وقد يصمُّ الكاتب بعض القرية بصف بيت ، ثم يستطرد فيذكر أبياتا كاملة
الأحراء على نمط أنصاف الأبيات التي يوردها ، كما فعل الشيخ صياء الدين أحمد بن
عمر بن يوسف القرطبي في رسالته للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد تعمدهما الله
رحمته في قوله

ويهي' ورود عدرائه التي	لَهَا الشَّمْسُ حَذَنٌ وَالْحُومُ وَلَا تَنْدُ
وحسانه التي	لَهَا الدَّرُّ لَفْطٌ وَالدَّرَارِي قَلَانْدُ
ومشرفته التي	لَهَا مِنْ رَاهِبٍ الْبَيَانِ شَوَاهِدُ
وكريمته التي	لَهَا الْفَضْلُ وَرَدٌ وَالْمَعَالِي مَوَارِدُ
وآيتها الكبرى التي بول فصلها	عَلَى أَلَّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ الْفَضْلَ حَاحِدُ
وأبك سيف سله الله للهدى	وَلَيْسَ لِسَيْفٍ سَلَهُ اللَّهُ عَامِدُ

وقد يحالف بين قوافي أنصاف الأبيات التي يمرحها بعض القرائ كما يحالف بين
فواصل القرائ كما في قول الديع الهمداني

أما لقرب دار مولاي	كَمَا طَرَبَ الشَّوَانُ مَالَتْ بِهِ الْحَمَرُ
ومن الارتياح إلى لقائه	كَمَا اتَّقَصَّ الْعُصْفُورُ لَلَّهُ الْقَطَرُ

ومن الأمتراح بولائه * كما ألتقيت الصَّهَاءُ والبارِدُ العَدْبُ
ومن الأمتراح بمراره * كما اهترَّ نَحْتِ البارحِ العُصُ الرُّطْبُ

إلى غير ذلك من مفعول الأمتراح التي يراوح فيها بين المنشور والمنطوم، وينتهي فيها الكاتب إلى ما يبلغ به القدر المحتوم .

أما تصميم بعض أبيات العرب في بعض قصائد المحدثين كما فعل القاصي الأثرحاني في قوله من قصيده مدح بها بعض الورراء

وأهدِ إلى الوري الممدح تحمُّل . لَكَ المِرْنَاغُ مِنْهَا وَالصَّعَايَا
وَرَافِقُ رُفْقَةٍ رَحَلُوا إِلَيْهِ . فَأَتُوا بِالنَّهَابِ وَالسَّيَايَا
وَقُلُّ لِلرَّاحِيَيْنِ إِلَى دُرَاهِ * أَلَسْتُمْ حَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا
وَلَا تَسْلُكُ سِوَى طُرُقِي فَإِنِّي * أَنَا أَنُّ حَلَا وَطَّلَاغُ الثَّيَايَا

فإن ذلك من وطيفة الشاعر لا الكاتب، وإن كان الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد أشار في كتابه "حسن التوسل" إلى التمثيل بذلك لما نحن بصددده .

الحالة الثالثة

(الحل)

وهو أن يعمد الكاتب إلى الأبيات من الشعر دوات المعاني فيحلها من عُقْل الشعر، ويسكها في كلامه المنشور، فإن الشعر هو المادة الثالثة للكتابة بعد القراء الكريم والأحمار السوية، على ماثلها أفصل الصلاة والسلام، وخصوصاً أشعار العرب فإنها ديوان آدمهم، ومستودع حكيمهم، وأنفس علومهم في الحاهلية، به يفتخرون، وإليه يحتكون . فإذا أكثر من حفظ الشعر ووفهم معانيه، عرّرت لديه المواد، وترادمت عليه المعاني، وتواردت على فكره، ويسهل عليه حينئذ حلها، ووضعها

في مكائها اللائق لها بحسب مقتضيات الكناية . قال صاحب "الريحان والرياعان" وهو شأن حُذّاق الكتاب في رماسا، وفيه من الجمال فون .

مها أنه يدل على حَقالة أدب المُحيد ، وأتساع الحفظ ، والتيسير والتأني لسلك اللقط .

ومها أنه ليس يُشهرَ منها إلا السادر للعاية في الحُس ، فهي إذا حُلّت يحاورها المشئى بما يباس حسها في البراعه ، وهذا كثير في هذه الصباعه . قال في "المثل السائر" وإماما جعل المطوم مائة للشور بخلاف العكس لأن الأشعار أكثر ، والمعاني فيها أعرر ، قال وسبب ذلك أن العرب الذين هم أهل الفصاحة كان حُلّ كلامهم شعرا ، ولا يوحد الكلام المشور في كلامهم إلا يسيرا ، ولو كثرفاه لم يُقل عنهم بل المقول عنهم الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ . ثم جاء الطرار الأول من المُخَصَرِّين فلم يكن لهم إلا الشعر . ثم استمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الأَكْثَر ، والكلام المشور بالنسة إليه قطرة من بحر ، فذلك صارت المعاني كلها مُودعة في الأشعار . قال في "حس التوسل" والحل باب متسع على المحيد تحاله ، وتتصرف في كلام العارف به رويته وأرتحاله .

قال صاحب "الريحان والرياعان" وأول من فك رقاب الشعر، وسرح مقيده إلى النثر، عبد الحميد الأكر ، كاتب سى أمية إلى أنقصاء حلافتهم . قال ورعما رامة غير المطبوع المتصرف فعقده وأفسده كما قال القائل وبعضهم يحل فيعقد . قال وكيفية الحل أن يتوحي هذا البيت المطوم وحل فرائده من سلكه . ثم ترتيب تلك الفرائد وما شابهها ترتيب متمكن لم يحطره الورن ولا أصطرته القافية ، ويررها

في أحسن سلك، وأحمل قالب وأصح سلك، ويُكَلِّمُها بما يباسُها من أنواع الدبيع إذا أمكن ذلك من غير كلفة، ويتخير لها القرائن. وإذا تم معه المعنى المحلول في قرية واحدة فيعرض له من حاصل فكره، أو من دحيرة حفظه، ما يباسه. وله أن يُقْلَ المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء، وإن كان سببا وتأثي له أن يجعله مديحا فليجعل، وكذلك غيره من الأنواع. وإذا أراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة للألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها، فمَنْ قَصَرَتْ ولو لفظة واحدة، فسد ذلك الحل وعدَّ مَعِيَا. وإذا حلَّ اللفظ فلا يتصرف بتقديم وتأخير ولا تعديل، إلا مع مراعاة تدوير الفصاحة، واحتساب ما يَنْقُصُ المعنى أو يُحْطُّ رتبه.

قال وهذا الباب لا يتحصر المقاصد فيه، ولا حصر على المتصرف فيه.
ثم حل الأبيات الشعرية واستعملها في الشعر على ثلاثة أصرب

الضرب الأول

(أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فيثُرُه لفظه، وهو أدنى مراتب الحل) قال في "المثل السائر" وهو عيب فاحش إذا لم يرد في ثره على أنه أزال روق الورن وطلاوة الطم لا غير. قال ومثله كمن أحد عقدا قد أُنْقِصَ بظمه، وأُحْسِنَ تأليه، فأواه وبنده، وكان يقوم عدده في ذلك لو نقله عن كونه عقدا إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه. وأيضا فإنه إذا شَرَّ الشعر لفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه ناقية لم يتغير منها شيء.

والحكمة في الشعر لفظه لا يخرج عن حالين

الحال الأول — أن يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها، وله في حله طريقتان.

الطريق الأول — أن يحلّه بالتقديم والتأخير من غير زيادة في لفظه كما ذكر صاحب "الصواعق" عن بعض الكتاب أنه حلّ قول البحريّ

أُطِلَّ حَقْوَةُ الدُّنْيَا وَتَهْوِيَنَّ شَأْمَهَا . فَمَا الْعَاقِلُ الْمَعْرُورُ فِيهَا يَعَاقِلُ
يَرْحُو مَعَشَرَ صَلَّ سَعِيمُهُمْ . وَدُونَ الَّذِي يَرْحُونَ عَوَّلَ الْعَوَائِلِ
إِذَا مَا حَرِيرُ الْقُومِ نَاتَ وَمَا لَهُ . مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ

نقال في نثرها . أُطِلَّ تهويَنَّ شأن الدنيا وحقوقها، فما المعرور العاقل فيها يعاقل . ويرحو معشر صلّ سعيهم الخلود، وعوّل العوائل دون مارحون . وإذا نات حرير القوم وماله من الله واقٍ فهو بادي المقاتل . فلم يرد في ألفاظها شيئاً .

الطريق الثاني — أن يحلّه زيادة على لفظه كما حكى الحافظ عن قليب المعترىّ أنه سمع مشدداً ينشد للعتبيّ .

أَفَلْتَ بَطَالَتُهُ وَرَاحَهُ . حِلْمٌ وَأَعَقَّهُ الْهَوَىٰ نَدَمَا
أَلْقَىٰ عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلَّكَ . وَأَعَارَهُ الْإِقْتَارُ وَالْعَدَمَا
وَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَحْوَثُ ثِقَةٍ . عَصَّ الْحُقُوقَ وَمَجَّحَ الْكَلِمَا

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من أهله . جعلني الله فداك ليس هو اليوم كما كان، إنه وحياتك أفلت بطالته، إني والله وراحعه حلمه، وأعقبه وحقك الهوى ندما . أحيى الدهر عليه والله بكلّك، فهو اليوم إذا رأى أحاث ثقة عصّ نصره ومجّح كلامه . وراى في نثره ألفاظاً على ألفاظ الشعر .

ومحو ذلك ما حكاه صيّا الدين الأثير عن بعض العراقيين أنه نثر قول بعض شعراء الحماسة .

وَأَلَدَّ دِي حَسِّي عَلَى كَأَمَّا * تَعْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْحَلِ
أَرْحِيَّتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ * وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ الْوَاطِرِ مِنْ عِلِ
فقال في ثره فكم لقي ألد دا حقي كأنه ينظر إلى الكواكب من عل وتعل
عداوة صدره في مِرْحَل فكواه فوق ماطرِيه ، وأكّه لِمِه ويديه .

الحال الثاني — أن يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض أَلِطه وتأخير
بعضها ، فيحتاج في ثره إلى الريادة فيه ، والنقص منه ، وتغيير بعض أَلِطه حتى
يستقيم كقول الشاعر

لِسَانُ الْقَتْلِ يَصِفُ وَيَصِفُ فُؤَادَهُ فَلَمْ يَنْقِ إِلَّا صُورَةَ اللَّحْمِ وَالْدَمِ

فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول
في المصراع الأول فُؤَادُ الْقَتْلِ يَصِفُ وَلِسَانُهُ يَصِفُ ولا يمكن ذلك في المصراع
الثاني حتى تريد فيه أو تنقص منه فتقول مثلاً فُؤَادُ الْقَتْلِ يَصِفُ وَلِسَانُهُ يَصِفُ عَلَى
ما تقدم . ثم تقول وصورته من اللحم والدم فصله لَاعَاءَهَا دُوهَمَا ، ولا معول عليها
إلا معهما .

قال في ”الصاعيتين“ ورياده الأَلِط التي تحصل فيه ليست بصائرة لأن
سط الأَلِط في أنواع المنشور شائع ، ألا ترى أنها تحتاح إلى الأَرْدَوَاح ، ومن
الأَرْدَوَاح ما يكون تكرير كلمتين لهما معنى واحد وليس ذلك نقيض ، إلا إذا اتفق
لفظاهما ، إلا أن أكثر ما يحس في إيراد المعنى على غاية ما يمكن من الإيجاز ، ومعنى
قوله فلم يبق إلا صورة اللحم والدم داخل في قوله . لِسَانُ الْقَتْلِ يَصِفُ وَيَصِفُ فُؤَادَهُ .
والمصراع الثاني تدبيل للمصراع الأول . قال وإذا أردت أن تحله حلاً مقصراً بغير
لفظه ، قلت الإنسان شَطْرَان . لِسَانُ وَحْنَان ، وقريب من ذلك قول أبي نُوَّاس .

أَلَا يَابْنَ الدِّينِ مَوَا وَبَادُوا * أَمَا وَاللَّهِ مَادَهُوا لِنَتَّقِ
 فإن المصراع الأول يمكن حله بأب تقول ألا يابن الدين نادوا وموا فيكون
 مستقيماً . أما المصراع الثانى فإنه إن قُدم فيه أو أحرأَن قيل مادَهُوا لِنَتَّقِ أما والله
 فإنه لا يستقيم فتحتاح في شره إلى تعبير وزيادة فتقول ألا يا آسن الدين ماتوا ومَصَّوا
 وطَعَّنوا وبَاوَا أما والله ما طعموا لتقيم ، ولا راموا لتريم ، ولا مُوتُّوا لتجياً ، ولا قُتُّوا
 لتتق . قال في "الصباغتين" وفي هذه الألفاظ طول وليس بصائر على ما تقدم .
 قال وإب أردت أحتصاره قلت أما والله إن الموت لم يصبك في أيك إلا
 ليُصيبك فيك .

الضرب الثانى

(وهو أعلى من الصرب الأول أن يثُر المَطُومُ بعص ألفاظه ويعرم عن
 العص ألفاظاً آخر . ويجس ذلك في حالين)
 الحال الأول — أن يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الألفاظ مقامها فإن
 تكون مثلاً سائراً أو حارية محرى المثل كقول بعض شعراء الحماسة
 لو كُنْتُ مِنْ مَارِئٍ لَمْ تَسْتَبِجْ لِي لِي * سَوِ اللَّقِيطَةِ مِنْ دُهِلٍ نِ شَيْبَانَا

فإن لفظ سى اللقطة لا يقوم غيره من الألفاظ مقامه لكونه علماً على قوم
 مخصوصين ويحتاج المائر أن يبقية لفظه ، كما فعل "صياء الدين بن الأثير" في قوله
 في نزل البيت المذكور . لست ممن تسبج إله سوا اللقطة ، ولا الذى إذا هم بأمر
 كات الآمال إليه وسيطه ، ولكى أحمى الحمل ، وأفوت الأمل ، وأقول سَقَّ
 السَّيْفُ الْعَدْلَ . وكذلك كل ما حرى هذا المحرى ونحوه .

الحال الثانى — أن يكون فى البيت لفظ رائق قد أحد من الفصاحة برامها ، وأحاط من البلاغة محواسها ، فيقيه على حاله ، ويقره بلفظ يماثله ويواريه ، قال فى "المثل السائر" وهماك تطهر الصبغة فى المماثلة والمشكلة ، ومؤاحاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتحلة ، وإيه إذا أحد لفظا لشاعر محيد ، قد نقحه وصححه ، فقربه نمالا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ، ولا حياء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح ، والاستهداف للطعن . قال وهو عدى أصعب مالا من نثر الشعر بعير لفظه ، لأنه يسلك مصيقا ، لما فيه من التعرّص لمماثلة ما هو فى غاية الحس والحدودة . بخلاف نثر الشعر بعير لفظه فإن ناثره يتصرف فيه على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر إلى مؤاحاته ، ومثل لذلك نقول أنى تمام فى وصف قصيد له

حَدَّاءُ تَمَلَّأُ كُلُّ أَدْنٍ حِكْمَةً * وَبَلَاغَةً وَتَدَرُّ كُلُّ وَرِيدٍ

ثم قال فقوله تملأ كل أدن حكمة من الكلام الحس ، وهو أحسن ما فى البيت وأشهر ، ولو قال قائل لمن هذا ؟ قيل وهل يحصى القمر ، وإذا عُرِفَ الكلام صارت المعرفة له علامه ، ولم يُحْشَ عليه سرقة إد لو سُرِقَ لدلت عليه الوسامة ، ومن خصائص صفاته أنه يملأ كل أدن حكمه ، ويجعل فصاحة كل لسان تحممه . فبقى لفظ تملأ كل أدن حكمة وأتى معها بما يباسها من الألفاظ الحسنة الرائقة . ويحودك ماد كره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي أنه يؤاخذ القرسة المحلولة بمثلها من عنده كما فعل هو فى تقليد من التقاليد يقال : فَكَمْ مَلَّ صَوُّ الصُّنَجِ مِمَّا يُعِيرُهُ * ثم قال وطلأُ النَّعْجِ مِمَّا يُبِيرُهُ . وقال أيضا وَقَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا يَلَاطِمُهُ * ثم قال والأحل مما يساقه إلى قصص العفوس ويراحمه . والقريبتان الأوليان بصفا بيتين للتنبى فأصاف إلى كل قرية ما يباسها . قال وهذا من أكثر ما يستعمل فى الكتابة .

الصرب الثالث

(وهو أعلى من الصربين الأولين أن يأخذ المعنى فيكسوه ألقاطا من عنده

ويُصوّعه بالقاط غير ألقاطه)

قال في "المثل السائر" "وَمَّ يَتَّبِعُ حِدَقَ الصَّائِعِ فِي صِيَاعَتِهِ ، وَإِنْ أَسْتَطَاعَ
الريادة على المعنى فتلك الدرجة العالية ، وإلا أحس الصرف وأتقن التأليف ،
ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

ولتعلم أن الأبيات الشعرية في حلها بالمعنى لها حالان .

الحال الأول — أب يكون البيت الشعر مما يتسع المحال لنثره في نثره فيورده
بصروب من العبارات . قال آس الأثير "ودلك عدى شبيه بالمسائل السيالة
في الحساب الى يحاب عنها بعدة من الأخوة" . من ذلك قول أنى الطيب المتنبي
لَا تَعْدِلِ الْمُشْتَقَّ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى تَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَانِهِ
فهذا البيت يُتَصَرَّفُ في نثره في وحوه من المعانى . وقد نرأس الأثير هذا البيت
وقال "لَا تَعْدِلِ الْحُبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ ، حَتَّى تَطْوِيَ الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ" . ونثره على وحه
آحرفقال "إِذَا أَحْتَلَفْتَ الْعِيَانِ فِي الْبَطْرِ ، فَالْعَدْلُ صَرَبٌ مِنَ الْهَدَرِ" . وكذلك قول
المتنبي أيضا

إِنَّ الْقَتِيلَ مُصَرَّحًا بدموعه ، مَثَلُ الْقَتِيلِ مُصَرَّحًا بِدمائه

نثره آس الأثير فقال "القتيل لسيف العيون ، كالقتيل لسيف المئون ، غير أن ذلك
لا يُجَرَّدُ من عَمْدِهِ ، وَلَا يُفَادُ صاحبه بعمده" . وراى على المعنى الذى تصممه البيت
عدم القود بالعمد . ونثره على وحه آحرفقال "دُمُ الْحُبِّ وَدَمُ الْقَتِيلِ ، مُتَّفَقَانِ
فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّثْنِ ، وَلَا تَحْدُ بِهِمَا لَوْ ، سِوَى أَهْمَا يَحْتَلِفَانِ لَوْ" . قال وهذا أحسن
من الأول .

وعلى هذا المصحح يجرى قول آس الرومى فى وصف الحديث
وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ * لَمْ يَحْنِ قَتَلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّرِ

نثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ فى وصف السيوف فقال وكفى السيوف
خفراً أيتها للحسنة طلال، وإلى البصر مآل، وإذا كان من بيان الحديث سحر، فإن بيان
حديثها عن كلمته هو السحر الحلال. ثم نقله إلى وصف الأسيّة فقال حَسْبُ
أَلْسِنَةِ الْأَسِيّةِ شَرًّا أَنْ كَشَفَ حَايَا الْقُلُوبِ يُدْمُ إِلَّا مَهَا، وأن ثأً سرار الصمائر
تُكْرَهُ رَوَايَتُهُ إِلَّا عَمَّا، فمكرّر حديثها فى ذلك لا يُقْصَى إِلَى مَلَالٍ، وإذا لم يكن
حُسْنُ حديثها الذى يَسَحَرُ الْأَلْبَابَ مِمَّا يَحِلُّ، فليس فى الحديث سحرٌ حلال .
ثم نقله إلى وصف البلاعة فقال البلاعة تَسَحَرُ الْأَلْبَابَ حَتَّى تَحِيلَ الْعَرَصَ حَوْهَرًا
وَتُحِيلَ الْهَوَاءَ الْمُدْرَكَ السَّمْعَ لِأَسْحَامِهِ وَعُدُوتِهِ فِي الدُّوقِ مَهْرًا، لكنه سحر لم يَحْنِ
قَتَلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّرِ، فيتأوّل فى حَلِّهِ، وإذا كان فى الحديث ما هو عُقْلَةٌ لِلْأَسْتَوِيرِ،
فهذا أُنْشُوطَةٌ تَسَاطُ الْبَلِيعَ وَحَلَّ عِقَالِ عَقْلِهِ . ونقله إلى وصف الكناية . فقال
حَطَّهْ شَرَكَ الْعُقُولِ، وفئة تشعل المطمش بملاحاة المرتضى المكتوب، عن فصاحة
المسموع المَقُولِ، ولو لم يكن البيان سحرًا، لما تحسّنت منه فى طَرَسِهِ هذه الدَّرَرِ،
ولو لم يكن بعض السحر حلالًا، لما أحملى طَلَامُ النَّقْسِ عَمَّا يُهْتَدَى بِهِ مِنْ هَدَاهِ
الأوصاح والعُرَرِ .

الحال الثانى — أن يكون البيت الشعر مما يَصِيقُ الْحَالُ فِيهِ فَيَعُسِّرُ عَلَى الْبَاثِرِ
تدليل ألعاطفه، وذلك قليل بالنسبة إلى ما يتسع فى حَلِّهِ الْحَالِ. قال فى "المثل السائر"
وسنه أن المعنى يَحْصُرُ فى مَقْصِدٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَأْتَى إِلَّا فِدَاً . من ذلك
قول أنى تمام الطائى من قصيدة .

تَرْدِي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا قَمًا أَتَى * بِهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُودٍ حُصِرَ
 فإن أنا تمام قصد المؤاحاة في ذكر لوني الثياب بين الأحمر والأحمر، وحاء
 ذلك واقعا على المعنى الذي أراده من لون ثياب القتلى وثياب الحمة، فإن ثياب
 القتلى حمر وثياب الحمة حصر.

قال آس الأثير فإذا فُكَّ بظلم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لم يمكن،
 فيجب على الناظر أن يحسن الصبغة في فك نظامه، لأنه يتصدى لثره ألقاطه، فإن
 كان عنده قوة تصرف، ونسطة عبارة، فإنه يأتي به حسنا رائقا. وقد نثر هذا
 البيت فقال لم تكسبه المايا نسح شقارها، حتى كسبه الحمة نسح شعارها فدل
 أحمر ثوبه بأحصره، وكأس حمامه بكأس كوثره. قال وهذا من الحسن على
 غاية يكون كمد حسودها، من حملة شهودها. ومن ذلك قول أبي الطيب
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْحَبْوِ فَاصْصَحَتْ . وَمِنْ حُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ

فإن أنا الطيب بنى بيته على واقعة محبوسة. وذلك أب حضا من حصون
 سيف الدولة قصده الروم، وأترعه، وحرثوه، مهد سيف الدولة إليه وأسترجه،
 وحدد ساءه، وهرم الروم، وبصب حملة من حث القتلى على السور، فظم أنو الطيب
 في هذا قصيدا أوله .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

ولما انتهى إلى ذكر الحصن، حاء هذا البيت في حملة أبيات، فشرح صورة
 الحال، في ارتجاع الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه، وأررد ذلك في معنى التمثيل
 بالحوون والتمائم. وهذا لا يمكن سديل لفظه، فيجب على الناظر حسن الصبغة
 في حله ونثره. وقد نثره آس الأثير أيضا فقال سرى إلى حصن كذا مستعيذا منه
 سبيّة رعبها العدو احتلاسا، وأحدها محادعة لا أفراسا، فأرلها حتى آستفادها،

ولا نارها حتى آستعادها، فكأما كان بها حيون فبعث لها من عرائمه عرائم، وعلق عليها من رءوس القتلى تمام، ثم قال وفي هذا من الحس ما لا حفاء فيه . فمن شاء أن يثر شعرا فليثر هكذا وإلا فليترك . ثم نقله إلى معنى آخر، وأبرره في صورة أخرى فأصاف إليه البيت الذي قبله من القصيدة فصار على هذه الصورة .

سَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَمَا تَقَرُّعُ الْقَمَا * وَمَوْحُ الْمَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمٌ
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْحُبُونِ فَأَصَحَّتْ * وَمِنْ حُنْثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَامٌ

ثم نثرهما فقال ساهها والأسسة في سائها متحاصمه، وأمواح المايا فوق أيدي الباين متلاطمه، وما أحلت الحرب عنها حتى رُلِّلت أقطارها ركنص الحياذ، وأُصِبت بمثل الحبون فُعُلِّقت عليها تمام من الرءوس والأحساد . ولا شك أن الحرب تُعْرَدُ عن عر حائه، وتقول ألا هكذا فليُكسب المحدث كاسه . قال وهذا أحسن من الأول وأتم معنى . ثم تصرف فيه زيادة على هذا المعنى فقال ساهها، ودُونَ دَاكِ السَّاءِ شَوْكُ الْأَسَلِ، وطوفانُ المايا الذي لا يقال سَاوَى مَهْ إِلَى حِلْ، ولم يكن ساؤها إلا بعد أن هُدمت رءوس عن أعناق؟ وكأما أُصِبت بحون فُعُلِّقت القتلى عليها مكان التمام أو شِيت بَعَطْل فُعُلِّقت مكان الأطواق . قال وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذي قبله .

قلت وكما يدعى الإِثْكَار من حفظ الأشعار على ما تقدّم ليوردها في حلال كلامه آستشهادا وتصميا أو يُحْلَلُهَا وَيَقْتَسَسَ معايبها في نثره على ما تقدم بيانه كذلك يدعى له معرفة المشاهير من الشعراء الطائري السمعة من شعراء الحاهلية كأمرئ القيس أس حُجْر، والبالعة الدَّيَّانِيّ، وطَرْفَة بن العَدَد، وأوس بن حَجْر، ورُهَيْر أس أنى سَلْبِيّ، والأفوه الأودى، والمتلمس، والأعشى، وعلقمة بن عَدَّة، وعمرو

(١) أى هُزِّوتَحْنُ يقال عزد الرجل عن مربه إذا مرو بكل انظر اللسان

آب كُثُوم ، والمرْقَش ، والتمر س تُولب ، ومُهْلِيل ، وطُفِيل العَوَى ، وعُرُوة س الورد ،
وقيس س الحَطِيم ، والشَّاح س صِرار ، وعِترَة ، والسُّمُول س عَادِيَا ، ومن
حرى محراهم .

ومن المحصرين ، وهم الذين أدركوا الحاهلية والإسلام جميعا كَحَسَّان س ثات
رصى الله عنه ، ولَيْد س أَى ربيعة ، وكعب س رُهَيْر ، وريد الحيل الطائي ، واللابة
الحعدى ، وأمَيْسَة س أَى الصلت ، والحُطَيْثَة ، وعمروس معدى كرب ، والرَّيْقَان
آس بدر التميمى ، والعَّاس س مِرْدَاس السُّلَمَى ، والحَسَاء بنت عمرو س الشَّريد ،
ومن فى معاهم .

ومن المولدين ، وهم الذين وُلِدُوا مِنَ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ كَالْفَرَزْدَق ، وَحَرِير
وَالْأَحْطَل ، وَالْقَطَامَى ، وَالْكُبَيْت س زَيْد الْأَسَدَى ، وَالْمُسَاوِر س هَدَد ، وَعَدَى س
الرَّقَاع ، وَكُثَيْرَةُ ، وَعُمَرَب س أَى ربيعة ، والرَّاعَى ، وآس مُقْبِل ، وآس مُرَجَّع ، وَلَيْلَى
الْأَحِيلِيَّة ، ومن أَمْحَرَطَ فِي سَلَكِهِمْ .

ومن الْمُحَدَّثِينَ ، وهم الذين أَتَوْا بَعْدَ الْمَوْلَدِينَ كِإِبْرَاهِيمَ س هِرْمَةَ ، وآس أُدْيَةَ ،
وَأَى ثَوَّاس ، وَأَى الْعَتَاهِيَّة ، وَطُفَيْل الْكَافَى ، وَسَلْمُ الْحَاسِر ، وآس مِيَّادَةَ ، وَصَالِح
آس عَدِ الْقُدُّوس ، وَأَى عُيَيْنَةُ ، وَالْعَّاس س الْأَحْف ، وَالْعَتَّانَى ، وَأَشْجَعُ السُّلَمَى ،
وَالْعَكْرُوك ، وآس أَى رُزْغَةَ الدَّمَشْقَى ، وَأَى الشَّيْص ، وَالْحَمْدُونَى ، وَالْعُتَيَّ ، وَدِعْغِيل
الْحُرَّاعَى ، وَإِسْحَاق س إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلَى ، وَإِبْرَاهِيمَ س إِسْحَاقَ الْمَوْصِلَى ، وَأَى عَلَى
الْبَصِير ، وَأَى تَمَّامُ الطَّائِي ، وَأَى عُمَادَةُ الْمُحَرَّرَى ، وَأَى الطَّيْبُ الْمُنْدَى ، وآس
نَسَام ، وَالسَّرَى الْمَوْصِلَى ، وَأَى الْفَتْحُ كُشَّاحِم ، وَأَى الْفَتْحُ الْعَنْسَى ، وَأَى الْعَرَج
السَّعَا ، وآس السَّاعَاتَى ، وآس قَلَاقِس ، وَالْوَاوَا الدَّمَشْقَى ، وَالْعَفِيفُ التَّلَسَّاسَى ، وَآسَه ،
وَأَبَى سَا الْمَلِك ، وآس شَمْسُ الْخِلَافَةِ ، وآس النَبِيه ، وَالصَّبَى الْحَلَّى وَنَحْوَهُمْ .

ومعرفة الفرساب مهم كأمري القيس، وحفاف س نذبة، والثرقان س بدر وعنترة، وعمروس معدى كرب، ودريد س الصمة .

ومن كان مهم راحلا يسعى على رجليه كسليك س السلكة، وآس رافة، وتأبط شراً، والشقري وغيرهم .

ومن تقدم مهم في نوع من الشعر، كمعرفة طويل العوى بوصف الحيل، وأمية س أنى الصلت في أمر الآخرة وذكر الحرب، وعمروس أنى ربيعة في وصف النساء، وعنتية س مرداس مراكب الإبل، وكثير في الأمثال، والفرديق في الأحبار، وحرير في المعاني .

ومعرفة من هو أكثرهم حفظاً كالأعلب الشاعر قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرحورة، ومعرفة أيّ القائل كانت الشعراء فيها أكثر كهديل، فقد قيل إنه كان فيها أربعون شاعراً مُقلِّقاً كلهم يعدو على رجليه، ليس فيهم فارس، وأي قبيلة كان الشعراء فيها أقل كشيان، وكلب، فقد قيل إنه ليس في الدنيا قبيلة أقل شعراء مهما وإنه ليس لكلب في الحاهلية شاعر قديم على أنها مثل شيان أربع مرات . وقد ذكر أس رشيق في "عمدته" عن عبد الله س سلام المجهي وغيره أن الشعر كان في الحاهلية في ربيعة فكان مهم مهلهل س ربيعة، وهو حال أمري القيس س مخر، ويقال إنه أول من قصّد القصائد والمُرُقشان الأكر والأصعر، وطرفة س العد، وعمروس قبيثة، والحارث س حلة، والمتلمس، والأعشى، والمسيب س علس وغيرهم، ثم تحوّل الشعر إلى قيس فكان مهم الباعتان الدياني والحددي، ورهير س أنى سلمى، وأنه كتب، وليد، والحطيئة، والشماح . ثم استقر الشعر في تميم فكان مهم أوس س مخر، ولم يتقدمه أحد حتى كان الباعة ورهير فأحمله .

قلت والمراد أن الشعر علب في هذه القائل وطهر فيها، وكان فيها الشعراء المحيدون، وإلا فالشعر موحود في قائل العرب قبل ذلك كـحُمير وكَهْلان من اليمن، بل في عادٍ ومُؤدَّ على ما تشهد به كتب السير والأخبار . وإذا عرف الكاتب ذلك، استعان به في المساواة بمشء مهم في التقریطات والتفصیل علیه كما كتبت في تقریط شاعر فامرؤ القیس یعرق في مقياس معاييه، والباعة الدُّبائِي يُقْصِر عن أن يبلغ مدى شأوه أو يُدائيه، ورُهَيْر يقتطف رَهَرات البلاعة من أفايهه، وأوس من ححر ينسج على مِواله ويأتم بقواينه، وطُفيل العوى يتطفل على موائد شعره، وطَرْفة من العبد يقصُر عنه في شيوخ دِكره، والأعشى يعشو إلى صوء ناره، وعمرؤ كُثُوم يسعى إلى نابه ويقف بقاء داره، وكُثَيْر في أمثاله لا يعد من أمثاله، وحريرى مقارحه يتمسك من الفخار بأدياله، والفرزدق في أوصافه يقلبه ما بين يمينه وشماله، فلوراه عند الملك من مروان لأختاره على الأخطل، أو أجمع مع أنى نواس لدى الأميين لقال هذا هو المقدم الأفضل، أو أدركه أنوتمام، لأعترف له بالتمام، أو نُصْرَه أنو عَادة لقال أنا له عمد وعلام، أو عاصره المتنبى لأعترف بفصله، أو آس الساعاتى لقال لا يأتي الزمان دون قيام الساعة مثله . وبحو ذلك مما يحرى هذا المحرئ .

وكذلك ينبغي أن يعرف مصطلح أهل العروض الذى هو ميران الشعر مثل الوَند، والسبب، والفاصلة، والعروض، والصر، وأسماء البحور من الطويل، والمديد، والسيط، وأحواتها، وألقاب الرحاف كالحسن، والحل، والقص وغيرها ليدخلها تصاعيف كلامه عند احتياحه إلى ذلك كما قال صاحبنا الشيخ رين الدين شعبان الآتارى في أول ألفتيه في العروض .

الحمدُ لله المليك العافِر * دى الطَّوْلِ والفَصْلِ المديد الوافر
 سبحانه ماذا يقول السارِع * فى كامل ليس له مُصَارِعُ
 وررقه فى عَظْمه سَيِّط * وعلمه بحلقه مُحِيط
 وما يحوط فى هذا السلك من الكلام المنشور أيضا .

النوع الحادى عشر

(الإكثار من حفظ الأمثال ، وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(فى وحه احتياح الكاتب إلى ذلك)

اعلم أن الكاتب محتاح إلى الطرى كُتِبَ الأمثال الواردة عن العرب ثرا وطمًا والطرى الكتب المصنعة فى ذلك كأمثال الميدانى، والمفصل من سلمة الصبى، وحمرة الأصهبائى، وغيرهم . وكذلك أمثال المولدين الواردة فى أشعارهم كالأمثال الواردة فى شعر حرير، والفردق وحوهما ، إلى غير ذلك من الأمثال الواردة ثرا وطمًا، والطرى أمثال المحدثين الواردة فى أشعارهم كأبى العتاهية، وأبى تمام، والمتنى ، فحكم ما ورد من الأمثال فى شعر المولدين والمحدثين حكم أمثال العرب الشعرية، أما فى شعر المولدين فلحريهم على أسلوب العرب، وركوب حادثهم، وأما المحدثين فللطافة مأخذهم، وأستطراف ما يأتون به مما يحرى محرى البشر والطم من الأمثال الموصوعة على ألسنة الحيوان عن العرب وغيرهم ، فيستشهد به فى موضعه، ويورده فى مكانه عارفا بأصل ذلك وما بُنى عليه، وذلك أن المثل له مقدّمات وأسباب قد عرفت، وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم، وهذه

الألفاظ الواردة في المثل دالة عليها، معبرة عن المراد بها، فأحصر لفظ وأوحى، ولولا تلك المقدمات المعلومة، والأسباب المعروفة، لما فهم من هذه الألفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات، وأما الأمثال الواردة، فإياها كلمات مختصرة، تورد للدلالة على أمور كلية منسوجة، كما تقدمت الإشارة إليه، وليس في كلامهم أوحى منها. ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوح بها على المعاني تلويحاً، صارت من أوحى الكلام وأكثره اختصاراً. وحيث كانت هذه المكاتبة لا يسعى الإحلال لمعرفة، قال صاحب العقد "والأمثال هي وثى الكلام، وحوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تحيّر بها العرب، وقدمتها العجم، ويطلق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أنقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء كسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قالوا أسير من مثل، قال الشاعر

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والحار

وقد صرّب الله تعالى الأمثال في كتابه فقال: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وقال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رَرَقَاهُ مِائًا رِزْقًا حَسْبًا﴾ الآية، وقال: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَحُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أُنْكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أُنْكَمَ يُوَحِّثُهُ لآيَاتٍ بِحَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ الآية، وقال: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ إلى غير ذلك من آي القرآن.

وصرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال فقال: "صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى حَنِي الصِّرَاطِ أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَحَاطٌ، وَعَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاخٍ يَقُولُ أَذْهَبُوا الصِّرَاطَ وَلَا تُعْرِجُوا" فالصِّرَاطُ الإسلام، والسُّتُورُ

حدودُ الله ، والأبوابُ محارمُ الله ، والداعى القراءُ ، إلى غير ذلك من الأمثال التي صرّحها صلى الله عليه وسلم . ومحل الكلام على أمثال القراء وأمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما تقدّم من الكلام على القراء الكريّم والأحبار .

ثم هي على صريين قريب المهم بظهور معناه ، وكثرة دورانه بين الناس ، وبعيد المهم لحفائه ، وقلة دورانه بين الناس . فالقريب من المهم الكثير الدوران على الألسنة مثل قولهم ، ” عِنْدَ الصَّاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ “ ، وهو مثل يُصْرَبُ للترعيب في السير في الليل ، والحث عليه ، وأوّل من أرسله مثلاً خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قاله في صبح ليلة قطع فيها معارةً كانت في طريقه من العراق إلى الشام ، وقولهم ” أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ حَانَةً “ . وأوّل من قال ذلك سهيل بن عمرو وكان تروّج صبيّة بنت أوى جهل فولدت له أسه أساء ، وراه الأحسّس بن شريق الثقفي معه فقال من هذا ؟ فقال سهيل آسى — فقال الأحسّس حيّاك الله يَأْسَى ! أين أمك ؟ فقال لا والله ما أمّي ثمّ ، أنطلقت إلى بيت أُم حنظلة تطحن دقيقاً — فقال أبوه أساء سمعاً فأساء حانة — فلما رجعا قال أبوه فصّحى أسك اليوم قال كذا وكذا — فقالت إيماء آسى صبيّ وأنت لا تحبه — فقال ” أشه أمرؤ بعصّ ره “ فأرسلها مثلاً . والمعيد من المهم ، مثل قولهم ” إِنْ يَبِعْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِعْ عَلَيْكَ الْقَمَر “ . وهو مثل يصرب لمن يكر الأمر الطاهر عباداً . والأصل في ذلك كما ذكره المفصّل بن سلمة الصبيّ أن سى ثعلبة بن سعد بن صبة في الحاهلية تراهنوا على الشمس ، فقالت طائفة تطلّع الشمس والقمر يُرى ، وقالت طائفة يعيب القمر قبل أن تطلّع الشمس ، فتراصوا برجل جعلوه بينهم حكماً ، فقال واحد منهم إن قومي يعنون على ، فقال الحكم إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر ، حرّت مثلاً . ومن المعلوم أن قول القائل إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر ، إذا أحد على حقيقته

من غير نظر إلى القرائن الموطئة به، والأسباب التي قيل من أحلها، لا يعطى من المعنى ما قد أعطاه المثل، بل ما كان يُفهم من هذا القول معنى يفيد لأن السعى هو الظلم، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا، فكان يصير معنى المثل — إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر — وهو كلام محتل المعنى ليس مستقيم .

وقد أكثر الناس في تصنيف كتب الأمثال، فمن ذلك الأمثال لأبي عبيد، وهو مرتب على ترتيب الوقائع التي تقع فيها الأمثال . ومن ذلك أمثال الميداني، وهي مرتبة على حروف المعجم وفي آخرها حملة من أيام حروب العرب، إلى غير ذلك من كتب الأمثال المصنعة في هذا الباب . كأمثال الصبي، والقمي، وغيرها .

وأما الأمثال الواردة بظن، فهي كلمات استُحِسَّت في الشعر . وطانقت وقائع عامة حارية بين الناس، فتداولها الناس، وأحروها محروى الأمثال الثرية . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يتمثل بقول طرفة .
 وَيَأْتِيكَ بِالْأَحَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ .

وهو نصف بيت مجموعه .

سَتُنْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ حَاهِلًا . وَيَأْتِيكَ بِالْأَحَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يُخْرِجُه عن الورن، ويُجِيلُه عن طريق الشعر فكان يقول ” وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تَرُودِ بِالْأَحَارِ “ فرارا من قول الشعر المبره عنه مقامه العلي، وشرفه الرفيع، لكن ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال ” أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لَيْدٍ

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا حَلَا اللَّهُ نَاطِلٌ بِهِ .“

والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم ، إنما هو بظم الشعر دون إشادته وسماعه . وقد سطت القول على ذلك في كتابي المسمى ”بالعيوث الهوامع“ ، وفي شرح جامع المختصرات ومختصر الحوامع “ في الفقه فراحعه هناك ، ويروى أن عمر رضى الله عنه تمثل بقول الباعة

وَلَسْتَ مُسْتَنْقِ أَحَا لَا تَلْمُوهُ . عَلَى شَعْبِ أَى الرَّحَالِ الْمُهْدَبِ

ثم قال لمن هداه فقل له للباعة ، فقال داك أشعر شعرائكم ، والمثل السائر فيه في قوله أَى الرَّحَالِ الْمُهْدَبِ ، وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة رضوان الله عليهم كثير ، ولذلك وقع في أمثال المحدثين الواردة في أشعارهم ما يستطوف ويستحلى كقول القاصي الأرحاني

تَأْمَلْ مِنْهُ تَحْتَ الصُّدْعِ حَالًا ، لَتَعْلَمَ كَمْ حَيَاً فِي الرِّوَايَا

يشير بذلك إلى المثل الحارى على ألسنة الناس في قولهم ”في الروايات حايا“ وهو من الأمثلة المستفيضة على ألسنة العامة الشائعة بينهم ، وقول أس عذره .

قَالُوا شَأْنُكَ قَدْ وُلِّى فَقُلْتُ لَهُمْ * هَلْ مِنْ حَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْحَدِيدَيْنِ ؟
صِلْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَدَى مُعَاتَةً * فَأَطِيبِ الْعَيْشَ وَصَلِّ بَيْنَ الْقَيْنِ !
وَأَقْطَعْ حَنَائِلَ حَدِيدٍ لَا تُلَاؤُهُ * فَرُبَّمَا صَاقَتِ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ .

وقول الآخر

وَعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ نَعْدَ الْقَلْبِ * شَقِيقَ رُوحٍ بَيْنَ حِسْمَيْنِ
وَأَصْحَ الدَّاحِلِ مَا نَبَسَا * كَسَاقِطَتَيْنِ فِرَاشَيْنِ
قَدْ أَلْسَ النَّعْصَاءُ مِنْ دَا وَدَا . لَا يَصْلُحُ الْعِمْدُ لِسَيْفَيْنِ
مَا نَالَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاحَةٌ * يَكُونُ أَنْفَاتَيْنِ عَيْنَيْنِ ؟

قال الأصمعي ولم أحد في شعر شاعر بيتا أوله مثل وآخره مثل ، إلا ثلاثة أبيات بيت الخطيئة

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَغْدُمُ حَوَارِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالْبَاسِ

و بيتا آخرى القيس

وَأَفْلَتَهُ عِلْمَاءُ حَرِيصًا : وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ صَبَرَ الْوِطَاءُ

وَقَاهُمْ حَدَّهِمْ بَنَى أَيْبَسُ : وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قال صاحب العقد "ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدري كيف

أفعل القديم منه الأصمعي ، ومنه

* سَتَدَى لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ حَاحِلًا *

البيت المتقدم وهو من أشرف الأبيات وأعظمها نانا .

وأما الأمثال الموصوعة على ألسنة الحيوانات ، فكما روى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حين رأى خلاف أصحابه وتجادلهم ، تمثل بقولهم "إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورِ الْأَبْيَضُ" يعنى إنما حدثت يوم حدث عثمان ، وحكاية هذا المثل أنهم قالوا أصطحب أسد ، وثور أحمر ، وثور أبيض ، وثور أسود فى أحمة ، فقال الأسد للآخر والأسود هذا الأبيض يقصصنا بلوبه ، ويظلمع فيما من يقصصنا ، ولو تركتاني آكله ، أميا فصيحة لوبه ، فادنا له فى ذلك فأكله ، ثم قال للآخر هذا الأسود يحالف لوى ولوبك ولو بقيت أنا وأنت ، طك من يراك أسدا مثلى فدعى آكله ، فسكت عنه فأكله ، ثم قال للثور الأحمر لم يبق إلا أنا وأنت ، وأريد أن آكلك ، فقال إياك كست فاعلا ولا بد ، فدعى أصدك تلك الهضبة ، وأصيح ثلاثة أصوات ، فقال آفعل ما تريد ، فصعد وصاح ثلاثة أصوات "وَأَلَا إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورِ الْأَبْيَضُ" بخرت مثلا .

ويحكى أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة ، فقال على المسير يا أهل
المدينة إنكم قُتل عثمان بن أطهركم وحسن لاحتكم^١ وأرسلنا مسلمة بن عُقبة فقتلكم
في وقعة الخزة ، فأنتم لانتحوسوا ، فمثلنا ومثلكم كما قال النابغة

كَمَا لَقِيتُ دَاثَ الصَّغَامِ حَلِيفَهَا وَكَأَنِّي تُرِيهِ الْمَالَ عِثًّا وَطَاهِرَةً
فَلَمَّا رَأَى أَنِّي قَدْ تَمَثَّرَ مَالُهُ وَأَتَّلَ مَوْحُودًا وَسَدَّ مَقَاقِرَهُ
أَكْبَّ عَلَى فِئَاسٍ يَحُدُّ عُرَاهَا مُدَّكَّرِهِ مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَهُ
فَلَمَّا وَقَّاهَا اللَّهُ صَرَبَةً فَأَسِهَ وَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تُعَمَّصُ بَاطِرَهُ
فَقَالَ تَعَالَى مَحَلِّ اللَّهِ نَبِينَا عَلَى مَالِكٍ أَوْ تُنْجِرِي لِي آحِرَهُ
فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهِ أَفْعَلُ إِيَّايَ رَأَيْتُكَ تُنْجِرِي يَمِينَكَ فَاحِرَهُ
أَنَّى لِي قَبْرٌ لَا يَرَى لِي مُقَابِلِي وَصَرَبَةُ فَأَسِ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وهذه الحكاية مشهورة في الموصوعات على ألسن الحيوان ، وهي أن أحويين هبطا
عنهما واديا يريغان فيه ، فخرحت حية من تحت الصفا وفي ههما ديار فالقتنه
إليهما وأقامت كذلك أياما ، فقال أحدهما لاند من قتل هذه الحية وأحد هدا
الكر^١ فهاه أحوه فلم يقل ، فخرحت فصرها بفأس في يده ، فشجها وشدت عليه
فقتلته ، ودفعه أحوه مقابله ، فلما خرحت قال لها هل لك أن تتعاهد على الموتة وعدم
الأذية ، وتعطيني ذلك الديار كل يوم ؟ فقالت لا^١ - قال ولم^٢ - قالت لأنك كلما
بطرت إلى قبر أحبك لاتصموني ، وكلما ذكرت الشحة التي في رأسي لأضفوك .

المقصود الثاني

(في كيفية استعمال الأمثال في الكتابة)

فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال السائع استعمالها ، آتت
إليه معانيها ، وسيقت إليه ألفاظها ، في وقت الاحتياج إلى بطاؤها من الوقائع

والأحوال ، فأودعها في مكانها ، وأستشهد بها في موضعها . والطريق في استعمالها في النثر ، كما في حل الأشعار واستعمالها ، إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها ، ولا تغيير أوصافها لأنها بذلك قد عُرفت واشتهرت .

فما أستعمله أهل الصاعقة من الأمثال المشورة وأوردوه في كلامهم قول المقر الشهابي آس فصل الله في " التعريف " في وصية أمير مكة المعظمة " ولأنه أحق سي الرهراء ما أفتته له آناؤه ، وألقته إليه من حديث قصي حذو الأقصى أساؤه ، وهو أحدر من طهر هذا المسعد من أشياء تدره أن يلحق به خش طابها ، وشعاء هو يعرف كيف يتبعها " وأهل مكة أحمر شعابها " ، فاستعمل المثل السائر في قوله وأهل مكة أحمر شعابها ، وقد وقع هذا المثل في كلامه أحسن موقع ، وحاء على أحمل نظام لأنه قد أتى به في مكانه اللائق به ، ومحل المحصوص بوصفه ، وقد نقله الشيخ حماد الدين س نأته رحمه الله فاستعمله في غير هذا المعنى ، حاء محظا عن هذه الدرحة ، وقاصرا عن رتتها ، فقال في وصية حطيب ، ووصايا هذه الرتبة متشعبة ، وهو كأهل مكة أحمر شعابها ، وأحوالها مرتبة ، وهو على كل حال أدرب وأدرى بها ، إلا أنه قد طرّف بذكر الحماض الاشتقاق في قوله متشعبة مع قوله شعابها . ومن ذلك قول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في حطة تقليد بفتوة عن ملك " ونشهد أن محمدا عبده ورسوله " ، الذي نور شريعته حلي ، وحاه شفاعته ملي ، ونسبه به حاء البصر والشرف من آمنا إلى ، فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . وهذا على ما هو شائع على الألسنة ، وأن ذلك قيل في يوم صرت على رصى عنه كافرا اسمه مَرَحَب ، فشق البيضة على رأسه بصفيين ، وتمادى السيف فيه وفي حواده فشققهما كذلك وحلص السيف بينهما فعاص في الأرض شرن ، إلا أن المعروف عند المحدثين وأصحاب السير أن ذا الفقار اسم سيف للنبي صلى الله عليه

وسلم، أصطفاه من حير لنفسه حين أصطفى صفيّة بنت حبيّ بن أخطب رضى الله عنها، ولعله صلى الله عليه وسلم، أعطاه علياً رضى الله عنه بعد ذلك .

ومن ذلك ما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم في الكلام على لسان القلم وهو "أنا حُدَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ، وَعَدَيْقُهَا الْمُرَحَّبُ، وَكَرِيمُهَا الْمَحَلُّ، وَعَالِمُهَا الْمَهْدَبُ". فالقرية الأولى فيها مثلاً، وأول من قالها الحُباب بن المندر الأنصاريّ يوم السقيفة، حين آتَمَعَ الأنصار إلى سعد بن عُبَادَةَ، يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة أسُ الحِرَاح، وقال الحُباب بن المندر مِثْلَ أمير ومِثْلَ أمير، إلى أن كان من كلامه هذان المثالان (١). والحُدَيْلُ تصغير حَذَلٍ، واحد الأَحْدَالِ، وهي أصول الشجر العظام، وكانت العرب إذا حَرَبَتِ الإبل بصدت لها حَذَلًا في ناطق الوادي تحتك فيه، ولذلك قال حُدَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ، أراد أنه يُسْتَشْفَى رأيه، كما تستشفي الإبل بالحك في ذلك الحَذَلِ، والعَدَيْقُ بفتح العين الحلة بجملها، وكان من عادتهم أن الحلة الكريمة يبنى حولها باء يمتعها من السقوط، وذلك هو الترحيب، أراد أنه كريم في قومه عزيز عليهم. وما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم أيضا على لسان السيف وهو "فَالشَّمْسُ مِنْ شُعَاعِي فِي حَلٍّ، وَاللَّيْلُ مِنْ صَوْنِي فِي وَحَلٍّ، وَمَا أَسْرَعْتُ فِي طَلَبِ تَارٍ إِلَّا قِيلَ فَاتَ مَا دُنَحْ، وَسَقَى السَّيْفُ الْعَدْلَ". وفي القرية الأخيرة مثلاً أحدهما "فات ما دُنَحْ" وهو مثل يصرب لمن طلب الشيء بعد قوّاته، وأصله أن بعض الملوك رأى مع أعرابيٍّ ناريًا، فأعجبه وأرسل في طلبه قاصداً، فأتى الأعرابي ولم يكن عنده ما يصيبه به، فدَنَحَ الناري وطحنه وقدمه إليه، عبر عالم بقصده، فلما فرغ من أكله ذكر للأعرابي

(١) في الأصل حدين المئين ولعله سبق فلم من النسخ

أمر السارى وما كان من طلب الملك له ، فقال "فات مادح" إلك أتيتى ولم يكن عدى ما أصيفك به ، فدحت البارى وطجته ، وهو الذى قدمته إليك .
والمثل الثانى "سَقَّ السيفُ العَدْلَ" وهو مثل لمن يلوم على فعل شيء بعد وقوعه وفوات أمره .

ومما حُلَّ من الأمثال الواردة بطما ، وأستعمل فى الثرى ، قول القاصى شهاب الدين آس فصل الله فى "التعريف" فى وصية أمير مكة المعظمة أيضا فى الوصية على "وُود الحُجيج" "وكل هؤلاء إنما يأتون فى دِمَام الله سيته الذى من دخله كان آمنا ، وإلى محل آس بنت بيه الذى يلزمه من طريق ر الصيف ما أُحَدَّ لهم ، وإن لم يكن صاميا ، فليأخذ من أطاع من عصى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبد ، فإن العبد لا يردعه إلا العصا ، فقله فان العبد لا يردعه إلا العصا يشير به إلى قول آس دريد فى مقصودته .

وَاللَّوْمُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ . وَالْعَدْلُ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا الْعَصَا

وقد أشتهر الصنف الثانى من هذا البيت حتى حرى محرى المثل ولعله كان مثلا سائرا قبل أن يطمه آس دريد .

ومنه قول الشيخ جمال الدين س نأنة رحمه الله من توقيع سطر مدرسة بعد أن قدم أب أهلها رفعوا قصصهم فى طلب ذلك الباطر "وكيف لا وهو بعم الباطر والإسنان ، وفى مصالح القول والعمل دو اليدين واللسان ، ودو العرائم الذى تقيدت

فى حُبه الرُتَب ومن وحد الإحسان" يريد البيت المشهور

وَمَنْ وَحَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا

وقد أنى فيه بالآكتفاء ، فرادى كلامه حسا وطلاوة .

وأعلى منه وأوقع فى المفوس قوله بعد ذلك فى التوقيع المذكور "فاقتضى علو الرأى أن يحاب فى طلبه إليهم سؤال القوم ، وأن يتصل أسس الإقبال باليوم ، وأن

تَلَعَ هذه الوطيفة أملها فيه ، بعد ما مصت عليها من الدهر مِلاوه ، وهذه المدرسة لولا تداركه لكانت كما قال الحراعى ”مَدَارَسَ آيَاتِ حَلَّتْ مِنْ تِلَاوِهِ“ .
ومن ذلك قولُ المولى علاء الدين بن عامٍ فى قَدِّمة باسم مطهر الدين عامٍ ، وقد صَرَّحَ لعلعة ، وأدَّعى هـاَ لللك المؤيد صاحب حماء ”الحمد لله الذى طَقَّرَ المطَّحَّرَ بإصابة الواحد من الطير ، ووَقَّرَ من السعادة حَظَّ مَنْ أَصَابَ ووافق الصواب فيمن آتَى إِدْ تَشْرُفَ به وتمير على العير ، وَحَقَّرَ من أسراه ، إِلَى مَنْ يُجَدُّ لَدَيْهِ صُحُّ سُراه ، إِدْ يصحبه من شره وِرَّةً كل خير“ . أشار فى القرية الأخيرة إلى المثل السائر من قولهم ”عِنْدَ الصَّاحِجِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى“ وقد تقدَّم أن أوَّل من قال ذلك خالد آس الوليد رضى الله عنه .

ومما آستعمله أهل الصباعة من أمثال المُحدِّثين ثرا قولُ الشيخ حمال الدين بن سائة رحمه الله فى وصف حطيب من حملة توقيع ”وَمَنْ إِذَا قامَ فريداً عُدَّ نَالِيفَ من فرائد الرجال تُطَّيَّمُ ، وَإِذَا أَقْبَلَ فى سَوادِ طيلسانه ، قِيلَ حَاءَ السَّوَادِ الأَعْظَمُ“ فأستعمل المثل السائر فى قولهم السَّوَادِ الأَعْظَمُ ، يريدون الحَمَّ الحفير ، وهو من أمثال المُحدِّثين ، وحُسِّنَ ذلك لماساة لُئس الحطيب السَّوَادِ على ما حرت به العادة ، وإن كان خلاف السِّنة كما صرح به الشيخ محيى الدين البوى رحمه الله من أصحابنا الشافعية .

ومن ذلك ما ذكرته فى المفارقة بين السيف والقلم ، وهو ”وأطهرَ كلِّ مهْمَا ما كان يُحْفِيهِ ، وَكُتِبَ وَأُمِّلَى ، وَنَاحَ مِمَّا يُكْنُهُ صدره ، والمؤمنُ لا يَكُونُ حُلَى“ .
فاستعملت المثل فى قولهم ”المؤمنُ لا يَكُونُ حُلَى“ وهو من أمثال المُحدِّثين إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وقد تستعمل أمثال المُحدِّثين فى الشعر أيضا فتجملو ويروق موقعها ويستطرف ، كما قال القاصى الأثرحانى

تَأْمَلْ مِنْهُ تَحْتَ الصُّنْدُوعِ حَالًا * لَتَعْلَمَ كَمْ حَيَايَا فِي الرِّوَايَا

النوع الثاني عشر

(معرفة أنساب الأئمة من العرب والعجم)

ويحتاج إليه الكاتب في المكاتبات لأنه يصدد أن يكتب عن ملكه إلى أمير
قبيلة من العرب، أو ملك أمة من الأئمة، وما لم يكن عارفا بأساسها، كان قاصرا فيما
يكتبه من ذلك . ومن عريب ما وقع في ذلك أن ملك الرثو من ملوك السودان
كتب كتابا إلى الأنواب السلطانية ، بالديار المصرية في الدولة الطاهرية رقوق
يدكر فيه أن المحاورين لهم من عرب حدام قد أعاروا عليهم وسسوا جماعة من
سائهم ودراريتهم وابعوهم بالديار المصرية وما حولها ، ثم قال ويح من دزية
سيف س دى ير العري القرشي ، فخط القحطانية بالعدانية ، لأن سيف س
دى ير من نقايا التابعة من خمير من القحطانية ، وقريش من العداسة ، وياهيك
لذلك عيا أن لو وقع من كاتب معتبر .

ويشتمل العرص منه على ثلاثة مقاصد

المقصد الأول

(معرفة عمود النسب السوي من النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم ، من حيث

إن سائر الأنساب تتعلق به وترجع في القرب والبعد إليه)

وها أنا أوردته على ما أورده آس إسحاق في "السيرة السوية" على صاحبها أفصل
الصلاة والسلام ، وتبعه عليه آس هشام في سيرته إدا كانا عمدة في هذا الباب .
فأقول "هو محمد" رسول الله ، س عبد الله ، س عبد المطلب ، س هاشم ، س
عبد مناف ، س قصي ، س كلاب ، س مرة ، س كعب ، س أؤي ، س غالب ، س
فهر ، س مالك ، س النصر ، س كنانة ، س حزيمة ، س مدركة ، س إلياس ، س
مصر ، س رار ، س معد ، س عدنان ، س أدد ، س مقوم ، س ناحور ، س تيرج ، س

يَعْرُبُ ، س يَشْحَبُ ، س نَات ، س إِسْمَاعِيلُ ، س إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
 أَسْ تَارِحَ ، وَهُوَ آزَرُ ، س أَرْغُو ، س فَالِعُ ، س عَاَرُ ، س أَرْحَشْدُ ، س سَامُ ، س يُوحَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، أَسْ يَرِدُ ، س مَهْلِيلُ ، س قَيْسُ ، س تَاتَشُ ، س شَيْثُ ، س آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 قال الموهبي "والاقتناع على هذا النسب الشريف إلى عدنان ، وليس فيما بعده
 إلى آدم طريق صحيح" وفيما بعد عدنان ، إلى إسماعيل عليه السلام حلاف كثير ،
 قال القصاعى في "عيون المعارف في أحكام الخلائف" وقد روى أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال "لَا تُحَاوِرُوا مَعَدَّ سَ عَدْنَانَ ، كَذَبَ السَّائُونَ ، ثُمَّ قَرَأُوا قُرْوَآءَ بَيْنَ ذَلِكَ
 كَثِيرًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُعَلِّمَهُ لَعَلَّمَهُ" قال والصحيح أنه من قول أس مسعود رضى
 الله عنه .

المقصد الثاني

(في أساب العرب ، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(في أمور تح معرفتها قبل الخوص في النسب)

وأول ما تح معرفته من ذلك من يقع عليه لفظ العرب ، قال الحوهري "العرب
 حيل من الناس وهم أهل الأمصار ، والأعراب سُكَّانُ البادية ، والنسبة إلى العرب
 عَرَبِيٌّ ، وإلى الأعراب أعرابيٌّ" والتحقيق إطلاق لفظ العرب على الجميع ، وأن
 الأعراب نوع من العرب ، ثم اتفقوا على توبيع العرب إلى نوعين عارية ومُسْتَعْرِية .
 فالعارية هم العرب الأول الذين فهمهم الله اللغة العربية آتدَاءً فتكلموا بها . قال

(١) في العاموس قبان س أبوش س شت

الحوهرى "وقد يقال فيهم العرب العرّاء" . والمستعربة هم الداخلون في العربية بعد العجمية . قال الحوهرى "ورما قيل لهم المتعربة" . وقد اختلف في العاربة والمستعربة فذهب آس إسحاق والطبرى إلى أب العاربة هي عاد وثمود وطسم وحديس وأميم وعييل والعلقة وعند صخم وحرهم الأولى ، ومن في معاهم . والمستعربة سوطحطان س عارس شالخ س أرخش س سام س نوح وسو إسماعيل عليه السلام لأن لسة عارو وإسماعيل كانت سرماية أو عرابية ، فتعلم سوطحطان العربية من العاربة من كان في رماهم كعاد ونحوهم ، وتعلم إسماعيل العربية من حرهم من بني قحطان البارلين على إسماعيل وأمه ممكة . وذهب آرون مهم المؤيد صاحب حماه إلى أن س قحطان هم العاربة ، وأن المستعربة هم سو إسماعيل فقط ، والدى رحمه صاحب العبر الأول .

ثم قد قسم المؤرخون العرب أيضا إلى نائدة وعيرها ، والنائدة هم الديس نادوا ودرست آثارهم كعاد ، وثمود ، وطسم ، وحديس ، وعير النائدة هم الياقون في القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية كطيئ ، ولحم ، وحدام ونحوهم ، ومن العدنانية كقرارة وسليم وقريش ، ومن في معاهم . ثم قد عدّ الماوردى وعيره طبقات أنساب العرب ست طبقات

الطبقة الأولى - الشّعب بفتح الشين وهو النسب الأبعد الذى تنسب إليه القبائل كعدنان ، ويجمع على شعوب ، وسبى شعبا لأن القبائل لشعب منه .
الطبقة الثانية - القبيلة ، وهى ما أنقسم فيه الشعب كرسعه ومصر ، وتجمع على قبائل ، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها ، وربما سميت القبائل حمّاجم .
الطبقة الثالثة - العماره بكسر العين ، وهى ما أنقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكبابة وتجمع على عمائر وعمارات .

الطبقة الرابعة — اللَّطْن وهي ما أنقسم فيه أُنساب العِمارة كى عَسِد مَاف ،
وسى مَحْرُوم وتجمع على بطون وأَطْن .

الطبقة الخامسة — الفَحْد ، وهي ما أنقسم فيه أُنساب الطن كى هاشم ،
وسى أُمَيَّة ، وتجمع على أْحَاد .

الطبقة السادسة — الفَصيلة — بالصاد المهملة — وهي ما أنقسم فيه أُنساب
الفَحْد كى العَّاس وبنى أى طالب ، وتجمع على فصائل ، والفحد يجمع الفصائل ،
والطن تجمع الأَحَاد ، والعمارة تجمع البطون ، والفصيلة تجمع العمائر ، والشَّعْب يجمع
القنائل . قال البوصىّ وراد بعضهم العَشيرة قبل الفصيلة ، قال الجوهريّ ”وعَشيرة
الرحل رَهْطه الأَدْنُون“ وحكى أبو عبيدة عن أس الكلىّ عن أبيه تقديم الشعب
على القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم الفحد ، فأقام الفصيلة مقام العمارة فى ذكرها
بعد القبيلة ، والعمارة مقام الفصيلة فى ذكرها قبل الفحد . والحيلة فأكثر ما يدور على
الألُسة من الطبقات الست المذكورة القبيلة ، ثم الطن ، وقُلَّ أن تذكر العمارة
والفحد والفصيلة ، وربما عَرَّوا عن كل من الطبقات الست نالحيّ ، إما بالعموم مثل
أن يقال حتى من العرب ، وإما على الخصوص مثل أن يقال حتى من سى فلان .

ومما يجب على الناظر فى الأُنساب أن يعرف عشرة أمور

الأوّل — قال الماوردىّ إذا تاعدت الأُنساب ، صارت القنائل شعوبا ، والعمائر
قنائل ، يعنى وتصير البطون عمائر ، والأَحَاد بطونا ، والفصائل أْحَادا ، والحادثُ من
النسب بعد ذلك فصائل .

الثانى — قد ذكر الجوهريّ أن القبيلة هم سو أبٍ واحد ، وقال أس حرم جميع
قنائل العرب راحمة إلى أبٍ واحد سوى ثلاث قنائل وهى تُوَح ، والعُتُق ، وعَسَّان

إن كل قبيلة منهم محتمة من عدة بطون ، وذلك أن تَوْحَا آسَم لعشر قائل
 آحتمعوا وأقاموا بالحريين ، فُسُمُوا بَتُّوح أحدا من التَّنَح وهو المُقَام ، وألْتَق جمع
 آحتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم وطيرهم فأعتقهم فُسُمُوا بذلك . وعَسَّان
 عدة بطون من الأردن رلوا على ماء يسمى عَسَّان فُسُمُوا به .

الثالث — تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة إليه دون غيره من
 قومه بأن يُشهر اسمه لهم لرياسة ، أو شجاعة ، أو كثرة ولد ، أو غيره فتنسب سُوهُ
 وسائر أعقابه إليه ، وربما أنصم إلى النسبة إليه غير أعقابه من عشيرته كإخوته
 وعمومهم ، فيقال فلان الطائي ، فإذا أتى من عقبه من أشهر منهم أيضا نسب من
 الأسباب المتقدمة نسبت إليه سُوهُ ، وجعلت قبيلة ثانية ، فإذا أشتمل النسب على
 طقتين فأكثر كهاشم ، وقريش ، ومصر ، وعدنان ، حارم في الدرجة الأخيرة من
 النسب أن يُنسب إلى الجميع فيجوز لبي هاشم أن يُنسبوا إلى هاشم ، وإلى
 قريش ، وإلى مصر ، وإلى عدنان فيقال في أحدهم الهاشمي ، والقُرشي ، والمصري ،
 والعدناني ، بل قال الجوهري إن النسبة إلى الأعلى تعي عن النسبة إلى الأسفل
 وإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وَرَّة الكلبي استعيت أن تنسبه إلى شيء من
 أصوله . وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطفة العليا والطفقة السفلى .
 ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل أن يقال القرشي العدويّ وبعضهم
 يرى تقديم السفلى على العليا ، فيقال العدويّ القرشي .

الرابع — قد يصم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والمؤالاة فينسب إليهم فيقال
 فلان حليف بني فلان أو مولاهم .

الخامس — إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى ، حار أن ينسب

إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى القبيلة الثانية التي دخل فيها ، وأن ينسب إليهما جميعا مثل أن يقال التيميّ ثم الوائليّ، أو الوائليّ ثم التيميّ وما أشبه ذلك .

السادس — القنائل في العال تسمى باسم أي القبيلة كربيعة ومصر، والأوس والخرّج، وما أشبه ذلك. وقد تسمى القبيلة باسم الأم كخندف، وبحيلة وبحوهما، وقد تسمى باسم حاصّة حصّت أصل تلك القبيلة وبحو ذلك . وربما وقع النسب على القبيلة لحدوث سب كعساب ، حيث رلوا على ماء يمين كسعد والحارث وغيرهما .

السابع — أسماء القنائل في اصطلاح العرب على خمسة أصرب أولها — أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد، وثمود، ومذّين، ومن شا كلهم، وبذلك ورد القراءان الكريم (وإلى عاد . وإلى ثمود . وإلى مذّين) يريد سى عاد، وسى ثمود، وسى مذّين ، وبحو ذلك . وأكثر ما يكون ذلك في الشّعوب والقنائل العظام بحلاف الطون والأخاد وبحو ذلك .

وثانيها — أن يطلق على القبيلة لفظ السّوة فيقال سو فلان ، وأكثر ما يكون ذلك في الطون والأخاد .

وثالثها — أن يرد ذكر القبيلة لفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والحقّافرة وبحوهما، وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم .

ورابعها — أن يعرّب عنها آل فلان كآل ربيعة، وآل فضل، وآل مُرّ، وآل على ، وما أشبه ذلك، وأكثر ما يكون ذلك في الأرمسة المتأخرة، لاسيما في عرب الشام في رماسا . والمراد بالآل الأهل .

(١) كذا في الأصل ويظهر أن فيه سهطا .

وحامسها — أن يعبر عنها بأولاد فلان، ولا يوحد ذلك إلا في المتأخرين من
ألفاد العرب على قلة كقولهم أولاد رعارع، وأولاد قريش وبحودك .

الثامن — أسماء غالب العرب منقولة عما يدور في حارة حياهم مما يُحاطوبه
ويُجاوروه ، إما من الحيوان المفترس كأسيد ، وعير ، وإما من السات كبت ،
وحطلة ، وإما من الحشرات كحبة ، وحش ، وإما من أحرار الأرض كفهز ، وصخر
وبحودك .

الاسع — العال على العرب تسمية أساءهم بمكره الأسماء ككلب ، وحطلة ،
ومرة ، وصرار ، وحرب ، وما أشبه ذلك ، وتسمية عبيدهم بحب الأسماء كفلّاح
وتحاح ، وبهوها . والمعنى في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي ^(١) لِمَ تَسْمُون
أسماءكم بِشَرِّ الأسماء بحوكلت ودث ، وعيدكم بأحسن الأسماء بحو مرقوق وراح ؟
فقال إنما لسمي أساءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا (يريد أن الأسماء معدة للأعداء
فاحتاروا لهم شر الأسماء ، والعبيد معدة لأنفسهم فاحتاروا لأنفسهم حير الأسماء) .

العاشر — إذا كان في القبيلة آسمان متوافقان كالخارث والشارث ، وأحدهما
من ولد الآخر أو بعده في الوجود عتروا عن الوالد أو السائق مهما بالأكر ، وعن
الولد أو المتأخر مهما بالأصغر ، وربما وقع ذلك في الأخوين إذا كان أحدهما أكبر
من الآخر .

المهيع الثاني

(في معرفة تفاصيل أسباب العرب)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ عَلَى قِسْمَيْنِ

(١) أهله في الأصل وصوايه الإجماع

القسم الأول

(العرب السائدة)

وهم الدين أدوا ، ودرست آثارهم ، وأنقطعت تفاصيل أحبارهم إلا القليل ،
والمشهور منهم قتائل

القبيلة الأولى — عاد ، وهم سُو عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح عليه
السلام ، وكانت مدارهم بالأحقاف بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت
والشحر ، وهم الدين بعث الله تعالى إليهم هُودا عليه السلام فلم يؤمنوا وأهلكهم
بالمريح كما ورد به القرآن الكريم .

القبيلة الثانية — ثمود، وهم سُو ثمود بن حائر، (ويقال كاثراً بالكاف بدل الحيم)
آس إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت مدارهم بالبحر ووادي القرى، بين
الحجاز والشام، وكانوا يَبْحَثُونَ بُيُوتَهُمْ من الحبال مراعاةً لطول أعمارهم . بعث الله
تعالى إليهم صالحاً عليه السلام فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله بصيحة من السماء كما ورد به
القرآن الكريم .

القبيلة الثالثة — العَمَلقة، وهم سُو عَمَلِيق، (ويقال عَمَلِاق) بن لاؤد بن إرم بن
سام بن نوح ، وهم أمة عظيمة يُضْرَبُ بهم المثل في الطول والحُثْمَان . قال الطبري
وتفرقت منهم أمم في البلاد، فكان منهم أهل عُثْمَان، والبحرين، والحجاز، وملوك
العراق، والحريرة، وحارة الشام، وفراصة مصر .

القبيلة الرابعة — طسم ، وهم سُو طَسْم . قال آس الكلبي وهم سُو طسم
آب لاؤد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . ودكر الحوهرى أنهم من عاد ،

قال وكانت مشارئهم الأحقاف باليمن . ود كرى "العبر" أن ديارهم كانت بالجمامة ، وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين إخوانهم حديدس الآتى ذكرهم .

القبيلة الخامسة — حديدس وهم سوحديدس بن إرم بن سام بن نوح . وقال الطبرى حديدس بن لاود بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت مساكنهم بحوار طسم المتقدم ذكرهم ، وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين المذكورين أيضا .

القبيلة السادسة — عند صحم ، وهم سوحديدس بن إرم بن سام بن نوح . قال في "العبر" كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك . قال ويقال لهم أول من كتب بالحط العرى .

القبيلة السابعة — حرهم الأولى . قال آس سعيد وهم قبيلة من العرب كانوا على عهد عاد فادوا .

القبيلة الثامنة — مدّين ، وهم سوحمدّين بن إبراهيم عليه السلام ، وهم أمة كبيرة قبائل وشعوب ، وكانت ديارهم ديار عاد وأرض مَعان من أطراف الشام مما يلي الحمار قريبا من عشيرة قوم لوط^(١) بعث الله إليهم نبيّا فلم يؤمنوا .

القسم الثاني

(من العرب الباقية أعقابهم على تعاقب الرمان)

وأكثر من تدعو حاجة الكاتب إلى معرفته من بقى أعقابه منهم متفرقة في أقطار الأرض إلى الآن ، وهم على ثلاثة أصرب

(١) في سائر الكتب من أرض قوم لوط منه

الصرب الأول

(العرب العاربة)

قال الحوهريّ ويقال فيهم العرب العاربة، وهم سو قحطان، س عابر، س شالح
أس أرفخشذ، س سام، س نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن، والمشهور منهم شَعْنَانُ.
الشَّعْبُ الأول — حُرَّهم (بضم الحيم وسكون الراء وضم الهاء) وهم سو حُرَّهم س
قحطان، وهم غير حُرَّهم الأولي المقدم ذكرها في حملة العرب النائدة.

وكانت مبارلهم أولاً اليمن، ثم آتقلوا إلى المحار فبرلوه، فأقاموا به حتى كان من
برول إسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان، فبرلوا عليه بمكة، وآستوطوها على
ما سيأتي ذكره في الكلام على العرب المستعربة إن شاء الله تعالى.

الشَّعْبُ الثاني — يَعْرُب، وهم سو يعرُب س قحطان المقدم ذكره. ويقال إن
العرب إنما سُميت عَرَباً به، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومه تاسلوا
فُولِدَ لَهُ يَشْحُب، وَوَلَدَ يَشْحُب سَاءً، ومه تفرعت جميع قبائلهم.

ومرحع المشهور فيه إلى قبيلتين

القبيلة الأولى — حَمِير وهم حَمِيرُ س سَيْل (بكسر الخاء وأسمه العَرَمَح). وقد ذكر
أس الكلبي أنه كان لحَمِير عشرة أولاد من عَقِيهِ وكان غالبٌ وحُلُّ قنائل حَمِير من
أَبْنَيْهِ الهمَيْسَع، ومالك ملوك اليمن، وكانت بلادهم مشارف اليمن فطغار وما
حولها. ولحمير بقايا موحودون إلى الآن، ومه غالب قنائل قُصَاعَة، ومه غالب
قنائل حمير، وهو قُصَاعَة، س مالك، س عمرو، س مُرَّة، س ريد، س مالك، س حَمِير،
وقيل قُصَاعَة س مالك س حمير. وذهب بعض السَّانَة إلى أن قُصَاعَة من العَدَابِيَّة
الآتي ذكرهم. قال السهيلي والصحيح أن أم قُصَاعَة (وهي حكرة) مات عنها مالك

آس حمير وهى حامل ، فترقحها معَّدس عَدان ، فولدت قُصاعةَ علىٰ وراشه فتَنَاه
فُئِيب إليه . قال المؤيد صاحب حماء ”وكان قصاعة مالكا للبلاد الشَّخَر وقهره محل
الشَّخَر موحود“ . ولقصاعة نقايا إلى الآن ينسب إليهم ، وإليهم ينسب القَصَاعِيّ
المصريّ صاحبُ كتاب ”الشهاب في المواعظ والآداب“ في الحديث ، وحطط مصر
وعيرهما .

والمشهور من قصاعة سعة أحياء

الحَيّ الأوّل — بَلَيّ (يفتح الاء) وهم سو بَلَيّ ، س عمرو ، س الحايّ ، س قُصاعةَ ،
ولهم نقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى ، منهم سواب وعيرهم ، ونقايًا بالمحار
وعيرهما ، والنسبة إليهم بَلَوِيّ زيادة واو مكسورة قبل ياء النسب .

الحَيّ الثاني — حُهَيْبة (نصم الحيم وفتح الهاء والون) ، وهم سو حُهَيْبة ، س ريد ،
آس ليث ، س سُود ، س أسلم ، س الحايّ ، س قصاعة ، وهى قبيلة عظيمة ، ولهم نقايا
سلاط الصعيد من الديار المصرية والمحار وعيرهما . والنسبة إليهم حُهَيْبِيّ بحذف
الياء بعد الهاء .

الحَيّ الثالث — كلب ، وهم سو كلب ، س وَرّة ، س ثعلبة ، س حُلوان ، س عَمْران ،
آس الحايّ ، س قُصاعة ، ومنهم حارثة الكلبيّ أُو رَيْدِ س حارثة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال صاحب حماء وكان سو كلب في الحاهلية يربلون دُومة الحدل ، وتوَكّ ،
وأطراف الشام . قال آس سعيد ومنهم الآن حَلَق عظيم علىٰ حليج القُسْطِطِيبِيَّة
مسلمون . قال في «مسالك الأنصار» وسَيْرَر ، وحَلَب وبلادها ، وتَدْمُر ، والمناظر
أقوام منهم ، والنسبة إليهم كَلْبِيّ .

الحَيّ الرابع — عُدْرَة (نصم العين المهملة وسكون الدال المعجمة) وهم سو عُدْرَة

(١١) اس سعيد، س هديم، س ريد، س ليث، س سود، س أسلم، س الحافي، س قصاعة، وإلى عُذرة هؤلاء ينسبُ العشق والتيمُّ، ومهم عُروة س حرام صاحب عَفراء أحد المتيممين وحمل صاحب نُثبة . ومن أحسن ما يحكى أنه قيل لرحل مهم ما نال العشق يقتلكم يا سى عُذرة ° قال لأن فيا حمالا وعِقة ° وقيل لأحرمهم ما نال الرحل مكم يموت في هوى امرأة ° إما ذلك صَعب فيكم يا سى عُذرة — فقال أما والله ! لو رأيتم الواطر الدُخ، تحتها المَاسِمُ الفُح، فوقها الحَوَاحِ الرُح، لاَ تَحدِثُموها اللَّاتَ والعُرى، ولهم نَقايا بالدَقُولِية والمُرَاحِية من الديار المصرية، ونَقايا بالشام أيضا .

الحى الخامس — هراء (يفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وألف بعد الراء المهملة)، وهم سو هراء، س عمرو، س الحافي س قُصاعة، ومهم جماعة من الصبابة رصوان الله عليهم، مهم المِقْدَاد س الأسود، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقال إن خالد س رَمَك من آل هراء . قال في العِتر وكانت مارلهم شِمَالِي مارل بَلَى من الينع إلى عَقبة أيلة، ثم حاور بحر القُلُوم مهم حلق كثير، وآتَشَرُوا ما بين بلاد الحَشَّة وصعيد مصر، وكَثُرُوا هَناك، وعلوا على بلاد الثوبة، وهم يجاربون الحَشَّة إلى الآن .

الحى السادس — سو هء، س ريد، س ليث، س سود، س أسلم، س الحافي، س قُصاعة، وكانت مارلهم باليمن، وإليهم كتب النبي صلى الله عليه وسلم نَكَاهُ المشهور، وكان مهم طائفة بالشام أيضا فيما ذكره أبو عبيد . ومن مشاهير هء الصَّقْع، قال صاحب حماه وكان رئيسا في الإسلام .

(١) في الهاموس سعد س هدم بدون هاء وهو الصواب وهديم عند حشى حص سعدا فسب إليه وإلا فهو سعد س ريد س لب فلس ريد حدًا له كما قد يوه من العاره منه

الحى الساع - حرم، وهم سو حرم وأسمه عَلاَف، س رَآن، س حُلوان، س عِمْران،
 أس الحافى، س قُصاعة . قال الحمداني ومهم سو حُشَم، وسو قُدامة، وبسو عَوَف .
 قال فى العبر ومهم حماعة من الصحابة رضى الله عنهم . قلت ووهم القاصى ولى
 الدين س حلدون فحلهم هم الدين سداد عَرَّة ، وقد تقدّم أن أولئك هم حرم طي
 لا حرم قُصاعة . وعدّ صاحب حماء فى تاريخه مهم تُوَح (يفتح التاء المشاة فوق
 وصم الون وحاء معجمة فى الآخر) قال الجوهرى ولا تشدّد بونه ، والتحقىق
 ما قاله أبو عبيد أنهم ثلاثة أبط من القحطانية يرار، والأحلاف^(١) . قال وسموا بذلك
 لأنهم حلفوا على المقام مكان بالشام والتَّحُّ المَقَام . قال أس سعيد ومن الساس
 من يطلق تُوَح على الصَّحَّاعمة، ودوَس الدين نتحوا بالحرير . قال صاحب
 حماء وكان بينهم وبين التَّحْمِيين ملوك الحيرة حروب، ولتُوَح نقايا بالمعزة من بلاد
 الشام فيما ذكره الحمداني .

القبيلة الثانية - من القحطانية كَهْلان (يفتح الكاف وسكون الهاء)، وهم سو
 كَهْلان س سِل . قال أبو عبيد وشعوهم كلها متشعبة من ريد س كَهْلان ،
 وكانوا متداولين الملك باليمن مع سى حمير، أهرد سوحير بالملك ، وبقيت بطون كهلان
 على كثرتها تحت ملكهم . قال سى العبر ثم تقاصر ملك حمير وبقيت الرياسة على
 العرب بالبادية لى كَهْلان، وهم أحياء كثيرة .
 والمشهور منهم أحد عشر حياً

الحى الأول - الأرد (يفتح الهمزة وسكون الراء وبالذال المهملة) ، قال
 أبو عبيد ويقال بالسين بدل الراء . قال الجوهرى بالراء أفصح ، وهم سو
 الأرد، س العوث، س بنت، س الك، س أدد، س ريد، س كهلان، وهم من أعظم
 الأحياء وأكثرهم طُوباً . وقد قسّم الجوهرى الأرد إلى ثلاثة أقسام

(١) أى أسد وعطفان هما أثنان ورار الثالث

أحدهما - أردُ شُوءة، وهم سوَصرس الأزد، وشُوءة لقب لِصُرعلب على يده .
الثاني - أرد السرة، بإصافة أرد إلى السرة (بالسين المهملة)، وهو موضع
بأطراف اليمن رل به فرقة منهم فعرفوا به .

الثالث - أرد عَمَّان بإصافة أرد إلى عمان (بفتح العين المهملة وتشديد الميم)^(١)،
وهي مدينة بالبحرين ربطا قوم منهم فعرفوا بها . وللأرد نقايا سلاذ الشام رُرع
ونُصرى فيما قاله في "مسالك الأنصار" .

ثم الأرد بطون كثيرة . منها عَسَّان (بفتح العين المعجمة وتشديد السين المهملة
ويون في الآخر)، قال أبو عبيد . وهم سُوَحَفَة، والحارث وهو مُحَرَّق، وثَعْلَة وهو
العَقَاء، وحارثة، ومالك، وكعب، وحارحة، وعَوْف س عَمرو، س عامر ماء السماء،
آس حارثة العَطْرِيف، س آمرى القيس الطِريق ويقال الهلول، آس ثَعْلَة، س
مارن، س الأرد، وإمما سُثموا عسان لماء رلوا عليه اسمه عَسَّان فثَرَبوا منه فُسُوما
به . قال في العبر . وهو على القرب من بلاد اليمن . قال أبو عبيد . وفي ذلك يقول
بعض الأنصار

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ مُحَرَّقٌ * الْأَرْدُ نِسْتَنَا وَالْمَاءُ عَسَّانُ

ولعسان هؤلاء كان مُلْكُ العرب بالشام بعد سَلِيحِ المَقْدَم دُكُهم إلى أن كان
أَحَرهم حَلَّة س الأيهم الذى أسلم في زمن عمر ثم آرتد، ولحق سلاذ الكُفر . وقد
ذكر في «مسالك الأنصار» أن لهم نقايا سلاذ الشام باللقاء واليرموك وخص . ومنها
الأوس والخرح آسا حارثة، س ثَعْلَة، س عَمرو مَرِيْقِيَا، س عامر ماء السماء، س حارثة
العَطْرِيف، س آمرى القيس الطِريق، س ثَعْلَة، س مارن، س الأرد، وكانت مبارلهم

(١) هذا الصط محال لما صطه الخوهري بالقلم والقاموس انصا وصطه سارحه بالعارة . فقال

كعرات بلد بالبحرين وكذا ماوت وفيه أيضا أن المصوح المشدّد بلد بأطراف الشام حُر

(٢) لقب بذلك لطول عمقه ووقع في الأصل بالماء وهو بصحيف

يَثَرَبَ، ومهم كانت أنصارُ النبي صلى الله عليه وسلم، ولهم نَقَايَا كثيرة متفرقة بالْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وقد ذكر الحمداني أن مهم جماعة مَمْلُوط من صعيد مصر من عَقَبَ
حَسَّانَ بن ثابت، وسعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنهما .

الحَيَّ (الابن) — من كَهْلَانِ طَيِّئٍ (يفتح الطاء وتشديد الياء همزة في الآخر)
أحدا من الطاعة على ورن الطاعة وهي الإيعال في المرعى، وهم سوطيُّ، بن أُدَدَ
أس ريد، بن يَشْحَبَ، بن عَرِيبَ، بن ريد، بن كَهْلَانَ، والسنة إليهم طائيُّ،
وإليهم يَسَّبَ حاتم الطائي المشهور بالكرم، وأبو تمام الطائي الشاعر المشهور، وهم
كثير . قال في العبر وكانت مبارهم باليمن فخرحوا منها على إزجروح الأردن عند
تفرقهم لسيبل العرم، فبرلوا تحدد والحجار على القرب من بني أسد، ثم علوا بني أسد
على حلي أحأ وسأني من بلاد تحدد، فبرلوهما فعرفا بحلي طيئ إلى الآن، ثم أفرقوا
في أول الإسلام رَسَ الفُتُوحَاتِ في الأقطار، ولهم بطون كثيرة . مهم تُعَلُّ (نصم
الثاء المثلثة وفتح العين المهملة ولام في الآخر) وهم سوتعل، بن عمرو، بن العوث،
أس طيئ . قال أبو عبيد ومهم البيت والعدد . قال صاحب حماه ومهم ريد
الحليل .

ومها حَدِيلَةُ (يفتح الحيم وكسر الدال وسكون الياء وفتح اللام وهاء في الآخر)،
ذكرهم الجوهري ولم يرفع نسبهم، ثم قال حَدِيلَةُ أمهم عرفوا بها وهي حَدِيلَةُ
بنت سُبَيْعَ بن عمرو بن حمير .

ومها تَهَانِ (يفتح التاء وسكون الباء الموحدة وبنو بعد الألف)، وهم سوتهان،
واسمه سُودَانُ، بن عمرو، بن العوث، بن طيئ .

ومها تَوْلَانُ (يفتح التاء الموحدة وسكون الواو وبنو بعد اللام ألف) وهم سولان،
واسمه عُصَيْنُ، بن عمرو، بن العوث، بن طيئ . ومهم الثلاثة نهر الدين يقال

لهم وصعوا الخط العرى على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الخط فيما بعد
إن شاء الله .

ومها هياء، وهم سوهياء، س عمرو، س العوث، س طيئ .
ومهم إياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر .

ومها سدوس (نصم السين والذال المهملتين وسين مهملة فى الآخر) ، وهم سو
سدوس س أصم م سى سعد، س بيهان، س عمرو، س العوث، س طيئ .

ومهم حمقر س عطية الذى يقول

مَدَحْتُ نَسِيبِي حَقَقَرًا إِنْ حَقَقَرًا * تُحَلِّبُ كَفَّاهُ النَّدى وَأَمَامِيهِ

ومها سلامان (فتح السين المهملة ويون فى الآخر) ، وهم سو سلامان، س ثعل،
س العوث، س طيئ .

ومها تُحْتَرُ (نصم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وصم التاء المشاة فوق وراء
مهملة فى الآخر) ، وهم سو تُحْتَرُ، س عتود، س عُيْر، س سلامان، س ثعل،
س عمرو، س العوث، س طيئ، منهم أنوعادة الحترى الشاعر الإسلامى المشهور.

ومها رُبَيْد (نصم الرأى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المشاة تحت وodal مهملة
فى الآخر) ، وهم سو رُبَيْد، س معن، س عمرو، س عُيْر، س سلامان، س عمرو، س
العوث، س طيئ . قال أس سعيد ورُبَيْد هؤلاء هم الذين برية سنحار من الحرية
القرائية، وهم الذين ذكرهم المقر الشهاى س فصل الله، وسماهم رُبَيْد الأحلاف .

ومها سُئِسُ (نصم السين المهملة وسكون النون وصم الباء الموحدة وسين مهملة
فى الآخر) وهم سو سُئِسُ س معاوية، س حرول، س ثعل، س عمرو، س العوث، س

(١) صطه السويدي فى سائك الذهب فقال يفتح السين وذكرى الصاموس أنه بالكسر وكذلك هو
فى الصباح واللسان يسط القلم منه

طيئ. وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة شُغْرِدِيَّات، وأنه كان لهم شأن أيام الخلفاء العاطميين، وعدّ منهم ثلاثة بطون وهم الحراكلة، وعبيد، وحمّوح. والإمارة في رماسا هذا فيهم، وفي الحراكلة، وفي يوسف ممدية سجا من الأعمال العربية. قال الحمداني ومنهم طائفة بالطائخ من بلاد العراق.

ومنها حرم (نفتح الحيم وسكون الراء وميم في الآخر)، وهم سوثعلة بن عمرو، بن العوث، بن طيئ. وقال الحمداني حرم أسم أمه علب عليه وهي حرم بنت العوث أس طيئ، وهؤلاء هم حرم الدين سلاذ عرّة من البلاد الشامية. قال الحمداني وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على تدافع العرّح عن المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد، دخلت طائفة منهم مصر، وبقي بقاياهم بمكاهم سلاذ عرّة. وقد ذكر الحمداني منهم ثلاثة بطون وهم شمخان، وقران، وحيّان. ثم قال والمشهور من حرم الآن حديمة، ويقال إن لهم نسا في قریش، ورعم بعضهم أنها ترجع إلى محروم، وقيل بل من حديمة بن مالك، بن حسل، بن عامر، بن لؤي، بن غالب، بن فهر. ثم قال وحديمة هؤلاء هم آل عوثجة، وآل أحمد، وآل مجود. ثم قال ومنهم أسلم، وشل، ورصيعة، وسور، والقدره، والأحامدة، والرفثة، وكور، وموقع. ومنهم من بن عوث العاحلة، والعدالة، وسو تمام، وسو حيل، وسو مقدم، وآل نادر. ومنهم من بن عوث سوها، وسو حولة، وسو هرماس، وسو عيسى، وسو سهيل، وأرصهم الداروم، وحاورهم قوم من ريسد يعرفون بنى وهيد. ثم احتلطوا بهم.

ومنها ثعلبة، وصطّله معروف، وهم سوثعلة بن سلامان، بن ثعل، بن عمرو، بن العوث، بن طيئ، وهم رعيان دزما ورريق، آبي عوف بن ثعلبة، وقيل آسا ثعلبة وآسم دزما عمرو، ودرما أسم أمه علب عليه. قال الحمداني وكانوا مع حرم بالشام يدا مع

الفرخ على المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد انتقلت طائفة مهم إلى مصر وبلوا أطراف بلاد الشرقية، فمن نطون دزما سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس، وشل، والحائلة، والمراوبة، والحياييون، ومن نطون رريق ها سو وهم الطليحيون، ومن الطليحيين آل حماح، وآل عمران، وآل حصان، والمصاحنة، ومن سى رريق أيضا الصديحيون، ومن الصبيحيين العيوث، والرؤوت، والروايات، والعمورة، والشمحيون، والسعالى، والرمالي، والمعامرة، والسنديون، والنجاحنة، والعقيليون، والمساهرة، والمعافرة، ومهم أيضا العليميون. قال الحمداني وكان مقدمهم قديما عمرو س عسيلة أمر بالوق والعلم. ومن العليمين القمعة، والرياحين، والعوفة. قال الحمداني وكان فيهم رجال دوود كرو ساهة، حدموا الدول، وعصدوا الملوك، وقاموا وبصروا. ومهم من أمر بالوق والعلم. ومن نطون ثعلبة هؤلاء أيضا الحواهرة.

ومها عيرية (بفتح العين المعجمة وكسر الراء وتشديد الياء المشاة تحت وهاء في الآخر)، وهم سو عيرية س أفلت، س نعل، س عمرو، س سلامان، س نعل، س عمرو، س العوث، س طي. قال الحمداني وهم بالشام والعراق والحجاز، وفيما بين العراق والحجاز. قال في العبر وفيهم الإمارة في العراق إلى الآن ولهم صولة عظيمة. وهم نطون كثيرة من نطوهم البطيين، وأخادهم، آل دعيح، وآل روق، وآل ربيع، وآل سرية، وآل مسعود، وآل تميم، وآل شرود. ومن نطوهم الأخود وأخادهم آل مبيع، وآل سيد، وآل مال، وآل أنى الحرم، وآل علي، وآل عتيل، وآل مسافر. هذا ما ذكره الحمداني. وراذ في مسالك الأنصار عن نصر س رحس المشرق، وأولاد الكافرة، وساعدة، وسى حميل، وآل أنى مالك. قال في "المسالك" وديار

آل أحوذ منهم الرحيمية، والرقى، والفردوس، ولبية، والحدق. وديار آل عمرو
ماخوف. وديار نقاياهم الصيف، والكس، واليحموم، والأم، والمعينة. ويليمهم ساعدة
وديارهم من الحصر إلى رية ررود، إلى سقارة، إلى البقاء، إلى التيب، إلى الساسة،
إلى حصر.

ومها لام. وهم سولام بن عمرو، بن طريف، بن عمرو، بن سحيلة، بن مالك، بن
حدعاء، بن دهل، بن رومان، بن حنّ، بن حارحة، بن سعد، بن قطرة، بن طيء.
قال أس سعيد ومساكنهم المدينة السوية وما حولها. وقال الحمداني ديارهم حل
أحاً وسلمى. ثم قال وطيفير من لام، ومبارهم الطعن قتالة المدينة السوية، على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام.

ومها آل ربيعة، عرب الشام. وهم سوربيعة، بن حارم، بن علي، بن مفرح، بن
دعفل، بن حراح، بن شيب، بن مسعود، بن سعيد، بن حرب، بن السك، بن ربيع،
أس علق، بن حوط، بن عمرو، بن خالد، بن معد، بن عدى، بن أفلت، بن سلسلة، بن
عم، بن ثوب، بن معن، بن عتود، بن عيز، بن سلامان، بن نعل، بن عمرو، بن العوث،
أس طيء. قال في "مسالك الأبصار" وتقول سوربيعة الآن إهم من ولد جعفر
أس يحيى، بن خالد، بن برمك من العناسة بنت المهدي، أخت الرشيد، ويرعمون أنه
كان يحضر مع الرشيد مجلسه الخاص وأنه كلمه في ترويحها ليحلّ له بطرها لأختها
بجلسه فعقد له عليها شرط أن لا يطاها، فعانها على حين عقلة من الرشيد،
فحملت منه بولد كان ربيعة هذا من ولده. قال ويقولون في نسبه إنه ربيعة بن سالم،
أس شيب، بن حارم، بن علي، بن جعفر، بن يحيى، بن خالد، بن برمك، ويرعمون أن
نكحة البرامكة كانت نسب ذلك. ثم قال وأصلهم إذا نسوا إليه أشرف لهم.

لأنهم من سلسلة س عَيْر، س سلامان، س طي، وهم كرام العرب وأهل الناس
والسدة، والرامكة وإن كانوا قوما كراما فإنهم قوم عجم وشتان بين العرب والعجم،
وقد شرف الله تعالى العرب أن بعث منهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وأرل فيهم كتابه،
وحمل فيهم الخلافة والملك، وأنزلهم ملك فارس والروم، ورجع بأسنتهم تاح كسرى
وقيصر، وكفى بذلك شرفا لا يُطاول، وخرا لا يُتناول. ودكر في "التعريف" نحوه
قال في العر وكانت رياسة طي في أيام الفاطميين لسي الخراج، ثم صارت لآل
ربيعه. قال الحمداني وكان ربيعة هذا قد نشأ في أيام الأتراك ركني وآسه بورالدين
الشهيد صاحب الشام وسع بين العرب وولد له أربعة أولاد وهم فصل، ومرا،
وثالث، ودعفل، ومهم تفرغت بطون آل ربيعة. ثم المشهور من آل ربيعة الآن
ثلاثة بطون وهم آل فصل، وآل مرا، وآل علي قال فصل هم سوفصل س ربيعة
وآل مرا سوفراس ربيعة. وأما آل علي فمن آل فصل، وهم سوفعلي س حديثه، س
عقبة س فصل المتقدم ذكره، وقد صارت آل فصل أيضا بعد ذلك بيوتا أرفعها قدرا
بيت عيسى س مهبأ، س مائع، س حديثه، س عقبة، س فصل. قال في "مسالك
الأنصار" وفيهم الإمرة دون سائر آل فصل. قال. ثم صار آل عيسى بيوتا، بيت
مها س عيسى، وبيت فصل س عيسى، وبيت حارث س عيسى، وبيت محمد
آس عيسى، وبيت همة س عيسى. وسيأتي الكلام على تقسيم الإمرة فيهم في الكلام
على عرب الشام في المسالك والممالك إن شاء الله.

الحى الثالث — من كهلان مَدِحج (فتح الميم وسكون الدال المعجمة وكسر الحاء
المهملة وحيم في الآخر)، وهم سوف مَدِحج وأسمه مالك، س أدَد، س ريد، س يَشْحَب،
آس عَرِيب، س ريد، س كهلان هكدا قاله أبو عبيد، وقال الخوهري مَدِحج

أَسُّ يُحَارِ، س مالك، س ريد، س كهلان. وقد ذكر الحمداني أنهم إسماسموا مَذِحَ
لشجرة تحالَّفوا عندها أسمها مَذِحَ، فُسِّمُوا باسمها . ثم لمدح بطون كثيرة

مها حَوْلَان، (فتح الحاء المعجمة وسكون الواو وبون بعد اللام ألف)، وهم سو
حَوْلَان س مالك، وهو مَذِحَ وإليهم ينسب أبو إدريس الحَوْلَانِيّ . قال في العبر
وبلاد حَوْلَان في بلاد اليمن من شرقيّه، قال وقد آفترقوا في الفتوحات، وليس منهم
اليوم دَرِيَّة إلا نالين، ثم قال وهم عالون على أهله .

ومها حَنْب (يفتح الحيم وسكون النون وباء موحدة في الآخر)، وهم سو مَسَّة ،
والخارث، والعلی، وسحاح، وشبران، وهما س يريد، س حرب، س عَلَّة،
أَس حَلْد، س مَذِحَ . قال أبو عبيد وَسُّمُوا بحب لأنهم حاسوا عَمَّهم صُدَاءَ ،
وحالفوا سعدَ العشيرة ، وحالفت صُدَاءُ بنی الخارث س كعب . ومن حَنْب معاوية
الخير الحنبي صاحب لواء مَذِحَ في حرب بني وائل .

ومها سعد العشيرة، وهم سو سعد العشيرة س مَذِحَ ، وَسُّمِي بذلك لأنه لم يمت
حتى ركب معه من وَلَدِه وولَد وَلَدِه ثلثمائة رجل ، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء
عشيرتي دفعوا للعين عنهم ، فقليل له سَعْد العشيرة . ثم من بطون سعد العشيرة
أَوْد (يفتح الهمزة وسكون الواو ودال معجمة في الآخر)، وهم سو أَوْد س صَعْب س
سعد العشيرة، وإليهم ينسب الأفوه الأودِيّ الشاعر المشهور . ومن بطون سعد
العشيرة أَبِصَا حُغَيْي (نصم الحيم وسكون العين المهملة وكسر العاء وياء منبثقة تحت
في الآخر) وهم سو حُغَيْي س سعد العشيرة والدسة إليهم حُغَيْي على مثل لفظه ،
وإليهم ينسب الإمام البخاريّ بالمؤالاة، ويقال الحُغَيْي مولاهم . ومن بطون سعد

(١) صوابه ودال مهملة أطر الغاموس وشرحه في مادته أود على أنه لم يوجد مادة أود بالمعجمة ياءاً بأيدينا
من المعاجم فيه

العشيرة رُبَيْد (بضم الراء وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المشاة تحت وذال مهملة في الآخر)، وهم سَوْمَسَّة سِ صَعْب سِ سعد العشيرة، وتُعرَف رُبَيْدٌ هَؤُلاءِ رُبَيْدُ الأَكْبَر، وهم رُبَيْد الحجار. قال في مسالك الأنصار. وعليهم دَرَك الحاحِ المصري من الصَّغراء إلى الخففة ورابع. ومن رُبَيْد هَؤُلاءِ بَطْنٌ تُعرَف رُبَيْد الأصغر، وهم سَوْمَسَّة الأصغر سِ رُبَيْعة سِ سَلَمَة سِ مارن سِ رُبَيْعة سِ سَوْمَسَّة الأَكْبَر. قال أبو عبيد ومن رُبَيْد هَؤُلاءِ عمرو سِ معدى كَرَب.

ومها النَّحْع (١١) بفتح النون وسكون الحاء المعجمة وعين مهلة في الآخر)، وهم سَوْمَحَع وآسَمِه حَسْر سِ عمرو سِ عِلَّة سِ حَلْد سِ مَدَح. قال أبو عبيد وسمى النَّحْع لأنه أَتَحَّع عن قومه أى نَعَد، ومهمم الأَشْتَر النَّحْجِيُّ أحد تابعى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذى ولَّاه أمير المؤمنين على سِ أى طالب رضى الله عنه مَضْر، وكتب له بها عهداً على ما سياتى ذكره في الكلام على العهود عدد دكر الولايات فيما نَعَد إن شاء الله تعالى. وإليهم يَنْسَب إبراهيم النَّحْجِيُّ الإمام الكبير المشهور.

ومها عَنَس (بفتح العين المهملة وسكون النون وسين مهملة في الآخر)، وهم سَوْمَعَنَس سِ مَدَح، مهمم عَمَّار سِ ياسر الصَّحَّانِي المشهور، وإليهم يَنْسَب الأسود العنسي الكذاب، الذى أَحْرَبَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بحروجه فأَدْعَى السَّوَّة باليمن بعد ذلك.

ومها سَوْمَحَارِث، ويقال لَنَحَارِث سِ كَعْب، وهم سَوْمَحَارِث سِ كَعْب سِ عمرو سِ عِلَّة سِ حَلْد سِ مَدَح،. قال في "العبر" وديارهم سواحى نَحْران من اليمن محاورون لَنِي دُهْل سِ مُرَيْقِيَاء، مهمم شَيْير الحارثي الذى قدم على النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقال له ما أَسمُك قال أَكْبَر، قال بل أَت شَيْير.

(١) الذى في الفاموس الجمع بالحر بك مبيلة وفي المصاحح والجمع فصحين منه من مَدَح فسطر.

الحى الرابع - من يى كهلان همدان (فتح الهاء وسكون الميم وodal مهملة ثم ألف وون)، وهم سو همدان، بن مالك، س ريد، س أويلة، س ربيعة، س الحيار، س زيد، بن كهلان، . قال فى "العبر" وكانت ديارهم بايمن من شرقه، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم، وبقى من بى بايمن . قال وكانت همدان شيعه لأمر المؤمنين على كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة، وفيهم يقول رضى الله عنه

فَلَوْ كُنْتُ نَوَّامًا عَلَى بَابِ حَيَّةٍ ، لَقُلْتُ لَهْمَدَانَ أَدْخُلِي سَلَامًا

قال فى "مسالك الأنصار" والحل المعروف بالطيبين من الشام فرقة من همدان .

الحى الخامس - من سى كهلان كندة (نكسر الكاف وسكون الون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر)، وهم سو كندة، وأسمه ثور، س عفير، س عدى، س الحارث، س مرة، س أدد، س ريد، س يشحب، س عريب، س ريد، س كهلان . قال صاحب حماة وسى كندة لأنه كند أناه أى كفر بعمته . قال ولادهم بايمن قنلى حصر موت، وكان لهم ملك بالحار واليمن، ومهم الأشعث س قيس الصحائ المشهور، ومهم أيضا القاصى شريح قاصى على رضى الله عنه . وقد ذكر فى "مسالك الأنصار" أن باللوى من بلاد الشام قوما يسمون إلى كندة، ولهم بطون منها السكون (بضم السين المهملة والكاف وون بعد الواو)، وهم سو السكون أس أشرس س كندة، ومهم معاوية س حديج قاتل محمد س أى بكر الصديق رضى الله عنهما، وعد منها صاحب حماة السكاسك أيضا (فتح السين الأولى وكسر الثانية)، والذى ذكره أبو عبيد أنه من حمير، وقال هم سو السكاسك س وائلة س حمير . قال الجوهري والنسبة إلى السكاسك سكسكى ردا له إلى أصله كما ينسب إلى مساحد مسحدي .

الحى السادس — من بنى كَهْلان مُرَاد (بضم الميم وفتح الراء المهملة وodal مهملة بعد الألف)، وهم بنو مراد، بن مالك، بن أَدَد، بن ريد، بن يَشْحُب، بن عَرِيب، ابن زيد، بن كَهْلان، قال الحوهرى ويقال إن اسمه يُحَارِفْتَمَزِد فسمى مُرَادَا . وحملهم في العرَبُطًا من مَذْحِج، فقال مراد بن مدح . قال صاحب حماء وبلادهم إلى حاب رَيْدَ من بلاد اليمن، قال وإلى مراد هذا ينسب كل مُرَادَى من عرب اليمن .

الحى السابع — من بنى كَهْلان أَمَارُ (بفتح الهمزة وسكون الون وفتح الميم وراء مهملة بعد الألف)، وهم بنو أَمَار، بن أَرَاش، بن عمرو، بن العوث، بن نَت، بن مالك، بن ريد، بن كَهْلان . ولهم بَطْنان — الأولى بَحِيلَةُ (بفتح الباء الموحدة وكسر الحيم وسكون الياء المشددة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر)، وهم بنو عَقْر، والغوث، وَصَهْبَةَ، وَحَرِيمَةَ^(١) بن أَمَار، بن أَرَاش . قال أبو عبيد وبَحِيلَةُ أمهم، عُرِفُوا بِهَا — وهى بَحِيلَةُ بنت صَعْب بن سعد العشيرة، قال في العر وكات بلادهم في سَرَوَات اليمن والحجاز إلى تَمَالَةَ . ثم أفرقوا أيام الفتح الإسلامي في الآفاق، فلم يبق منهم في مواطنهم إلا القليل، قال الحوهرى ويقال لهم من العَدَنِيَّة، لأن رار بن معد بن عدنان وَلِدَ لَهُ مُصَرُّ وربيعة وإياد وأَمْبَار، وولد لأَمْبَار بَحِيلَةُ وَحَنَم فصاروا إلى اليمن، وإلى بَحِيلَةَ هؤلاء ينسب حَرِير بن عبد الله الحلبي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حميلاً فائق الحمال، حتى إنه كان يقال له يُوْسُفُ الأُمَّة، وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه

لَوْلَا حَرِيرٌ هَلَكْتَ بِحِيلِهِ * يَمُ القِي وَيُنْسِتِ الْقَبِيلَهُ

الثانية — حَنَم (بفتح الحاء المعجمة وسكون التاء المثناة وفتح العين المهملة وميم في الآخر)، وهم بنو حَنَم بن أَمَار بن أَرَاش المتقدم ذكره أن هُنْد بنت مالك

(١) صحح الحاء المهملة وكسر الراء كما صطه كذلك في سائر النسخ

أس العاقب س الشاهد بن عد ، وفيهم مثل ما تقدم من كلام الجوهري في الكلام على بحيلة أهم من العدابية لأن حنم وبحيلة يرجعون إلى أمار . وكانت مساكنهم مع إخوانهم بحيلة سرّوات الين فافتروا في الفتوحات الإسلامية ، فلم يبق منهم في مواطنهم إلا القليل . ومن حنم هؤلاء أكلب (بفتح الهمزة وسكون الكاف وصم اللام واء موحدة في الآخر) ، وهم سو أكلب ، س عفير ، س حلف ، س حنم . قال أبو عبيد ويقال إن أكلب من ربيعة بن رار . قال الحمداي وهم بطون كثيرة ، ومارلهم بدشة ، شرقى مكة المشرفة . ومن حنم أيضا سومنه والفرع ، وسو نضلة ومعاوية ، وآل مهدي ، وسو نصر ، وسو حام ، والورد ، وبادر ، وآل الصعاير ، والشماء ، وبلوس ، قال الحمداي ومارلهم على القرب من بدشة شرقى مكة أيضا .

الحق الثامن - من سى كهلان حدام (بضم الحيم وفتح الدال المعجمة وألف ثم ميم) ، وهم سو حدام ، س عدي ، س الحارث ، س مرة ، س أدد ، بن ريد ، أس يشحب ، س عريب ، س ريد ، س كهلان ، هذا ماد كره أبو عبيد وجعلهم صاحب حماء في تاريخه من ولد عمرو بن سلب . قال الجوهري ، وترجم لساة مضر أهم من مضر يعي من العدابية ، وأهم أنقلوا إلى اليم فبرلوها ، فحسبوا من الين ، وأستشهد له بقول الكميّ يذكر أنقلهم إلى الين ناتسأهم فيهم

بَعَاءِ حُدَامًا عَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ * وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ ١

وأستشهد له الحمداي أيضا بقول حادة س حشرم الحداي

وَمَا قَطَّانُ لِي نَابٍ وَأَيْمٌ * وَلَا تَضْطَاذِي شَهَ الصَّلَالِ

وَلَيْسَ إِلَيْهِمْ تُسَيُّ وَلَكِنْ * مَعْدِيًا وَحَدْتُ أَبِي وَحَالِي

(١) أعمه في الأصل . وقال في سائك الذهب « حلف هج الخاء المهملة سوه نطن من حنم » .

قال الحمداى ويقال لهم م ولد أعصر^(١) من مدين بن إبراهيم عليه السلام،
وأسشهد لذلك لما رواه محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد حُدام ، فقال ”مَرَحًا قَوْمٌ شُعَيْبٌ وَأَصْهَارُ مُوسَى“ . قال صاحب حماة
وكان فيهم العَدُدُ والشَّرَفُ . قال الحمداى وهو أول من سكن مصر من العرب حين
حاءوا في الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأقَطَعُوا فيها بلادا بعضها بأيدي
بيهم إلى الآن . وكان لحُدام ولدان هما حِشْم (نكسر الحاء المهملة وسكون الشين
المعجمة وميم في الآخر) ، وحَرَام (يفتح الحاء والراء المهملتين وألف ثم ميم) ، ومن
ولد حِشْم عَتِيت (يفتح العين المهملة وكسر التاء المشاة فوق وسكون الياء المشاة تحت
(٢) وثناء مشاة فوق في الآخر) وهم سو عَتِيت بن أسلم ، بن مالك ، بن شُوءة ، بن تَدِيل ،
أس حِشْم بن حُدام . قال أبو عبيد وهم اليوم يتسبون في بني شيبان ، ويقولون
عَتِيت بن عوف بن شيبان . قال وإليهم تنسب حُفرة عَتِيت بالصرة ، قال
الحوهرى أعار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال ، فكانوا يقولون إذا كبر صدينا
لم يتركونا ، حتى يفتكنا ، فلم يزالوا عنده حتى هلكوا فصرب لهم العرب مثلا
فقالوا أودى عَتِيت ، وفي ذلك يقول الشاعر .

تُرْحِيهَا وقد وَقَعَتْ نُقْرٌ * كما تَرَحُّوْا أصابعَها عَتِيت^(٢)

ثم لحُدام الآن بطوب كثيرة متفرقة في الأقطار، منهم بالشرقية من الديار
المصرية من بني ريد بن حَرَام بن حُدام ، وبني حُرمة بن ريد بن حَرَام بن حُدام ،
فأما سوريد فهمم سو سُويد ، وبعجة ، وبردعة ، ورفاعة وبائل ، من بني ريد بن
حَرَام بن حُدام ، من ولد سُويد هُلنا سويد ، وهم سو هُلنا بن سُويد بن ريد بن حَرَام

(١) في سائلك الذهب معر (٢) كذا رسم في السائلك أيضا وهو بالاء الموحدة في الصحاح والفاطوس
وأشد الأثر الباء الموحدة ومثله في ما فوت منه

أَسْ حُدَام . قال الحمداني . ومهمم العَطَوِيُّونَ ، والحَارِيُّونَ ، والعَتَاوَرَةُ ، وَحَمْدَان ،
وَرُومَان ، وَصِمْرَان ، وَأَسُود . والحَمِيدِيُّونَ ، وَمُسْ الحَمِيدِيَّينَ ، أولادِ رَاشِد ، ومنهمم الرَاحِسَةُ ،
وأولادِ يَبْرِينَ والحَرَّاشَةُ ، والكَعُوكُ ، وأولادِ عَامٍ ، وآلِ حَمُود ، والأَحْيَوِهُ ، والِرَّرْقَان ،
والْأَسَاوَرَةُ ، والحَمَارِيُّونَ . وَمِنْ سِي رَاشِدٍ أَيْضَا الحَرَّاقِيصُ ، وَالْحَنَافِيصُ ، وأولادِ
عَالِي ، وأولادِ حَوَّال ، وآلِ رِيْد ، وَمِنْ النَحَابِيَةِ أولادِ مَحْبِبٍ وَسُو فَصِيل .

وَمِنْ هَلْبَا سُويْدٍ أَيْضَا سُو الْوَلِيدِ ، وَهَمَّ سُو الْوَلِيدِ سُوَيْدُ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ . وَمِنْهُمْ
الْحَبَادَرَةُ ، وَهَمَّ سُو حَيْدَرَةَ ، سِي يَعْرَبُ ، سِي حَبِيبُ ، سِي الْوَلِيدِ ، سِي سُويْدُ .

قَالَ الْحَمْدَانِي وَهَمَّ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْهُمْ سُو عِمَارَةٍ ، وَهُوَ عِمَارَةُ سِي الْوَلِيدِ . وَمِنْهُمْ
عَدَدٌ ، وَالْحَبِيبُ وَهَمَّ سُو حِجَّةِ سِي رَاشِدِ سِي الْوَلِيدِ . وَمِنْ وَلَدِ الْوَلِيدِ سِي سُويْدُ
الْمَدَكُورِ طَرِيفُ سِي نَكْتُوتِ الْمَلَقَبِ رِيْدِ الدَّوْلَةِ ، كَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ
فِي مَصِيفَتِهِ أَيَّامَ الْعِلَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا تَأْكُلُ عَشَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكَانَ يَهْتَمُّ الثَّرِيدَ
فِي الْمَرَائِكِ ، وَمِنْ أَوْلَادِهِ مِنْ أَمَرٍ بِالذُّوقِ وَالْعِلْمِ ، وَعَدَّ مِنْ أَحْلَافِهِمْ أَوْلَادُ الْهُوَرِيَّةِ ،
وَالرَّدَالِيْنَ ، وَالْخَلِيفِيِّينَ ، وَالْحَصِيْدِيِّينَ ، وَالرَّبِيعِيِّينَ ، وَهَمَّ أَوْلَادُ شَرِيفِ الْبَحَايِنِ ،
وَذَكَرَ الْحَمْدَانِي أَنَّ لَهُمْ نِسَا فِي قَرْيَشٍ إِلَى عَدَدِ مِائَةٍ ، سِي قُصَيَّةٌ . وَمِنْ هَلْبَا سُويْدِ
هَؤُلَاءِ هَلْبَا مَالِكُ ، وَهَمَّ سُو مَالِكِ سِي سُويْدِ ، وَمِنْ هَلْبَا مَالِكِ سُو عَيْدِ وَهَمَّ سُو
عَيْدِ سِي مَالِكِ ، وَمِنْ سِي عَيْدِ الْمَدَكُورِ الْحَسَنِيُّونَ ، وَهَمَّ سُو الْحَسَنِ سِي أُنَى نَكْرِ سِي
مَوْهُوبِ سِي عَيْدِ ، وَالْعَوَارَةِ ، وَهَمَّ سُو الْعَوْرِ سِي أُنَى نَكْرِ سِي مَوْهُوبِ سِي عَيْدِ ، وَسُو
أَسِيرِ ، وَهَمَّ سُو أَسِيرِ سِي عَيْدِ ، وَمِنْ هَلْبَا مَالِكِ أَيْضَا اللَّيْدِيُّونَ ، وَالنَّكْرِيُّونَ ،
وَالْعَقِيلِيُّونَ ، وَهَمَّ سُو عُقِيلِ سِي قُرَّةِ سِي مَوْهُوبِ سِي عَيْدِ . وَمِنْهُمْ سُو رَدِيٍّ ، وَهَمَّ سُو
رَدِيٍّ سِي رِبَادِ ، سِي حُسَيْنِ ، سِي مَسْعُودِ ، سِي مَالِكِ ، سِي سُويْدِ . وَمِنْ وَلَدِ نَعْمَةَ هَلْبَا نَعْمَةُ ،
وَهَمَّ سُو هَلْبَا ، وَمَطُورُ ، وَرَدَا ، وَبَاثِلُ سِي نَعْمَةَ سِي رِيْدِ سِي سُويْدِ سِي نَعْمَةَ ، وَمِنْ وَلَدِ

هنا نعمة مُقَرَّح بن سالم ، أمَّره المعرأيك بالوق والعلم ، ثم حلقه على إمرته ولده
حَسَّان . ومهم أولاد الهُرَيم من بنى عياث بن عِصْمة بن إِحْدَاس بن هِلْسان نعمة .
ومهم حَوْش بن مطور بن نعمة ، وهو صاحب السَّراة المصروب به المثل
في الكرم والشجاعة .

ومن ولد نائل مُهَّاس بن عُلَوان بن علي بن رير بن حبيب بن نائل ، كان
حوادا كريما طرقتَه صُيُوف في شتاء ولم يكن عنده حَطَب لطعامهم فأوقد أحمال
رُكَّات عنده . ومن بنى حَرَام بن حُدَام أيضا سَعْد . قال الحمداني وفي حُدَام
حَسْن سَعُود اختلطت بمصر ، وهم سَعْد بن إِيَّاس بن حَرَام بن حُدَام . وسَعْد
أَس مالِك بن أَفْصَى بن سَعْد بن إِيَّاس بن حَرَام بن حُدَام ، وإليه ينسب أكثر
السَّعْدِيِّين . وسعد بن مالك بن حَرَام بن حُدَام ، وسعد بن سامة بن عَنَس بن
عَطْفان بن سعد بن مالك بن حرام بن حدام ، وهم عشائر كثيرة مهم سوفصل ،
والسَّلاحمة ، ورشاش ، وحَوْش ، وعدْلان ، وقرارة . قال وأكثرهم مشايخ بلاد
وحصراء ، ولهم مرارع وماكل ، ومساكنهم كثير ، وسكنهم مُنية عمر إلى ريفها .
ومهم شاور ورير العاصد الفاطمي ، وإليه تنسب أولاد شاور كاربسية عمر
وحصراؤها ، على أن أس حلکان قد ذكر أنه من سعد الدين أُرْصِعَ فيهم النبي صلى الله
عليه وسلم . وأما سوحمة فيهم الشَّوَّاكر ، وهم سوحاكر بن راشد . ومهم أولاد
العحار أدلاء الحاح من زمن السلطان صلاح الدين وهلم حرا .

ومن حدام أيضا بالشرقية العائد ، وهم بطن من حدام عليهم دَرَكَ الحاح إلى
العَقَّة . ومهم أيضا بالشرقية سوحَرَام . وقال الحمداني وقُلَّ في عرب مصر من
يعرفها . ومهم بالدقهلية عمرو ورُهَيْر ، عدَّ مهم الحمداني الحصيين ، وردالة ،

(١) في الأصل الخط تكرر في الأسماء. وبعض من العدد و توحَّد من السانك أن السافط هو سعد
أبي ريل بن إِيَّاس بن حرام بن حدام منه

والأحامدة ، والجمارية ، وهم سو حمران . قال الحمداني وفي رهير هؤلاء من
 بنى عيرين ، وبنى شبيب ، وبنى عبد الرحمن ، وبنى مالك ، وبنى عبيد ،
 وبنى عبد القوى ، وبنى شاكر ، وبنى حسن ، وبنى سمان . وهم يتواردون في أسماء
 بعض البطون مع غيرهم .

ومن حدام أيضا بلاد الشام بو صخر بالكرك ، وسو مهدي باللقاء ، وسو عقة ،
 وسو رهير بالشولك . ومهم سو سعيد بصرحد ، وحوزان ، ومهم حماة بلاد
 العور ، وحماة بلاد البر من بلاد السودان .

الحى التاسع — من بنى كهلان لحم (ففتح اللام وسكون الحاء المعجمة وميم
 في الآخر) ، وهم سو لحم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن ريد بن يشح بن
 عيرين ، بن ريد ، بن كهلان ، ولحم أحو حدام المقدم ذكره ، وكل مهما عم لكندة
 المقدم ذكره أيضا . وعد صاحب حماة لحما من بنى عمرو بن سبأ كما عد حداما إدا
 كانا أحوين كما تقدم . وقد كان للفاورة من الحميين ملك بالحيرة من بلاد العراق ،
 ثم كان لى عماد من نقاياهم بالأندلس ملك بإشبيلية . وذكر القصاعي أنهم حصروا
 فتح مصر ، واحتلطوا بها ، هم ومن حاطهم من حدام . قال الحمداني وبصعيد الديار
 المصرية مهم قوم يسكنون بالشرقي ، ذكر مهم الحمداني سبع أطن . الأولى
 سيماك ، وهم المعروفون بالسماكين ، وسو ممر ، وسو مديح ، وسو نهان ، وسو عثس ،
 وسو كريم ، وسو نكير ، وديارهم من طارف سا بالهيسا إلى مئحدر دير الحميره
 في بالالشرقي . الثانية سو حذان ، وهم سو محمد ، وسو على ، وسو سالم ، وسو
 مئح ، وسو رعيش ، وديارهم من دير الحميره ، إلى ترعة صول . الثالثة سو راشد ،
 وهم سو معمر ، وسو واصل ، وسو مراء ، وسو حان ، وسو معاد ، وسو البيص ،
 وسو نجره ، وسو شموه . وديارهم من مسحد موسى إلى أسكر ، وبصف بلاد

إطفيح . ولى اليص الحى الصغير، ولى شعوة من ترعة شريف إلى معصرة
بوش . الرابعة سو حعد، وهم سو مسعود، وسو حدير، وهم المعروفون بالحذيريين،
وسو زير، وسو ثمال، وسو نصار . ومسكهم ساحل إطفيح . الخامسة سو
عدى، وهم سو موسى، وسو محرب، ومسكهم بالقرب منهم . السادسة سو
نحر، وهم سو سهل، وسو معطار، وسو فهم، وهم المعروفون بالفهميين، وسو
عسير، وسو مسد، وسو ساع، ومسكهم الحى الكبير . السابعة قيس، وهم
سو عيم، وسو عمرو، وسو حجرة، ولى عيم منهم العدوية، وذير الطين إلى
حشر مصر، ولى عمرو الرستق ولهم نصف حُلوان، ولى حجرة النصف الثانى،
ونصف طرا .

ومن بطون لحم سو الدار رهط تميم الدارى صاحب السى صلى الله عليه وسلم،
وهم سو الدارس هانى، س حيب، س عارة، س لحم . قال الحمداى وولد الخليل
عليه السلام معمور من سى تميم الدارى رضى الله عنه، وببى سى تميم هؤلاء الرقعة
التي كتبها السى صلى الله عليه وسلم لقيم وإحوته بإقطاعهم بيت حارون التي هى بلد
الخليل عليه السلام وبعض بلادها ويقال إنها مكتونة فى قطعة من آدم من حف
أمير المؤمنين على س أنى طالب رضى الله عنه ومخطه .

الحى العاشر — من سى كهلان الأشعريون . وهم سو الأشعرس أدد، س
ريد، س يشحب، س عريب، س ريد، س كهلان . قال وسنى الأشعرلأن أمه ولدته
وهو أشعر . وجعله صاحب حماة من سى أشعرس سبأ، وهم رهط أبى موسى
الأشعريّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحى الحادى عشر — من سى كهلان عاملة . وهم سو عاملة، وأسمه الحارث، س
عقير، س عدى، س الحارث، س ورة، س أدد، س ريد، س يشحب، س

عريب، بن ريد، بن كهلان، ود كر أبو عبيد أن سى عاملة هم سو الحارث بن مالك، يعنى أن الحارث بن مرة بن أدد، وأنه كان تحته عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير، أن عدى، بن الحارث، بن مرة بن أدد فعرفوا بها . ود كر صاحب حماة أهم من ولد عاملة بن سبيل. وقد د كر الحمدانى أن محال عاملة من بلاد الشام مهم الحن العفير.

الضرب الثانى

(من العرب الناقين على ممر الرمان العرب المستعربة)

قال الجوهري ويقال لهم المتعربة أيضا ، وهم سو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، سُموا بذلك لأن لسان إسماعيل عليه السلام كان العبرانية أو الشريانية، فلما نزل جرهم من القحطانية عليه وعلى أمه مكة المشرفة، تزوج منهم، وتعلم هو وبوه العربية من جرهم المذكورين فسموا لذلك المستعربة . وأعلم أن الموحدين من العرب من ولد إسماعيل عليه السلام كلهم من سى عدنان بن أدد المتقدم ذكره فى عمود النسب على حلاف فى نسبه إلى إسماعيل يطول ذكره. قال فى العبر ومن عدا عدنان من ولد إسماعيل قد انقرصوا، ولم يبق لهم عقب، ولذلك عرفت هذه العرب بالعدنانية.

ثم العدنانية صبيان

الصف الأول — من فوق قريش، ولقبائلهم المتعربة من عمود النسب ستة أصول .

الأصل الأول — يرار بن معد بن عدنان ، والمتفرع منه على حاشية عمود

النسب ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى — إياد (نكسر الهمزة ودال مهملة فى الآخر) وهم سو إياد بن يرار

المقدم ذكره قال المؤيد صاحب حماة وفارق إياد المحار وسار ناهله إلى أطراف

العراق فأقام به .

ومن إِيَادُ قُسْ س ساعدة الإِيَادِيّ، وكعْتُ س مَآةً الدى يصرب به المثل
فى الكَرَم، يقال إِيَه كان معه ماء لا يفصل عنه وله رفيقٌ فسقاه رفيقَه ومات عطشًا.

القبيلة الثانية — أَمَار (فتح الهمزة وراء مهملة فى الآخر) وهم سَو أَمَار س رَار
المقَدَّم ذكره، وقد اختلف فى تَعْقِيهِ، وذهب دَاهُون إلى أَنه ذهب إلى اليَمِّ وِرل
السَّرَوَات من مشارق اليَمِّ، وتنازل سوه بها فَعُدُّوا فى اليَمَآيَةِ، وذهب آخرون إلى
أَنه لا عقب له إلا من بَدِ له رَوْحها لأُرَاش من اليَمَآيَةِ، فولدت له أَمَارَسَ أُرَاش
المقَدَّم ذكره فى اليَمَآيَةِ، فسَو أَمَار المَعْدُون فى اليَمَآيَةِ هم سَو أَمَار س أُرَاش المقَدَّم
ذكره فى اليَمَآيَةِ من بنت أَمَار س رَار، ولذلك وقع اللبس فيهما، قاله السَّهْبِيلِيّ .

القبيلة الثالثة — رَبيعةٌ، وهم سَو رَبيعة س رَار ويعرف رَبيعة القَرَس . لأن
أباه رَارًا أَوْصَى له من ماله مَالِحِيل . قال فى "مسالك الأنصار" وبالرَّحمة قوم مهمم .
ولرَبيعة بطَار . وهما أَسَد، وصُبيعة أَنَا رَبيعة ، ولكل منهما عِدَّة أَلْحَاد،
وَدِيَارهم إلى الآن لَحَرِيرَةِ القُرَاتِيَةِ تُعْرَف بِدِيَار رَبيعة . أما أَسَدٌ فأكثرهما أَلْحَادًا .

فمن أَسَد سَو عَرَه (فتح العين المهملة والنون والراء وهاء فى الآخر) وهم سَو عَرَه
أَس أَسَد المقَدَّم ذكره، وكانت مَارلهم حَيْرَ من صَوَاحِي المَدِينَةِ . وَحَدِيلَةُ (فتح
الهمزة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المشاة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر) وهم
سَو حَدِيلَةُ س أَسَد المقَدَّم ذكره، والنسبة إِلَيْهم حَدَلِيّ بِحذف الياء بعد الدال .

ومن حَدِيلَةُ عَمْدُ القَيْس، وهم سَو عَمْدِ القَيْس، س أَفْصَى، س دُعْمَى، س حَدِيلَةُ .
قال فى العَرِ وكانت دِيَارُهم تِهَامَةً حَتَّى حَرَّحُوا إلى الْحَرِيرِ وَرَاحُوا مَنْ هَا مِنْ
نَكْرَس وَائِل وَتَمِيم ، وقاسمُوهم المَوَاطِنَ، والنسبة إِلَيْهم عَمْدِيّ، ومهمم من يَنْسُبُ
إِلَيْهم عَمْدِيّ قَيْسِيّ، ونصمهم يقول عَمَقْسِيّ .

ومن عبد القيس هؤلاء الأَشْعَثُ الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "إِنَّ
فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَمَانَةُ".

ومن حديلة أيضا سو البعر (يفتح النون وكسر الميم) وهم سو البرس قاسط س هنب
أس دُعْمَى س حديلة . قال في العروديارهم رأس العين من أعمال الحرية القرآتية .
ومن حديلة أيضا سو وائل (بالياء المشناة تحت) وهم سو وائل س قاسط س هنب
اس أفصى ، س دُعْمَى ، س حديلة المقدم ذكره .

ومن وائل نكر (يفتح الباء الموحدة وسكون الكاف) وتعلب (بالتاء المشناة في أوله
والعين الساكنة المعجمة وكسر اللام واء موحدة) وهم سو نكر وتعلب آى وائل
المقدم ذكره .

ومن تعلب س وائل كليب ملك بى وائل الذي قتله حسّاس ، وهاحت سببه
الحرب المعروفة بالنسوس أربعين سنة .

ومن تعلب أقوام برّرع ، ونُصْرَى ، وبالقريتين منهم نعر .

ومن نكر أقوام بحيين ولادها ، وبالرحبة قوم منهم .

ومن بى تعلب كانت سو حمدان ملوك حلب قديما .

ومن نكر س وائل شينان ، وهم سو شينان س ثعلبة ، س عكابة ، س صعب ، س
على ، س نكر .

ومن بى شينان هؤلاء مرة وأُسّه حسّاس قاتل كليب المذكور . ومنهم طرفة
اس العبد الشاعر .

ومن بى شينان أيضا سدّوس (يفتح السين المهملة في أوله وسين ثانية في آخره)
وهم سو سدّوس س دُهل س شينان .

ومن بكر بن وائل أيضا سو حبيفة رهط مسيلمة الكذاب الذي تنأى فى ريس السي
صلى الله عليه وسلم ، وقُتِلَ فى خلافة الصديق رضى الله عنه ، وهم سو حبيفة بن
الحليم ، بن صعب ، بن على ، بن بكر ، بن وائل .

ومن بكر أيضا سو غنل ، بن الحليم ، بن صعب ، بن على ، بن بكر ، بن وائل . قال
فى العبر وكانت مبارهم من اليمامة إلى البصرة ، قال ثم حلقهم الآن فى تلك البلاد
سو عامر المتيق ، بن عقيل ، بن عامر ، بن صعصعة . ودكر الحمداني أن بلادهم
فى زمانه الحريّة من بلاد حلب وأنه كان لهم دولة بالعراق .

وأما صبيعة بن ربيعة (نصم الصاد المعجمة وفتح الباء الموحدة تصغير صبعة)
وهى قبيلة لم تكثر بطونها . ومهم المتلمس الشاعر الباهلي المشهور .

الأصل الثانى - مصر (نصم الميم وفتح الصاد المعجمة) وهو مُصر بن رار المقدم
ذكره ، ويُعرف مُصر الحمراء لأن أناه أوصى له من ماله بالذهب وما فى معناه ،
وهى قبيلة عظيمة إلا أن أكثرها أندرج فيما بعدها لكونها على عمود اللبس ،
وقد ذكر فى "مسالك الأنصار" أن سائلس من بلاد الشام بقية من مُصر ، وبالرحبة
رحال مهم ، وله على حاشية عمود اللبس قرع واحد قد جمع عدّة قائل ، وهو قيس
وقد اختلف فى نسبه فقيل قيس بن عيلان (بالعين المهملة) وأسمه اللاس (بالنون) أس
مصر ، وقيل هو قيس بن مصر لصلبه ، وعيلان المصاف إليه قيل فرسه وقيل كَلبه .
قال صاحب حماة وحمل الله تعالى لقيس من الكثرة أمراً عظيماً ، ولكثرة
بطونه علّ على سائر العدنانية حتى جعل فى المثل فى مقابل عرب اليمن قاطنة
فيقال قيس ويمن .

من قنائل قيس هَوارُ ، وهم سو هَوارَ بن مصور بن عِكْرمَة بن حَصَعة بن قيس عَيْلانَ ، وهم الذين أعار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسأهم .

ومن هوار بن سَعْد الدين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رصيعاً فيهم ، وهم سو سَعْد بن بكر بن هوارَ . قال في العر وقد آفترق سو سَعْد هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حتى يُطْرَقَ إلا أن منهم فرقة بإفريقية من بلاد المغرب سواحى ناحية يعسكرون مع حُند السلطان .

وقد ذكر أن حلكان أن شاوَر السعدى ورير العاصد العاطمى حليفة مصر منهم وإن كان الحمدانى قد ذكر أنه من سَعْد حُدَام من القحطانية بالشرقية من الديار المصرية على ما سبق ذكره هناك .

ومن هوارن أيضا سو عامر بن صَعَصَعَة . وهم سو عامر بن صَعَصَعَة بن معاوية أن بكر بن هوارن ، وإليهم يُنسب محبون بن عامر الشاعر الذى كان يُنسب بليلى . ومن بنى عامر بن صَعَصَعَة سو كلاب ، وهم سو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة . قال في العر وكان لهم في الإسلام دولة باليمامة ، وكانت ديارهم حمى صَريّة وهو حمى كُليب وحمى الرنّة في جهات المدينة السوية ، وقدكُ والعوالى ، ثم آتقلوا بعد ذلك إلى الشام فكان لهم في الحرية العرايية صيتٌ وملكوا حلب وبواحيها ، وكثيرا من مدن الشام ، ثم صَعُفوا . قال ، وهم الآن تحت حِقارَه الأمراء من آل ربيعة من عرب الشام .

ودكر في "مسالك الأنصار" أنهم يُنسَبون إلى عبد الوهاب المذكور في سيره البَطال ودكر أن اسمه عبد الوهاب بن نُوحْت .

ثم قال، وهم بأطراف حلب، وهم عرب عُمر يتكلمون بالتركية، ويركوب
الأكاديش، ولهم عارات عظيمة، وأساء الروم وسائهم لا يرالون ياعون من سايهم.
وقد ذكر في "مسالك الأنصار" أن لحلب ولادها طائفة من بني كلاب.

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا سوهلال، وهم سوهلال بن عامر بن
صعصعة. قال الحمداني وكان لهم بلاد صعيد مصر كلها، وذكروهم أن سعيد في عرب
برقة، وقال مارلهم فيما بين مصر وإفريقية. قال في العبر وكانت رياستهم أيام الحاكم
العبيدي لماسي بن مقرب، ولما نابعوا لأنى ركة بالمعرب وقتله الحاكم، سلط
عليهم الحوش والعرب فأفاهم، وأتقل من بقي منهم إلى المعرب الأقصى فهم مع بني
حشم هناك. وذكر الحمداني أن لحلب طائفة منهم، ثم صار لهم بلاد أسوان وماتحتا.
ثم قال وياخيم منهم سوقرة، إلى عيدات، وساقية قلعة منهم سوعمر ووطوهم،
وهم سورفاة، وسوئخير، وسوعرير. وناصفون وإنسا منهم سوعقصة،
وسوخميلة.

ومن بني هلال حرب فيما ذكره أن سعيد. قال الحمداني، وهم ثلاث بطون سو
مسروح، وسوسالم، وسوعبدالله. قال ومساكنهم الحجار ومن حرب ربيد الحجار
فيما ذكره الحمداني، وذكر أن منهم بني عمرو. ثم قال ومن بني عامر يميز عامر
أن صعصعة. قال في العبر وكانت مارلهم الحرية الفراتية والشام بعدوني
الفرات. قال وهم إحدى حمات العرب، وكان لهم كثرة وعدة في الحاهلية والإسلام،
ودخلوا الحرية الفراتية وملكوا حران وغيرها، ثم علمهم عليها حلفاء بني العباس أيام
المعتز بالله فهلكوا بعد ذلك وبادوا.

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا سوعقيل (نصم العين المهمللة وفتح القاف)
وهم سوعقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال في العبر وكانت

مساكنهم بالبحرين في كثير من قبائل العرب ، وكان أعظم القبائل هناك سُوْعَيْلِ هؤلاء ، وسو تَعْلِبَ وسو سُلَيْمَ ، وكان أظْهَرَهُمْ في الكثرة والعَلَبَ سو تَعْلِبَ ، ثم اجتمع سو عُقَيْل وسو تَعْلِبَ على سِي سُلَيْمَ فأحرقوهم من البحرين ، ثم اختلف سو عُقَيْل وسو تَعْلِبَ بعد مدة فعَلَبَ سو تَعْلِبَ على سِي عُقَيْلَ فطردوهم عن البحرين ، فساروا إلى العراق ، وملكوا الكوفة والبلاد الفُراتِيَّةَ وتعلوا على الحرية والمُوصِلَ ، وملكوا تلك البلاد ، وكان مهم المقلد وقُرَواش وقُرَيْش وآسَه مسلم ملوك الموصل ، ونقبت بأيديهم حتى علمهم عليها ملوك سِي سلحوق ، فتحوّلوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولاً فوحدوا سِي تَعْلِبَ قد صُغِفَ أمرهم فعلوهم على البحرين ، وصار الأمر بالبحرين لِسِي عُقَيْل .

ومن سِي عُقَيْل هؤلاء آل عامر ، وهم سو عامر سِي عُقَيْل المدكور ، وهم الذين يدهم بلاد البحرين . قال آس سعيد سألَت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وسعمائة حين لقيتهم بالمدينة السوية عن البحرين فقالوا المملكة ما لِسِي عامر سِي عُقَيْلَ ، وسو تَعْلِبَ من حملة رعاياهم ، على أن الحمداني قد وَهَمَ فقال وهم غير عامر المُتَّعِقَ ، وعامر سِي صَعْصَعَةَ ، وتبعه على ذلك في ”مسالك الأنصار“ . وقد ذكر في ”مسالك الأنصار“ أن محل بلادها طائفة من سِي عُقَيْل

ومن سِي عُقَيْل أيضا سو عُمَادَةُ (بضم العين المهملة و بالياء الموحدة والذال المهملة) وهم سو عُمَادَةُ سِي عُقَيْلَ . قال آس سعيد ومبارطهم بالحريرة الفُراتِيَّةَ مما يلي العراق لهم عَدَدٌ وكثرة . قال ومهم الآن نَقِيَّةٌ بين الحارر والرَّابِ ، يقال لهم عرب شرف الدولة في تَحْمِلَ وعُدَدٌ ، ولهم إحسان من صاحب الموصل . ثم قال وهم عدد قليل نحو المائة فارس .

ومن بنى عَقِيلَ أيضا حَقَّاحَةً (بفتح الحاء المعجمة وفتح الفاء وحيم مفتوحة بعد الألف وهاء في الآخر) وهم سَوَحَقَّاحَة بن عمرو بن عَقِيلَ، وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن .

ومن بطون هوارن أيضا سَوَحُشَمَ (بضم الحيم وفتح الشين المعجمة وميم في الآخر) وهم سَوَحُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هَوَارَنَ . قال في العبر وكانت مساكنهم بالسَّروَاتِ، وهي تلال تفصل بين تِهَامَةٍ ومُحَدَّ، متصلةٌ من البحرين إلى الشام كسَّروَاتِ الحبل . قال وسَّروَاتِ حُشَمَ متصلة لسَّرة هُدَيْلَ . ثم قال وقد آتقل بعضهم إلى المغرب، وهم الآن به، ولم يبق بالسَّرة منهم إلا من ليس له صولة . قال صاحب حماة ومن حُشَمَ هؤلاء دُرَيْدُ بن الصَّمَّةَ .

ومن بطون هوارن أيضا ثَقِيفٌ (بفتح التاء المثناة وكسر القاف وسكون الياء وواء في الآخر) وهم رَهْطُ الحجاج بن يوسف وهم سَوَثَقِيفَ وأسمه قَيْسُ بن مُسَّةَ بن بكر بن هَوَارَنَ، ويقال لهم من إباد بن رَارَ المَقْدَمِ ذكره . وعن بعض السَّناة أن ثَقِيفًا من ثَقَايَا ثُمُودَ، وكان الحجاج يكره ويقول كذبوا، قال الله تعالى ﴿وَتُؤْمَدُ وَهَآئِلُ﴾ أي أهلكتهم ولم يبق منهم أحد . قال في العبر وثَقِيفُ بطن واسع، وكانت مسارطهم بالطائف وهي مدينة من أرض مُحَدَّ على مرحلتين من مكة في شَرْقِيَّهَا وشَمَالِيَّهَا كانت في القديم للعَالِقَةِ، ثم رُهَا ثُمُودُ قُبْلَ وَادِي الْقُرَى . ويقال إن الذي سكنها بعد الْعَالِقَةِ عَدَوَانُ . ثم علمهم عليها ثَقِيفٌ فهي الآن دارهم .

ومن قبائل قَيْسٍ أيضا بَاهِلَةُ، وهم سَعْدِ مَنَاةَ بن مالك بن أَعْصَرَ، وأسمه مُسَّةُ ابن سعد بن قَيْسِ عِيْلَانَ، وحملهم في العبر بن مالك بن أَعْصَرَ . وبَاهِلَةُ أُمُّ سَعْدِ مَنَاةَ عَرَبُواهَا وهي بَاهِلَةُ بنت صَعْبَ بن سعدِ العَشِيرَةِ من مَذِجَ، منهم أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن قنائل قيس سو مارٍ ، وهم سو مارٍ س منصور س حصّعة س قيس
عيلان . قال في العر وعددهم قليل .

ومن قنائل قيس أيضا سو عطفان س قيس عيلان . قال في العر وهم نطن متسع
كثير الشعوب والبطون . قال وكانت مبارطهم مما يلي وادي القرى وحلب طي أحبا
وسلمى ، ثم تغزّوا في الفتوحات الإسلامية ، وأستولوا على مواطنهم هناك قنائل طي .

ومن بطون عطفان سو عدس (فتح العين وسكون الاء الموحدة وسين مهملة
في الآخر) وهم سو عّس س يعيص س ريث س عطفان . منهم رهير س قيس
صاحب حرب داحس والعراء . وهما فرسان كانت إحداهما وهي داحس لعّس^(١)
والأخرى وهي العراء لفرارة فأخريتا موقع الحرب بينهما .

ومن عيس هؤلاء عترة س شتاد الشاعر الفارس المشهور .

ومن عطفان أشجع (فتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الحيم وعين مهملة
في الآخر) وهم سو أشجع س ريث س عطفان . قال في العر وكانوا هم عرب
المدينة السوية ، وكان سيدهم معقل س سنان الصحاني . قال ولم يبق أحد منهم
يحد إلا نقايا حول المدينة . ثم قال وبالمعرب الأقصى منهم حتى عظيم يطعنون مع
عرب معقل بمحبات سيحلماسة ولهم عدد وذكر .

ومن عطفان أيضا دنيان ، قال الجوهري (تكسر الدال يعنى المعجمة وصمها) وهم
سو دنيان س ريث س عطفان ومنهم الباعة الدياني الشاعر المشهور .

ومن ديان قرارة (فتح القاء والراء المهملة وهاء في الآخر) وهم سو قرارة
آس دنيان . قال في العر وكانت فرارة يحد وادي القرى ، فلم يبق منهم يحد أحد

(١) أث الفرس المسمى بداحس ومقصى العاموس بذكيره وقد صرّفه فله حرر

ورل حبراهم من طيئ مكاهم . ود كرأن نارص رقة إلى طرائس العرب مهم
قائل راحة، وهيت، وقران . قال وياوريقية والمغرب مهم الآن أحياء كثيرة
أحتلطوا مع أهله، يحتاج المعقل من عرب المغرب الأقصى إلى الاستطهارهم . قال
ومنهم مع سليم ياوريقية طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب سي
سليم، يستطهرونهم في مواقف الحرب، وقيمومهم لأنفسهم مقام الورداء للولك .
ثم قال وفي رقة بلاد هيت جماعة مهم يارلون بها، ومهم طائفة بصحراء المغرب .
قال الحمداني ومهم بالديار المصرية جماعة بالصعيد، وجماعة بصوحي القاهرة
في قلوب وما حولها، ومهم عرفت القرية المسماة بحراب قرارة هناك . ومن قرارة
سو مارين، وسو ندر، فأما سو مارن فهم سو مارن من قرارة، وأما سو ندر فهم سو
نדר من عدى من قرارة قال في العبر، وفيهم كانت رئاسة سي قرارة في الحاهلية،
يرأسون جميع عطفان وتدين لهم قيس وإخوانهم سو ثعلبة من عدى، ومهم كان
حديعة من ندر صاحب القرس المعروفة بالعتراء المقدم ذكرها، ومن بني ندر هؤلاء
وسى عمهم بني مارين جماعة بالقبليونية من الديار المصرية .

قلت وسو ندرهم قبيلتنا التي إليها نعتري، وفيها ستسب، وأهل بلدتنا قلقشدة
بصعهم من سي ندر وبصعهم من سي مارن .

ومن قبائل قيس أيضا سو سليم (بضم السين وفتح اللام) وهم سو سليم من مصور
أس عكرمة من حصمة من قيس عيلاب . قال الحمداني وهم أكر قبائل
قيس . وكان لسليم من الولد هبة (بضم الباء الموحدة في أوله وفتح المشاة بعد الهاء)
ومنه جميع أولاده . قال في العبر وكانت مبارهم في عالية تحم بالقرب من حير .

(١) ذكره في العاموس في باب الناء الملهة فقال وهنه رجل من سليم منه

ومن مارلهم حرّة سُليم، وحرّة الدارين وادى القرى وتيمّا . قال وليس لهم
الآن سجد عدّد ولا بقية . ثم قال وبإفريقية منهم حتى عظيم، وقد تقدّم أنه كان
منهم جماعة بالبحرين فعلمهم عليها سو عقيّل بن كعب وسو تغلب . وقال الحمداني
ومساكنهم برقة ممّا إلى المغرب ومما إلى مصر . قال وفيهم الأبطال الأبطال،
والحيل الحيات . قال في العبر وقد استولوا على برقة، وهي إقليم طويل واسع
الأطراف، وحرّبوها مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلا لمشايخهم . قال
في "مسالك الأنصار" والإمارة الآن فيهم في بني عرار، وهي الآن في رما
لبي عريف .

ومن سليم هؤلاء لبند برقة، وهم بطون كثيرة العدد .

ومن قائل قيس عدّوان (فتح العين وسكون الدال المهملتين ويون في الآخر)
وهم سو عدّوان وأسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان . قال أبو عبيد وسمى
عدّوان لأنه عدا على أخيه فهم فقتله . قال في العبر وهم بطن متسع، وكانت مارلهم
بالطائف من أرض نجد برلوها بعد إباد والمالقة، ثم علمهم عليها ثقيف، فخرجوا إلى
تيهامة . وبإفريقية الآن منهم أحياء نادية . وقد عدّ الحمداني عدّوان من عرب بركة
المحار من أحلاف آل فضل من عرب الشام، فيحتمل أنهم هؤلاء وأهم غيرهم .

الأصل الثالث — إلياس (نكسر الهمزة وسكون اللام وفتح الياء المشاة تحت
وسين بعد الألف) وهو إلياس بن مضر المقدم ذكره، وكانت تحت حنيد (نكسر
الخاء وسكون النون ونكسر الدال المهملة وفاء في الآخر) وهي حنيد بنت حنّون
ابن عمران بن الحاف بن قصاعة، فعرف سوه بها فقبيل لهم حنيد لأن روحها

إلياس رآها يوما تمشى ، فقال لها مالك تُجَدِّين ؟ والحدّفة أن يقلب طهر قدمه إلى الأرض عند مشيه . وله ورطان على حاشية عمود النسب .

الفرع الأول — طاححة (فتح الطاء المهملة وكسر الراء الموحدة بعد الألف وفتح الحاء المعجمة وهاء في الآخر) وهم سو طاححة ، وأسمه عمرو بن إلياس بن مُصَر ، وسمى طاححة لأنه كان هو وأخوه مدركة الآتي ذكره على عمود النسب ، وكان أسمه عامرا ، في إبل لهما فصادا صيدا ، وقعدا يطحانه فعدت عادية على إبلهما فاستأقتهما ، فقال عامر لعمرو أتدرك الإبل أم تطح الصيد ؟ فقال عمرو بل أطح الصيد ، فلحق عامر الإبل فحاهها فلم يحاهها أحراها الحر ، فقال لعامر أنت مدركة . وقال لعمرو أنت طاححة فسميا بذلك . ويتفرع عن طاححة قبائل كثيرة .

من قبائل طاححة تميم (فتح التاء المشاة فوق وكسر الميم وسكون الياء المشاة تحت وميم في الآخر) وهم سو تميم بن مُرّ بن مُراد بن طاححة . قال في العبر وكانت مشارهم أرض محد دائرة من هالك على البصرة واليمامة ، وأمتدت إلى العُديب من أرض الكوفة ، ثم تفرّقا بعد ذلك في الحواصر ، ولم يبق منهم نادية ، وورث مساكهم عريّة من طي وحماحة من بني عُقيل بن كعب .

ومن بطون تميم سو العبر ، وهم سو العبر بن عمرو بن تميم ، وإليهم يُنسب حذيلة أس عبد الله العبري الصبحاني .

ومن بطون تميم سو حنظلة وصطه معروف ، وهم سو حنظلة بن مالك أس زيد مائة بن تميم ، ويقال لهم حنظلة الأكرمون . قال الجوهري وهم أكر قبيلة في تميم .

ومن حطلة سو يربوع (يفتح الياء المشاة تَحْتُ وسكون الراء المهملة وصم الباء
الموحدة وسكون الواو وعين مهملة في الآخر) ، وهم سو يَرْبُوع س حطلة .

ومن سى يربوع سو العبر س يربوع ، ومهم سَمَاج التي تَدَأْتُ في رَمَس مسيلمة
الكذاب وهم عير سى العبر المقدم ذكرهم .

ومن قبائل طاححة سو صَّه (يفتح الصاد المعجمة وتشديد الداء) . قال في العبر
وكانت ديارهم بالماحية الشمالية من محد بحوار سى تميم ثم آتقلوا في الإسلام إلى
العراق ، وهم الذين قتلوا المتنبى الشاعر .

ومن قبائل طاححة أيضا مُرَيْتة (بصم الميم وفتح الراء وسكون الياء المشاة تحت
وفتح البون وهاء في الآخر) وهم سو عثمان وأوس ، آسى عمرو ، س أذ س طاححة ، ومُرَيْتة
أُمها عُرْواها ، وهى مريئة نات كَلْب س وَرَه . ومهم كَعْتُ س رهير مَطْمُ
العصيدة المعروفة سَانتُ سَعَاد ، وإليهم يُنسب الإمام إسماعيل س إبراهيم المرقى
صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

المرع الثانى — قَمَّعة (يفتح القاف والميم والعين المهملة وهاء في الآخر) وهم سو
قَمَّعة س إلياس س مصر . مقال الجوهرى إن أناه سماه قَمَّعة لما آقمع في بيته أى
أنقهر ودل ولم يشتهر عقبه .

الأصل الرابع — مُدْرَكة (بصم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء المهملة
وفتح الكاف وهاء في الآخر) وهم سو مدركه س إلياس س مُصَر ، وقد تقدم سب
تسميته مدركه . وله فرع واحد على حاشية عمود السب وهو هُدَيْل (بصم الهاء
وفتح الدال المعجمة وسكون الياء المشاة تحت ولام في الآخر) وهم سو هُدَيْل س

مُدْرَكَةٌ . وهى قبيلة متسعة لها بطون كثيرة والنسبة إليها هُدَلَىّ يحدف الياء بعد الدال ، وإليهم يُنسَب عبد الله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه .

الأصل الخامس — حُرَيْمَةٌ (يصم الحاء المعجمة وفتح الراء وسكون الياء المشابهة تحت وفتح الميم وهاء فى الآخر) وهو حُرَيْمَةٌ س مُدْرَكَةٌ . وله فرعان على حاشية عمود النسب ، وهما الهون وأسد .

فأما الهون (فصم الهاء وسكون الواو وبنون فى الآخر) وهو الهون س حُرَيْمَةٌ ، وهى قبيلة مشهورة .

ومن بطون الهون عَصَد (يفتح العين المهملة والصاد المعجمة ودال مهملة فى الآخر) ، وهم سو عَصَد س الهون .

ومن بطون الهون أيضا الديس (بكسر الدال المهملة وسكون الياء المشابهة تحت وشين معجمة فى الآخر) وهم سو الديس س مُلَح س الهون ، ويقال لها تين القسيتين وهما عَصَد والديس القارة . قال أبو عبيد وَسُمُّوا بذلك لأن الشَّدَّاح اللبى أراد أن يفرقهم فى بطون فكانه فقال معصم دَعُوا قَارَةً لَا تَفَرَّقُوا فُسِّمُوا الْقَارَةَ .

وأما أَسَدٌ وصبطه معروف ، فهم بطن كبير متسع . قال فى العبر وسار لهم مما بلى الكَرَح من أرض نجد فى محاوره طى . قال ويقال إن بلاد طى كانت لى أسد ، فلما حرج سو طى من اليمن حملوا على أحبا وسامى ، وتفرق سو أسد نسب ذلك فى الأقطار ولم يبق لهم حتى . قال آس سعيد وبلادهم الآب لطي . قال فى "مسالك الأنصار" ونعسل وما يصم إليها من بلاد الشام قوم من سى أسد .

ومن بطون أسد الكاهلية ، وهم سو كاهل بن أسد . ومن بطونهم دُودان بن أسد أيضا .

الأصل السادس — كانة (نكسر الكاف وبون بعدها ألف ثم بون مفتوحة بعدها هاء) وهو كانة بن حريمة ، وهى قبيلة عظيمة اشتهرت على عمود السب . وقد ذكر الحمداني أن مهم حماعة بالإجميمة من صعيد الديار المصرية يُعرفون بكانة طلحة ، وذكر في "مسالك الأنصار" أن طائفة مهم قَدِموا الديار المصرية في وراثة الصالح طلائع بن رريك ورلوا دِمياط وما حولها . وله على حاشية عمود السب خمسة فروع

الفرع الأول — ملكان (يفتح الميم وسكون اللام وبون في الآخر) ، وهم سو ملكان بن كانة .

الفرع الثانى — عَد مائة بإضافة عد إلى مائة (يميم مفتوحة بعدها بون) ، وهم سو عد مائة بن كانة ، ولهم عدّة بطون .

مهم عقّار (نكسر العين المعجمة وفتح العاء وراء بعد الألف) ، وهو سو عقّار آس عد مائة بن كانة ، وهم رهط أبنى دَر العقّارىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "عقّارُ عقر الله لها" .

ومهم سو بكر بن عد مائة بن كانة ، ومن بكر هؤلاء الدُّئل . وهم سو الدُّئل بن بكر آس عد مائة ، وإليهم ينسب أبو الأسود الدؤلى واصع علم النحو وأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ومهم سو ليث ، وهم سو ليث بن بكر بن عد مائة منهم الصُعب بن حَثّامة اللبثيّ الصبحانيّ رضى الله عنه . وقد ذكر الحمداني أن مهم طائفة ساقية قُلّة بالإجميمة من صعيد مصر .

ومهم سو الحارث، ويقال فيهم تلحارث، وهم سو الحارث س عد مائة .
ومهم سو مُدَلْج (يصم الميم وشكون الدال المهملة وكسر اللام وحيم في الآخر) ،
وهم سو مُدَلْج س مُرّة س عد مائة . وفي سى مُدَلْج هؤلاء عِلْم القيافة، وهو إلحاق
الأس بالأب وبحودك بالشَّه . ومهم طائفة الآن بصرحد وحوّران من بلاد الشام،
وطائفة بالأعمال العربية من الديار المصرية .

ومهم سو صَمْرَة (بفتح الصاد المعجمة وسكوب الميم وفتح الراء المهملة وهاء
في الآخر) وهم سو صَمْرَة، س بكر، س عد مائة، وإليهم ينسب عمرو س أُمَيَّة الصَّمْرِيّ
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الحمداني أن مهم طائفة ساقية
قُلْتَة وما يليها من بلاد إخميم من صعيد مصر .

الفرع الثالث — عمرو س كَنَاة، وإليه ينسب العَمْرِيُّون من سى كَنَاة .

الفرع الرابع — عامر س كَنَاة، ومنه العامريّون من كَنَاة .

الفرع الخامس — مالك س كَنَاة . ومن عَقِبَهُ سُو فِرَاس، س عم، س ثعلبة، س
الحارث، س مالك . وفي سى فِرَاس هؤلاء يقول أمير المؤمنين عليّ س أنى طالب
رعى الله عنه لعص من كان معه "لَوِدِدْتُ أَنْ يُكُونَ لى ألف مكم سعة من سى
فِرَاس س عم". وقد ذكر الحمداني أن مهم حماعة ساقية قُلْتَة وما يليها من الإحيمية
بمصر . وذكر الحمداني أيضا أن من كَنَاة س حَرِيمة طائفة بصعيد مصر بالأشتمويين
وما حولها تُعرَف بكَنَاة طَلْحَة .

الصف الثاني من العرب العدنانية — قُرَيْش (يصم القاف وفتح الراء المهملة)،
وهم سو النَّصْر (بفتح النون وسكون الصاد المعجمة) أس كَنَاة وقيل في تسميته بذلك إنه
كان في سفينة بحر فارس إذ حرقت عليهم دابة عظيمة يقال لها قُرَيْش لحافها أهل

السبيبة على أنفسهم فأحرج سهما من كنانته ورمأها فأثنتها، ثم قُرَّت السبيبة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة فُسِّمَ ناسمها . وقيل سُمِّي سوه بذلك لعنتهم القنائل وقهرهم إياهم، تشبيها بالدانة المقدم ذكرها من حيث إنها تقهر سائر دواب البحر وقيل أحدا من التقرش، وهو الاحتجاج لأن قُصَيًّا جمعهم عليه عند ولايته أمر قُرَيْش . وقيل لتحاترهم أحدا من التقرش، وهو التجارة .

ثم لقريش عشرة أصول على عمود النسب

الأصل الأول — فهر بن مالك، ويتفرع عن فهر على حاشية عمود النسب قبيلتان
القبيلة الأولى — سو الحارث، وهم سو الحارث بن فهر . ومن سى الحارث هؤلاء سو الحراح رهط أبي عُبَيْدة بن الحراح، أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع لهم الحلة .

القبيلة الثانية — سو محارب بن فهر، المقدم ذكره . ومهم الصحاح بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثاني — عالب بن فهر . ويتفرع عنه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة، وهم سو الأدرم بن لؤي^(١) بن عالب، والأدرم هو الباقر بن الدق .

الأصل الثالث — لؤي بن عالب . ويتفرع منه على حاشية عمود النسب

ثلاث قبائل

القبيلة الأولى — سعد، وهم سو سعد بن لؤي بن عالب، كان له من الولد عمار، وعمارى، ومحروم، من أمه سُبَيْة (بضم الباء الموحدة) وبها يعرفون ويقال لهم سو سُبَيْة، ومهم أبو الطَّيْل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فيه نظريتان إم الأدرم بن لؤي بن عالب كما في الفاموس في مادة بن م فلعيل لفط أن لؤي مما طعى به فلم الصحيح

القبيلة الثانية — حُرَيْمَة (بضم الحاء المعجمة وفتح الراء) وهم سو حريمَة س
لؤى ، وكان تحتَه عائدة (بالعين المهملة والياء المشاة تحت والذال المعجمة) بنت
الجس س حُفَاة مُعْرِف ولده بها فليل لهم سو عائدة .

القبيلة الثالثة — سو عامر ، وهم سو عامر س لؤى ، وكان له من الولد حَسَل
وَبَعِص . ومن ولد حَسَل سُهَيْل س عمرو الذى عقد الصلح مع النبى صلى الله
عليه وسلم ، يوم الحُدَيْبِيَّة لقريش ، ومهم عمرو س عِد وُد العامرى فارس العرب
الذى قتله على س أنى طالب رصى الله عه .

الأصل الرابع — كعب س لؤى س عاب ، ويتفرع منه حارحا عن عمود
السب قبيلتان

القبيلة الأولى — هُصَيْن (بضم الهاء وفتح الصاد المهملة وسكون الياء المشاة
تحت وصاد مهملة فى الآخر) . ومن هُصَيْن سو سَهْم ، مهم عمرو س العاص رصى
الله عه ، وكانت حُطَّة سى سَهْم يُفسطاط مصر حول الجامع العتيق . وقد ذكر
الحمدانى أن من سى عمرو س العاص أشتاناً بالصعيد ، ولهم حصّة فى وقف عمرو
على أهله بمصر .

ومهم سو حُح (بضم الحيم وفتح الميم وحاء مهملة فى الآخر) وهم سو حُح س
هُصَيْن المقدم ذكره ، ومهم أُمَيَّة س حَلَف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقد ذكر فى "مسالك الأنصار" أن من سى حُح قوما بأدرعات من بلاد الشام .

القبيلة الثانية — سو عِدَى ، وهم سو عدى س كعب ، ومهم أمير المؤمنين عمر
اس الخطاب رصى الله عه وسعيد س ريد أحد العشرة المقطوع لهم بالحمة ، وقد
ذكر القاصى شهاب الدين س فصل الله فى "مسالك الأنصار" أنه وفد من سى عدى
جماعة إلى الديار المصرية فى وراة الصالح طلائع س رُذَيْك ورير الغائر القاطمى .

ومهم رجال من بني عُمرس الخطاب رضى الله عنه ومقدمهم حلف بن نصر
العمري وأهم لقوا من الصالح طلائع بن رزيك وافر الإكرام ، وبلوا بالترس^(١) من
سواحل الأعمال العربية . وذكر أن من العمرين سلال الشام فرقة نوادي بني ريد
وفرقة يعجلون .

الأصل الخامس — مرة بن كعب ، ويتفرع عنه قبيلتان على حاشية
عمود النسب

القبيلة الأولى — تيم ، وهم سوتيم بن مرة بن كعب . ومهم أبو بكر الصديق
رضي الله عنه ، وطلحة أحد العشرة المقطوع لهم الحمة . وقد ذكر الحمداني أن من
بني الصديق رضى الله عنه من بني عبد الرحمن وبني محمد ولدى أبي بكر رضى الله
عنه جماعة الأشتموين والهسائيين من صعيد مصر . قال الحمداني ، وهم ثلاث فرقهم
وأقرناؤهم وأطلق على الكل سو طلحة . والفرقة الأولى مهم سو إسحاق ، ويقال إن
إسحاق ليس أبا لهم وإنما هو (إسحاق) مكان تحولوا عنه فسموا به . والفرقة الثانية
فصاء طلحة ، وهم بطون كثيره ، وأكثرهم أشقات كثيرة في البلاد لاحت لهم . والفرقة
الثالثة سو محمد ، وهم سو محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، ومبارهم بالرحين
وسقط سكرة ، وطحا المدينة من بلاد الأشتموين فيما ذكره الحمداني ، وأكثرهم الآن
بدهروط من الهسائية ، ورح مهم جماعة من العلماء على مذهبي الإمامين مالك
والشافعي رضى الله عنهما .

القبيلة الثانية — سويقطة ، وهم سويقطة بن مرة . ومهم سو محروم (بفتح الميم
وسكون الحاء المعجمة وصم الراي وسكون الواو وميم في الآخر) وهم سو محروم بن

(١) قال نابوت بلس صحاح وصم اللام وسديدها وفي الفاهوس بلس بالصواب وسد اللام .

يَقْطُهُ سِ مَرَّةً سِ كَعْب ، وَهْ أَشْتَهَرْتَ الْقَبِيلَةَ دُونِ أَيْهِ يَقْطَةُ لَكثَرَةً عَقِبَهُ دُونِ
أَيْهِ . مَهْمُ حَالِدُ سِ الْوَلِيدُ أَحَدُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو حَهْلٍ
أَسْ هِشَامُ عَدُوُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخُوهُ الْعَاصُ سِ هِشَامُ ، قُتِلَا يَوْمَ
بَدْرٍ كَافَرَيْنِ ، وَأُخُوهُمَا سَلَمَةُ سِ هِشَامُ ، أَسْلَمَ وَكَانَ مِنْ حِيَارِ الْمُسْلِمِينَ . وَمَهْمُ
سَعِيدُ سِ الْمُسَيَّبِ التَّائِبِ الْمَشْهُورِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِي أَنَّ مِنْ بَنِي مُحْرَمٍ جَمَاعَةً
بَصْعِيدِ مِصْرَ الْأَشْثَمَوِيْنَ وَفِيهِمْ نَاسٌ وَشَدَّةٌ . وَذَكَرَ أَيْضًا أَبُ مَهْمُ حَالِدِ حِمَصِ
وَحَالِدِ الْحَجَارِ . وَذَكَرَ أَنَّ كَلَامَهُمْ يَدَّعِي سَوَةَ حَالِدِ سِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ
وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنِّسْبِ عَلَى أَنْقِرَاصِ عَقِبِهِ . قَالَ وَلَعَلَّهُمْ مِنْ سِوَاهِ مِنْ بَنِي
مُحْرَمٍ فَهْمٌ أَكْثَرُ قَرِيْشٍ نَقِيَّةً وَأَشْرَفُهُمْ حَاهِلِيَّةٌ .

الأصل السادس — كَلَابُ سِ مَرَّةً ، وَيَتَفَرَّعُ مِنْهُ عَلَى حَاشِيَةِ عُمُودِ النَّسَبِ
قَبِيلَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ رُهْرَةُ (بِصَمِّ الرَّأْيِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَهَاءِ فِي الْآخِرِ) وَهَمُّ
سُورُ رُهْرَةٍ سِ كَلَابُ سِ مَرَّةً قَالَهُ أَبُو عَنَيْدٍ وَعَيْرُهُ . وَقَدْ ذَكَرَ الْخَوْهَرِيُّ أَنَّ رُهْرَةَ
أَسْمَ امْرَأَةٍ كَلَابُ لُئِبٍ وَلَدَهُ إِلَيْهَا . مَهْمُ سَعْدُ سِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ سِ عَوْفٍ
كَلَاهُمَا مِنَ الْعَشِيرَةِ الْمَقْطُوعِ لَهُمُ بِالْحَنَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَمَهْمُ أَمَةُ بَنَتْ وَهَبٌ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِي أَنَّ
مَهْمُ جَمَاعَةً بِلَادِ الْأَشْثَمَوِيْنَ بَصْعِيدِ مِصْرَ .

الأصل السابع — قُصَيٌّ سِ كَلَابُ سِ مَرَّةً ، وَكَانَ قُصَيٌّ عَطِيًّا فِي قَرِيْشٍ ، وَهُوَ
الَّذِي جَمَعَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ
أَنْتُمْ قُصَيٌّ حِينَ يَدَّعِي مُجْمَعًا * بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

وَأَرْتَجَعَ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ مِنْ حُرَاعَةِ بَعْدِ أَنْ كَانُوا أَنْتَرَعُوهَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَتَفَتَّرَعَ مِنْهُ عَلَى حَاشِيَةِ عَمُودِ التَّسَبُّ قَبِيلَتَانِ

الْقَبِيلَةُ الْأُولَى — سُوْعِدُ الدَّارِ ، وَهُمْ سُوْعِدُ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، وَبِيَدِهِ كَانَتْ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ دُونَ سَائِرِ بَنِي قُصَيٍّ . وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيًّا لَمَّا أَحَدَ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ مِنْ أُنَى عَشْرَانَ الْحُرَاعَى ، أَرْسَلَهَا مَعَ أَمِّهِ عَسَدِ الدَّارِ هَذَا إِلَى الْبَيْتِ وَقَالَ يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ هَذِهِ مِفْتَاحِ بَيْتِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكُمْ . فَبَقِيَتْ بِيَدِهِ مِنْ حَيْثُذَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْحَجَّيِّ الَّذِي أَنْتَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ طَلَبَهَا مِنْهُ لَتَدْخُلَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْبَيْتَ لَيْلًا فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنْ الْكُفَّةَ لَمْ تُفْتَحْ لَيْلًا قَطُّ فَأَرْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِإِنِّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، فَأَعَادَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ ”هِيَ فِيكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ“ . وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَسَالِكِ أَنَّ سَحَابَةَ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي عَسَدِ الدَّارِ .

وَمِنْ بَنِي عَسَدِ الدَّارِ سُوَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ الْمَقْدُومَ ذَكَرَهُ ، أَسْ طَلْحَةَ ، مِنْ أُنَى طَلْحَةَ ، مِنْ عَسَدِ الْعُرَى ، مِنْ عُثْمَانَ ، مِنْ عَسَدِ الدَّارِ ، وَهُمْ سَحَابَةُ الْكُفَّةِ ، وَمِفْتَاحُهَا بِيَدِهِمْ إِلَى الْآنِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ هَؤُلَاءِ قَوْمًا بَصْعِيدَ مِصْرَ سَقَطَ وَمَا يَلِيهَا مِنْ بِلَادِ الْمَهَسَايَةِ يَعْرِفُونَ بِحِجَابَةِ مَهَارَ .

الْقِسْلَةُ الثَّانِيَّةُ — سُوْعِدُ الْعُرَى ، وَهُوَ عَسَدُ الْعُرَى بْنِ قُصَيٍّ ، مِنْهُمْ هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ كَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ خُشْعًا لِإِسْلَامِهِ وَمَدَحَهُ .

وَمِنْ بَنِي عَسَدِ الْعُرَى هَؤُلَاءِ سُوْ أَسَدُ ، وَهُمْ سُوْ أَسَدُ بْنُ عَسَدِ الْعُرَى الْمَقْدُومَ ذَكَرَهُ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ هَؤُلَاءِ الرَّيِّزُ بْنُ الْعَوَّامِ ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَطْرُوعِ لَهُمْ بِالْحِلْهِ ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومهم حديجة أم المؤمنين ، روح النبي صلى الله عليه وسلم ، وورقة بن نوفل الذي
أنته حديجة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، في ابتداء النبوة حين جاءه الملك
بحراء . وقد ذكر الحمداني أب من بني الربير طائفة بصعيد مصر بلاد الهسما وما
يلها . من ولد عبد الله بن الربير سندر ، وسو مصلح ، وسورمضان .
ومن بني مضعب بن الربير جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق . ومن ولد عروة
أس الربير سوعى .

الأصل الثامن — عبد مناف بن قصي ، ولبي عبد مناف في قريش النسب
الصميم ، والحسب الكريم ، وإلى هذا أشار أبو طالب بقوله
إِذَا أَفْتَحَرْتُ يَوْمًا قُرَيْشٌ بِمَفْجَرٍ * فَعَنْدُ مَنْافٍ أَصْلُهَا وَصِمُّهَا
ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل

القبيلة الأولى — سو عبد شمس بن عبد مناف . ومن عبد شمس سو أمية ، وهم
سو أمية الأكبر وأمية الأصغر أي عبد شمس بن عبد مناف .
فأما أمية الأكبر ، فكان له عشرة أولاد أربعة منهم يسمون الأعياص ، وهم
العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وستة يسمون العباس ، وهم
حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو .

ومن بني أمية الأكبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومعاوية بن
أبي سفيان بن حرب ، والحكم بن العاص . ومن ولده كانت المروية حلفاء بني أمية .
وأما أمية الأصغر فيقال لأولاده العلات ، ومن عقب أمية الأصغر الثريا بنت
عبد الله بن الحارث بن أمية ، التي كان يستبها عمر بن أبي ربيعة ، وكان تزوجها
سهييل بن عبد الرحمن بن عوف ، وفيهما يقول عمر بن أبي ربيعة

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيلاً * عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ * وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وقد اختلف في النسبة إلى أمية على مذهبين، أحدهما أنه أموى بصم الهمة
حرى على اللفظ و أمية ، وإليه يميل كلام الشيخ أنير الدين أئى حيان في شرح
التسهيل ، الثانى أنه ينسب إليها أموى يفتحها لأن أمية تصغير أمة فإذا سدت
رددته إلى أصله وعليه أقنصر الجوهرى .

القبيلة الثانية — نَوَل ، وهم سو نَوَل س عد ماف ، ومنهم نافع س طريب^(١)
أس عمرو س نَوَل الذى كتب المصاحف لعمر س الخطاب رضى الله عنه ، وكان
نَوَل وعد شمس متآلين خرى سوهما على ذلك .

القبيلة الثالثة — سو الْمُطَلَب ، وهم سو المطاب س عد ماف ، وكان الْمُطَلَب
متآلها مع أحيه هاشم س عد ماف المقدم ذكره خرى سوهما على ذلك ، حتى قال
النبي صلى الله عليه وسلم ” لَمْ يَقْتَرِكْ هَاشِمٌ وَالْمُطَلَبُ فِي حَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٌ “ . ومن
س المطاب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

الأصل التاسع — هاشم س عد ماف ، وأسمه عمرو ، وسى هاشما لهشمه الثريد
أيام المحاجة ، وفى ذلك يقول الشاعر

عَمَرُوا الَّذِي هَشَمُ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ * وَرِحَالُ مَكَّةَ مُسْتَبُونَ بِخَافٍ

وأنهت إليه سيادة قريش . وكان له على حاشية عمود السب أربعة أولاد .
وهم نَصْلَةٌ ، وأسد ، وصبيى ، وأبو صبيى ، ولم يشتهروا كل الأشتار .

الأصل العاشر — عد المطاب س هاشم . وكان له أنا عشر ولدا عد الله
ابو النبی صلى الله عليه وسلم ، وأبو طالب ، والرَّيْبِر ، وعد الكعبة ، والعباس ،

(١) كذا في سبائك الذهب أيضا والذي في العقد الفرید شافع س طرب

وصِرَار، وحمرة، ونخل، وأبو لهب، وقثم، والعيداق الملقب بالمقوم، والحارث أعمام النبي صلى الله عليه وسلم على خلاف في العدد فيهم. قال أبو عبيد والعقب مهم لستة حمرة والعباس رضى الله عنهما، وأبو لهب، وأبو طالب، والحارث، وعد الله.

فأما عبد الله من ولده النبي صلى الله عليه وسلم، خلاصة الوجود، ورُتبة العالم. وأما العباس من ولده الخلفاء من رمن أنى العباس السَّقَّاح أول حلفائهم وهلم حرا إلى المستعين بن المتوكل حليفة العصر. وأما حمرة فقد ذكر أن حرم وعيره أن عقده أنقرص. وأما أبو طالب وله ثلاثة أولاد، وهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وحُفَيف، وعَقِيل، من ولد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الحسن والحسين عليهما السلام، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعَقِيهما قد ملأ الشرق والعرب، وقد ذكر الحمداني أن مهم بصعيد مصر جماعة من الحَافِرة بنى حَفر الصادق من ولد الحسين بن علي. وقال مسكهم من بحري مَقْلُوط إلى مَقْلُوط غربا وشرقا، وعد من بطونهم الحَيَادِرَة، وهم أولاد حَيْدَرَة، والسلطنة، وهم أولاد أبي مُجَيْش، وذكر أنه كان مهم الشريف حُصَّ الدين بن تَعْلَب صاحب دَرَوْ سَرَام من الأَشْمُويين، وبه عرفت بذروه الشريف، وكان قد سَمَتَ نفسه إلى المُلْك في أواخر الدولة الأيوبية وبقي حتى ملك الطاهر بيبرس، فأعمل له عوائل العدر حتى قص عليه وشقه بالإسكندرية. قال ومن بنى الحسين قوم بحَرَحة مَقْلُوط، وبنى الحسين هؤلاء تعرفُ القرية المسماة بنى الحسين. وفي أسيوط جماعة من أولاد حَفر الصادق يُعرفون بأولاد الشَّريف قاسم. وذكر في "مسالك الأنصار" أن تَسْلِمِيَّةَ وَحَلَبَ وبلادهما جماعة من بني الحسين.

ومن ولد جعفر بن أبي طالب أقوام بلاد الشام نوادي بن ريد، وبصرحد
وبلادها جماعة من عامر بن هلال، يدعون أنهم من بني جعفر بن أبي طالب أيضا.
وفي بعض قرى أذربعات قوم يدعون أنهم منهم . وأما الحارث وأبو لب فقد ذكر
في العبر أن لها عقبا موحودا ولم يصرح بمحلّه .

الصبرب الثعالب

(من العرب الموحودين المتردد في عروبتهم)

وهم البربر (سائين موحدين مفتوحين بينهما راء مهملة ساكنة وراء مهملة
في الآخر) . قال الجوهري . ويقال فيهم البريرة والهاء للعجمة والنسب ولا يمتنع
حدوها . وقد اختلف في نسبهم اختلفا كثيرا فذهبت طائفة من النسائين إلى أنهم
من العرب . ثم اختلف في ذلك فقليل أوراغ من اليمن ، وقيل من عسّان وغيرهم
تفرقوا عند سبيل العرم قاله المسعودي ، وقيل خلّفهم أربهة ذو المنار أحد تابعي اليمن
حين عرا المغرب ، وقيل من ولد لقمان بن خمير سبّا ، بعث سرية من بنيّه إلى
المغرب ليغمروه ، فبرلوا وتاسلوا فيه ، وقيل من لحم وخدام ، كانوا بارلس يقاسطن
من الشام إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فلبحوا إلى مصر فمعهم ملوكها
من برولها فدهوا إلى المغرب فبرلوه ، وذهب قوم إلى أنهم من ولد لقشان بن
إبراهيم الخليل عليه السلام . وذكر الحمداني أنهم من ولد ترتر بن قيذار بن إسماعيل
عليه السلام ، وأنه أرتكك دنّا فقال له أبوه البرّ البرّ أذهب يا برّما أنت برّ ، وقيل
هم من ولد ترتر بن ثميلا بن ماريغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل
من ولد ترتر بن كسلاحييم بن حام بن نوح ، وقيل من ولد ثميلا بن ماريغ بن عمرو
أب عملاق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح ، وقيل من ولد قنط بن حام بن نوح ،

وقيل أحلاط من كنعان والعماليق ، وقيل من خير مصر والقبط ، وقيل من ولد
 حاثوت ملك سى إسرائيل ، وإياه لما قتله داود تفرقوا في البلاد فلما عرا إفريقيش
 البلاد نقلهم من سواحل الشام إلى المغرب ، وهو الذى ربحه صاحب العبر .
 والمجلة فأكثر الأقوال حاحية إلى أنهم من العرب وإن لم يتحقق من أى عرب
 هم ، وهم قبائل متشعبة ويطون متفرقة ، وأكثرهم بلاد المغرب ، وبديار مصر
 منهم طائفة عظيمة ، قال في العبر وهى على كثرتها راححة إلى أصليش لا تحرج
 عهما أحدهما التراس ، وهم سو برس س رر . والثانى التز ، وهم سو مادعش
 الأتربس رر . وبعضهم يقول لهم يرجعون إلى سبعة أصول ، وهى اردواحة ،
 ومصمودة ، وأورنة ، وعجية ، وكامة ، وصنهاجة ، وأوريرة . وراد بعضهم لمطة ،
 وهسكورة ، وكرولة . وقد ذكر صاحب العبر منهم الحم العفير ، والذى تدعو الحاحية
 إلى ذكره من ذلك طائفتان

الطائفة الأولى — الذين كان منهم ملوك المغرب للحاحية إلى ذلك لمعرفة أنساب
 الملوك عند المكاتبة إليهم ، وهم ثلاث قبائل
 القبيلة الأولى — مضمودة (بفتح الميم وسكون الصا - المهملة وصم الميم وفتح
 الدال المهملة وهاء في الآخر) وهم سو مضمودة س برس س رر . قال في العبر
 وهم أكثر قبائل البر ، وأكثرهم عددا ، وأوسعهم شعوبا ، ومنهم الموحدون أصحاب
 المهدى س تومرت القائم بقاياهم بإفريقية إلى الآن .

ومن مضمودة هتاتة (بفتح الهاء وإسكان البون وفتح التاء المشددة فوق وبعدها
 ألف ثم تاء ثانية مفتوحة وهاء في الآخر) ومنهم أنو حفص أحد أصحاب المهدى س
 تومرت المقدم ذكره ، وهو الذى ينسب إليه الحفصيون ملوك إفريقية القائمون
 توس إلى الآن على ما سيأتى ذكره في الكلام على المسالك والممالك .

القسيلة الثانية — رِبَاةُ (كسر الزاى وفتح الون وبعد الألف تاء مشناة فوق مفتوحة وهاء فى الآخر) وهم نطل من التُّرس الربر . قال فى العبر وأسَم رِبَاةُ حانا بالحيم ويقال شانا بالشين، آس يحيى، س صولات، س ورساك، س صرى، س رحيك، س مادعش، س ربر . ونقل آس حرم عن بعضهم أن صرى، س شقعو، س تدواد، س ثملا، س مادعش، س هوك، س رسق، س كداد، س ماريع، س هراك، آس هريك، س نذا، س نديان، س كعان، س حام، س بوج عليه السلام. وقيل حانا آس يحيى، س صريس، س حالوت، س هريك، س حديلات، س حالود، س رديلات، آس عصى، س بادين، س رحيك، س مادعش الأتر، س قيس عيلان، وحينئذ تكون من العرب العدنانية. وقيل حالوت، س حالود، س ديال، س قحطان، س فارس فتكون من الفرس . قال فى العبر وترعم لسان رِبَاةُ الآل أهم من حمير من السابعة فيكون من القحطانية، وبعضهم يقول أهم من العالقة . وقد تقدّم عددهم فى العرب .

ومن رِبَاتَةِ نَوَاصِرٍ (يفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المشاة تحت
وَبَوْنِ فِي الْآخِرِ) وَهَمَّ نَوَاصِرِينَ ، ن وَرِثَاخٌ ، ن مَاحُوحٌ ، ن وَحَرِيحٌ ، ن فَاتِنٌ ،
أَسْ بَدْرٌ ، ن بَحْفَتٌ ، ن عِدَاةُ اللَّهِ ، ن رَرْتَنِيصٌ ، ن الْمَعْرُ ، ن إِبْرَاهِيمُ ، ن رَحِيكٌ ، ن
وَأَشِينُ ، ن بَصِيصٌ ، ن سِرَاءٌ ، ن أَحْيَا ، ن وَرَسِيكُ ، ن أَدَيْتُ ، ن حَااٌ ، وَهُوَ رِبَاتَةٌ .
وَمِنْ حِي مَرِيَيْنِ هَؤُلَاءِ نَوَاصِرٌ عَدْلُكَ فَاسِ الْقَائِمُونَ هَا إِلَى الْآلِ عَلَى مَا يَأْتِي
دَكَرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَسَالِكِ وَالْمَالِكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن رتبة أيضا سو عد الواد ملوك تلمسان من المغرب الأوسط القائمون بها إلى الآن .

القنيلة الثالثة - صَهاحه (يفتح الصاد المهملة وسكوب النون وفتح الهاء وألف بعدها حيم مفتوحة وهاء في الآخر) وهم سو صَهاحة ، س برس ، س بربر .

وقيل صَهاح، بن أوريح، بن برس، بن بربر. ويقال إسم من حمير من عرب اليمن
قاله أس الكلبي والطبري والبيهقي والمسعودي وعبد العزيز الجرحاني .

وحكى أس حرم أن صهاح إنما هو أس امرأة أسمها نضلي وليس له أب معروف
وأما تزوجت بأوريح، وهو معها، فولدت له هؤارة، فكان صهاح أحاهؤارة لأتمه .
ومن صهاحة لمتوبة (بفتح اللام وسكون الميم وصم التاء المشاة فوق وفتح النون
وهاء في الآخر) ، ومن لمتوبة ملوك المُرَاطين الذين كان منهم أمير المسلمين يوسف
أس تاشفين ناني مدينة مَرَأَكُش من العرب الأفصى ، وهم الذين أنقرص مُلُكُهم
مدولة الموحدين .

الطائفة الثانية — الذين منهم بالديار المصرية . قال في العبر وهم قبيلتان
القبيلة الأولى — هؤارة (بفتح الهاء وتشديد الواو وفتح الزاء المهملة بعد الألف
وهاء في الآخر) ، وهم سو هؤارة بن أوريح، بن برس، بن بربر. وذكر الحمداني أنهم
من ولد تر، بن قيذار، بن إسماعيل عليه السلام . قال في العبر وسأتم يقولون
إسم من عرب اليمن . فتارة يقولون إسم من عاملة إحدى بطون قُصَاعة، وتارة
يقولون إسم من ولد المسور، بن السكاسك، بن وائل، بن حمير، وتارة يقولون من ولد
السكاسك، بن أشرس، بن كندة، فيقولون هؤار، بن أوريح، بن حيور، بن المشي،
أس المسور . وقد عدّ الحمداني من بطونهم بالديار المصرية سى محريش، وسى
اسرات، وسى قطران، وسى كُريب، ولكمهم الآن قد أسمت بطونهم، وكثرت
شعوبهم، وصار لهم بطون كثيرة .

مها سو محمد، وأولاد مأس، وسدار، والعرايا، والشللة، وأشخوم، وأولاد
مؤمين، والروابع، والروكة، والبروكية، والمهاليل، والأصابعة، والداحلة، والمواسية

(١) في العبر بدون هاء الباء وفتح وعد أحلف الأصل الذي بدأ فارة يشتهر بارة محمدية

والبلارد ، والصوامع ، والسدادرة ، والريابية ، والحيافشة ، والطرده ، والأهله ،
 وارثنين ، واسليين ، وسوقير ، واثيه ، والتناعة ، والعائم ، وفرارة ، والعابدة ،
 وساورة ، وعلان ، وحديد ، والسعة . ودكر في "مسالك الأنصار" أن لهم بالديار
 المصرية البحيرة ، ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة ، ولم يرل الأمر على
 مادكره إلى آخر المائة الثامنة في الدولة الطاهرية الشميدية برقوق فعملهم على البحيرة
 رbare وحلفاؤهم من نقيه عرب البحيرة ، فحرحوا عما إلى صعيد مصر ، وبرلوا به
 بالأعمال الإحيمية في حرحا وما حولها . ثم قَوِيَ أمرهم ، وأشتد نأسهم ، وكثر
 جمعهم ، حتى آنتشروا في معظم الوحه القليل فيا بين أعمال قوص ، وإلى عرني الأعمال
 الهندسائية ، وأقَطَعُوا بها الإقطاعات ، وصارت الإمرة في بلاد إحم لأولاد عمر ،
 وفي أعمال الهندسا وما حولها لأولاد عريب ، والأمر على ذلك إلى الآن .

(١١)
 القبيلة الثانية — لَوَّائَة (فتح اللام والواو والتاء المثناة وهاء في الآخر) قال
 الحمداني ويقال لَوَّائَة بالألف ، وهم سَوَّائَة الأصغر ، سَوَّائَة الأكبر ، سَرحيك ،
 آس مادعش الأثر ، سَرحر . قال الحمداني وهم يقولون إهم من قيس من
 عطشان ، سَرحد ، سَرحيس عيلان . ودكر عن بعض الساسين إهم من ولد رَ ، سَرح
 قَرحدار ، سَرحإسماعيل عليه السلام ، وأنه ترَرح أمراه من العالقي فولدت له أولادا
 منهم لَوَّائَة .

وحكى آس حرم عن بعض الساسة أن لَوَّائَة من القَرحط . ثم قال وليس بصحيح .
 قال الحمداني ولهم مصر يتلون كثرة ، منهم سَوَّائَة ، وحد وحاص ، وسَوَّائَة
 وسَوَّائَة ، وقطوفة ، وركين ، ومالو ، ومروره . قال وسَوَّائَة يجمع أولاد

(١) ذكرها صاحب الفاموس بهذا الصط في باب الباء المثناة من فوق فليس

قريش، وأولاد رَعَارِع، وهم أشهر من في الصعيد . وقطوفة تجمع مَعَاة وواهلة .
وركين تجمع سى ريد وسى روحين . ومرورة تجمع سى وركان وسى عرواس .
ثم قال فأما سواد فرقتان فرقة بالهدسائية، وهم سو محمد، وسو على، وسو رار،
وبصف سى شهلان .

وأما الفرقة التي بالحيرية، فسو مخدول، وسقارة، وسو أنى كثير، وسو
الخلاص . قال ^(١) ويقال لهذه الفرقة حد وحاص، ويقال للأولى اللارية، ومهم
مَعَاة، ولهم سملوط إلى الساقية، ولوى ركين قُلُوسًا وما معها إلى بحرى طَسْدَى ^(٢)،
ولوى حد وحاص الكفور الصولية، وسقط أبو حرحا إلى طَسْدَى ^(٢)، وإهرت . ومهم
سو محمد، وسو على المقدم ذكرهما، وأمرأهم سورعارع .

وأما مرورة، فسو وركان، وسو عرواس، وسو حمار، وسو الحكم،
وسو الوليد، وسو الخحاح، وسو الحرمية .

وأما سوارار . فمن سى ررية، ومهم بصف سى عامر، والجماسة، والصناعة،
وهم فى إماره سى رعارع . ومهم أيضا سوريد وأمرأهم أولاد قريش، ومساكهم
الثوية، والحيرة مهم صلامس عرب الدرشين، وسو منصور عرب مية
رهية، وسو نكم عرب سقارة، وسو مخدول، وسو بى، وسو يوسف، وهم
تعرف الكفور الثلاثة المسماة اسمهم . وبالمنوية مهم سو يحيى، والسوة، وعيد،
ومصلة، وسو مختار . ومن لوائه هؤلاء رُأرة (بضم الزاى وتشديد النون وألف
ثم راء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر)، وهم سورُأرة من ولد رر، س قيندار، س إسماعيل
عليه السلام، وقال إنه أحو هَوَّاره، وأكثر رُأره بلاد المغرب، ومهم حماعة

(١) فى السائك سواد الخلاص بالحلم وحرر

(٢) فى معجم نابوت طسده بالذال المعجمة وهاء التأنيث

بالبحيرة وحماعة بالموقية . وقد عدّ الحمداني من بطونهم بالبحيرة بنى مرديش ، وهم مرداشة ، وبنى صالح ، وبنى سام ورمزان ، وأوربيعة ، وعزها ، ولقان . وراى بعضهم بنى حيون ، وواكدة ، وفرطية ، وعرحومة ، وطارولة ، وبسات ، وباطورة ، وبنى السعوية ، ومرداشة ، وبنى أنى سعيد ، وهم عرب بدرس سلام . ومن لوانة أيضا مرانة (بنم الميم وفتح الراء والتاء المشاة فوق وهاء فى الآخر) ، وهم سو مَرانة ، بن لوانة الأصغر ، ومبارهم من البحيرة عربا إلى العقبة الكبيرة بركة .

المقصد الثالث

(فى معرفة أسباب العجم)

وهم من عدا العرب من الفرس ، والترك ، والروم ، وغيرهم . ويحتاج إلى ذلك فى المكتبات إلى ملوكهم ، وعقد الهدن معهم ، وبحو ذلك .

والمنثور من الأمم العجمية ست وعشرون أمة

الأولى — الترك (بنم التاء المشاة فوق وسكون الراء المهملة وكاف فى الآخر) ، وهم الأئمة المشهورة الذين منهم ملوك الديار المصرية الآن ، وهم من بنى ترك ، بن كورم بن يافث ، بن نوح عليه السلام ، وقيل من بنى طيراش ، بن يافث ، وسهمهم آس سعيد إلى ترك ، بن عازر ، بن شمويل ، بن نافت . قال فى العبر ويدخل فى حنس الترك القفحاق ، وهم الحفشاح ، والطعرعر ، وهم التتر . ويقال فسم التتر بزيادة ألف ، والططر بإبدال التاء طاء ، والخطا ، والخرليه والخررا ، وهم العبر الذين كان منهم ملوك السلاحقه ، والهياطله ، وهم الصعدر والعور والعلان ، ويقال اللان ، والشركس ، والأركش ، والروس فكلهم من حيل الترك وسهمهم داخل فى نسهم .

الثانية — الْحَرَامِقة (بفتح الحيم وكسر الميم وفتح القاف وهاء في الآخر)، وهم أهل المَوْصِل في الرمن القديم . قال آسن سعيد وهم من ولد حُرْبُوق، بن آشور، بن سام، آسن نوح عليه السلام . وقال غيره من ولد كائز، بن إرم، بن سام .

الثالثة — الحيل (بكسر الحيم وسكون المشاة تحت ولام في الآخر) ، وهم أهل كِلان من بلاد الشرق . قال آسن سعيد وهم من بنى ناسل، بن آشور، بن سام، آسن نوح عليه السلام .

الرابعة — الحَرَر (بفتح الحاء والراء المعجمتين وراء مهملة في الآخر) ، وهم التركمان . في الإسرائيليات أنهم من ولد توعربحا، بن كومر، بن يافث، بن نوح، وقيل هم من بنى طيرايش بن يافث، وقيل نوح من الترك .

الخامسة — الديلم (بفتح الدال المهملة وسكون الياء المشاة تحت وفتح اللام وميم في الآخر) ، وهم الديس كان مهم ملوك بنى نُؤْيَه الحارحين على حلفاء بنى العباس سعداد . قال في العبر هم من بنى ماداي، بن يافث، بن نوح، وقال آسن سعيد من بنى ناسل، بن آشور، بن سام، بن نوح، وقيل هم من العرب وصعفه أبو عبيد .

السادسة — الروم وصطهم معروف ، وهم الأئمة المعروفة الدين مهم ملوك القُسْطَنْطِينِيَّة الآن، قيل هم من بنى كيم بن يوان، وهو يانان، بن يافث، بن نوح، وقيل من ولد رومي، بن يوان، بن علحان، بن يافث، بن نوح، وقيل من ولد رعويد آسن عيصو، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام . وقال الحوهري من ولد رُوم، بن عِيصُو بن إسحاق .

السابعة — السُرِّيَّان (بضم السين وسكون الراء المهملتين وفتح الياء المساء تحت

وألف ثم نون)، قال آبن الكلي من سى سُوريان، بن بيط، بن ماش، بن آدم،
آبن سام، بن نوح .

الثامنة — السُّد (بكسر السين المهملة وسكون الين ودال مهملة في الآخر)،
في الإسرائيليات أنهم من ولد شام، بن رعما، بن كوش، بن حام، بن نوح، وحكى
الطبرى عن آبن إسحاق أنهم من سى كوش بن حام .

التاسعة — السُّودان وصططهم معروف . قال آبن سعيد جميع أحيائهم من ولد
حام بن نوح، ونقل الطبرى عن آبن إسحاق أن الحنشة من ولد كوش بن حام
والثوبة، والريح، والزأوة من ولد كنعان بن حام . وذكر آبن سعيد أن الحنشة
من سى حنث والثوبة من ولد ثوبة أوسى نوى، والريح من سى ربح، ولم يرفع
في نسبهم فيحتمل أنهم من سى حام، وأهم من سى غيره .

العاشرة — الصَّقالة (فتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لأم مكسورة
وإاء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر)، وهم عند الإسرائيليين من سى نازان بن يافث
آبن نوح، وقيل هم من سى اشكار، بن نوح، بن كور، بن يافث .

الحادية عشرة — الصَّين وصططهم معروف، قيل هم من سى صينى، بن ماعوع
آبن يافث، بن نوح، وقيل من سى طوبال بن يافث . وذكر "هرشيوش" مؤرخ
الروم أنهم من سى ماعوع بن يافث .

الثانية عشرة — العِزْرِيُّون (بكسر العين المهملة وسكون الين الموحدة وفتح
الراء المهملة وألف بعدها نون مكسورة وإاء مناه تحت مشددة مصحومة وواو
ساکمة ثم نون)، وهم الذين يكلم اليهود لئلا يسلمهم إلى الآن . قال الطبرى وهم من
ولد عار، بن شالح، بن أرخشند، بن سام، بن نوح .

الثالثة عشرة — الفُرس (نصم الفاء وسكون الراء المهملة وسين مهملة في الآخر) وهم الذين كان منهم ملوك الأكاثرية . قال آس إسحاق هم من ولد فارس ، س لاود ، آس سام ، س نوح . وقال آس الكلبي هم من ولد فارس ، س طيراش ، س أشور ، س سام ، س نوح ، وقيل من ولد طيراش ، س همدان ، س يافث ، س نوح ، وقيل من سى أميم ، س لاود ، س سام . ووقع للطبرى أنهم من ولد رعويل ، س عيصو ، س إسحاق ، آس إبراهيم عليه السلام . قال في العبر ولا آلتفات إلى هذا القول لأن مُلك الفُرس أقدم من ذلك .

الرابعة عشرة — الفُرج (يفتح الفاء والراء المهملة وسكون الون وحيم في الآخر) قيل من ولد طونال ، س يافث ، وقيل من ولد عطرما ، س كومر ، س يافث .
الخامسة عشرة — القُط (يكسر القاف وسكون الساء الموحدة وطاء مهملة في الآخر) ، وهم الذين كان منهم أهل مصر في القديم . قال إبراهيم س وصيف شاه هم من سى قطيم ، س ققط ، س مصر ، س بيصر ، س حام ، س نوح ، وعد الإسرائيليين أنهم من ولد ققط س حام .

السادسة عشرة — القُوط (نصم القاف وسكون الواو وطاء مهملة في الآخر) ، وهم أهل الأندلس في القديم . قال "هرشيوش" هم من ولد ماعوع ، س يافث ، س نوح ، وقيل هم من ولد قُوط ، س حام ، س نوح .

السابعة عشرة — الكُرد (نصم الكاف وسكون الراء المهملة ودال مهملة في الآخر) ، وهم الذين كان منهم سو أيُوتَ ملوك مصر بعد العاطميين . قال في العبر هم من سى إران س أشور ، س سام ، س نوح . قال المقرئ الشهابي آس فصل الله في كتابه "التعريف" ويقال في المسلمين الكُرد ، وفي الكفار الكُرج ، وحينئذ يكون الكُرد والكُرج سوا واحدا .

الثامنة عشرة — الكنعانيون (يفتح الكاف وسكون النون وفتح العين المهملة
وصم الياء المشاة تحت المشددة)، وهم الذين كان منهم حجارة الشام من ولد كنعان
اس حام، س نوح .

التاسعة عشرة — اللان (يلام مفتوحة وميم بعدها ألف وون)، وهم الذين كانوا
قصدوا سواحل الشام في الدولة الأيوبيّة ومواطنهم في شمالي البحر الرومي عربا
شمال . قال في العبر وهم من ولد طوبال، س يافث، س نوح .

العشرون — السط (يفتح النون والباء الموحده وطاء مهملة في الآخر)، وهم أهل
نابل من العراق في الرمن القديم، وإليهم تنسب الفلاحة السطية لآس وحشية . قال
آس الكلبي هم من بنى بيط، س ماس، س إرم، س سام، س نوح . وقال آس
سعيد هم من بنى بيط، س آشور، س سام، س نوح .

الحادية والعشرون — الهند وصسطه معروف . في الإسرائيليات أنهم من ولد
دادان، س رعما، س كوش، س حام، ونقل الطبري عن آس إسحاق أنهم من بنى
كوش، س حام، س نوح من عبر واسطة .

الثانية والعشرون — الأرمن (يفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وون
في الآخر) وهم أهل إرمينية الذين نقياهم سلاذ سيس، قيل هم من ولد قهول، س
ماحور، س تارح، وهو آزر، وتارح أبو إبراهيم عليه السلام .

الثالثة والعشرون — الأشنان (يفتح الهمزة وسكون السين المعجمة وفتح الباء
الموحدة وألف ثم نون) قيل هم من ولد ماشح، س يافث، س نوح . وعبد الإسرائيليين
من ولد ياوان وهو يوان س يافث، وعبد آخرين أنهم من شعوب بن عيصو س

إسحاق، وقال الطبرى أشك أنهم من ولد رعويل بن عيصو بن إسحاق، وهو قريب من الذى قبله . .

الرابعة والعشرون اليونان — وهم الأمة الذين كان مهم الحكماء شرقاً الخليج القُسْطَنْطِينِيّ، وهم من ولد يوان، وهو يوان، بن يافث، بن نوح . وقال البيهقي هم من ولد يوان، بن حليان، بن يافث . وشد الكندي فقال يوان، بن عآر، بن شالخ، أس أرخشدا، بن سام بن نوح، جعل يوان أحاً لقحطان أنى عرب اليمن . وقال إنه حرج من بلاد العرب معاصراً لأخيه قحطان فرل شرقاً الخليج القُسْطَنْطِينِيّ، ورد عليه أبو العباس الناشي بقوله

تُحَلِّطُ يُونَانًا نَقَحَطَانَ صِلَّةً * لَعَمْرِي لَقَدْ نَاعَدْتَ يَمَهُمَا حِذَا

ثم اليوانية على ثلاثة أصناف اللطينيون، وهم سولطين بن يوان، والإعريقيون وهم سولعريق بن يوان، واللكيم، وهم سوللكيم بن يوان وهى أصل الروم فيما يقال على ما تقدم .

الخامسة والعشرون رُوَيْلَه — (بضم الراء وفتح الواو وسكون الياء المشاة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر) وهم أهل ترقه فى القديم، ومهم الطائفة الذين وصلوا ضُخْمة حوهر المعرى نانى القاهرة المسوب إليهم باب رُوَيْلَه بالقاهرة، يقال إليهم من سى حو بلا س كوش بن حام بن نوح .

السادسة والعشرون يأحوح وأحوح — وصطهما معروف . قيل إليهم من ولد داعوع، بن يافث، بن نوح، وقيل من ولد كومر، بن يافث .

البوع الثالث عشر

(المعرفة بمفاحرات الأئم ومساقراتهم ، وما جرى بينهم في ذلك من المحاورات والمراحعات والمناقصات ، وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في بيان وجه احتياح الكاتب إلى ذلك)

(١) لاحفاء أنه يتعين على الكاتب معرفة المفاحرات الواقعة بينهم ، من معرفة وحوه الاقتحار التي يمدح بمثلها مما يُستعان بمثله على المدح والإطراء الواقع في الولايات وما يُقَصَّل به كل واحد من اللعاء على حَصْمه ، وما يردُّ عليه من الأخوة المطللة له لِيَسِخَّ على موال ذلك فيما يرد عليه من المحاططات ، والمكاتبات عند دِعاية ضرورته إليه ، واحتياحه إلى إيراده .

المقصد الثاني

(في ذكر أُمودَح من المفاحرات ، والمفاورات تُنَسَّح على مواله)

فأما المفاحرات ، فمما ما روى أنه لما وَقَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَقَدَ بهي تميم سَةِ الوفود بعد فتح مكة ، فيهم عَطَّارِد س حاح ، سِ زُرَّارَه ، سِ عُدَّس التيمي ، وقَيْسُ س عاصم ، وقَيْسُ س الحارث ، وُتَيْم س ريد ، وُعْثَه س حِصْنِ آبِ حُدَيْبَة س بدر ، والأقرعُ س حاس ، في لَقَّهْم وَلَقِيهْمهم ، ودخلوا المسجد وبَادُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وراء خُجراته أن أَرُحَ إليها ياجِدُ ، فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من صياحهم خرج إليهم — فقالوا يا محمد حُتْناك

(١) لعله والتمسك من معرفة الخ كما هيده الساق

لِفَاحِرِكَ . فَاذِنْ لِّشَاعِرِنَا وَحَاطِينَا - قَالَ "قَدْ أَذِنْتُ لِحَاطِيكُمْ فَلْيَقُلْ" فَمَامَ عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ فَقَالَ .

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْنَا الْهَضَلُ ، وَهُوَ أَهْلُهُ ، الَّذِي جَعَلَنَا مُلُوكًا ، وَوَهَبَ لَنَا أَمْوَالًا عِظَامًا يَفْعَلُ مِمَّا الْمَعْرُوفُ ، وَجَعَلَنَا أَعْرَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأَكْثَرَهُ عِدْدًا ، وَأَشَدَّهُ عُدَّةً ، قَمْنٌ مِثْلًا فِي الْبَاسِ ؟ أَلَسْنَا رُءُوسَ الْبَاسِ وَأُولَى وَتَبْلَهُمْ ؟ مِمَّنْ فَاحِرًا فَلْيَعُدِّدْ مِثْلَ مَا عَدَّدْنَاهُ ، وَإِنَّا لَوْ شَاءَ لَا كَثُرْنَا الْكَلَامَ وَلَكِنَّا تَحِيًّا عَنِ الْإِكْثَارِ ، وَأَقُولُ هَذَا لِأَن تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِنَا ، وَأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنَا" ثُمَّ حَلَسَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لثَلَاثِ سِ قَيْسِ الْحَرَّحِيِّ "قُمْ فَأَجِبِ الرَّحْلَ فِي حُطَّتِهِ" فَمَامَ ثَلَاثِ سِ قَيْسِ فَقَالَ

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خَلَقَهُ ، قَصَى فِيهِ أَمْرَهُ ، وَوَسَّعَ كَرِسِيَّهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا مِنْ فِعْلِهِ ، ثُمَّ كَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أَنْ جَعَلَنَا مُلُوكًا وَأَصْطَفَى مِنْ حَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا ، أَكْرَمَهُ نِسَاءً ، وَأَصْدَقَهُ حَدِيثًا وَأَفْضَلَهُ حَسَبًا ، فَأَرْبَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَكَانَ حَيْرَةً مِنَ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ دَعَا الْبَاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، فَأَمْسَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَدَوَى رَجِيمُهُ ، أَكْرَمُ الْبَاسِ أَحْسَانًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَحَيْرُ الْبَاسِ فِعَالًا ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ الْخَلْقِ إِحَابَةً ، وَأَسْتَحَابَ اللَّهُ حِينَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ ، فَحَسَّ أَنْصَارُ اللَّهِ ، وَوَرَّاءَ رَسُولِ اللَّهِ ، تُقَاتِلُ الْبَاسَ حَتَّى يُؤْمُوا ، مِمَّنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُتَعَمِّمًا لَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ كَفَرَ حَاذَنَاهُ فِي اللَّهِ أُنْدَا ، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا ، أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ " .

فقام الررقان س نذر التيمى فقال

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَى يُفَاحِرُنَا . مِمَّا الْمُؤَكُّ وَفِيهَا تُصَبِّبُ الْبَيْعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ * عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِرِّ يَتَّبَعُ
وَنَحْنُ نَطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمًا * مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُوسِ الْقَرْعُ
وهى أبيات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحسان س نأت "قم فأحب الرجل فيما

قال" فقال حسان رضى الله عنه

إِنَّ الدَّوَائِتَ مِنْ فِيهِرٍ وَإِخْوَتِيَهُمْ * قَدْ يَبْنُو سُنةً لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ * تَقْوَى الْإِلَهَ وَكُلُّ الْحَيْرِ يُضْطَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا صَرَوْا عَدُوَّهُمْ * أَوْ حَاوَلُوا الْفَقَعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَقَعُوا
سَحِيحَةً تِلْكَ مِنْهُمْ عَيْرٌ مُحَدَّثَةٌ * إِنْ الْحَالِاقُ فَاعْلَمْ شَرَّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي الْبَاسِ سَاقُونَ بَعْدَهُمْ * وَكُلُّ سَنَقٍ لَأَدْنَى سَنَقِهِمْ تَبَعُ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ * عِنْدَ الدَّفَاجِ وَلَا يُؤْهِونَ مَا رَفَعُوا
أَكْرِمَ قَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَبْعَتَهُمْ * إِذَا تَفَاوَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
وهى أبيات .

ويروى أن الررقان س نذر قال

أَتَيْتُكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا . إِذَا أَحْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِصَارِ الْمَوَاسِمِ
وَأَنَا فُرُوعُ الْبَاسِ فِي كُلِّ مَوْطِئٍ . وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَارِ كِدَارِمْ
وَأَنَا نُدُورُ الْعَالَمِينَ إِذَا اتَّخَعُوا . وَنَضِرُ رَأْسَ الْأَصْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ
وَأَنَا لَنَا الْمِرْبَاعُ فِي كُلِّ عَارِيَةٍ . يُعِيرُ تَحْدِيدَ أَوْ نَارِضِ الْأَعَاخِمِ

فقام حسان بن ثابت فأحابه فقال

هَلِ الْمَحْدُ إِلَّا السُّودَدُ الْعَوْدُ وَاللَّدَى * وَحَاهُ الْمُلُوكُ وَأَحْتَمَلُ الْعَطَائِمِ
تَصَرُّوا وَأَوَيْتَا إِلَيَّ مُجْتَدَا * عَلَى أَنْفِ رَاصٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاعِمِ
تَصَرَّاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا * بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ نَاجٍ وَطَالِمِ
حَمَلْنَا بَيْتَا ذُوهُ وَبَاتِنَا * وَطَنَاهُ لَهْ نَفْسًا مِثْلَ الْمَعَامِ
وَمَنْ صَرَّ نَاسَ الْهَاسِ حَتَّى نَتَّاعُوا * عَلَى دِيْبِهِ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ
وَمَنْ وَلَدَنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَاهَا * وَلَدَنَا بَنَى الْحَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنَى دَارِمٍ لَا تَفْجَرُوا إِنْ خَرَّكُمْ * يَعُودُ وَتَالَا عِنْدَ دُرِّ الْمَكَارِمِ
هَلِمْ عَلَيْنَا تَفْجَرُونَ وَأَنْتُمْ * لَسَا حَوْلَ مِنْ بَيْنِ طَيْرٍ وَحَادِمِ
إِنْ كُنْتُمْ حُتْمٌ لِحَقِّ دِمَائِكُمْ * وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ يَدًا وَأَسْلُبُوا * وَلَا تَلْسُسُوا رِيًّا كَرِيًّا الْأَعَاجِمِ

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس وأبي إلهاد الرجل مُراد ،
لَحِطِيْهُ أَحْطَطُ مِنْ حَطِيْبِنَا ، وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا ، وَأَصْوَاتُهُ أَعْلَى مِنْ
أَصْوَاتِنَا ، فَأَسْلَمُوا وَأَحْسَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَوَائِثَهُمْ .

ففي هذا الوفد رل « إِنَّ الدِّينَ سَادُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْمُخْرَبَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ حَيًّا لَمْ وَاللَّهِ عَوْرٌ رَحِيمٌ . »

قلت وهذه مكاررة طاهره ، وتحاهل فاحش من سى تميم ، حيث طلبوا المفاخرة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل العرب على اختلاف شعوبهم ، ونتابع قائلهم
معتريون لى هاشم بالسبق فى الشرف ، والتقدم فى الفصل ، مع ما فصل الله تعالى به

رسوله صلى الله عليه وسلم، وَحَصَّه به من ربيع الشَّرف الذى لم يلعنه نبي مرسل،
ولا ملك مقرب .

وقد تعرض أبو نواس في بعض أشعاره لمَدح نبي تميم، وبالع في حُرهم فأحش، فقال
حَرِمَةُ حَيْرِ بِي حَارِم * وَحَارِمُ حَيْرِ بِي دَارِم
وَدَارِمُ حَيْرِ تَمِيم وَمَا * مِثْلُ تَمِيمٍ فِي بِي آدَم
ونقصه عليه الشيخ فتح الدين سَيِّد الناس اليعمرى، فقال رحمه الله فأحاد
القول، وفار بالقذح المَعْلَى فقال

مُحَمَّدٌ حَيْرِ بِي هَاشِم * فَسَ تَمِيمٌ وَسُو دَارِمُ
وَهَاشِمٌ حَيْرِ قُرَيْشٍ وَمَا * مِثْلُ قُرَيْشٍ فِي بِي آدَمُ

وهو مأخوذ من قول الأول

قُرَيْشٌ حَيَارِ بِي آدَم * وَحَيْرُ قُرَيْشٍ سُو هَاشِمِ
وَحَيْرُ بِي هَاشِمِ أَحْمَدُ * رَسُولُ الْإِلَهِ إِلَى الْعَالَمِ

وإليه يطر قول أس عرسية

لِلَّهِ مِمَّا قَدْ رَأَى صَفْوَةً * وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ سُو هَاشِمِ
وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ * مَجْدُ السُّورِ أَبُو الْقَاسِمِ

ولقد أنصف إسحاق بن إبراهيم الموصلي حيث قال

إِذَا مُصَّرُ الْجُرَاءِ كَانَتْ أَرْوَمِي * وَقَامَ بَحْرِي حَارِمٌ وَأَسُّ حَارِمِ
عَطَسْتُ نَافِ شَاخٍ وَتَاوَلْتُ * يَدَايَ الثَّرِيَّا قَاعِدًا عَيْرَ قَائِمِ

فإنه جعل مُصَّر التي هي أرومة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصلَ حُرهِ وَقَعْدَدُ
سُودَدَه فأصاب العجز في قوله، وفار بالشرف في شعره .

قال المولى صلاح الدين الصّديّ رحمه الله في شرح لامية العجم " وإيما ذكر حارما لأنه مولى حُرَيْمَةَ بنِ حارم الميمى، وإيما بن أبوه الموصل فُسِبَ إليها .

ومن لطيف ما يحكى أن معاوية بن أبى سفيان كان حالسا وعمده جماعة من الأشراف، فقال معاوية " مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ أَمَا وَأُمًّا، وَحَدًّا وَحَدَّةً، وَعَمًّا وَعَمَّةً، وَحَالًا وَحَالَةً؟ " - فقام الثُّمَالُ بنُ العجلان الرُّقِّيّ بعد ما أحد بيد الحسن فقال " هذا أبوه عليّ بن أبى طالب، وأُمُّه فاطمة، وَحَدُّهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَحَدَّتُهُ حَدِيَّةٌ، وَعَمُّهُ جعفر، وَعَمَّتُهُ أُمُّ هَانِئٍ أُمَةُ أبى طالب، وَحَالُهُ الْقَاسِمُ، وَحَالَتُهُ زَيْبُ، فَعِدَاةُ الشُّرَفِ الدِّى لَا يُدَانِي وَالْفَصْلُ الدِّى لَا يُبَارَى " .

وقريب من ذلك ما يحكى أنه حرى بين عبد الله بن الربير وبين معاوية كلامٌ طويل في آخره - " فقال أس الربير، ما مِنِ ابْنٍ يُهَارِشُ، وَلَكِنْ عَبْدُكَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْ سَائِكِي الْخُحُونِ وَالْأَطَامِ مَنْ إِنْ سَأَلْتَهُ حِمْلَكَ عَلَى مُحِجَّةِ أَبِيٍّ مِنْ طَهْرٍ الْحَمِيرِ - قَالَ وَمَنْ ذَلِكَ - قَالَ هَذَا " يعنى أنا الْحَمِيمُ بنُ حُدَيْبَةَ - فقال معاوية تَكَلِّمْ يَا أبا الْحَمِيمِ - فقال أَعْقِبِي - فقال عَزَمْتُ عَلَيْكَ لِنَقُولَنَّ - قَالَ بَعْمُ أُمُّكَ هَبْدُ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بَدَتْ أَبَى بَكْرٍ، وَأَسْمَاءُ حَيْرٌ مِنْ هَبْدٍ، وَأَنْتُكَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَبُو الرَّبِيرِ وَمَعَادُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ أَبُو سُفْيَانَ مِثْلَ الرَّبِيرِ، وَأَمَا الدِّبْيَا فَلَكَ، وَأَمَا الْآخِرَةُ فَلَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن ذلك ما حكاه أس الكلبيّ . قال قال كِسْرَى الثُّمَالُ بنُ المدر يومًا هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ تُشْرَفُ عَلَى قَبِيلَةٍ؟ قال نعم - قال فَبَأَى شَيْءٌ؟ قال مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَنْاءٍ مَتَوَالِيَةً رُؤَسَاءَ، ثُمَّ أَتَصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّابِعِ وَالْبَيْتِ مِنْ قَبِيلَتِهِ فِيهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ - قَالَ فَاطْلُبْ ذَلِكَ فَطَلَهُ فَلَمْ يَصْصِهِ إِلَّا فِي آلِ حُدَيْبَةَ بنِ بَدْرٍ، وَآلِ حَاجِبِ أَبِي زُرَّارَةَ، وَآلِ دِي الْحَدَّيْنِ، وَآلِ الْأَشْعَثِ بنِ قَيْسِ بنِ كِنْدَةَ - قَالَ فَجَمَعَ هَؤُلَاءِ

الرهطَ وَمَنْ تَعْمَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمُ الْحُكَّامَ وَالْعُدُولَ ، وقال ليتكلم كل رجل
مكم بما ترقومه وليصدق ، فكان حديقة سُ بدر الفرائي أول متكلم ، وكان ألس
القوم ، فقال قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والأعز الأعظم ، ومآثره
للصبيح الأكرم — فقال من حوله ولم دالك يا أبا قرارة ؟ فقال ألسنا الدعائم التي
لا تُرام ، والعز الذي لا يُصام ؟ قيل صدقت . ثم قام شاعرهم فقال

قَرَارَةُ بِنْتُ الْعِرِّ وَالْعِرِّ فِيهِمْ أ . قَرَارَةُ قَيْنِسُ حَسْبُ قَيْنِسٍ بِصَاهُهَا
لَهَا الْعِرَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي . نَآهَ لَقَيْنِسٍ فِي الْقَدِيمِ رِحَالُهَا
فَهَيْهَاتَ قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَصَّتْ . مَا تُرْقِنِسُ مَحْدُهَا وَفَعَالُهَا
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَرَّ يَوْمًا نَكَفَّهُ . إِلَى الشَّمْسِ فِي مَحْرَى السُّحُومِ بِهَا
إِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِدَاكَ حَمِيحُهَا . وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ الْبَاسِ حَالُهَا

ثم قام الأشعث الكندي ، وإعما أد له أن يقوم قل ربيعة وتيم لقراته من
العمان س المدر ، فقال ، قد علمت العرب أن نقاتل عديدها الأكر ، ورحقها
الأكر ، وإنا لبعث الكرات ومعدن المكومات — قالوا ولم يا أبا كدة ؟ قال
لأننا ورثنا ملك كدة فاستطابنا بأفائه ، وتقلدنا ملكه الأعظم ، وتوسطنا محوحه
الأكرم ، ثم قام شاعرهم ، فقال

إِذَا قِستْ أَسِيَاتُ الرَّحَالِ بِنْتِنَا . وَحَدَّتْ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يُفَاحِرُ
مَنْ قَالَ كَلًّا أَوْ أَنَا مُحْطِيَةً . يَأْوِرُنَا فِيهَا وَحْنٌ مُحَاطِرُ
تَعَالَوْا قِيُومَا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيْبَا . لَهُ الْقَضْلُ وَبِمَا أَوْرَثَهُ الْأَكْبَرُ

ثم قام نسطام الشيباني فقال " قد علمت العرب أن ساء بيتها الذي لا يروى ،
ومعسر عرها الذي لا يحول ، قالوا ولم يا أبا شيبان — قال لأننا أدركهم للثار ،
وأضرهم لللك الحسار ، وأقومهم للحكم ، وألدهم للصم . ثم قام شاعرهم فقال :

لَعَمْرِي لِسْطَامُ أَحَقُّ فَضْلًا * وَأَوَّلُ بَيْتِ الْعِرِّ عِرُّ الْقَسَائِلِ
 مَسَائِلِ (أَيَّتَ اللَّعْنِ) عِرِّ قَوْمِهَا * إِذَا حَدَّ يَوْمَ الْحَرِّ كُلُّ مَسَاقِلِ
 أَلَسْنَا أَعْرَّ النَّاسِ قَوْمًا وَبُصْرَةً * وَأَصْرَهُمْ لِلْكَشْرِ بَيْنَ الْقَسَائِلِ
 وَقَائِعِ عِرِّ كُلِّهَا رَعِيَّةً * تَدُلُّ لَهَا عِرًّا رِقَابُ الْمَحَاقِلِ
 إِذَا دُرِّكَتْ لَمْ تُسْكِرِ النَّاسُ فَضْلَهَا * وَعَادَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلِ
 وَإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَلْدَةٍ * إِذَا بَرَّتْ النَّاسَ إِحْدَى الرِّلَالِ
 ثُمَّ قَامَ حَاحُ سُرَّرَ التَّمِيمِ . فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدُ أَنَا فَرُغَ دَعَائِمَهَا ، وَهَادَةُ
 رَحْمَهَا — قَالُوا وَلَمْ دَاكَ يَا أَحَا سَيِّ تَمِيمٌ ؟ قَالَ لَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ عِيدِيَا ، وَأَحَبُّهُمْ طُرًّا
 وَلِيدَا ، وَأَنَا أَعْطَاهُمْ لِلْحَرِيلِ ، وَأَحْمَلُهُمُ لِلثَّقِيلِ ، ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ
 لَقَدْ عَلِمْتُ أَسَاءَ حَيْدُفَ أَسَا . لِمَا الْعِرُّ قَدْ مَاتَ فِي الْخَطُوبِ الْأَوَائِلِ
 وَأَنَا كِرَامُ أَهْلِ تَحْدٍ وَثَرْوَةٍ . وَعِرٌّ قَدِيمٌ لَيْسَ بِالْمَتَصَائِلِ
 فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَأَسِ سَيِّدٍ . أَعْرَّ بِحَبِيبِ دِي فَعَالَ وَبَائِلِ
 مَسَائِلِ (أَيَّتَ اللَّعْنِ) عَمَّا وَإَسَا . دَعَائِمُ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْحَلَائِلِ
 ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ السَّعْدِيُّ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ هَؤُلَاءِ أَنَا أَرْفَعُهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ
 دَعَائِمُ ، وَأَتْنَتُهُمْ فِي اللَّائِنَاتِ مُقَادِمُ ، قَالُوا وَلَمْ دَاكَ يَا أَحَا سَيِّ سَعْدٌ ؟ قَالَ لَأَنَا
 أَدْرِكُهُمُ لِلنَّارِ ، وَأَمْعُهُمُ لِلنَّارِ ، وَأَنَا لَا تَسْكُلُ إِذَا حَمَلْنَا ، وَلَا تُرَامُ إِذَا حَلَمْنَا . ثُمَّ قَامَ
 شَاعِرُهُمْ فَقَالَ

لَقَدْ عَلِمْتُ قَيْسُ وَحَيْدُفَ أَسَا * وَحُلُّ تَمِيمٍ وَالْجَمِيعِ الدِّي تَرَى
 نَانًا عِمَادٌ فِي الْأُمُورِ وَأَسَا . لِمَا الشَّرُّ الصَّحْمُ الْمُرْكَبُ فِي الدِّي
 وَأَنَا لِيُوثُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَارِقٍ . إِذَا حَرَّ بِالْبَيْضِ الْحَاحِمُ وَالْطَّلِي^(١)

قَمْنِ دَالِيَوْمِ الْفَجْرِ يَعْدِلُ عَصِمَا * وَقَيْنَسَا إِذَا مَرَّتْ أَلُوفٌ إِلَى الْعَلَا
فَهَيْهَاتَ قَدْ أَغْيَا الْحَمِيعَ فِعَالُهُمْ * وَقَامُوا بِيَوْمِ الْفَجْرِ مَسْعَاةً مِنْ سَعَى

فقال كسرى حينئذ ليس مهمم إلا سيد يصلح لموصعه ، وأسى حياءهم ،
وأعظم صلاتهم ، وكثر مآتهم .

قال أبو عبيدة كانت العرب تعدّ البيوتات المشمورة بعظم القدر والشرف .
تعدّ بيت هاشم بن عبد مناف ، وتعدّ أربعة ، أولها بيت آل حديقة بن بدر ، وبيت
آل ررارة الدارميّين بيت سى تميم ، وبيت آل دى الحدّس عبد الله بن عمرو بن
الحارث بن هشام بيت سى شيان ، وبيت سى الدّيان من سى الحارث بن كعب
بيت اليمن . قال فأما كمدة فلا يعدّون فى البيوتات إنما كانوا ملوكا .

وأعلم أن المفاخر قد تكون بحقيقة الحسب . وقد تكون فيها الفصاحة واللّس
مقام الحسب كقول أنى تمام الطائى يقتحر

أَمَا أَنُّ الدِّينَ اسْتَرْصِعَ الْمُحَدُّ فِيهِمْ - وَسَمَّى فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَا فِع
مَصَّوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدِيَهُمْ لَكَثْرِهِ مَا وَصَّوْا مِنْ سَرَائِعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَعْدِ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا رَاحَةٌ مِنْ مَحْدِهِمْ وَأَصَابِعُ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْضُوطَةً أَلَا فَصَاعَ وَمَا صَاعَتْ لَدِيَا الْوَدَائِعُ

وقوله أيضا

حرى حاتمٌ فى حَلْمَةٍ مِثْلِهِ لَوْ حَرَى هَا الْقَطْرُ شَاوَا قِيلَ أَشْمَا الْقَطْرُ
وَيِى دَحْرُ الدُّنْيَا أُنَاسٌ وَلَمْ يَرَلْ لَهَا مَادَلًا فَانْطَرَأِمْنَ بَقَى الدُّخْرُ
مَنْ شَاءَ فَلْيَفْجَرْ مَا شَاءَ مِنْ بَدَى فَلَيْسَ لِحَى عَيْرٍ بِأَنَّ ذَلِكَ الْفَجْرُ
حَمْنًا الْعَلَا مَا لُحُودٌ نَعْدَ آفَرِاقِهَا إِلَيْهَا كَمَا الْإَيَّامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ

قال في شرح الالامية وعد أكثر الناس أن أما تمام كان أبوه بصرايا يقال له تدرس العطار، من حاسم . قرينة من قُرَى حوران من الشام، وبغير أسم أبيه وأندس في بنى طيء، وذكر صاحب الأعاني أن رجلا قال لخير من أشعر الناس؟ قال قم حتى أعرفك الحواب، فأحد بيده وحاء به إلى أبيه عطية، وقد أحد عتراً له فاعتقلها وحمل يَمْصُ صَرَعَهَا، فصاح به أَرْحُ يا أبت، فخرج شيخ دَمِيم، رث الهيئة . وقد سال ابن العرعري لِحَيْتِهِ، فقال ترى هدا؟ قال نعم . قال أو تعرفه قال لا . قال هدا أنى، أو تدرى لم كان يشرب من صرع العرعري قال لا، قال محافة أن يسمع صوت الحناب فيطاب منه، ثم قال أشعر الناس من فاحر هذا الأب ثماين شاعرا وقارعهم فعلمهم .

قال الصلاح الصفدى ما هذه إلا وقاحة عظيمة من حريرى ومما حارته أولئك الشعراء وهذا أبوه، لكنه تعمر له هذه الوقاحة بأعترافه لذلك الرجل، وإطهار محل أبيه . وربما كان الافتحار بالتورية والتعريض بالأمور المقتضية للشرف، بحيث يطن السامع حقيقة الافتحار والشرف مخرد السماع، فإذا عرف المقصدين له خلاف ذلك، كقول أنى الحسن الحرار

أَلَا قُلْ لِلدِّي يَسَاءُ * لُ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ أَهْلِي
لَقَدْ تَسَأَلُ عَنْ قَوْمٍ * كِرَامِ الْقَرِيعِ وَالْأَصْلِي
يُرِيقُونَ دَمَ الْأَنْعَا * مِ فِي حَزْنٍ وَفِي سَهْلٍ
وَمَا رَأَوْا لِمَا يُنْدُو * نَ مِنْ بَاسٍ وَمِنْ بَذَلٍ
يَرْحِمُهُمْ سَوْ كَلَبٍ * وَيَحْشَاهُمْ سَوْ عِجَلٍ

وقوله أيضا

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ سَفْكِ الدَّمَاءِ لَهْمُ دَابُّ، وَسَلَّ عَنْهُمْ مِنْ رَبِّ تَحْقِيقِ

تُصَيُّءُ بِالْدَّمِ إِشْرَاقًا قَوَاصِمُهُمْ * فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامُ تَشْرِيقٍ

وعلى هذا المنهج ما حكاه بعضهم ، قال وتحدث على قبر مكتوبا أنا أن من كانت الريح طوع أمره ، يخدمها إذا شاء ، ويُطْلِقُهَا إذا شاء ، قال فعظم في عيني ، ثم ألتفت إلى قبر آخر قبائله فإذا عليه مكتوب لا يعترأ أحدٌ بقوله ، فما كان أنوه إلا بعض الحدادين ، يجبس الريح في كبره إذا شاء ، ويرسلها إذا شاء ، قال فعجبت مهما يتسائآن ميتين ، وإذا طرق السمع شيء من ذلك طن السامع أنه في عاية الفجر والشرف حتى يعلم حقيقته ، وأشاه ذلك وبطائره كثيرة ، وليس هذا موضع استيعاب القول في المعاصرة الحقيقية ولا غيرها .

وأما أيام المفاخرة وهي المحاكمة في الحسب ، فمن ذلك ما يحكى أن الأعشى^(١) أتى علقمه ، بن عُلَاثَةَ ، بن عَوْف ، بن الأَحْوَص ، بن جعفر ، بن كلاب ، وهو يريد سلامة دوفائس الحميري من التناعه ، فسأل الأعشى علقمة أن يتلّيه أى يحمره ، فقال له علقمة أَتُتْلِكُ عَلَى بَنِي الْأَحْوَصِ - قال لا يُقْبَعِي - قال فعلى بَنِي كَلَابِ قال لا يقبعي - قال وليس عدى أكثر من هذا ، فأتى عامر بن الطفيل بن مالك بن حنظل بن كلاب ، قال قلنا أَتُتْلِكُ عَلَى الْحَنِّ وَالْإِسْ ، ثم أتى سلامة فأصرف من عنده بحائنه .

وكان عامر وعلقمة المذكوران لما أسس أبو راء وهو عامر بن مالك ، بن جعفر ، ابن مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ تَارَعَا فِي الرِّيَاسَةِ .

فقال علقمه كانت لحدى الأحوص وإمّا صارت لعنك لسانه وقد قعد عنك عنها وأنا أسرحعها فأنا أولى بها منك ، مشرى الشرّ بينهما وسارا إلى المسافره ،

(١) وقع في الأصل وأفالس وهو بصحف من النسخ

وقدم الأعشى^(١) على تهيئة ذلك فصار هو وليد مع عامر ، وصار مع علقمة الخطيئة ،
والسندري ، وتافرا .

فقال عامر لعلقمة والله إني لأكرم منك حسا ، وأنت منك نسا ، وأطول
منك قصبا .

فقال علقمة والله لأنا خير منك ليلا ونهارا .

فقال عامر والله لأنا أحب إلى سائك أن أصبح فيهن منك .

فقال علقمة أنا فرك إني لمر ، وإبك لعاجر ، وإني لولود ، وإبك لعافر ، وإني
لعم ، وإبك لعاهر ، وإني لوايف ، وإبك لعادر .

فقال عامر أنت رجل ولود وأنا رجل عقيم وقد وقيت لى عمرو س تميم .

وقد رعموا أى عدت بهم وهم كادون ، ولكى أنا فرك أنا أنحر منك للقاء ،
وخير منك فى الصباح ، وأطعم منك فى السنة الشياح^(٢) .

فقال علقمة أنت رجل تقاتل والباص ترعم أى حان ، ولأن تلقى العدو وأنا
أمامك أعمر لك من أن تلقاهم وأنا حلقك ، وأنت رجل حواد والباص يرعمون أى
بجيل ولست كذلك ، وأنت تعطى العشيرة إذا ألهمت ، ولكى أنا فرك أنا خير
منك أثرا ، وأحد منك بصرا ، وأشرف منك ذكرا .

فقال عامر أنت رجل فإ ، والباص لى الأحوص فصل على سى مالك
فى العدد ، وبصرى ناقص وبصرى صحيح ، ولكى أنا فرك أى أسبى منك سمة ،
وأطول منك فمة ، وأحسن منك لمة ، وأحد منك حمة ، وأسرع منك رحمة ،
وأعد منك همة .

(١) أى على أثره أطر الفاموس فى مادة فى أ (٢) السباح بالكسر المعط

فقال علقمة أنت رجل حسيم وأنا رجل قصيف ، وأنت حميل وأنا قبيح ،
ولكى أناورك نأانى وأعمامى .

فقال عامر آناؤك أعمامى ، ولم أكن لأناورك فيهم ، ولكى أناورك أنا حير
ملك عقيبا ، وأطعمُ ملك حذنا .

فقال علقمة قد علمتُ أن لك عقيبا وقد أطعمت طيبا ، ولكى أناورك أنى
حير ملك وأولى بالخير ملك .

فقال عامر إني والله لأركبُ ملك في الحمّاه ، وأقتلُ ملك للدكاه ، وحير ملك
للوالاه .

فقال بعض سى خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع سى الأخوص على سى مالك بن
جعفر إنك لن تطيق عامرا ، ولكن قل له أناورك لخيرنا ، وأقرسا للخيرات .
فقال علقمة له ذلك .

فقال عامر ^(١) غير وديس وديس وعمر فأرسلها مثلا نعم على مائة من الإبل إلى مائة
يعطاها الحكم أيا يغير عليه صاحبه أرححها ففعلوا ، ووضعوا بها رهنا من أسائهم على
يدى رجل يقال له حُرَيْمَة بن عمرو بن الوَحِيد فسَمَى الصِّمِينَ ، وصارت علما عليه
إلى الآن ، ورحح علقمة ومن معه من سى خالد وعامر فيمن معه من سى مالك وقد
أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك بن جعفر وهو أبو راء ، فقال يا عماه
أعنى - فقال يا ابن أخي سئى ، فقال لا أسئك وأنت عمى - قال فسبَّ الأخوص -
فقال عامر ولا أسئ والله الأخوص وهو سئى . فقال ولكى دوك بلى فإنى قد
رَبَعْتُ فَمَا أَرَبْعِينَ مِرْبَاعًا فَاسْتَعْنِ بِهَا عَلَى مَافِرَابٍ ، وَجَعَلَا مَافِرِهَما إِلَى أُنَى سَفِيانِ

(١) هكذا فى الأتى .

(٢) لعله إلى -

أس حرب س أمية فلم يقل بينهما شيئا، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال لهما
أنتما كركنتي البعير الأدرم، وأنى أن يقصى بينهما، فأنطلقا إلى أنى جهل س هشام،
فأنى أن يقصى بينهما، فوثب مروان س سراقفة، س قتادة، س عمرو، س الأحوص
وكان مع علقمة فقال

يَا لَقَرِيْشَ يَبْسُو الْكَلَامَا ۖ إِنَّا رَصِيْبَا مِنْكُمْ الْآحْكَامَا
فَبَيُّوْا إِذْ كُنْتُمْ الْحُكَّامَا ۚ كَابَ أُنُوْبَا لَهُمْ إِمَامَا
وَعَنْدُ عَمْرُو مَعَ الْعِشَامَا ۖ فِي يَوْمٍ خَيْرٌ مِّمَّاعِلَامَا
يُحْسِنُ فِيهِ الْكَرَّ وَالْإِفْدَامَا ۚ وَدِعْلِحَ أَقْدَمُهُ إِفْدَامَا
لَوْلَا الَّذِي أَحْتَمَمْتُمْ إِحْسَامَا ۚ لَا تَتَحَدَّثْتُمْ مَدْحَ أَعْمَامَا

فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا، فأتيا عيلا س سامه س معتب الثقفي وردهما إلى
حرمله س الأشعر المزني، وردهما إلى هيرم س قُطْبة س سنان القراري، وإيهما ساقا
الإبل معهما حتى أشتت وأرعت لا يأتيا أحدا إلا هاب أن يقصى بينهما،
فوعدهما هيرم إلى العام القابل، فأتيا للوعد، وقال لبيد وكان مع عامر يومئذ يرتحر
يَا هَيْرُمُ، وَأَنْتَ أَهْلُ عَدَلٍ ۖ هَلْ يَدَهْنُ فَضْلُهُمْ لِفَضْلِي^(١)
إِنْ يَفْجَحِ الْأَخْوَصُ يَوْمَافِي ۖ لِيَدَهْنُ أَهْلُهُ نَاهِي
لَا تَجْعَلْ سَكْلَهُمْ وَشَكْلِي ۖ وَتَسَلْ آبَاءَهُمْ وَتَسْلِي
قَدْ عَلِمُوا أَنَّا كَرَامُ الْأَصْلِ

وقال أيضا

إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ مَالِكٍ سِ حَعْفَرٍ ۖ عَلَقَمَ قَدْ نَافَرْتَ عَيْرَ مُنْقَرٍ
* نَافَرْتَ سَقْنَا مِنْ سِقَابِ الْعَرَعَرِ *

(١) لعله يوصل بالواو

فقال خُفَّاءُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ
هَبْهِ إِلَيْكَ الشَّعْرَ يَا لَيْدُ * وَأَصْدُكَ فَقَدِ يَنْفَعُكَ الصُّدُودُ
سَادَ أُنُوبًا قَلَّ أَنْ تَسُودُوا * سُودَدُكُمْ صَعِيرُهُ رَهِيدُ

ثم قال

إِنِّي إِذَا مَا لُسِي الْحَيَاءُ وَصَبَّاحَ يَوْمَ الْمَشْهَدِ اللَّوَاءُ
أُنْمِي وَقَدْ حُقَّ لِي النَّاءُ . إِلَى كُفُولٍ دِكْرَهَا سَاءُ
إِذَا لَا تَرَالِ حُلُوءُ كُؤْمَاءُ . مَقْوَرَةٌ لَسْفِيهَا رُءَاءُ
لَمْ يَنْهَهَا عَنْ تَحْرِهَا الصَّبَاءُ . لَسَا عَلَيْكُمْ سَوْرُهُ وَلَاءُ
. الْحَمْدُ، وَالسُّودْدُ، وَالْعَطَاءُ

ثم قال

أَنْتُمْ عَمِلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ . فِي سَوَاتٍ مُصَرَّاهِ الْهَوَالِكِ
. يَا شَرَّ أَحْيَاءٍ وَشَرَّ هَالِكِ .

وكان السدريّ مع علقمة فارتفع صوته، فقبل منّ دا " فقال
أَمَّا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيّ أَمَّا الْقَتْلُ الْحَمْدُ الطَّوَالُ الْحَقِيرِيّ
مِنْ وَلَدِ الْأَحْوَصِ أَحْوَالِي عِيّ

فقال عامر للبيد أحسه ' فرعب عن إحاسه، وكان السدريّ يقول لحدته
عيساء، وكانت أمة لفاحتة آسة جعفر بن كلاب، أمرأه شريح بن الأحوص،
فوقع عليها شريح فولدت له رآن، وريد، ونسها، فقال لبيد

لَمَّا دَعَا عَامِرٌ لِأُسْمِهِمْ أَنْتَ وَإِنْ كَانَ أَنْ عَيْسَاءُ طَالِمَا
أَلَا أَيَّ مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ وَلَا رَالَ يَلْقَى فِي الْحَيَاءِ الْمَلَاوَمَا

لِيَكْلَا يَكُونَ السَّندَرِيُّ بَدِيدًا * وَأَشْتَمُ أَعْمَامًا غُمُومًا عَمَامًا
وَأَنْشُرَ مِنْ نَحْتِ الْقُوزِ أُنُوءَةً * كِرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى الثَّمَامِ
لَعِنْتُ عَلَى أَثْنَائِهِمْ وَخُجُورِهِمْ * وَلِيدًا وَسَمَوَى وَلِيدًا وَعَاصِمًا
لِيَأْتِيَ أَيُّهَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ * فَلَا رَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا مِيَا

ووث الخطيئة فقال

مَائِحِسُ الْحُكَّامُ بِالْفَضْلِ نَعْدَمًا * نَدَا سَابِقُ دُورِ عُرَّةٍ وَخُجُولٍ
حَتَّى أَتَى عَلَى قَصِيدَةٍ كَامِلَةٍ، ثُمَّ قَالَ

يَا عَامٍ قَدْ كُنْتَ دَا نَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ * لَوْ أَنَّ مَسْعَاهَ مَنْ حَارَيْتَهُ أُمُّ

وَأَقَامَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَرْسَلَ هَرِمٌ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ،
فَقَالَ يَا عَامِرُ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ لَكَ رَأْيًا، وَأَنْ فَيْكَ حَيْرًا، وَمَا حَسَنَتْكَ هَذِهِ الْأَيَّامُ
إِلَّا لَتَنْصَرِفَ عَنْ صَاحِبِكَ، أَسَافِرُ رَحَلًا لَا تَهْجُرُ أُنْتَ وَلَا قَوْمُكَ إِلَّا نَائِمًا، وَمَا
الَّذِي أَتَيْتَ بِهِ حَيْرِيهِ؟ فَقَالَ عَامِرُ: أَشُدُّكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْصِلَ عَلَى عِلْقَمَةٍ،
فَوَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتَ لَا أَفْلَحَ بَعْدَهَا أَبَدًا. هَذِهِ نَاصِبِي لَكَ فَأَحْرُهَا وَأَحْتَكُمُ فِي مَالِي،
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْفَعُهَا وَسَوْ يَبِي وَبِيهِ — فَقَالَ أَنْصَرِفْ فَسَوْفَ أُرَى رَأْيِي فَخَرَجَ
عَامِرٌ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ سَيَفْصِلُهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عِلْقَمَةٍ سِرًّا، وَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ
لِعَامِرٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ عِلْقَمَةً بِمَا رَدَّ بِهِ عَامِرٌ وَأَنْصَرِفْ وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ يَنْفَرُ عَامِرًا
عَلَيْهِ، ثُمَّ إِذَا هَرِمًا أَرْسَلَ إِلَى أَحِيهِ وَسَيِّ أَحِيهِ إِلَى قَائِلِ عَدَا بَيْنَ هَدْيِ الرَّحْلِ
مِقَالَةً، فَإِذَا وَرَعْتَ فليطرد بعصمك عَشْرَ حُرَّاتٍ فليحرقها عن عِلْقَمَةٍ، وَليُطْرِدْ بِعَصْمِكَ
مِثْلَهَا فليحرقها عن عَامِرٍ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ النَّاسِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ. وَأَصْبَحَ

(١) فِي السَّابِقِ بَدِيدِي وَأَحْلَل — أَيُّ نَدَى وَعَمَامَا أَيُّ مَعْرِفَةٍ.

هَرِمَ حِلْسَ مَحْلِسَه وَأَقْلَ النَّاسِ ، وَأَقْلَ عِلْقَمَه وَعَامِرَ حَتَّى حَلَسَا ، فَقَالَ لِيدُ
 يَا هَرِمُ أَسَ الْأَكْرَمِينَ مَبِصَا ۞ إِنَّكَ قَدْ قُلَيْتَ أَمْرًا مُعْجَبًا
 فَأَحْكُمْ وَصَوْتُ رَأَى مَنْ تُصَوِّبَا ۞ إِنَّ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ تُرْتَبَا
 لَحَيْرُبَا حَالًا وَأُمًّا وَأَنَا ۞ وَعَامِرُ حَايَرَهُمَا مُرَكَّبًا
 ۞ وَعَامِرُ أَذَى لِقَيْسٍ نَسَا ۞

فقال هَرِمُ إِنَّكَ يَا بَنِي جَعْفَرٍ قَدْ تَحَاكَمْتَا عِنْدِي وَأَنْتَا تُكْرِمُنِي الْعَبِيرَ الْمُحِلَّ تَقْعَانِ
 الْأَرْضَ مَعًا ، فَلَيْسَ مَسْكَ وَاحِدًا إِلَّا وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ ، وَكَلَّا كَمَا سَيِّدُ كَرِيمٍ ،
 فَعَمِدَ سَوْ هَرِمَ وَسَوْ أَحْيَاهُ إِلَى تِلْكَ الْحُرُرِ وَجَرُّوْهَا حَيْثُ أَمَرَهُمْ هَرِمُ ، وَفَرَّقُوا
 بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَفْصِلْ هَرِمُ وَاحِدًا مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يُحَاجِبَ بِذَلِكَ شَرًّا
 عَلَى الْفَتَيْنِ ، وَهُمَا آسَا عَمٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْأَعَشَى ، حَرَحَ وَهُوَ يَقُولُ

شَاقَكَ مِنْ قَتْلَةٍ أَطْلَلْتُهَا	بِالشَّطِّ وَالْوُتْرِ إِلَى حَاجِرِ
وَقَدْ رَأَاهَا وَنَسَطَ أَثَرَاهَا	فِي الْحَيِّ دِي التَّهْبَةِ وَالنَّامِرِ
إِذْ هِيَ مِثْلُ الْمُضِيِّ هَيَّالَةٌ	تُرْوَى عَيْنِي دِي الْحِمَا الرَّائِرِ
كَكُذْمِيَّةٍ صُورَ مَخْرَاجِهَا	مُذْهَبٍ فِي مَرْمِيٍّ مَائِرِ
تَشِي عِلِيلَ النَّفْسِ لِأَيِّهَا	حَوْرَاءُ تَنْسِي بَطَرَ السَّاطِرِ
عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِبَاتُ	هَيْهَاءُ مِثْلُ الْمُنْهَرَةِ الصَّامِرِ
مَنْشُوقَةٍ الْقَدِّ عَلَامِيَّةٌ	مَوْضُوفَةٌ بِالْخَلْقِ الطَّاهِرِ
قَدْ هَدَّ النَّزْدَى عَلَى تَحْرِهَا	فِي مُنِيرٍ دِي صُحُحِ مَائِرِ
لَوْ أَسَدَتْ مَيِّتًا إِلَى تَحْرِهَا	عَاشَ وَلَمْ يُقْلَ إِلَى قَائِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا	يَا غَحَا لَلْيَبِ السَّاسِرِ
عَلَقَمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ	الْمَاقِصِ الْأَوْتَارِ وَالْوَائِرِ

والفارس الحيل يحيل إذا * نَارُ عَارِ الصَّكَّةِ النَّائِرِ
 سُدَّتْ بِي الْأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ * وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
 إِنَّ الدِّيَّ فِيهِ تَمَارَيْتُمَا * بَيْنَ السَّامِعِ وَالْبَاطِرِ
 حَكَمْتُمُوهُ فَقَصَى بَيْتَكُمْ * أَلْحَ مِنْهُ الْقَمَرُ الرَّاهِرِ
 لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ * وَلَا يُبَالِي عَنِ الْخَاسِرِ
 فَأَتَحَبُّ الدَّهْرَ مَتَى سُوَّيَا * لَمْ صَاحِكْ مِنْ دَاوِينَ سَاحِرِ
 فَأَقْ حَيَاءً أَنْتَ صَبَّغْتَهُ * مَالِكٌ نَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَادِرِ
 وَلَسْتُ بِأَلَا أَكْثَرَ مِنْهُمْ حَصَى * وَإِنَّمَا الْبِرَّةُ لِلْكَاتِرِ
 أَقُولُ لَمَّا حَاءَنِي فَخْرُهُ * سُخَانَ مِنْ عُلْقَمَةَ الْفَاحِرِ
 عُلْقَمَ لَا تَسْفَهُ وَلَا تَحْلَنْ * عِرْصَكَ لِلوَارِدِ وَالصَّادِرِ
 قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَصَى بَيْتَكُمْ * وَأَعْتَرَفَ الْمَقْصُورُ لِلسَّائِرِ

وعاش هَرِمٌ حَتَّى أَدْرَكَ حِلَافَةَ عَمْرِى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ يَا هَرِمُ أَيُّ الرِّحْلَيْنِ
 كُنْتَ مَقْصُلاً لَوْ فَعَلْتَ ؟ فَقَالَ 'أَوْ قُلْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَادَتْ حَدْعَةً ،
 وَلِلْعَتِّ شَعَقَاتٍ هَرَّ - فقال عمر رضى الله عنه "نَعَمْ مُسْتَوْدَعُ السَّرَّاءِ يَا هَرِمُ !
 مِثْلَكَ فَلَيْسَتْ تَوْدِعُ الْعَسِيرَةَ أَسْرَارَهُمْ ، وَإِلَى مِثْلِكَ فَلَيْسَتْ تَصِجُ الْقَوْمُ أَحْكَامَهُمْ" .

قال أبو عبيدة ومات علقمة مُحَوَّراً وهو وإلى عُمر بن الخطاب . وأما عامرُ
 أَسُّ الطَّفِيلِ فَأَصَابَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصَابَتْهُ الْعُدَّةُ وَمَاتَ
 فِي بَيْتِ سُلُوبِيَّةَ ، فَقَالَ 'أَعُدَّةُ كَعُدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبِيَّةَ' .

وفى هذه القصة مَقْعٌ فِي الْمَسَافِرَةِ عَنْ عَيْرِهَا ، وَفِي كِتَابِ "الرِّيحَانِ وَالرِّيحَانِ"

لبعض الأندلسيين حملة من هذه المفاخرات والمفاورات

النوع الثالث عشر

(المعرفة بأيام الحروب الواقعة ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في وحه آحتياح الكاتب إلى ذلك)

قد ذكر في "حسن التوسل" أن الكاتب يحتاج إلى معرفة أيام العرب ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأحرى ، وما جرى بينهم من الأشعار ، والمناقصات ، وذكر فارس مشهور ، أو ملك مدكور ، أو واقعة معينة لشخص خاص ، وما أدعاه كل منهم لنفسه أو ليومه لما في ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكاتبة من ذكر يوم مشهور ، أو فارس معين ، ونحو ذلك مما مضى عليه أمر الحاهلية ، أو حدث في الإسلام ، فإن الكاتب إذا لم يكن عارفا بالوقائع ، عالم بما جرى منها ، لم يدرك كيف يجب عما يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها .

المقصد الثاني

(في ذكر أيام من ذلك تُرشد إلى معرفة المقصد منه)

ومن أشهرها ذكرنا ، وأعظمها حرابا . يوم حرار (حرار اسم حمل بين الصفره ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به) ، وكانت الحرب فيه بين بني ربيعة القرس ، وهو ربيعة رار ، وبين قائل النضر ، وكانت العلة فيه لبني ربيعة . فقتلوا من قائل النضر خلقا كثيرا ، وكان قائد ربيعة كليب بن ربيعة ملك بني وائل (واسمه وائل وكليب لقب عليه) وهو من ربيعة القرس . وكان قد ملك على بني معد وقائل

حموع العرب وهرمهم وعظم شأنه ، وبقى رمايا من الدهر ، ثم داحله رهو شديد ،
وعى على قومه فصار يحيى عليهم مواقع السحاب ، ولا يرعى جماءه ، ويقول وحش
أرص كذا فى حواري ، فلا يصاد ، ولا ترد ليل مع ليله ، ولا تؤقد نار مع ناره ،
وبقى كذلك حتى قتله حساس من مرة الوائل أيضا ، ولم يقتل كليب توالى الحروب
سبب قتله بين سى تعلب ، وبين بكر آسى وائل ، وكان قائد سى تعلب مهلهل أحو
كليب ، وقائد سى بكر مرة أبو حساس المتقدم ذكره ، فكان بينهم يوم عيزة ، وتكافأ
فيه الفريقان ، ثم كان بينهم يوم واردة ، وانتصر فيه سى تعلب على بكر ، ثم كان
بينهم يوم الحنو ، وانتصرت فيه بكر على تعلب ، ثم كان بينهم يوم العصيات ،
وانتصرت فيه تعلب على بكر ، وأصيب سى بكر حتى طوا أهم قد نادوا ، ثم كان
بينهم يوم قصبة ، وهو يوم التحالقي كثر فيه القتل بين الفريقين ، فى أيام أحرلم
يشتد فيها القتال .

ومن أيام عمرهم المشهورة يوم عين أناع ، وعين أناع موضع يقال له دات
الحيار ، وكان الحرب فيه بين عسان ولحم ، وكان قائد عسان الحارث الذى طلب
أذرع أمرئ القيس ، وقيل غيره ، وكان قائد لحم المدرس ماء السماء بعير حلاف ،
وفى هذا اليوم قتل المدرس ، وأمرمت لحم ، وتعتهم عسان إلى الحيرة وأكثروا فيهم
القتل . ويوم مريح حليلة ، وكان بين عسان ولحم أيضا ، وكان من أعظم الأيام
وأشدّها حرما ، بلعت الحيوش فيه عددا كثيرا ، وعظم العار حتى قيل إن الشمس
احتجست وطهرت الكواكب الى فى غير جهة العار . ويوم الكديد ، وكان بين
يكاة وسليم ، وانتصرت فيه سليم على كاة ، وقتل فيه ربيعة من مكدم فارس كاة ،
وبه يصرب المثل فى الشجاعة ، وكان يعقر على قمره فى الحاهلية ، ولم يعقر على قمر
غيره . ويوم الكلاب الأول ، والكلاب موضع بين مصر الكوفة ، وكان بين

الأخوين شراحيل وسلمة آى الحارث بن عمرو الكندى، وشراحيل هو الأكبر
وكان معه بكر وائل وعيرهم، وسلمة الأصغر، وكان معه ثعلب وائل وعيرهم، واشتد
القتال بينهم، وانتصر سلمة وثعلب على شراحيل وبكر، وأهزم شراحيل وتبعته
حيل أحيه فقتلوه. ويوم الكلاب الثانى، وكان بين بكر وائل. ويوم أواره،
(وأواره اسمُ حل) وكانت الحرب فيه بين المدرس أمرئ القيس ملك الحيرة،
وبين مُندر وائل نسب الحيرة، وظهر فيه المدر، وأقسم أنه لا يزال يدبّحهم حتى
يسيل دمه من رأس أواره إلى حصيصه، وتبقى يدبّحهم والدم يجمد فسكب عليه ماء
حتى سال الدم من رأس الحسل إلى حصيصه، ورث يمينه. ويوم ررحان،
(وررحان اسم واد بالحجار) وكانت الحرب فيه بين الأخوص بن جعفر بن كلاب،
وسى دارم، وسى ماوية، وسى معند بن ررارة، وسى تميم، وأهزمت فيه سوتيم
ومن معهم، وأسر معند بن ررارة، وقصد أخوه لقيط بن ررارة أن يستعقه فلم
يقدر، وعدّوا معندا حتى مات. ويوم شعب حكمة، وشعب حكمة حصّة حمراء
بين الشريف والشرف. وكان من شأنه أنه لما أنقص وقع ررحان المتقدمة،
ومضى لها ستة، وذلك في العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، استجد
لقيط بن ررارة التميمى بن ديسان لثأر أخيه وأخذه. وتجمعت سوتيم عرسى سعد،
وحرّحت معه سو أسد، وسار بهم لقيط إلى عرسى عرسى في طلب ثأر أخيه
معنيد، فأدخلت سو عامر وسو عرسى أموالهم في شعب حكمة. فحصرهم لقيط
فخرجوا عليه من الشعب وكسروا حجاج لقيط وقتلوا اميطا، وأسروا أخاه حاجب بن
ررارة، وأتصرت سو عامر وسو عرسى بصرا عطا. وقيل أيضا من بن ديسان
وسى تميم ومن بن أسد جماعة مسكبه. وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم. ويوم
دى قار، وهو أقرب الوقائع المشهورة في الحاشية بهذا. وكان في سه أربعين من
مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل عام بدر.

وكان من حديثه أن كسرى أروير عصب على العمان من المسدر ملك الحيرة ،
عقبه وهلك في الحرس ، وكان الثمان قد أودع حلقته (وهى السلاح والدروع)
عند هاني من مسعود الكرى ، فأرسل أروير يطلبها من هاني ، فقال هذه أمانة ،
والحر لا يسلم أمانته ، وكان أروير لما أمسك العمان جعل مكانه في ملك الحيرة
إياس بن قبيصة الطائي ، فاستشار أروير إياسا ، فقال إياس المصاحبة التعاقل
عن هاني من مسعود حتى يطمئن وندعه فذكره — فقال أروير إنه من أحوالك
لا تألوه نصحا — فقال إياس رأى الملك أفضل ، فعث أروير الهريز^(١) في ألين
من الأعاجم ، وبعث ألما من مهراء ، فلما راع بكرس وائل حرهم أتوا مكانا من بطن
دى قار ، فبرلوه ووصلت إليهم الأعاجم ، وأقتتلوا ساعة فآهرمت الأعاجم هزيمة
قيحة ، فيروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، حذر ذلك أصحابه ، فقال "اليوم أول
يوم أنتصف فيه العرب من العجم ونى يصروا" .

ولأى عبيدة مصفف مقرد في أيام العرب ، وقد أورد منها أس عند ربه في كتاب
"العقد" حملة مستكثرة ، وفي آخر كتاب الأمشال للبدائي سدة محزنة من ذلك ،
وليس با حاحة إلى استيعابها هنا .

وأما الحروب الواقعة في صدر الإسلام . فمها وقعة الخمل ، وكانت بين علي كرم
الله وجهه ، ومعه أهل الكوفة ، وبين عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكانت
راكبة يومئذ على حمل اسمه عسكر وبه عيروت الوقعة ، وقُتل بين الفريقين خلق
كثير ، وكانت النخرة فيه لعلى ومن معه .

ومها وقعة صفين ، وكانت بين علي كرم الله وجهه ومعه أهل العراق ، وبين
معاوية بن أبى سفيان ، ومعه أهل الشام ، وكان استداؤها في ستة ست وثلاثين ،
وكان مدة مقامهم بصفيين مائة وعشرة أيام أوقعوا فيها وقعات كثيرة ، قيل تسعين

(١) في العقد المراد ، ومعهم اللذان الهامرا ، وفسره بالمردان

وقعة ، وكانت عدة القتلى بينهم فيما يقال من أهل الشام خمسة وأربعين ألفا ، ومن أهل العراق ستة وعشرين ألفا ، منهم ستة وعشرون من أهل بدر ، وكان عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مع عليّ رضى الله عنه ، وقاتل حتى قُتِلَ ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال "يَقْتُلُ عَمَّارًا الْعِنْتَةُ الْبَاقِيَةُ" ومصت عليهم مدة ، وعليّ رضى الله عنه على العراق ، ومعاوية على الشام ومصر إلى أن قتل عليّ رضى الله عنه .

ولا حاجة بنا إلى الخوص في أكثر من ذلك ، فإن ذلك مجمل على آحتهادهم ، والإمساك عما شجر بينهم واجب .

ومها وقعة مَرَحٍ رَاهِطٍ ، وكان من حديثها أنه لما هلك يريدُ سُرَّ معاوية ، كان سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى قَيْسِ بْنِ رَوْحٍ ، فوثب عليه رَوْحُ بْنُ الْحَارِثِ فَأَحْرَحَهُ مَعَهَا وَابَعَ عَبْدَ اللَّهِ أَسْنَ الرِّيرِ ، فلما قعد رَوْحٌ عَلَى الْمِيرِ ، قال الحمد لله الذي أقعدني مَقْعَدَ الْعَادِرِ الْعَاجِرِ وَحَصِرَ ، فَصَحَّحَكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى فِلَسْطِينَ ، وَالْأُرْدُنُّ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى فِلَسْطِينَ رَوْحُ بْنُ رِسَاقِ بْنِ الْحُدَّامِيِّ ، وَبَرَلَ هُوَ الْأُرْدُنُّ ، فوثب نَاتِلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْحُدَّامِيِّ عَلَى رَوْحِ بْنِ رِسَاقِ فَأَحْرَحَهُ مِنْ فِلَسْطِينَ وَابَعَ أَسْنَ الرِّيرِ ، وَكَانَ الْعَمَّانُ أَسْنَ تَشِيرِ عَلَى حَمَصِ بْنِ أَبِي لَاسِ الرِّيرِ ، وَكَانَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسِ عَلَى دِمَشْقٍ ، فَجَعَلَ يَقْدُمُ رَحْلًا وَيُحْرَأُ أُخْرَى ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَالَ الصَّحَّاحُ هَلْ لَكَ أَنْ تَقْدُمَ عَلَى أَسْنَ الرِّيرِ بَيْعَةَ أَهْلِ السَّامِ ، قَالَ نَعَمْ وَوَأَقِ عَلَى ذَلِكَ سَوَامِيَّةً ، وَالْحَمَّانِيُّونَ ، فَلَمَّا فُشِيَ ذَلِكَ أُرْسِلَ الصَّحَّاحُ إِلَى سَيِّمِيَّةَ بَصْدَرَ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ لِمَرْوَانَ وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ أَكْتَبُوا إِلَى حَسَّانِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسَيَّرَ مِنَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى يَبْرَلَ الْحَايَةَ ، وَسَيَّرَ بَحْسَ مِنْهَا حَتَّى يَلْقَاهُ فِطْرَ هَبَاكٍ رَحْلًا بِرِصْوَةٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ رَايَاتُ الصَّحَّاحِ مِنْ دِمَشْقٍ ، قَالَتِ الْقَيْسِيَّةُ لَا تَصْحَحُكَ دَعْوَانَا إِلَى بَيْعَةِ أَسْنَ الرِّيرِ ، وَهُوَ رَحْلُ هَذِهِ

الأمة، فلما بايعاك حرحت تاعا لهذه الأعراب سى كلب، فأحاهم إلى إظهار بيعة
أس الرير، وسار حتى رل مرج واهط، وأقل حسان حتى لقي مروان، فسار مع
مروان حتى لَقُوا الصِّحَاك، وهم نحو من سعة آلاف، والصِّحَاك في نحو ثلاثين ألفا
وأقتلوا، فقتل الصِّحَاك وقُتِل معه أشراف من قریش .

المقصود الثالث

(في كيفية استعمال الكاتب ذكر هذه الوقائع في كلامه)

لا يحى أن الكاتب المترشح للكتابة إذا كان من المعرفة أيام الحرب، والعلم
تفاصيل أحوارها، ومن يعد من فرسان حروبا، ومصانع خطائها، ومفلق شعرائها،
وما جرى بينهم في ذلك من الخطب والأشعار والمناقصات، كان مستعدا لما يستشهد
به من واقعة قديمة، أو يرد عليه في مكاتبة أو شعر من ذكر أيام مشهورة،
أو ذكر فارس معين، كما قال أبو تمام الطائي يمدح سى شيبان

إذا افتحرت يوما تميم نقوسها . ورادت على ما وطدت من مآقب
فأنتم يدي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهبوا قوس حاجب
يشير إلى أن حاجب س ردارة التميمي وفد على كسرى في سنة حذب فقال
الحاجب من أنت؟ قال رجل من العرب، فلما دخل على كسرى قال له من أنت؟
قال سيد العرب — قال ألم تقل بالناب إنك رجل من العرب؟ — قال كنت بالناب
رحلا منهم فلما حصرت بين يدي الملك سدتهم، فملا فمه دُزًا، وشكا إليه محل
الحجار، وطلب منه حمل ألف بعير تزا على أن يعيد قيمتها، — فقال وما ترهسى على
ذلك — قال قوسي، فاستعظم همته وقال قلت، وأعطاه حمل ألف بعير تزا، ومات
حاجب فأحضر سوه المال بعد موته وطلبوا منه قوس أبيهم فافتحرت تميم بذلك .

(١) لعله إذا كان على حاجب من المعرفة ما نام الح كما هو ظاهر

فأشار أبو تمام في بيتيه إلى هذه الموقعة يقول ياى شَيْبَانَ في يوم دى قار أندتم
حيوش كسرى الذى آسترهن قوس حاحب . .

وكما قال أبو نصر "الفتح بن حاقان" في حطبة كتّاه "فلاند العقيان" لو حاوره
كُتِبَ ما طرق حمّاه ، أو أستحار به أحد من الدهر حمّاه ، أو كان بوادى الأخرم ،
لطاف به ربيعة وأحرم ، أو أستحده الكندى ما كساه الملاء ، أو كان حاصراً
بسطام لما حرّ على الألاء .

وكما قلت في المعامرة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر المقرّ الرئى أى يريد
الدوادار الذى من أحله وصعت "فلواقية فارس عئس لوثى عائسا ، أو طرق حمى
كُتِبَ لبات من حمّاه آيسا ، أو قارعه ربيعة بن مكّدم اعلا بالسيف مفرقه ،
أو بارله بسطام لندد جمعه وفرقه" .

إلى غير ذلك مما يجرى هذا المحرّى ويتطعم في هذا السلك .

قال في "حسن التوسل" وإذا لم يكن صاحب هذا الفن عارفا بكل يوم من
هذه الأيام ، عالم بما حرّى ومما لم يذّر كيف يُعيب عما رد عليه من مثلها ، ولا
ما يقول إذا سئل عنها . قال وحسنه ذلك تقصا في صناعته ، وقصورا عما يتعين
عليه من معرفته وحسن الجواب عنه عند السؤال عنه .

وأما الوقائع التى وردت في حوادث خاصه نأفوا فتد قال الورى "صياء الدين بن
الأثير" رحمه الله في "المثل السائر" إنها كالأمثال في الاستشهاد بها ودكرها أمثلة .
مما قوله من كتاب ولا يُعد البرّ رّاً حتى تلحق الغيب بالخصور ، ويصل من لم
يصله بحراء ولا شكور ، وربه العاب بالساهد من كم الإحسان . ولهذا نأث سَمَال
رسول الله عن يمين عثمان . اسر إلى أن اتى صلى لله عليه وسلم . في بيعة الحديبية

(١) لعل من أئده ما بالبح (٢) في بعض النسخ

كان قد أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى مكة في حاجة ، ولم يحصر البيعة ، فصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيده الشمال على اليمين وقال ”هذه عن عثمان وشمالى خير من يمينه“ .

ومها قوله من تقليد لعص الملوكة من ديوان الخلافة ”وإذا استعنت بأحد على عملك فاصرب عليه بالأرزصاد ، ولا ترص بما عرفته من مبدأ حاله ، فإن الأحوال تنتقل بتقل الأحمساد ، وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خُدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد .

يشير بذلك إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استدعى أبا موسى الأشعرى ومن يليه من العيال وكان مهم الربيع بن زياد الحارثى ، فذهب الربيع بن زياد إلى بعض موالى عمر وسأله عما يروح عنده ويتفق عليه ، فأشار إلى خشونة العيش فصى ، وليس حنة صوف ، وعمامة رثاء ، وحققاً مطانقاً ، وحصر بين يديه فى حملة العمال ، فصوت عمر بظرو وصعده فلم يقع إلا عليه ، فأدناه وسأله عن حاله ، ثم أوصى أبا موسى الأشعرى به .

ومها قوله فى معارضة كتاب القاصى الفاضل إلى ديوان الخلافة يُعدديه مساعى الملك الماصر ”صلاح الدين يوسف بن أيوب“ وما قاساه فى الفتوح من الأهوال وهو ومن حملها ما فعل الحادى فى الدولة المصرية . وقد قام بها منبر وسرير ، وقالت ما أمير ومكم أمير ، فرد الدعوى العاسية إلى معادها ، وأدكر الممار ما نسيته بها من رهو أعوادها . يشير بذلك إلى ما تقدم من اجتماع الأنصار فى اليوم الذى مات فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، فى سقيفه بنى ساعدة إلى سعد بن عباد ، وكيم ذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وقال الحباب بن المندر ميا أمير ومكم أمير ، فقال أبو بكر رضى الله عنه لا ، ولكم الأمراء وأنتم الورياء . إلى غير ذلك مما يجرى هذا المحرى وينتظم فى هذا السلك .

النوع الرابع عشر (في أواد العرب)

وهي أمور كانت العرب عليها في الحاهلية، بعضها يجري محرى الديانات، وبعضها يجري محرى الأصطلاحات والعادات، وبعضها يجري محرى الحرافات، وحاء الإسلام بإبطالها . وهي عدة أمور

مها الكهانة ، وكان موضوعها عندهم الإحبار عن أمور عيية بواسطة أسراق الشياطين السمع من السماء، وإلقاء ما يستمعونه من العيديات إليهم . وقد كان في العرب قبل البعثة عدة كهنة تعتمد العرب كلامهم، ويرجعون إلى حكمهم فيما يُخبرون به . ومن غيب أحادهم في ذلك أن همد آسة عتة ربيعة كانت تحت العاكه اس المعيرة المحرومي، وكان له بيت للصيافة يعشاء الناس من غير إذن ، خلا البيت يوما فأصطجع العاكه هو وهد فيه ، ثم هص العاكه لعص حاجته، وأقل رحل ممن كان يعيش البيت فولح فلما رآها وثى هاربا وأبصره العاكه فأقل إلى همد فركصها برحله وهي نائمة فانتبت - فقال من ذا الذي حرح من عندك - فقالت لم أر أحدا وأنت الذي رأيتني - فقال لها أدهي إلى بيت أيسك فأقيمي عنده ' وتكلم الناس فيها - فقال له أبوها إنك قد ربيت آنتي بأمر عظيم، فحاكبي إلى بعض كهان اليمن ، فخرجا في جماعة من قومهما إلى كاهن من كهان اليمن ومعهما همد وسوسة أخر، فلما شارفوا بلاد الكاهن ، قالت همد لأبيها إنكم تأتون نسرا يصيب ويخطئ ولا آمه أن نسمي ميسما نكون على سته - فقال أبوها سأختبره لك فصمقر لمرسه حتى أدلي، فأدخل في إحليله حبه حظه وتسد نامها بسر، فلما دخلوا على الكاهن ، قال له عتبه إنا قد حماك في أمر وقد حُب لك حنا أحترك به فاطر ماهو فقال ثمرة في كمره - فقال أريد أيب من هذا - فقال حبه تر ، في إحليل

مُهر - فقال له أنظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يذو من إحداهن فيصربُ يده على كتفها ويقول أمهص حتى دنا من هذ فقال لها أمهصى غير رَشَاءٍ ولا راييه وتلذذت مليكا أسمه معاويه، فهص إليها العاكة فأحد بيدها، فحدث يدها من يده، وقالت إليك عني^١ فوالله لأخريص على أن يكون من غيرك، فتروحها أبو سفيان أس حرب فولدت له معاوية، فكان من أمره ما كان إلى أن آتته به الحال إلى الخلافة. وقد أحر جماعة من الكهنة تمتعت التي صلى الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم سطيح الكاهن وغيره.

ولما نعت التي صلى الله عليه وسلم، حُرست السماء ومُنت الشياطين من استراق السمع كما أحر تعالى بقوله: وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شِهَانًا رَصَدًا.

ومنها الرخر والطيرة وهما في معنى واحد، وأصله أهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه رحرروا الطير حتى يطير، وإن طار يميناً كان له حكم، وإن طار شمالاً كان له حكم، وإن طار أماماً كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم، ومن ثم سميت الطيرة أحداً من أسم الطير، وأكثر ما عولوا عليه من ذلك العراب، ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم حاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الخجادات من كسر أو صدع أو يحودك، وربما آتتهى بعض الرخر إلى حد الكهانة.

ومما يحكى من رحر الطير أب رحلا من لَهِيب وهم بطن من العرب يُعرفون بالعيافة، حرح في حاحه له، ومعه سقاء من لبن فسار صَدْرَ يومه فعطش فأباح ليشرب فإذا عراب فعب فأناز راحلته، ثم سار حتى كان وقت الطهيرة أباح ليشرب، فعب العراب وتمزع في التراب، فصرب الرجل السقاء سبيعه فإذا فيه

(١) الرشاء بالمهملة من النساء الصبيحة ووقع في الأصل بالعين الشين وهو بصحف فأحدره

ثُعبان عظيم فقتله ، ثم سار وإذا عراب واقع على سِدْرَة فصاح به فوقع على سَلَمَة ،
 فصاح به فوقع على صحرة فأتته إليها ، فأثار من تحتها كبرا ، فلما رجع إلى أبيه قال
 له ما صنعت ؟ قال سِرْتُ صَدْرَ يَوْمِي فَأَمَحْتُ لِأَشْرَبُ مَعَبَ الْعَرَابِ — فقال
 أَثَرُ رَاحِلَتِكَ وَإِلَّا فَلَسْتُ بِأَتِي — قال فعلت — قال ثم ماذا ؟ قال سرت حتى وقت
 الظهيرة فأمحت لأشرب مَعَبَ الْعَرَابِ ، وامتزج في التراب — فقال أصرب السَّقاء وإلا
 فلست بأتى . قال فعلت ، فوقع على صحرة قال أَثَرُ مَا تَحْتَهَا وَإِلَّا فَلَسْتُ بِأَبَى . قال
 فعلت ، فوحدت كبرا .

وقد وردت السسه بإبطال حكم الرحر والطيرة بقوله صلى الله عليه وسلم ” أَقِرُّوا
 الطَّيْرَ فِي وَكُنَّاتِهَا “ وقوله صلى الله عليه وسلم ” لَا عَدَوِي وَلَا طَيْرَةَ “ وَأَسْتَحْسِنُ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْعَالُ فَقَالَ ” وَيُعْجِبُنِي الْعَالُ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ أَسْمَعُهَا “ . وقد فرو
 العلماء بين العال والطيرة أن الطيرة تُفَصَّدُ والعال يأتي من غير قصد .

ومنها الميسر وهو صرب من القمار كانوا يقتسمون به لحم الحرر الى يدخوها
 بحسب قِدَاحٍ يصرونها ، لكل قِدَاحٍ منها نصيب معلوم وهي أحد عشر قِدَاحًا
 سبعة منها لها حظ إن فارت وعليها عزم إن حاثت بقدر مالها من الخط عند الفور ،
 وأربعة منها تُنْقَلُ بها القِدَاح لا حظ لها إن فارت ، ولا عزم عليها إن حاثت .
 فأما السعة التي لها الخط إن فارت وعليها العزم إن حاثت . فأقولها القَدُّ وهو
 قِدَاحٌ فِي صَدْرِهِ حُرٌّ وَاحِدٌ ، وله نصيب واحد في الأحد والعزم . والثاني التَّوَمُّ ،
 وفي صدره حَرَّان ، وله نصيبان في الأحد والعزم . والثالث الحَصْرَب (ويسمى
 الرقيب) وفيه ثلاثة حرور ، وله ثلاثة أنصاء . والرابع الخَاسُ وفيه أربعة حرور وله
 أربعة أنصاء . والخامس البَافِسُ وفيه خمسة حرور ، وله خمسة أنصاء . والسادس
 المُسْبِلُ ، ويسمى المُصَفَّحُ أيضًا ، وفيه ستة حرور وله ستة أنصاء . والسابع المُعَلَّى ،

وفيه سعة حرور، وله سعة أنصاء، وهو أوفرها حظاً، ولذلك يُصْرَبُ به المثل
في الخط فيقال قَدْحُهُ المَعْلَى .

وأما الأربعة التي تُثَقَّلُ بها القداح فهي السِّبِيحُ، والمِصْبَعُ، والوَعْدُ،
وكان طريقهم في ذلك أن القوم يجتمعون ويشترُون حروراً فيصْلُوها
على عشرة أحرء، ويستَبْمُون فيها على سعة أنصاء لا أكثر، وتسمى الأنصاء فيها
الأيثار، فإن كانوا أقل من سعة وأراد أحدهم قَدْحِينَ أو أكثر، أحد وكان له
فورها، وعليه عزمها، وإذا حرَّوها الحرور على ذلك، أتوا رجل يسموه الحُرْصَةَ^(١)،
من شأنه أنه لم يأكل لحماً قط ثمن، ويؤتى بالقداح فتشَدُّ مجموعة في قطعة حلد
تسمى الرِّبَابَةَ، ثم يُلْفُ الحُرْصَةُ على يده اليمنى ثوماً لثلاً يحد مس قَدْح، له مع
صاحبه هو ويحاييه في إحراحه، ثم يؤتى شوب أبيص يسمى المِحْوَلُ، فيَنَسِّطُ
بين يدي الحُرْصَةِ، ويقوم على رأسه رجل يسمى الرِّقِيبُ، ويدفع رِبَابَةَ الْقِدَاحِ إلى
الحُرْصَةِ، وهو محوّل الوحه عنها، فيأخذ الرِّبَابَةَ التي تُتَمَجُّ فيها الْقِدَاحُ، ويدخل يده
تحت الثوب فيسكّر القداح فإذا هب فيها قَدْح يباوله دُفْعَةً إلى الرِّقِيبِ، فإن كان مما
لأحظ له، ردّ إلى الرِّبَابَةَ فإن حرج بعده المُسْبِلُ مثلاً أحد الثلاثة الباقية وعزم
الدين حابوا ثلاثة أنصاء من حرور آخر، وعلى ذلك أبداً يفعل من فاروس حاب،
فربما سحروا عِدَّةَ حرر، ولا يعزم الدين فاروا من ثمنها شيئاً، وإبما العزم على الدس
حابوا، وكان عندهم أنه لا نخل للحنائين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئاً، وإن فار قَدْح
الرجل فأرادوا أن يُعِيدُوا قَدْحَهُ ثابيه على حظاً فعملوا ذلك به، وقد بطن الصاحب
إسماعيل بن عمّاد أسماء القداح إلى لها الصيب فوراً وعزما في أبيات فقال

(١) الحُرْصَةُ الصم والراء المهمله والصاد المعجمة أمين المقام من روع والاصل الحُرْصَةُ بالواو والصاد
المهمله وهو تصحيف من السباح فأحدره

إِنَّ الْقِدَاحَ أَمْرٌهَا عَجِيبٌ * الْقَدُّ وَالْتَوُّومُ وَالرَّقِيبُ
وَالْجِلْسُ ثُمَّ الْبَاقِيسُ الْمُصِيبُ * وَالْمُصْفَحُ الْمَشْتَرُ الْجَحِيبُ
ثُمَّ الْمُعَلَّى حَطُّهُ الرَّعِيبُ * هَاكَ فَقَدْ حَاءَ هَا التَّرْتِيبُ

ومنها الأزلام وهي صرب من الطيرة، كانوا إذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الأمر فيه، أخذوا قِدَاحًا مكتوبًا على بعضها أفعِلْ ، لا تفعلْ ، وعلى بعضها نعم ، وعلى بعضها لا ، وعلى بعضها حُدْ ، وعلى بعضها سِرْ ، وعلى بعضها سريع ، وإذا أراد أحدهم سفرًا مثلاً أتى سادس الأوثان، ويصير له تلك القِدَاح ويقول اللهم أيها كان حيرا له فأحرجه فما حرح له عمل به ، وإذا شكوا في نسب رجل أحالوا القِدَاح في بعضها مكتوبٌ صريح ، وفي بعضها مكتوبٌ مُلْحَق ، فإن حرح الصريح أثبتوا نسبه ، وإن حرح المُلْحَق بَقَوْه . وإن كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهم وأحالوا القِدَاح من حرح سهمه فالحق له وقد سمي الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ .

ومنها البحيرة، والسائنة، والوصيلة، والخابي .

فأما البحيرة ، فكانت الباقية إذا أُتِيحت حمسه أظن عمدوا إلى الخامس منها ما لم يكن دكرا فشققوا أدها وتركوها ، فلا يُحَرِّثُ لها ورر ، ولا يجمل عليها شيء ولا يُدَكَّرُ عليها إن دُكِّيت اسمُ الله تعالى ، وتكون ألماها للرجال دون النساء .

وأما السائنة فكان الرجل يُسَيِّبُ الشيء من ماله مبيعة أو عدا ، فيكون حراما أبدا وتكون مباحة ذلك للرجال دون النساء .

وأما الوصلة فكانت الشاه إذا ولدت سبعة أظن عمدوا إلى السابع وإن كان دكرا دُح ، وإن كان أنثى بُرَكَت في العم ، وإن كان دكرا وأثنى ويل وصات أحاها فحرمها جميعا ، وكانت مباحة لهما وإن الأثنى منهما للرجال دون النساء .

وأما الحامى، فكان الفصل إذا صار من أولاده عشرة أطن، قالوا حمى طهره،
فترك، ولا يُحمل عليه شيء، ولا يُركب، ولا يُنمَّع ماءً، ولا مرعى، وقد أحمر الله
تعالى سلطان ذلك بقوله ﴿مَاحَمَلُ اللَّهِ مِنْ حَيْرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ .

ومها إءلاق الطهر . كان الرجل مهم إذا بلغت إبله مائة عمدة إلى البعير الذى
كملت به مائة فأعلق طهره بأن يبرع شيئاً من فقراته ويعقر سامه كي لا يُترك ليُعلم
أن إبل صاحبه قد أمأت .

ومها التَّفَقُّة، والتَّعْمِيَّة . كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقاً عين الفصل . وهى
التَّفَقُّة، فإن رادت على ذلك فقاً العين الأخرى وهى التعمية، ويرغمون أن ذلك
يدفع العين عن الإبل قال الشاعر

وَهَتْهَا وَأَتَ دُوَّامَتَانِ تَفَقَّا فِيهَا أُعَيْنُ النُّعْرَانِ

ومنها نكاح المقت . وهو نكاح روحة الأب—وكان من شأنهم فيه أن الرجل إذا
مات قام أكرؤولده، فالق ثوبه على امرأة أليه فورث نكاحها، وإن لم يكن له فيها
حاجة يروحها بعض إخوته بمهر حديد، فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال،
فأمر الله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ ، وحرّم روحة الأب بقوله
﴿وَلَا تَسْكُنُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا﴾ ومن ثم سُمي نكاح المقت .

ومها رمى البعة . كات المرأة فى الحاهليه إذا مات زوجها، دخلت حِفْشاً
(يعنى حُصّاً) وَلَسَتْ شَرَّ نِياها ولم تَمَسَّ طيباً حتى تَمِصَّ عليها سَةً، ثم يُؤْتَى بدابة
حمارٍ أو شاةٍ أو طير، فتَقْتَضُ به أى تُنَمِّسُ به فقلما تَقْتَضُ شَيْءاً إلا مات، ثم يُحْرَجُ
بعد ذلك فتُعْطَى بعةً فترمى بها، ثم تُزاحع ما شاءت من طيب أو غيره فتَسَحُّ

لإسلام ذلك بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاحًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ رِيعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾ .

ومنها وأد السات (وهو قتلهم) . كانوا يقتلوهنّ حشية العار، ومن فعل ذلك قيس بن عاصم المِقرّي، وكان من وحوه قومه ومن دوى المال، وكان سب ذلك أن العميان بن المدبر أعرأهم حيشا فسوّا دراريهم فأبات القوم وسألوه فيهم فقال العميان كل امرأة أختارت أباها ردت إليه، وكل من أختارت صاحبها تركت معه، فكلهنّ أخترن أباهنّ إلا آسة لقيس بن عاصم فإنها أختارت صاحبها عمرو بن الحمّوح، فدر قيس أنه لا يولد له آسة إلا قتلها فكان يقتلهم بعد ذلك . وورد القراء بإعظام ذلك بقوله ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ ﴾ .

ومنها قتل الأولاد حشية الإملاق والعاقبة، فكان الرجل منهم يقتل ولده مخافة أن يطعم معه إلى أن يهوى الله تعالى عن ذلك بقوله . ولا تقتلوا أولادكم حشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا .

ومنها حبس اللآيا، كانوا إذا مات الرجل يستدون ناقته إلى قبره وتقبلون رأسها إلى ورائها ويعطون رأسها بولية^(١) وهي الردعه فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويرعمون^(٢) أهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركها قال أبو ريد كاللآيا رؤوسها في الولايا ماخاب السعوم خرا الحدود

ومنها الهامة — كانوا يرعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يطالب ثأره، حرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح أسقوني أسقوني حتى يطالب ثأره، قال

دو الأصم

(١) في الأصل رلة وكذلك جمعها في السب رلا وهو مصحف وحده

(٢) في الأصل أبو ريد وهو مصحف

يا عَمْرُو! لَا تَدْعُ شَيْئًا وَمَنْقَصَتِي * أَصْرِنَا حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ أَسْقُونِي
ومنها تأخير المكاء على المقتول للأحد بشاره — كان النساء لا يتكبن المقتول مهم
حتى يؤخذ بشاره، وإذا أحد به نكبه حينئذ، قال الشاعر

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ : فَلْيَأْتِ نِسْوَتًا بَوَحِهِ هَارِ
يَجِدُ النَّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُسُهُ : يَلْطَمَنَّ حُرَّ الْوَحْيِ بِالْأَنْحَارِ

ومها تصفيق الصال — كان الرجل مهم إذا صل في العلاة، قلب ثيابه وحسن
ناقته وصاح في أذنها كأنه يؤمى إلى إسان وصفق بيديه قائلا : أَوْحَا الْوَحَا النَّحَاءُ
النَّحَاءُ هَيْكَلُ السَّاعَةِ السَّاعَةِ إِلَى إِلَى عَجَلٍ ، ثم يحرك ناقته ويرعمون أنها تهتدى،
إلى الطريق حينئذ . قال الشاعر

وَأَدَنَّ بِالتَّصْفِيقِ مَنْ سَاءَ طَنُهُ * فَلَمْ يَذَرِ مِنْ أَىِّ الْيَدَيْنِ حَوَاهَا
يريد إذا ساء طنه نفسه حين يصل .

ومها العول — كانوا يرعمون أن العول تترأى لأحدهم في العلاة فيتبعها فتستويه ،
ورما أدعى أحدهم أنه قابلها وقتلتها قال نابط شراً

أَلَا مِنْ مُحْرِ فِتْيَانٍ فَهَمَّ : مِمَّا لَأَقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانِ
بَأْنِي قَدْ لَقَيْتُ الْعَوْلَ هَوًى : نَسَبٍ كَالصَّحِيفَةِ صُحُفَاتِ
فَقُلْتُ لَهَا كَلَا نَا يَصُورُ أَرْضِ : أَحْوَسَقِرُ خَلَّى لِي مَكَانِي
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ : لَهَا كَهَيِّ مَعْصُوقٍ يَمَانِي
فَأَصْرِمُهَا بِلَا دَهْشٍ خَسَرْتُ : صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجَرَانِ

ومها صرَب الثور ليشرب القر — كانوا يرعمون أن الحق ترك الثيران فتصد

القر عن الشرب، فيصربون الثور ليشرب القر، قال الشاعر

(١) في نسخة مهر وفي ماقوم موى وموله في الب الثاني سب في الأصل سب وهو بصحيف .

كَذَلِكَ الثَّورُ يُصْرَبُ بِالْهَرَاوَى * إِذَا مَا عَاقَتِ النَّقَرُ الطَّمَاءُ

ومنها تعليق سن الثعلب وسن الهرة وحيض السمرة — كانوا يرعمون أن الصبي
إذا حيف عليه بطرة أو حطقة فعلق عليه شيء من ذلك، سلم من آفته، وأن الحية
إذا أرادته لم تقدر عليه، قالت امرأة تصف ولدا

كَانَتْ عَلَيْهِ سِنَّةٌ مِنْ هِرَّةٍ . وَثَعْلَبٍ وَالْحَيْضُ حَيْضُ السَّمَرَةِ

ومنها تعليق كعب الأرب — كانوا يعلقونه على أنفسهم، ويرعمون أنه وقاية من
العين والسحر، قائلين إن الحن تفر من الأرب لكونها تحيض، قال الشاعر
وَلَا يَنْقَعُ التَّعْشِيرُ إِلَّا حَمٌّ وَاقِعٌ وَلَا وَدَعٌ يُعْنَى وَلَا كَعْبُ أَرْبَ

ومنها تعليق الحلي على السليم (وهو الملسوع) — كانوا إذا تسع فيهم إسان علقوا
عليه الحلي من الأساور وغيرها، ويتركوه ساعة أيام ويمع من اليوم فيصيق،
قال النابغة

يُسَمِّدُ مِنْ وَقْتِ الْعِشَاءِ سَائِمُهَا لِحَلَى النِّسَاءِ فِي مَدْيِهِ قَعَا قِعُ

ومنها وطء المقاتل القتلى — كانوا يرعمون أن المرأة المقاتلات (وهي التي لا يعيش
لها ولد) إذا وطئت قتيلًا شريقًا بقي أولادها، قال بشر بن أبي حازم
يَطْلُ مَقَالَيْتُ النِّسَاءِ يَطَانُهُ يَقْلُ أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِثْرُ

ومنها مسح الطارف عين المطروف — كانوا يرعمون أن الرجل إذا طَرف عين
صاحبه فهأحت مسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول في كل مرة بإحدى
حاء من المدينة نائنتس حاءا من المدسه، ثلاث حث من المدينة إلى سبع
سكن هيحاهها .

ومها كفى السليم من الإبل ليرأ الحرب مها — كانوا يرمعون أن الإبل إذا أصابها
عُزْر (وهو الحرب) فكَوُوا صَحِيحًا إِلَى حَاسِهِ لِيَشْمَ رَائِحَتَهُ بَرِيءٌ ، وربما رَعَمُوا أَنَّهُ
يُؤْمَسُ مَعَهُ الْعَدُوُّ ، قَالَ الْبَاغِي

وَكَلَّفَتْنِي دَنْبَ أَمْرِي وَتَرَكْتُهُ . كَدَى الْعُرْيُكُوِي عَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ

ومها دَهَابُ الْحَدَرِ مِنَ الرَّحْلِ — كانوا يقولون إنَّ الرَّحْلَ إِذَا حَدَرَتْ رَحْلُهُ فَدَكَرَ
أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ دَهَبُ عَنِ الْحَدَرِ ، قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ كِلَابِ

إِذَا حَدَرَتْ رَحْلِي دَكَّرْتُ أَسْمُضَعِي . فَإِنْ قُلْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَهْلِي فُتُورَهَا

ومها الْحَلَى^(١) عَنِ الصَّبَايَا بِحَيَاةِ الْحَيِّ وَإِطْعَامِهِ الْكِلَابَ — كانوا يَرَوْنَ أَنَّ الْفَتَى
إِذَا طَهَرَ فِيهِ الْحَلَى شَقَّتَهُ (وَهِيَ سُورُ تَبْتُ الشَّقَّةِ) بِأَحَدِ مَحَلَّاتِ رَأْسِهِ وَيَمُزِّجُ
بَيُوتَ الْحَيِّ وَيَبَادِي الْحَلَى فَيُلْقِي فِي مَحَلِّهِ مِنْهَا ثَمَرَةً ، وَمِنْهَا كِسْرَةٌ ، وَمِنْ
هَذَا قِطْعَةٌ لَحْمٍ إِذَا آمَنَّا نَرَى بَيْنَ الْكِلَابِ وَيَدَّعِي عَنِ الْحَلَى .

ومها شَقُّ الرِّدَاءِ وَالنُّرْقِيعِ ، لِدَوَامِ الْحُبِّ — رَعَمُوا أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَحَبَّتْ رَحْلًا أَوْ أَحَبَّهَا
وَلَمْ تَشُقَّ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَيَشُقَّ عَلَيْهَا رُقْعَتُهَا فَسَدَ حُبُّهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ
إِذَا شُقَّ رِدْءُ شُقِّ الرِّدِّ رُقْعٌ دَوَّالِيكَ حَتَّى كُلُّهَا عَيْرٌ لَا يَسُ
فَكَمْ قَدْ شَقَّقْنَا مِنْ رِدَاءِ مُحَرَّرٍ . وَمِنْ رُقْعٍ عَنِ طِفْلَةٍ عَيْرٍ عَائِسٍ

ومها رَمَى سِ السَّيِّئِ الْمُتَعَرِّ فِي الشَّمْسِ — يَقُولُونَ إِنَّ الْعَلَامَ إِذَا أَتَعَرَّوْهُ سَيَّئٌ
فِي عَيْنِ الشَّمْسِ لَسَانَتُهُ وَإِهَامُهُ وَقَالَ أُنْدَلِي بِهَا أَحْسَنُ مِنْهَا ، أَمِنْ عَلَى أَسَانِهِ
الْعَوَجُ وَالْقَلَجُ وَالْعَلُّ ، قَالَ طَرَفَةُ

نَدَلْتَهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ رَدًّا أَبْيَضَ مَصْقُولِ الْأَشْرِ

(١) لعله دفع الحلى عن الخ وهو في الأصول مقصور وأورده الفاموس واللسان في باب المهموز وقال
الأحير إن بعضهم لا يهجر

ومنها التعشير - رعموا أن الرجل إذا أراد دخول قرية خاف واءها فوقف على
ماها قل أن يدخلها فعشركا يهق الجمار ثم دخلها، لم يصسه واءها، قال عروة
آس الورد

لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَرْتُ مِنْ حَشِيَّةِ الرَّدَى * سُهَاقٍ حَمِيرٍ لَأُبَيِّ لَجَرُوعٍ
ومنها عقد الرِّثَم - وهو نَت معروف - كان الرجل إذا أراد سقرا عمد إلى رِثَم
معهده فإن رجع ورءاه معقودا، آعتقد أن امرأته لم تَحْضه، وإن رءاه محلولاً آعتقد
أها حاضته، قال الشاعر

حَاضَتْهُ لَمَّا رَأَتْ شَيْبًا تَمَرِّقُهُ ١. وَغَرَّه حَلْفُهَا وَالْعَقْدُ لَارِثَمٍ
ومنها آعتنار دائرة المهقوع - وهى دائرة تكون فى عنق الفرس يقال لها المَقْعَة
على ما يأتى ذكره فى الكلام على الحيل فى الطَّرَف الآتى - كانوا يرمون أن الفرس
المهقوع إذا عرق تحت صاحبه آعتلمت حليله، وظلمت الرجال، قال الشاعر
إِذَا عَرِقَ الْمَهْقُوعَ الْمَرْءُ أَعْطَتْ حَلِيلَتُهُ وَآرْدَادَ حَرًّا عِجَاهُهَا
ومنها حصاب بحر الفرس السابق - كان من عادتهم إذا أرسلوا حيلة على صيد
فسق أخذها حصوا صدره بدم الصيد علامة له، قال الشاعر
كَأَنَّ دِمَاءَ الْعَاوِيَاتِ تَحْمِيهِ ٢. غُصَارُهُ حَيَّاءٌ نَشِيبٌ مُرَحَّلٌ
ومنها حراضية الأسر - كانوا إذا أسروا رجلا ثم أموا عليه، أطلقوه، حرؤا
باصيته ووضعوها فى كناية، قالت الخسابة .

حَرَرْنَا بَوَاصِي فُرْسَانِيْمَ وَكَأَوْا يَطْشُونَ أَنْ لَا تُخَرَّأَ

(١) فى اللسان فى روا، الفرس أو عرس روره وسأى مسره داء فى المده

(٢) فى نسخة المعاديات

البوع الخامس عشر
(في معرفة عادات العرب، وهي صبيان)

الصف الأول

(بيان العرب)

٠ قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" للعرب ثلاث عشرة نارا .
الأولى نار المردلة - وهي نار تُوقَد بالمردلة من مشاعر الح ليراه من دفع من
عرفة . وأول من أوقدها قصى بن كلاب، فهي تُوقَد إلى الآن .

الثانية نار الاستطار - كانوا في الخاهلية الأولى إذا احتس المطر جمعوا النقر
وعقدوا في أداسها وعراقها السَّع والعُشر، ويصعدون بها في الحبل الوعر، ويُشعلون
فيها النار، ويرعمون أن ذلك من أساب المطر، قال الشاعر
أَحَايَلُ أَنْتَ تَقُورًا مُسَلَّةً . وَسِيلَةً مِنْكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

الثالثة نار الحلف - كانوا إذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف
عندها، ويدكرون حيرها، ويدعون بالحُرمان من حيرها على من نقص العهد، وحل
العقد . قال العسكري "وإما كانوا يُحْضَوْنَ النار بذلك لأن مسعها تختص
بالإنسان، لا يشاركة فيها شيء من الحيوان غيره" .

الرابعة نار الطرد - وهي نار كانوا يوقدونها حلف من يميضي ولا يحثون رجوعه .
الخامسة نار الحرب - كانوا إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا، أوقدوا ناراً على
حبلهم ليلع الحبر أصحابهم .

السادسة نار الحزتين - كانت في بلاد عبس وإذا كان الليل تصيء نار تسطع

وفي الهاردحان مرتفع ، وربما نذر منها عُقٌّ فأحرق من مرّها ، فحضر خالد بن
سان النبي ، فدمها ، فكلت معجزة له .

الساعة نار السَّعَالِي — تُرْفَعُ لِلتَّقَرُّ فَيَتَنَعَّاهُ فَتَهْوِي بِهِ الْعَوْلُ عَلَى رِعْمِهِمْ كَمَا تَقْدَمُ
في الكلام على أواد العرب .

الثامنة نار الصيد — وهي نار تُوقَدُ لِلطَّاءِ تَعَشَاهَا إِذَا بَطَرَتْ إِلَيْهَا .

التاسعة نار الأسد — وهي نار توقد إذا حافوا الأسدَ لِيَقِرَّ عَنْهُمْ فَإِنْ مَشَاهُ النَّارُ
عَنِ النَّارِ ، يُقَالُ إِنَّهُ إِذَا رَأَى النَّارَ حَدَثَ لَهُ فِكْرُ يَصْدَهُ عَنْ قَصْدِهِ .

العاشرة نار القرى — وهي نار تُوقَدُ لَيْلًا لِيَرَاهَا الْأَصْيَافُ فَيَهْتَدُوا إِلَيْهَا .

الحادية عشرة نار السليم (وهو الملسوع) كانوا يُوقِدُونَ النَّارَ لِلْمَسْعُوعِ إِذَا لُدَّعَ
يُسَاهِرُونَهُ بِهَا ، وَكَذَلِكَ الْمَحْرُوحُ إِذَا رَفَّ دُمُهُ ، وَالْمَصْرُوبُ بِالْأَسْيَاطِ وَمَنْ عَصَّه الْكَلْبُ
كَى لَا يَمَامُوا فَيَسْتَدُّ الْأَمْرَ مِنْهُمْ فَيُؤَدِّهِمْ إِلَى الْهَلَكَةِ .

الثانية عشرة نار العِداء — كان المملوك منهم إذا أسروا نساء قبيلة حُرَّتْ إِلَيْهِمْ
السَّادَةُ مِنْهُمْ لِلْعِداءِ أَوْ الْأَسْتِيبَاءِ فَيَكْرَهُونَ أَنْ يَعْرِضُوا النِّسَاءَ هَارًا فَيَقْتَصِبْنَ
أَوْ فِي الظُّلْمَةِ فَيَحْفَى قَدْرَ مَا يَحْسِبُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الصَّغِي ، فَيُوقِدُونَ النَّارَ لَعَرَضَهُنَّ .

الثالثة عشرة نار الوهم — وهي النار تسميها الرجل منهم إلهه فيقال له ماسمة
إِنَّكَ ؟ فيقول كذا

الصف الثاني

(أسواق العرب المعروفة فيما قبل الإسلام)

قد كان للعرب أسواق يُقِيمُونَهَا فِي شُهُورِ السَّنَةِ ، وَيُنْقَلُونَ مِنْ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ
وَيَحْضُرُهَا سَائِرُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مِنْ قُرْبٍ مِنْهُمْ وَبَعْدَ . فَكَانُوا يَدْرُلُونَ دُومَةَ الْحَنْدَلِ

أول يوم من ربيع الأول، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأحد والعطاء، وكان يعشّوهم فيها أكيدر دومة - وهو ملكها - وربما علب على السوق كلّ، يعشّوهم بعض رؤساء كلب فيقوم سوقهم هناك إلى آخر الشهر. ثم يدقّلون إلى سوق هجر من البحرين في شهر ربيع الآخر، ويكون أسواقهم بها، وكان يعشّوهم في هذا السوق المدرّس ساوى أحد بني عبد الله بن دارم - وهو ملك البحرين. ثم يرتحلون نحو عُمان من البحرين أيضا فتقوم سوقهم بها. ثم يرتحلون فيربلون إزم وقرى الشحر من اليمن فتقوم أسواقهم بها أياما. ثم يرتحلون فيربلون عدّ من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وأبواب الطيب. ثم يرتحلون ويرلون حصر موت من بلاد اليمن، ومهم من يحورها ويرد صعاء فتقوم أسواقهم بها ويخلّون منها الحرّ والأدم والرود، وكانت تُخلّب إليها من معافر. ثم يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار، ويتحاحون، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة أرتفع إلى من له الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، وكان آخر من قام بها منهم الأقرع بن حابس التميمي. ثم يقعون بعرفة ويقضون ماسك الحج. ثم يرجعون إلى أوطانهم قد حصلوا على العيمة، وآبوا بالسلامة.

الوع السادس عشر

(الطريق في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى معرفة وقائع التاريخ، وتفصيلها، ولا يكاد يستغنى عن العلم بشيء منها لأمر. منها العلم بأرصة الوقائع والمآثرات، وأحوال الملوك والأعيان والحوادث، والمآثرات الحاصلة بينهم، فيحتج بكل واقعة منها في موضعها، ويستشهد بها فيما يلائمها، ويحتج لمثل ذلك، فإنه متى أحلّ بمعرفة ذلك

أختج بالقصة في غير موضعها ، أو نسبا إلى غير من هي له ، أو لئس عليه حصمه
بالاستشهاد بواقعة لا حقيقة لها ، أو نسبا إلى غير من هي له ليظهر مُحْتَمَ عليه ، وما
يجرى مجرى ذلك ، وفيه مقصدان .

المقصد الأول

(في ذكر سدة تاريخية لا يسع الكاتب حهلها مما يحتج به الكاتب تارة .
ويداكر به ملكه أو رئيسه أخرى)

اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له ، وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف
فونه ما بين مختصر ، ومنسوط من مقتصر على فن ، ومستوعب لفنون ، وفي حلال
تلك المصنعات بؤادر عريية ، ولطائف عجيبة ، لا يحصل الوقوف عليها إلا بعد
استيعابها بالمطالعة ، كما لا يقع الطفر بالجوهرية في المعدن إلا بعد عمل كثير يحصل
في حلالها بعتة ، فإذا التقت الحواهر من المعدن ، سهل تناولها لمريدها ،
وهي على صريين .

الصرر الأول

(الأوائل)

وهي معرفة مبادئ الأمور المهمة ، وقد أفرد لها أبو هلال العسكري بالتصنيف ،
وأورد الثعالثي منها في كتابه ”لطائف المعارف“ سدة صالحة ، وتصمت كتبُ
التاريخ منها حملة مما لم يتعرضوا إليه ، وقد اقتضرت منها على ما تنسوف بهوس أكثر
الناس إلى معرفته والأطلاع عليه مما تورث الدواعي عليه ، فاستمر وجوده ،
وأسحب عليه حكم الاستعمال إلى الآن ، أو آتته في مبدأ أمره ، ثم رال بعد ذلك ،
جاريا في ترتيبه على وجه يقرب تناوله ، مقدما الأهم فالأهم بالنسبة إلى حال الكاتب

أُمُورٌ تُتَعَلَّقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

(سِوَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ مِمَّا شَاكَلَ عَيْرَهُ)

أَوَّلُ مَنْ اسْتَرْقَى الرِّقِيقَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . أَوَّلُ مَنْ شَابَ إِبْرَاهِيمُ الْحَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَصَّ شَارِبَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ شَرَّهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَمَضَّصَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آسَنَّاكَ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَلَّمَ الْأَطْفَارَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آسَنَحَى ، وَأَوَّلُ مَنْ آحَنَتِ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى الْحِمَارَ .

الْخِلَافَةُ وَمَا يُتَعَلَّقُ بِهَا

أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ حَلِيفَةً أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ يُحَاطَبُ بِحَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَسَيَّاتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَحَلَفَ مِنَ الْخُلَفَاءِ اسْتَحَلَفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ، وَسَيَّاتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى وِلَايَةِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ حَلِيفَةٍ قُرِصَ لَهُ الْعِطَاءُ فِي بَيْتِ الْمَالِ عَنِ الْخِلَافَةِ ، وَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى بِإِعَادَةِ جَمِيعِ مَا حِيلَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ .

أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَيَّاتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا اللَّقَبِ فِي حِمْلِهِ الْأَلْقَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ بَيْتَ الْمَالِ فِيمَا ذِكْرُهُ الْعَسْكَرِيَّ ، لَكُمْ قَدْ ذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَيَكُونُ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَقَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَسَيَّاتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى وَكَّالَةِ بَيْتِ الْمَالِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَّرَ الْكُورَ وَمَسَحَ أَرْضَ السَّوَادِ ، وَرَتَّبَ الْحَرَاحَ عَلَى الْأَرَضِينَ ، وَالْحَرِيَّةَ عَلَى

(١) الحمّاح، وهو أول من حمل الطعام من مصر إلى الحجاز، وذلك في عام الرمادة عند علو السعر بالحجاز. وسيأتي ذكره في الكلام على حليج القاهرة في أوائل المسالك والممالك .
 أول من أقطع القطائع من الخلفاء أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، وسيأتي ذكره في الكلام على الإقطاعات في المقالة السادسة، وهو أول من حمى الحمى لنعيم الصدقة من الخلفاء، وهو أول من آتخذ صاحب شرطة من الخلفاء .
 أول من آتخذ بيتاً ترمى فيه قصص أهل الظلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وبقى حتى كُتِبَ له شتمه ورُقعة، وطُرِحَت في البيت فتركه، ثم آتخذه المهديّ بعده، ثم ترك بعد ذلك .

أول من سُلِّمَ عليه بالخلافة فقبل السلام عليك يا أمير المؤمنين معاوية، وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم، وهو أول من عَهِدَ إلى أسه بالخلافة، عهد بها إلى أسه يريد، ثم تنعه الكثير من الخلفاء على ذلك، وهو أول من آسَتحَلَفَ في حال صحته وإلا فأبو بكر لم يستحلف عمر إلا في مرض موته، وعمر لم يجعل الأمر شورى إلا وهو مطعون، وسيأتي ذكر ذلك جميعه في الكلام على ولاية الخلفاء في المقالة الخامسة، وهو أول من آتخذ المقصورة في المسجد لصلاة الجمعة، وقيل آتخذها مروان قبله، وقيل عثمان، وهو أول من سبى عن الكلام محصرته من الخلفاء، وكان الناس قبل ذلك يردون على الخليفة ويعترضونه فيما يقول، وهو أول من اخذ ديوان الخاتم لحتم الكتب، وسيأتي ذكره في الكلام على الواحق في المقالة الثالثة، وهو أول من آتخذ البريد في الإسلام، وسيأتي ذكره في الكلام على البريد في حاشية الكتاب .

(١) في الاصل الرمادة وهو يصحف

(٢) يظهر أن مله سقطوا بعده بدل على أن المخطوطة والآل مسند الملك من مروان فانه أول من

سبى عن الكلام محصرة الخلفاء فلحزّر

أول من سار في لباس الخيرية من الخلفاء وأمر أن لا يُحاطب باسمه كما يحاطب الخلفاء قبله الوليد بن عبد الملك فلتفق أن حالف رجل خاطبه باسمه فأمر به فوطئ .
 أول من رتب مراتب الخلافة وأقام حاحا للاستئذان عليه أبو جعفر المصور، واتخذ في قصره بيتا يجلس فيه الناس حتى يؤذن لهم ، وهو أول من اتحد الأتراك اتحد حمادا التركي ، ثم اتحد المهدي بعده مباركا التركي ، ثم أكثر الخلفاء من الأتراك بعد ذلك .
 * أول من جلس للصائت من الخلفاء على الساط دون الأسماط هارون الرشيد حين بُعِي إليه قريبه إبراهيم بن علي ، فاتحد الخلفاء ذلك دأبا في الماتم .
 أول من بُعِت على المبرسعت الخلافة الأُمَيُّ بن الرشيد فقيل اللهم وأصلح عدلك وحليفتك عند الله محمدا الأُمَيُّ .

أول من أصيب لقمه من الخلفاء إلى اسم الله المعتصم فقيل المعتصم بالله ، ثم تبعه الخلفاء على ذلك ، وسيأتي ذكره في الكلام على الخلفاء في المقالة الثانية .
 أول من حوّل السنة الشمسية إلى السنة القمرية وأقر البيور المتوكل ، وسيأتي ذكره في تحويل السنين في المقالة السابعة ، وهو أول من أمر بتغيير أهل الدمة ، وسيأتي ذكره في الكلام على عدم الصلح لأهل النعمة في المقالة السابعة .

أُمُور تُتَعَلَقُ بِالْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ

أول من لُتِسَ الباح الصَّحَّاحُ أحد ملوك الفرس وهو النمرود فيما يقال ، وفي زمه كان إبراهيم الخليل عليه السلام .
 أول من مسح الأرضيين ، ووضع الدواوين ، ووضع الخراج على الأرضيين ، ووطئ الموططات على البلاد قidar أحد ملوك الفرس ، واتحد لذلك ديوانا وسماه ديوان العدل .

أول من جلس على السرير من ملوك العرب حَديمَةُ الأَرش، وهو أول من وقعت له السَّمْعَةُ من ملوك العرب، وأول من لَسَ الطُّوقَ مهم .

أول من مَشَت الرحال معه وهو رَاكِب الأَشْعَثُ بن قيس، كانت سو عمرو بن معاوية مَلَكُوهُ عليهم وتَوَحُّوه .

أول من مَشَى بين يديه بالأعمدة الحديد رِيَادُ أسُ أبيه، وهو أول من حاس الناس بين يديه على الكرسي، وهو أول من آتَحد العَسَسَ والحَرَسَ .

أول من سَلَّمَ عليه بالإمرة المعرة بن شعبة فُقيل السلام عليك أيها الأمير، وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم، ثم تبعه الأمراء على ذلك .

أول من حَمَلَ إليه الثَّلَجَ الحَخَّاحُ بن يوسف، وسيأتي ذكره في الكلام على حَمَلِ الثَّلَجِ لصاحب الديار المصرية في حاتمة الكُتَاب .

أول من نَقَشَ اسمه من الملوك على الدنانير والدراهم مع الخلفاء عِمرُ الدَّوْلَةِ بن تَوَيْه وإخوته ملوك الديلم القائميين على الخلفاء العبَّاسيين سَعْدَاد، في ستة أربع وثلاثة وثلاثمائة، ثم تبعهم الملوك على ذلك .

أول من حَمَلَ السَّخَقَ على رأسه من الملوك عَارِي بن رنكي صاحب الموصل، وهو أول من آحْتَارَ الأحَاد أن يركبوا بالسيف في أوساطهم والدَّانِيسَ تحت ركبهم .
أول من حَمَلَ الشمع معه على البغال في الليل من ملوك الديار المصرية مُحَمَّدُ بن طُغْجَ الإحْسِيد، وكانت الشمعة تحمل على مؤخر البغل وقَرَّاش رَاكِب أَمَامِهَا، وهو يلبس في كل قليل يَصْلَحُهَا، فأندبها الملوك بعده هذه القوايس التي تحمل على البغال مع القابوسية أمام ملوك الديار المصرية في الليل .

أول من لُقِّبَ من ورراء الفاطميين بالديار المصرية بالملك ولان رَضْوَان بن ولحشى ورير الحافظ لقب بالملك الأفضل، وكان من قَنَلِه من الورراء لا يبعث بالملك .

أول من لف العمامة على الكلوة من ملوك الديار المصرية الأشرف حليل بن قلاوون، وكانت ملوك بني أيوت يَلَسُّونَ كلوة صغراء بغير عمامة ولذلك تراهم يطلقون على أرباب الأقاليم المتعممين في مقابلة أن الحدد كانوا بغير عمامة .

أول من أعتاد خلق رأسه من ملوك الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاوون حين حج ، وتعه الأسماء والحد على ذلك وأستمر الأمر على ذلك إلى الآن ، وكان لهم قبل ذلك عدائرشعر مرسله كعرب الحجار ومحوهم .

الورراء

أول من سمي وريرا في الإسلام أحمد بن سليمان الحلال، ورير السقاج أول حلفاء بني العباس، ثم تبعه ورراء الحلفاء والملوك على ذلك، وكانوا قبل ذلك يقولون كانوا . أول من لُقِّبَ بالصاحب من الورراء، كافي الكفاة إسماعيل بن عماد، وكان السبب في ذلك أنه كان يصحب الأستاذ آس العميد فكانوا يقولون صاحب آس العميد ، ثم علب عليه اللقب حتى قيل له الصاحب محمدا وتعه الحلفاء على ذلك، وسيأتي ذكره في الكلام على هذا اللقب في المقالة الثالثة .

أول من لقب بالملك الصلاحي من ورراء الفاطميين بالديار المصرية رضوان بن ولحشى ورير الحافظ، لُقِّبَ الملك الأفضل ، ثم صار رسما لوررائهم بعد ذلك ، وتعههم ملوك الديار المصرية على ذلك إلى الآن .

القصة

أول قاص كان في الإسلام عمر بن الخطاط رضى الله عنه ، استقصاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، في حلقته فكث سعة لا يأتيه أحد في قصيه .

أول قاص بالمدينة السوية عبد الله بن تَوَقْل ، استقصاه عليها أمير المؤمنين عمر
أس الخطاب رضى الله عنه في خلافته .

أول قاص بالكوفة حُيَير بن القَشْعَم .

أول قاص بالصرة أبو مَرْيَم الحميَّ ، أحد بني حبيقة ، استقصاه أميرها عُروَة
أس عُروان في ستة أربع عشرة من الهجرة .

أول قاص بمصر قَيْسُ بنُ أُنَى العاص السَّهْمِيَّ ، استقصاه عليها عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ، في خلافته في ستة ثلاث وعشرين من الهجرة .

أول قاص جمع له القضاء والشرطة بمصر عائش بن سعيد وليهما من قَبْل أميرها
مَسْلَمَة بن مُجَلَّد .

أول قاص بمصر بطر في الأحاس يعنى الأوقاف بمصر أبو نَجْح تَوْنَة في خلافة
هشام بن عبد الملك ، وكانت الأوقاف قبل ذلك بيد أربابها أو أوصيائهم — فقال
هذه مآلها إلى الفقراء والمساكين فأنا أصع يدي عليها ، فمما مصت له ستة حتى صار
لها ديوان عظيم .

أول قاص بمصر حرج لرؤية الهلال عبدُ الله بن لَهْيَعَة . قال أبو عمر الكندي ،
وهو أول قاص ولي مصر عن خليفة ، ولها عن أنى حمير المصور في أول سنة
حمس وخمسين ومائة .

أول قاص ولي مصر ممن يقول يقول أنى حبيقة أبو الفصل إسماعيل بن الَيْسَع
الكندي ، وكان أهل مصر قبله لم يعرفوا مذهب أنى حبيقة ولم يألفوه . وكان يرى
بطلان الأوقاف ، فكتب الليث فيه إلى أنى حمير المصور فكتب إليه بعزله .

أول قاص بمصر أدخل النصارى في حصوماتهم إلى المسجد أبو عبد الرحمن محمد
أس مسروق ، وكانت ولايته لها من قِل الرشيد في ستة سَع وسعين ومائة ، وهو
أول من آتخذ لمجلسه الشهود من قُصاة مصر .

أول قاص وَلِي مصر ممن يقول بقول مالك أبو نعيم إسحاق بن الفَرَات مولى معاوية
أس حُدَيْج ، وللشافعي عليه ثناء جميل في معرفة الخلاف ، وهو أول قاص آتخذ للشهود
ديوانا وكتب أسماءهم فيه ، وكانت ولايته من قِل الرشيد في ستة بصع وثمانين ومائة .
أول قاص وَلِي على المصاحف أميا بحامع القُسطاط الحارث بن مِسْكِين ، وكانت
ولايته في خلافة المتوكل .

أول ما استقرت قُصاة الديار المصرية أربعة ، من كل مذهب قاص في ساطعة
الظاهر بدرس السدقاري . وذلك أن القضاة بها كان بيد القاضي تاح الدين أس
بن الأعر وكان شافعيًا ، فكانت تأتبه المكاتب المحالفة لمذهبه فيتوقف فيها فسق
ذلك على السلطان والأمراء فآتمق رأيهم على أن يجعلوا من كل مذهب قاصيا ليقصى
كل مهم مذهب .

أول مأخُص قاصي القضاة الشافعي بالديار المصرية بالتولية في أعمالها دون رُقته
الثلاثة في سلطه المنصور قلاوون في شَوال سنة ثمان وسعين وستمئة ، ذكره أس
المكرم في تذكره .

الأمور العلمية

أول من أخطأ في القياس إبليس ، حيث قال : أَنَا حَيْرٌ مِنْهُ حَلَقَتِي مِنْ نَارٍ وَحَلَقَتُهُ
مِنْ طِينٍ ، أو لم يعلم أن ما ألقى إلى جوهر الطين راد وماء ، وما ألقى إلى جوهر النار
أصمحل وتلاشي .

- أول من نطق بالحكمة أوش بن شيث بن آدم عليه السلام .
- أول من دلّ على تركيب الأفلاك ، وقدر مسير الكواكب ، وكشف عن أحوال تأثيراتها ، وبه على عجائب الصنع فيها إدريس عليه السلام .
- أول من بطر في الطب اوريدون ملك الفرس بعد الصحاك ، وفي أيامه طهرت الفلاسفة وتكلموا في علومهم .
- أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي نأمر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب .
- كرم الله وجهه ، وهو أول من نقط المصاحف النقط الأول على الإعراب .
- أول من صنف في علم الكلام وأصل بن عطاء المعزلي .
- أول من تُرجم له كتب الطب والحدوم وغيرها من كتب العلوم الفلسفية خالد بن يزيد ، ثم تلاه المأمون فأكثر من ذلك .
- أول من صنف في غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى .
- أول من صنف في أصول الفقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، صنف فيه كتابه الرسالة .
- أول من صنف في الفقه مالك بن أنس صنف كتابه الموطأ .
- أول من عمل العروض الخليل بن أحمد ، وهو أول من صنف اللغة مرسة على حروف المعجم صنف كتابه " العين " .
- أول من صنف في علم البدع عند الله بن المعبر .
- أول من سنّ الإساءة والاحتراء في البحث فرعون ، بنا هو وموسى عليه السلام في مقام المناظرة حيث قال : وما ربّ العالمين فأحابه موسى بقوله : رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ إِلَى آخِرِ الْمُنَاطَرَةِ بِهِمَا إِذْ قَالَ لَتَنِي اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَحْمِلَنَّكَ مِنَ الْمُسْحُورِينَ .

الخطبة

أول من جمع قريشاً وحطهم فسه على أن النبي "صلى الله عليه وسلم" مهم قضي
أس كلاب، وسيأتي ذكره في الكلام على مكة في المسالك والممالك في المقالة الثانية.

أول من حطب على العصا وعلى الراحلة قس س ساعدة الإيادي ، وقد تقدم
ذكر حطته التي حطبها على الراحلة في الكلام على الخطب .

• أول من عمل الميرتيم الداري عمله للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد رأى مابر
الكائن بالشام .

أول من أرنح عليه في الخطبة عثمان س عفا رضى الله عنه فقال أيها الناس إن
الذين كانا من قسلي كانا يُعدان لهذا المقام مقالا ، وأتم إلى إمام عادل أحوح مسكم
إلى إمام قائل ، وستأتيكم الخطبة على وجهها في الجمعة الأخرى ثم رل .

أول من حطب حالسا معاوية حين كثر شحمه .

أول من أقام الجمعة بالمدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، أسعد س ررارة
الأصباري بنى بياصة .

أول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عُبيد الله س عبد الله س عمر .

أول من أرحح المبر في العيد مروان س الحكم ولم يكن قبل ذلك يُخرج .

الخط

أول من خط بالقلم في الحملة قبل آدم عليه السلام وقيل لإدريس .

أول من كتب بالعربية قبل هود عليه السلام أربل عليه ، وقيل لإسماعيل ،
وقيل لثلاثة نفر من بولان من طيء أصطلحوا على ذلك ، وسيأتي ذكره في الكلام
على الخط في الباب الثاني من هذه المقالة .

كتابة الإنشاء

أول من كتب في أول الكتب سم الله الرحمن الرحيم سليمان عليه السلام ، حين كتب ليلقيس كما أحر الله تعالى عنه بقوله ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت .

أول من كتب في أول الكتب باسمك اللهم أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ ، فكتبها قُرَيْشٌ في كتبهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكتبها في آتداء الأمر ، وسيأتي ذكر جميع ذلك في الكلام على المكتاتات في المقالة الرابعة .

أول من كتب من فلان إلى فلان قُسْ بن ساعدة فيما قاله العسكرى وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ، في مكاتاته ، وسيأتي ذكره في الكلام على العواتخ في المقالة الثالثة .

أول من راد في أوائل الكتب بعد التحميد ” وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله “ هارون الرشيد ، وسيأتي ذكره في الكلام على المكتاتات في المقالة الرابعة .
أول من أرح بالهجرة أمر المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وسيأتي ذكره في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة .

أول من كتب في آخر كتابه وكتب فلان بن فلان أنى بن كعب قاله العسكرى .
أول من حتم الكتب سليمان عليه السلام فقد قيل في قوله تعالى حكاه عن لَيْقِيسَ ﴿إِنِّي أَنُفِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ إِبْ المراد به المحتوم . وأول من حتمها في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قيل له إِنْ ملوك الأعاجم لا يقرءون كتاباً غير محتوم فأتحد حاتماً بنقش وصه محمد رسول الله فكان يحتم به الكتب ، وسيأتي ذكر ذلك في الكلام على الخواتم .

أول من أتخذ الطين لحتم الكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قاله الثعالى
فى "لطائف المعارف"

أول من أتخذ ديوان الحاتم معاوية بن أبى سفيان ، حين كتب لرحل بمائة
ألف درهم فحك الكتاب فأصلحها مائتين ، قاله الثعالى فى "لطائف المعارف" .

كثالة الأموال وما فى معاها

أول من أتخذ الديوان فى الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وضع ديوان
الحيوش . وسيأتى ذكره فى الكلام على الإقطاعات فى المقالة السادسة .

أول من جعل الحساب فى دفتَر خالد بن برمك فيما قاله الثعالى ، وكان قبل ذلك
فى أدراج من كاعد ورق .

أول من نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية المحاج س يوسف فى خلافة
عبد الملك بن مروان ، نقله له صالح بن عبد الرحمن ، كاتب كتبة رادان قروح
فكان كُتَّابُ العراقيين علماء وتلاميذ .

أول من نقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية عبد الملك بن مروان ، نقله
له سليمان بن سعيد مولى الحسين كاتب رسائل عبد الملك ، فولاه عبد الملك جميع
دواوين الشام .

أول من نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد العزير بن مروان فى إمارته
على مصر ، ذكره صاحب "المهاج فى صفة الحراح" .

أول من وسَّع فى أراى الكُتَّاب الفصل بن سهل وزير المأمون .

(١) فى الأصل قروح بالمهملة فكان كبار العراض وهو يصحف فأحذره .

الخراج والجزية

أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة كسرى أنوشروان، وذلك أنه مر على ررع وأمرأة تمنع ولدها منه، فسألها عن ذلك، فقالت . إن للملك فيه حقاً، ولا نستحله حتى يأخذ الملك حقه، فقرّر على الررع قدراً معلوماً وحلّى بين العلة وأصحابها .

أول من وضع الخراج على الأرّصين والحرة على المحاحم في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السّود، ثم رسم بالمقاسمة أبو جعفر المصنور حين حرب السّود .

أول من ألزم الخراج كلفة الحمل ومؤنته رباد آس أيّه فوق حتى أسقطه رباد ابن أبيه .^(١)

أول من عرّف العرفاء على الناس لحانة المال وعيره رباد، وكان يقول العرفاء كالأيدي والمالك فوقها .

المعاملات

أول من صرب الدناير والدرهم في الإسلام عبد الملك بن مروان، صربها بالشّام من قصة حالصة، وكان الناس قبل ذلك يتعاملون بدرهم الفرس والرّوم، ولما صربها عبد الملك كتب إلى المحاحم بالعراق بإقامه رسم ذلك، فصرّب الدرهم ونقش عليها قل هو الله أحد إلى آخر السورة، فسميت الدرهم الأحديّة، وكرهها الناس لنقش القرآن عليها، مع أنه قد يحملها المحدث، فسميت المكروهة .

قلت وقد رأيت درهماً من هذه الدرهم الأحديّة، أرايه بعض أعيان حلب، ودكر لي أن فلاحاً أصاب ركاراً لطبقها فأحصّره إلى نائب حلب خوف عهده،

فاقتسمه هو وأهل مجلسه، وعوّضه من كل درهم أصعافه، فحصل لوالد ذلك الرئيس هذا الدرهم فوصل إليه بعده . .

أول من شتّد في العيار في الدراهم يوسف بن عمر، أمر أن لا يصرب درهم ينقص حبة فما فوقها، ثم استخفّ درهما فوحده ينقص حبة، فأمر أن يصرب كل رحل من الصرّاس ألف سوط، وكأبراً مائة صرّاب، فصرّب في نقص حبة . . واحدة مائة ألف سوط .

أول من شتّد في حلوص الذهب أحمد بن طولون صاحب مصر والشام، وذلك أنه حين وُحد الكثر المشهور بنعير شمس، وأُتي له منه بميت وعلى صدره لوح ذهب مكتوب بالقِبطية عُرب وإذا فيه أنا أكر الملوك ودهي أحاص الذهب، فقال قاتل الله من يكون هذا اللعين أكرّمه أو دهنه أحلص من دهنه، ثم شتّد في التعليق حتى كان قاصي القصاة يحضره بنفسه، وسيأتي الكلام على ذلك في معاملة الديار المصرية في المقالة الثانية .

أول من صرب الدراهم الزئوف في الإسلام عبيد الله بن زياد .

أول من اتّخذ ألسمه الموارد من الحديد عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان .

أول من عمل الأوران المخاح بن يوسف، عملها له سمير اليهودي، وذلك أن المخاح حين صرب الدراهم الأحدة على ما تقدّم صرّبها سمير اليهودي من قصه حالصة أيضاً وجعل فيها دهما فأراد المخاح قتله، فقال ألا أدلك على ما هو خير للمسلمين من قتلي، قال هاهنا، فوصع الأوران، ورن ألف، وورن حسنة، وورن ثلثائة إلى ورن ربع قيراط فجعلها حديداً وقشها وأتى بها إلى المخاح فعفا عنه، وكان الناس قبل ذلك إنما يأخذون الدرهم الوارن فيرون به غيره .

أول من اتحد الدراع التي يُدَرِّعُهَا الأرصوص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السَّوَادَ . وقيل أول من اتحدها ريادةً، بطر إلى ثلاثة نفر من أطولهم دراعاً وأوسطه وأقصيه جُمعها وأحد ثلثها جعلها دراعاً .

العمارة

أول بيت وضع في الأرض الكعبة ، بنتها الملائكة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي سَكَنَ ﴾ .

أول من جعل للكعبة مائاً أروش بن شيث بن آدم عليه السلام .

أول من سقف بمكة سقفاً قَصِيَّ بن كلاب ، وكان الناس قبل ذلك إما يربلون في العريش .

أول من توب بمكة مائاً حاطب بن أبي نلتعة .

أول من اتحد بمكة رؤوساً يُدَبِّلُ بن ورقاء الحرّاعى . وهو أول من حى بها بيتاً مربعاً ، وكانوا قبل ذلك يتحامون التربع في الساء كيلاً يُسَيِّهَ ساء الكعبة .

أول قرية بُنِيَتْ بعد الطوفان قرية ثُمَايْن ، من الحرره القرابية ، ساها نوح عليه السلام ، وأرل بها من كان معه في السفينة وهم ثمانون رجلاً .

أول مدينة بُنِيَتْ بمصر بعد الطوفان مدسة مَنَفْ وأصلها بالسريانية مافه ومعناها ثلاثون ، سميت باسم جماعة مَصْرَ بن بَنَصْر الدس كانوا معه ، وسيأتي ذكرها في حملة قواعد مصر القديمة في المقالة الثانية .

أول من عمل الحَمَامَ سليمان عليه السلام ، صنعها له الحق وعملوا له النور لإزالة شر كان على بلقيس حين تروّحها فيما يقال .

أول من آتخذ الآخر هاما لفرعون حيث قال له ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطَّيْرِ
فَأَحْجَلْ لِي صَرْحًا ﴾ .

أول من سى بالخص والآخر في الإسلام رباد اس أبيه بالصرة .

الزرع

• أول من عرس السحلة أبوش س شيث س آدم عليه السلام .

الصناعات

أول من حاط الثياب لإدريس عليه السلام، وكان الناس قل ذلك يلبسون الحلود.

أول من عمل القراطيس يوسف عليه السلام . وقيل غيره ، وسيأتي ذكره
في الكلام على ما يكتب فيه في المقالة الثالثة .

أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام، قاله الثعالبي .

أول من عمل الكيمياء قارون، ويقال إنه المراد بقوله تعالى حكاية عنه ﴿ قَالَ إِنَّمَا
أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ .

أول من عمل الرحاح ملكي أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وسيأتي ذكره في الكلام
على ملوكها في المقالة الثانية .

أول من آتخذ الرجال علاف^(١) س رثان الحميري، وكانت العرب قبل ذلك يركبون
المحاصر .

أول من كسا الكعبة في الحاهلية^{تت} أسعد^د أو كرب .

(١) وقع في المحصر رمان بإهمال الراي وفي الفاعل والصاح بإعظامها وهو الأمر

أول من آتخذ المحامل له المحاحُ س يوسف .
 أول من آتخذ السياط الأصحُ س مالك ، أحدُ ملوك اليمن فقبل السياط
 الأصبَجِيَّة .

اللباس

أول من لبس الثياب الخمر قارون ، ويقال إنه المراد بقوله تعالى ﴿ فَحَرَّحَ عَلَى قَوْمِهِ
 فِي رِيَّتِهِ ﴾ . وهو أول من أطال ثيابه وسحبها على الأرض نَحْمًا وتِيهًا .
 أول من قور طيلسانا من العرب في الإسلام عبدُ الله بن عامر أمير المدينة من
 قتل عثمان . والطيَّلسان المقور على نحو الطَّرحة التي يلبسها الوراء وقصة القصة
 الآن ، وكالت وُرَّاء القاطمين يلبسوها . وهو أول من لبس الحر ، فقال أهل
 المدينة لبس الأمير حلد دُت .
 أول ما لبس سُو العباس السَّواد حين قَتَلَ مروان بن محمد آخر حلفاء بني أمية
 إبراهيم بن محمد الإمام أول قائم مهم بطلب الخلافة خربا عليه ، فاستمر فيهم ، وفيه
 كلام يأتي في المقالة الثانية عند الكلام على لبس الحناء .
 أول من لبس الحفَّاف السَّادحة بالصره زياد بن أبيه .
 أول من آتخذ الثَّعال من العرب حديمة الأبرش .
 أول من حلع بعلته عند دخول الكعبة في الحاهلية الوليد بن المعيرة .
 أول من لبس الثَّعال الصَّراة المرواني كان قصيرا فاتخذ الثَّعال العلاط الصرارة
 لترديد في طوله وليسمعه حواريه وحرمة عند دخول بنته فتصالح شاتها من كانت على
 غير هيئة صالحة . قال العسكري من ثمَّ أحمد الناس ثعال الحشب يعنى القباقيب .

أول من أمر بتغيير ربي أهل الدمة المتوكل ، أمرهم أن يلبسوا العسل ، ويتحدوا
ركب الحشب ويحود ذلك فيمتازوا عن المسلمين ، وسيأتي ذكره في عقد صلح أهل
الدمة في المقالة السابعة .

الحرب وآلاته

أول من ركب الحيل إسماعيل عليه السلام ، وكانت قبله وحوشا لا ترك مراصها
وركها ، وتعلم سوه رياستها منه ، فصارت فيهم إلى الآن . ولذلك العرب أعرف
بالناس بالحيل . وهو أول من ميز بين العتاق منها والمُحس في سهام أصحابها ، فسقت
العتاق المُحس .

أول من آتحد الدروع وليسها داود عليه السلام إذ يقول تعالى ﴿ وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ
أَلْ أَعْمَلُ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرُ فِي السَّرْدِ ﴾ (١) وكانوا قبل ذلك يلبسون تنابير من حديد .

أول من آتحد السلاح وحاهد سليمان عليه السلام فيما قاله العسكري وفيه نظر .
أول من آتحد الحديد من العرب ذو يزن الحميري ، وكانت أسننتهم قبل ذلك
صياصي القر .

أول من آتحد الحصن من الحيل للكمان الإسكندر .

أول من آتحد المسحوق الصبحاك حين أراد إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ، وضعه
فيه ورمى به في النار فكانت عليه بردا وسلاما . وأول من آتحد من العرب حديمة الأرش .

أول من آتحد الجواسيس والعيون على العدو الإسكندر .

أول لواء عقده النبي صلى الله عليه وسلم ، لواء أبيص لعمه حمزة وقال "خذه
يا أمد الله" وذلك في رمضان من السنة إلى هاجر فيها ، وحملة له يريد من أبي يريد .

(١) كل من أده من حديد ما هو في الأثر في قوله "والله في دجلة الخطير بمجوده .

أول ما عُقِدَت الرايات في الإسلام يوم حُبَيْس، عقد صلى الله عليه وسلم، راية سوداء من بُرْد عائشةؓ، وكانوا قبل ذلك لا يعرفون إلا الألوية قاله العسكري .

أول من قتله النبي صلى الله عليه وسلم، بيده أنى س حلف لعنه الله، طعنه صلى الله عليه وسلم طعنة حفيضة فوجد لها ألماً شديداً فقبل له لن تالِي فقال لو أن ما نى أهل الأرض لقتلهم، ومات بها .

أول حرب كان بين أهل القيلة يوم صِفِّين ، بين عائشة وعلى رضى الله عنهما .

الأسماء والألقاب

أول من سُمِّي المصحف مُصْحَفاً أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين جمع القرآن .

أول من سُمِّي باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد س حاطب حين وُلِدَ بأرض الحبشة في الهجرة الأولى .

أول من سُمِّي بالحسن والحسين السَّطَّانِ وَلَدَا أمير المؤمنين على س أنى طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو أحمد العسكري في كتابه "التصحيف والتحريف" قال الفصل محب الله هذين الأسمين عن أن يسمى هما حتى سُمِّي هما النبي صلى الله عليه وسلم، أيده عليهما السلام أما حسن وحسين الموحودان في أسباب طيُّ فالأول يسكون السين والثاني يفتح الحاء وكسر السين .

أول من سُمِّي عبد الملك في الإسلام عبد الملك بن مروان .

أول من سُمِّي بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحمد أبو الحليل وأصبح العروص ولذلك يقال فيه الحليل بن أحمد .

أول من سُمِّي العالية عالية معاوية س أنى سفيان شتمها من عبد الله بن جعفر فوصفها له فقال إنها عالية .

أول ما سميت العَطِيَّات حوائِثُ رَمِ عثمان رضى الله عنه ، وذلك أن أس عامر كان على العراق من قبل عُثمان دُعِثَ حَيْشًا مَعَ قَطَطٍ سَ عَدِ عَوْفِ الْهَلَالِيِّ إِلَى كَرْمَانَ ، خَرَّيْ الْوَادِي نَسِيلَ حَيْفٍ مِنْهُ الْعَرَقُ ، فَقَالَ قَطَطٌ مِنْ عَرِهِ فَلَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ ، وَعَرِهِ رَحْلٌ ثُمَّ آحَرْتُمُ آحَرْتُ حَارَ جَمِيعِهِمْ فَأَعْطَاهُمْ قَطَطٌ أَلْفًا أَلْفًا فَكَانَ حِمْلُهُ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَلْفٍ ، فَاسْتَكْرَهَا أَسَ عَامِرٍ فَكَتَبَ مَهَا إِلَى عُثْمَانَ فَأَحَارَهَا ، وَقَالَ . كُلُّ مَا كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ حَائِزٌ .

أول ما لُقِّبَ بَعْلَانُ الدَّوْلَةِ فِي أَيَّامِ الْمَكْتَنِيِّ بِاللَّهِ .

أول ما لُقِّبَ بَعْلَانُ الدِّينِ فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ .

الصَّيْفَانِ

أول من قرئ الصَّيْفُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى كُنِيَ أَمَا الصَّيْفَانِ لِكَثْرَةِ قَرَاهِهِمْ .

أول من سَنَّ لِلصَّيْفِ صَدْرَ الْمَجْلِسِ مِهْرَامُ حُورٍ أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ .

أول من هَشَمَ الثَّرِيدَ لِلْقِرَى فِي رَمِ الْمَحَلِّ هَاشِمٌ سَ عَدِ مَنَافٍ ، وَبِذَلِكَ سَمِيَ هَاشِمًا وَكَانَ أَسْمُهُ قَبْلَ عَمْرٍَا .

أول من قَطَّرَ حَبْرَانَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِيدُ اللَّهِ سَ الْعَبَّاسُ سَ عَدِ الْمُطَّابِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الطَّعَامَ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ لِكَثْرَتِهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَهْمَهُ .

وَجْوهُ السَّيْرِ

أول من اتَّخَذَ السَّيَارِسْتَانَ نَاسَامًا لِلرَّصِيِّ الْوَلِيدُ سَ عَدِ الْمَلِكِ .

أول من آتخذ البيارسنان بمصر أحمد بن طولون ساه بالقسطاط ، وهو موحود إلى الآن .

أول من فوّص إلى الناس إحراح ركائبهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

الأعياد والمواسم

أول من آتخذ التّيرور من الفرس حما الملك ، وهو الذى سى مدينة طوس ، يقال -
لأنه كان فى زمن هود عليه السلام ، كان الذين قبله قد تعبر وطهر الحور ، فلما ملك
حدّد الذين وأطهر العدل فسمى اليوم الذى ملك فيه تّورور أى يوم حديد عزّته
العرب فقالوا الواو ياء فقالوا تّورور .

أول هدية كانت فى التّيرور لحما الملك المتقدّم ذكره ، وذلك أنه لم يطهر القصب
إلا فى أيامه فذاقه بعض الناس فاستحلّاه فصنع منه السكر فوافق فزاعه فى أول
يوم ملك فيه حما وهو يوم التّيرور فأهدى إليه منه فى ذلك اليوم ، فصار سة عندهم ،
فهم يتهاّدون فيه بالسكر ، ثم توسعوا فيه فتهادّوا بغير الشّكر .

أول ما طهر المهرحان فى زمن أفريدون الفائم بعد الصّحاح من ملوك الفرس ،
وذلك أنه لما طهر بالصّحاح فقيده وآهطع ما كان فى ربه من الطّم والفساد سُمى
اليوم الذى طهر به فيه المهرحان . قال العسكى - والمهر الوفاء كأن معناه سلطان
الوفاء ، وكان سيل الملوك فيه سيل التّيرور .

أول من آتّح الميكاسه بمهنة التّيرور والمهرحان أحمد بن يوسف أهدى إلى
المأمون سَقَط ذهب فيه قِطْعُهُ عَوْدٍ هندية فى طولهِ وعَرْضِهِ . وكب معه "هذا
يومُ جرت فيه العادة ، بِالطاف العيد السّاد" .

الأقوال

أول من قال أما بعد داود عليه السلام، ويقال إنها فصل الخطاب المشار إليه بقوله تعالى ﴿وَأْتِيَاهُ الْحِكْمَةُ وَفَصَلَ الْخَطَابُ﴾ . وقيل أول من قالها قُتُس بن ساعدة .
أول من قال مَرَحَمًا سَيْف بن دِي يَرَنَ ، قال ذلك لعبد المطلب حدّ النبي صلى الله عليه وسلم ، حين وفد عليه ليهنئه رجوع الملك إليه ، فقال له ” مَرَحَمًا وَأَهْلًا ، وناقَةَ وَرَحْلًا ، وَمُبَاحًا سَهْلًا ، وَمَلِكًا رَحْلًا ، يُعْطَى عَطَاءً حَرَلًا “ .

أول من قال جعلت فداك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة ، فقال ” جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَضْعُ “ . وقيل أول من قالها له علي بن أبي طالب حين دعا عمر بن عبد العزيز إلى المارّة ، فقال علي ” جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذُنِي ؟ “ ثم استعملها الكتاب بعد ذلك في مكاتباتهم .

أول من قال أطال الله بقاءك عمر بن الخطاب رضى الله عنه . تكلم علي رضى الله عنه بحضرته في العدل بكلام أعجبه ، فقال له . صدقت أطال الله بقاءك ، ثم نقلها الكتاب إلى استعمالها في مكاتباتهم .

أول من قال أيذك الله عمر بن الخطاب قاله لعلي عليه السلام أيضا .

الشعر والغناء

أول من قصّد القصائد مهلهل حال أمرئ القيس ، والقصيد ما راد علي سعة أليات .

(١) في نسخة الخط والمطبوع السابق وخلا وهو يصحف وقد كُتِبَ الكلمة في اللسان في مادة رب ح ل .

أول من أطال الرَّحَرَّ العَمَّاحُ . قيل إن الرحر كان في الحاهلية إما يقول منه الرجل البتيت أو الثلاثة في الحرب ويحوه حتى جاء العمَّاح ففتح أبوابه وشبهه بالشعر، ووصف فيه الديار وأهلها ، والرسوم والعلوات ، وبعث الإبل والظلول ، وكان في أول الإسلام يشبه ناصري القيس .

أول من استخرج اللطيف من المعاني في الشعر وحرى على طريقه البديع مسلم آس الوليد .

أول من أحرح العباء العربي حرادة حارية آس حُدعان فيما قاله العسكري . وفيه نظر فإن العباء معهود من عهد عاد حتى كان من حملة معيَّاتهم الحراداتان اللتان يصرب بهما المثل فيقال ”عَتَّته الحرَّادتان“ .

أول من علم الحوارى المسمَّيات العباء إبراهيم الموصلى ، وكان الناس بمكة لا يعلمون الحارية الحساء العباء .

النساء

أول أمراءه حُمِصَت هَارُثُ امَّ إِسْمَاعِيل ، وذلك أنها حين تعيرت عليها سارة لَتَسْرَى إبراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطع شئنا من حسدها وأشار عليها إبراهيم أن تحفصها ، وثقت أديها ، ومحل فيهما قرطس فمعلت وراذب حسنا .

أول أمراءه آ كجملت بالإثم ررقاء أئيمامه ، وكان سطر مسيره ثلاثة أيام .

أول أمراءه بدأت سبَّاح التيمية ال روحها سيده الكذاب .

(١) في نسخة الخط لشري وهو يصحبت صدر .

أول امرأة لست المصنعات في الإسلام شُميلة روح عاس ، وهى أول من
عمّات الطّيب ^(١) .

الموت والدفن

أول أمرأه جُمِلت في بعش ريبثُ بنتُ حمش روح الهى صلى الله عليه وسلم .
أول من دُفِن بالقيع عثمانُ بنُ مطعون ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة .
أول من دُفِن بقرافة مصر رحلُ اسمه عامر فقال عمرو بن العاص عمّرت والله .

أمر تنسب للجاهلية

أول من حرّم الحمر في الجاهلية الوليد بن المعيرة ، وقيل قيس بن عاصم ، ثم جاء
الإسلام بتقريره .

أول من حرّم القمار في الجاهلية الأقرع بن حابس التميمي ، ثم جاء الإسلام بتقريره .
أول من رَحِم في الرّبا في الجاهلية ربيع بن حذّان ، ثم جاء الإسلام بتقريره في المُحصّن .
أول من حكم أن الولد للعِرَاش في الجاهلية أكتُم بن صبيّنيّ حكيم العرب ، ثم جاء
الإسلام بتقريره .

أول من قطع في السرقة في الجاهلية الوليد بن المعيرة ، ثم جاء الإسلام بتقريره .
أول من سنّ الدية مائة من الإبل عند المطلب حدّ الهى صلى الله عليه وسلم ،
وذلك أنه مدر إن ولد له عشرة ذكور ليدنح العاشر فولد له عشرة ، وكان عاشرهم
عند الله أنوال الهى صلى الله عليه وسلم ، فرام دنحه ، فعارصه قريش في أمره ، وأشير عليه
أن يُقرع بدمه وبين الإبل حتى تخرج القرعة على الإبل ، فأقرع بدمه وبين عشرة

(١) في اللسان عدل ساء الضب معزوه عما صممه وحلظه

فخرجت القرعة عليه، ثم راد عشرة بعد عشرة وهي تقع عليه حتى بلغ مائة من الإبل فوَقعت القرعة عليها فحرقها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم، يقول "أما ابن الدَّيَّحِيْنِ" يعنى إسماعيلَ وعبدَ الله، ثم جاء الإسلام بتقريرها .
أول من أوقف السار بالمدلعة حتى يراها من الموقف قصي بن كلاب،
بهى تُوقد إلى الآن .

أول من أهدى البدن إلى البيت إلياس بن مُصر .
أول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة قُتُس بن ساعده .
أول من حَصَب بالوسمة من قريش عبدُ المطلب .
أول من نَسأَ النسَاء، وسَيَّب السوائت، وجعل الوصيلة والحامِي عمرو بن لُحِيٍّ وهو أبو خراعة .

الصرب الثاني

(من السد التاريخية التي لا يسع الكاتب حملها بوادر الأمور ولطائف
الوقائع والمساخرات)

العراق وشرف الآماء

قال الثعالبي، أشرف الأنبياء في السوء يعنى تواصل الآماء فيها يوسف بن يعقوب
ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وشاهد ما قاله أبو النبي صلى الله عليه وسلم،
يقول "الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنُ الكَرِيمِ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن
إبراهيم" ولا يخفى أن إخوانه عليهم السلام في هذه الرسة في العراق .
أعرق الأكاسرة في الملك شيرويه بن أرو بن أردشير ناك ملك ابن ملك
أبي ملك ابن ملك .

(١) مراده اعرق الآماء كما سجد له ٥٠ مد

أعرق الناس في ضجة النى صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي خفاة رضى الله عنهم، أربعتهم رأوا النى صلى الله عليه وسلم، وصحبه .

أعرق الحلفاء في الخلافة المستصر، بن المتوكل، بن المعتصم، بن الرشيد، بن المهدي، بن المنصور في آتائه حمسة آتاء حلفاء وهو سادسهم فيها . وفي معناه أحواء المعتمد والمعتز، أما عبد الله بن المعتز وإن راد أنا في الخلافة فإنه لم تحص عليه مدة تعتبر، ولذلك لا يعتد أكثر المؤرخين في حملة الحلفاء .

أعرق الناس في الملك والخلافة جميعا باعتبار الأصول والخواشى من المذكور والإثبات يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . أما من جهة الخلافة فهو خليفة، وأبوه خليفة، وحده خليفة، وحده أبيه خليفة، وعمومته حلفاء . وأما من جهة الملك فأمه شاهر بنت فيروز، بن يزدجرد، بن شهریار، وأمها من بات شيرويه أس أروير، وأم شيرويه مريم بنت قيصر، وأم فيروز بنت حاقان ملك الترك .

أعرق الورراء في الوراء أبو علي الحسين، بن القاسم، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وأخوه أبو جعفر محمد بن القاسم، وإن القاسم ورر للفتدر ومحمد ورر للقائم وأماهما القاسم ورر للعتصم ثم للكتفى هذه، وعبيد الله ورر للعتصم، وسليمان ورر للعتدى وبعده للعتصم فكل من الحسين ومحمد ورر أس ورر أس ورر أس ورر يعى في آتائه ثلاثة ورراء، وهو الرابع فيها .

أعرو الناس في القتل عماره بن حمزة بن مضعب بن الربيع بن العوام بن حويلد، قتل عماره . وأبوه حمزة جميعا يوم قديد في حرب الإماصية، وقتل مضعب بدير الجلائق في الحرب بينه وبين عبد الملك، وقتل الزبير بن عدي الساسع في ثورة الحمل،

وقتل العَوَام في حرب الفَحَار ، وقُتِل حُوَيْلِد في حرب حُرَاعَة . قال الثعالبي ولا يعرف
في العرب والعجم ستة معبودون في نَسَق واحد إلا آل الربير .
أعرق الناس في الفقه إسماعيل بن حماد بن أبي حبيقة ، كان كل من إسماعيل
وحماد فقيها وأبو حبيقة الإمام الأعظم .

أعرق الناس في القصاء بلال بن أبي رُزْدَة بن أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه كان بلال قاصيا على المصرية ، وأبو رُزْدَة قاصيا على الكوفة ، وأبو موسى قاصيا
لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

أعرق الناس في حِجَابَة الخلفاء العباس بن الفضل بن الربيع ، فإن العباس يحب
الأميين ، والفضل يحب الرشيد قبل أن يتقلد عنه الوراثة ، والربيع يحب المصور
والمهدي ، وفي ذلك يقول أبو نُوَاس من أبيات

سَادَ الرَّبِيعُ وَسَادَ فَضْلُ نَعْدُهُ وَنَمَتْ نَعَّاسُ الْكَرِيمِ فُرُوعُ
عَاسُ عَاسٍ إِذَا أَحْتَدَمَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

أعرق الناس في الشعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المدر بن
حرام ، ستة كلهم شعراء على نَسَق ، سم كانت العرافة في الشعر بعده مع زيادة آناء
لمتوح ، بن محمود ، بن مروان ، بن يحيى ، بن مروان . بن الحبوب ، بن مروان ،
أس سليمان ، بن يحيى ، بن أبي حمزة . مؤلف سنان بن عمار رضي الله عنه ، عشرة
على نَسَق

--

الغايات من طبقات الناس

أشرف الناس في الأمة نسبا الحسن والحسين عليهما السلام . رسول الله صلى الله
عليه وسلم حدهما ، والقاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم حالهما . وعلى بن

أنى طالب أبوهما ، وفاطمة بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهما ، وحديجة بنت حويلد حدثتهما .

أشرف النساء فى النسب والصَّهر فاطمةُ ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوها ، وحديجةُ أمها ، وعلى بن أبى طالب زوجها ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الحمة ولداهما .

أشرف الناس فى المصاهرة عبدُ الله بن عمرو بن عثمان ، تزوج إليه أربعة من الخلفاء ، تزوج الوليد بن عبد الملك بنته عَدَّة ، وسليمان بن عبد الملك بنته عائشة ، ويريدُ بن عبد الملك بنته أمَّ سعيد ، وهشام بن عبد الملك بنته رُقِيَّة . قال الثعالبيّ ولا يُعرف رجل له أربعة أختان خلفاء إلا هو .

عرائب أمور تُتعلّق بالخلفاء

امرأةٌ ولَّدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة والزبير ، وهى حفصة أَسَةُ مُحمَّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، أبوها محمد المدنّج ، وأمها حديجة بنتُ عثمان بن عُروة بن الزبير ، وأمُّ عُروة أسماء بنت أبى بكر . وأمُّ المدنّج فاطمة بنت الحسين بن علىّ ، وأمُّ الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمُّ فاطمة بنت الحسين أمُّ إسحاق بنت عبّيد الله ، وأمُّ عبد الله بن عمرو بنتُ بنتُ عبد الله بن عمرو بن الخطاب ، وهى من ولد كل من المذكورين .

أربع نسوة فى الإسلام ولدت كل واحدة مهن حليفتين ، فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولدت الحسن والحسين ، وقد بُرِيع لهما بالخلافة ، وولادة بنت العباس العنسيه روضة عبد الملك بن مروان ولدت له الوليد وسليمان ، وهما

حليمة، وساهر بنت قيرور بن يدرحد روحة الوليد بن عبد الملك ولدت له يريد
وإبراهيم مؤثلاً للخلافة، والخيران ولدت للمهدي موسى الهادي وهارون الرشيد .

أمرأة لها اثنا عشر محرماً كل منهم حليمة ، وهي عاتكة بنت يريد بن معاوية ،
يريد أبوها ، ومعاوية بن أبي سفيان حدها ، ومعاوية بن يريد أخوها ، وعبد الملك
أب مروان روحها ، ومروان بن الحكم حموها ، ويريد بن عبد الملك أمها ، والوليد
وسليان وهشام أساء عبد الملك أولاد روحها .

ومثلها من بني العباس ربيعة بنت جعفر بن المصور ، حدها المصور ، وأخو
حدها السقاح ، وروحها الرشيد ، وعمها المهدي ، وأبها الأمين . وأساء روحها المأمون
والمعتصم والواثق والمتوكل .

حليمة سلم عليه بالخلافة عمه وعم أبيه وعم حده . وهو هارون الرشيد سلم عليه
سليان بن المصور ، والعباس بن محمد عم أبيه المهدي ، وعبد الصمد بن علي عم
حده أبي جعفر المصور .

حليمة سلم عليه من أهل بيته سبعة كل منهم أم حليمة . وهو المتوكل . سلم عليه
أحمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم . وسليان بن المأمون ، وعبد الله بن الأمين ،
وأبو محمد بن الرشيد . والعباس بن الهادي . ومصور بن المهدي .

حليمة قبل هو وأبها يد حليمة فأحار أبها حائر . ثم قتل المقتلة بده هو وأبها يد
المقتل أولاً وهو حليمة فأحار أبها تمثل تلك أخاؤه . وهو المعتصم . وقب لإبراهيم
أب المهدي أيام خلافته ثم برل المعتصم فقتل بده ثم أدنى منه أبها هارون فقتل
يده ، وقال يأمر المؤمنين عندك هارون أبي وأبها له عشرة آلاف درهم . ولما

(١) المهدود تسعة مائة وكذا في مثلها .

(٢) كذا في الأصل

أَسْتَحْلِفَ الْمُعْتَصِمَ وَقَفَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ثُمَّ تَرَجَّلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بَعِيْتهُ وَقَبَّلَ يَدَهُ وَأَدْنَى مِنْهُ أَمَّهُ هَبَّةَ اللَّهِ فَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَدْلُكَ هَبَّةَ اللَّهِ آتَى فَأَمَرَ لَهُ بَعْشَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قَالَ الصَّوْلِيُّ وَلَا يَعْرِفُ مِثْلَ ذَلِكَ خَلِيفَتَيْنِ وَابْنَيْهِمَا .

خَلِيفَةُ حَرَّتْ أُمُورُهُ كُلُّهَا عَلَى ثَمَانِيَةِ ، وَهُوَ الْمُعْتَصِمُ ، فَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَاسِ ، وَمَوْلَدُهُ سِتَّةُ ثَمَانٍ وَسَعِينَ وَمِائَةٍ ، وَعَمْرُهُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سِتَّةً ، وَكَانَ ثَامِنَ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ ، وَمَلَكَ ثَمَانِ سِنِينَ وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَخَلَفَ ثَمَانِيَةَ سِنِينَ ، وَثَمَانِ سِتَّةَ ، وَثَمَانِيَةِ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دَانَةِ ، وَلَهُ ثَمَانِ فَتُوحَاتٍ ، وَتَوَفَّى ثَمَانِ بَقِيَّةٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ وَمِنْ ثَمَّ سَمِيَ الْمُثْنَى .

خَلِيفَةُ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ وَعِشْرَةُ إِخْوَةٍ ، وَعِشْرَةُ أَوْلَادٍ إِخْوَةٍ ، وَهُوَ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ فَأَوْلَادُهُ الْعِشْرَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَمَعَاوِيَةُ ، وَعَدُّ الْعَرِيرِ ، وَقُتَيْبٌ ، وَعَمْرٌ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ ، وَعَدُّ اللَّهِ ، وَأَيُّوبُ ، وَدَاوُدُ . وَإِخْوَتُهُ عِنْدَ الْوَاحِدِ ، وَعَدُّ الْمَلِكِ ، وَعَدُّ الْعَرِيرِ ، وَسَعِيدُ سُوِّ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَحَرْبٌ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَمْرُ سُوِّ عَدِّ الرَّحْمَنِ آسَ الْحَكَمِ ، وَيُوسُفُ ، وَسُلَيْمَانُ ، وَيَحْيَى سُوِّ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ .

لَيْلَةُ وَلَدَتْ فِيهَا خَلِيفَةً ، وَمَاتَ فِيهَا خَلِيفَةٌ ، وَوُلِدَ فِيهَا خَلِيفَةٌ ، وَهِيَ لَيْلَةُ السَّبْتِ لِأَرْبَعِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ سِتَّةَ سَعِينَ وَمِائَةٍ ، وَلَدَ فِيهَا الْمَأْمُونُ ، وَمَاتَ فِيهَا الْهَادِي ، وَاسْتَحْلِفَ فِيهَا الرَّشِيدَ ، وَلَا يَعْبُدُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي رَمَسٍ مِنَ الْأَرْمَانِ .

خَلِيفَتَانِ أَحَدُهُمَا آسَ الْآخَرِ بَيْنَ قَرِيْبَيْهِمَا نَعْدُ كَبِيرٌ ، وَهُمَا الرَّشِيدُ وَالْمَأْمُونُ ، قَبْرُ الرَّشِيدِ بَطْرُسُ وَقَبْرُ الْمَأْمُونِ بَطْرُسُوسُ .

حليقة ركب الريد ، وهو موسى الهادي ، مات أبوه المهديّ وهو نائسه عليّ
حُرّاح ، فكتب إليه الرشيد بالحر والبيعة ووجه إليه الحاتم والتُرْدَة والقصيب وركب
الريد وأتى إلى بغداد بعد ثلاثة عشر يوماً من موت المهديّ ، ولا يعرف حليقة
ركب الريد غيره .

حليقتان اسم كل منهما جعفر قتل كل منهما في يوم الأربعاء وهما المتوكل
والمقتدر .

حليقة وليّ الخلافة ستهن سة متوالية ، وهو المستنصر بالله العاطميّ حليقة مصر
عليّ أن الثعالبيّ في "لطائف المعارف" قال استقرت ولاية معاوية بن أبي سفيان
أربعين سنة عشرون منها إماره وعشرون منها خلافة .

حليقة كانت خلافته يوماً أو بعض يوم ، هو عبد الله بن المعتز ، تويج بعد حلع
المقتدر ، فلما كان من العدة حاربه عثمّان المقتدر وعاهم العاة فهرب وأحتفى
ثم طعنه .

أربعة إحوه وليّ كل منهم الخلافة . وهم الوليد . وسليمان . وريد . وهشام أولاد
عبد الملك بن مروان .

لم يل الخلافة من أبوه حتى سوىّ أبي بكر الصديق والطابع لله وكلاهما
أسمه أبو بكر .

لم يل الخلافة من أبواه هاشميّان سوىّ الحسن بن عليّ بن فاطمة ومحمد الأمين
آس الرشيد من ربيدة .

لم يل الخلافة من أسمه العباس سوىّ أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل
العباس بن المتوكل عليّ الله محمد حليقه العصر . حتى كثرة هذا الاسم في أولاد الخلفاء
العباسيين وكوبه اسم حادهم الأكر . وقت وفد حدرى أمير المؤمنين المستعين

المشار إليه أن تسميته العباس كانت رؤيا رآها الشيخ بدر الدين الهنسي بمكة المشرفة، رأى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه في النوم، وهو يقول له قل لولدى محمد، (يعنى المتوكل على الله) إذا ولد له ولد يسميه العباس .

وسياتى ذكر ذلك في الكلام على العهد الذى أنشأه قبل ولايته الخلافة بنحو ثمان سنين آمنا بالخطر في حملة اليهود في المقالة الخامسة .

• ﴿أعجوبة﴾ قال الصولى الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يخلع ، الذى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والحسن خلع . ثم معاوية، ويريد، ومعاوية، ومروان، وعبد الملك، وعبد الله بن الزبير خلع . ثم الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويريد، وهشام، والوليد بن يزيد خلع . ثم كان منهم يريد بن الوليد، وأبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد وهو آخرهم ولم يكن من بعده من سى أمية من يتم العدد منهم ستة فألحى . ثم كانت الدولة العباسية فكان السفاح، والمصور، والمهديّ، والهادي، والرشيد، والأمين خلع . ثم المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمتنصر، والمستعصم خلع . ثم المعتز، والمهتدي، والمعتمد، والمعتصم، والمكشي، والمقتدر خلع في فتنة المعتز . ثم ردّ إلى الخلافة ثم قتل . ولم يعتد بخلافة آس المعتز لخلعه في يومه . قال صاحب "رأس مال السدم" والثعالى في "لطائف المعارف" ثم القاهرة، ثم الراصى، ثم المتقى، ثم المستكفى، ثم المطيع . ثم الطائع خلع . قال الصلاح الصفدى ثم القادر، والقائم، والمقتدى، والمستظهر، والمسترشد، والراشد، خلع . ثم المقتضى، والمستنجد، والمستصلى، والناصر . والظاهر، والمستعصم خلع وقتل أيام هولاكو عد استيلائه على بغداد . قلت هذا سبط فاحش من الصلاح الصفدى لا يليق بمثله فانه أسقط قبل المستعصم المستنصر وهو السادس .

وقد ذكر الشيخ شمس الدين آس سائة في تاريخ الخلفاء أنهم لما بايعوا المستنصر المذكور خلعه ثم أعادوه فرارا من التطير بخلع السلدس ، وحيه مد فيكون من بعد المستنصر المستعصم المذكور ثم المستنصر أحمد ، الذي أتى به الطاهر بئرس وتوجه إلى الديار المصرية ، ثم الحاكم أحمد ، ثم أمه المستكفي سليمان ، ثم أمه المستعصم أحمد ، ثم الواثق ، إبراهيم خلع . ثم المعتصم أبو بكر المستكفي ، ثم أمه المتوكل ، ثم المعتصم ركريا ، ثم الواثق عمر ، ثم المستعين أبو الفضل العباس خليفة العصر أدام الله أيامه وهو الخامس والله تعالى أعلم بمن يكون السادس وما يكون من أمره .

والصلاح الصمدي وكذلك العبيدوني المعروفون بالقاطمين كان مهم بالمغرب عند الله المهدي ، والقائم بأمر الله ، والمصور ، والمعرثاني القاهرة بالمغرب ثم مصر والعريز ، والحاكم قتلته أخته . ثم الطاهر ، والمستنصر ، والمستعلي ، والآمر ، والحافظ ، والطاهر خلع وقتل ، ثم الفائر ، والعاصد وهو آخرهم . قال وكذلك أبو أيوب في ملك مصر أولهم صلاح الدين ، ثم ولده العريز ، وأخوه الأفضل بن صلاح الدين ، والعاذل الكبير أخو صلاح الدين ، والكمال ولده . والعاذل الصغير خلع . ثم كاب مهم الصالح نجم الدين أيوب ، ثم المعظم توران شاه . ثم أم حليل شجرة الدر ، ثم الأشرف موسى وهو الرابع ولم يكن مهم من بكل الستة . قال وكذلك دولة الأتراك ملوك مصر أولهم المعرثانيك ، وآمه المصور ، والمطر قطر . والطاهر بئرس . وآمه السعيد تركة ، وأخوه العادل سلامش خلع ، وملك السلطان الملك المصور قلاوون .

قلت ثم أمه الأشرف حليل ، ثم المعظم بدر ، ولم يعتد به لضعفه من يومه كما لم يعتد بالن المعرثاني الخلفاء ، ثم الناصر محمد بن قلاوون . ثم العادل كتمه . ثم المصور لاجين ، ثم المطر بئرس الخاشكر خلع . ثم المصور أبو بكر بن الناصر محمد . ثم الأشرف بكك ابن الناصر محمد ، ثم الناصر أحمد بن الناصر محمد . ثم الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ،

ثم الكامل شعبان بن الناصر محمد ، ثم المطهر حاحي بن الناصر محمد خلع ، ثم الناصر
حسن بن الناصر محمد ، ثم الصالح صالح بن الناصر محمد ، ثم المنصور محمد بن المطهر
حاحي ، ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ، ثم أمه المنصور علي ،
ثم الصالح حاحي بن الأشرف شعبان خلع ، ثم الطاهر برقوق ، ثم الناصر ورج سلطان
العصر وهو الثاني والله أعلم من يكون السادس .

عرائب تتعلق بالملوك

ملك مُلك وهو في بطن أمه ، وهو سائور ذو الأكتاف أحد ملوك الفرس ، مات
أبوه وهو حمل ولم يكن له ولد سواه ، فعقدوا التاج على رأس أمه على أن يكون من
في بطنها هو الملك كائناً من كان ، فلما وصعته ملكوه .

ثلاثة من ملوك فارس أس وأب وحد أسمهم واحد ، وهم هرام بن هرام بن هرام ،
ومثلهم من ملوك عسان من العرب الحارث بن الحارث بن الحارث . قال الثعالبي
وهذا التباس لا يقع إلا في الأكار والرؤساء وقد جاء من هذا النمط سادات الإسلام
الحسن بن الحسن بن الحسن السبط .

ملك من إسلاميان أول أسم كل واحد منهما عين قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك
أول أسم كل واحد منهم عين ، أحدهما عند الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد
وعند الله بن الربيع وعند الرحمن بن محمد بن الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور
أسمه عند الله قتل أنا مسلم الحراساني وأسمه عند الرحمن وعمه عند الرحمن بن علي
وعند الحبار بن عبد الرحمن وإلى حراسان .

قال الثعالبي أربعة في الإسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل ،
وهم الخنحاح بن يوسف ، وأبو مسلم الحراساني ، وبارك ، والبرقي .

قلت وقد وقع لثيمور كور كان المعروف بتملّك صاحب ما وراء النهر على رأس الثمانمائة من المحرّة ما هو أكثر من ذلك ، ولله قد فتح من الحمد إلى الخليج القسطنطيني ، وقتل من كل إقليم من الخلق ما لا يحصى حتى كان يلبى بالرؤوس في كل مدينة يفتحها مارا .

عرائب تتعلّق بسرّة الناس

ثلاثة سو أعمام في زمن واحد ، كل منهم سيد حليل ، لم يصلح للإمامة أو الرياسة . ثم كان لكل منهم أس اسمه محمد كذلك ، وهم عليّ بن عبد الله بن عباس وآله محمد وعليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب وآله محمد ، وعليّ بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وآله محمد . قال الحافظ وهذا من عرائب ما يتفق في العالم ، فإن هذا أمر لم يشاركهم فيه أحد .

أب وآس تقارب ما بينهما من العمر تقاربا شديدا وهما عمرو بن العاص وآله عبد الله كان بينهما في السن ثلاث عشرة سنة . قال الثعالبي ولا يعهد مثل ذلك . أحوان تناعد ما بينهما في السن ساعدا شديدا وهما موسى بن عبيدة الرّندي المحدث وأخوه عبد الله كان بينهما في السن مائة سنة ولم يعرف مثل ذلك في غيرهما .

أربعة إخوة كل واحد منهم أس من الآخر عشر سنين ، وهم أولاد أبي طالب كان طالب أس بن عقيل عشر سنين ، وعقيل أس من جعفر عشر سنين ، وجعفر أس من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عشر سنين .

ثلاثة إخوة ولدوا في سنة واحدة وقلوا في يوم واحد وس كل واحد منهم اثنان وأربعون سنة ، وهم يزيد ، ورناد ، ومدرّك أولاد المهلب بن أبي صفرة . وهذه من عرائب الوادر .

(١) في الأصل الرّبي وهو صحف من ربا . كما في حاشيته .

رجل مكث عشر سنين لا يولد له إلا رجل ولا يموت له إلا أثنى ، وهو المهلب
أس أنى صُفِّرة في غير أولاده الثلاثة المذكورين .

أربعة رجال في الإسلام لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده أكثر
من مائة فيما قاله الثعالبي وغيره ، وهم أس بن مالك حادم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وحليقة بن راء السعدي ، وعبد الرحمن بن عمر الليثي ، وجعفر بن سليمان
الهاشمي ، ومهم من يذكره أنا بكرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

حمسة إحوة تواعدت قبورهم أشد تواعد ، وهم سو العباس بن عبد المطلب قبر
عبد الله بالطائف ، وقبر عبيد الله بالمدينة ، وقبر معد بن عديقة ، وقبر الفصل بالشام ،
وقبر قثم سمرقند .

قاص قصي في الإسلام حمسا وسبعين سه وهو شريح بن الحارث الكندي
أستقصاه عمر على الكوفة فبقي بها خلافة عمر وما بعدها إلى تمام المدة المذكورة لم
يتعطل منها سوى ثلاث سنين أمتنع فيها من القضاء في فنة أس الرير .

أوصاف جماعة من المشاهير

”من كان من الخلفاء أصْلَحَ“ قال الثعالبي ”كان الصَّلَح في عمر ، وعثمان ، وعليّ ،
ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز ، قال ثم أقطع الصلح من الخلفاء .

”من كان في غاية الطول“ ، كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كأنه راك
والناس يمشون لطوله ، وكان عدي بن حاتم إذا رك تكاد رحلاه تحط في الأرض ،
وكذلك حرير بن عبد الله الحلي ، وكان قُس بن ساعدة في نهاية الطول والحسامة ،
وكان عبد الله بن زياد إذا رآه الرائي وهو ماش ، ط أنه راك لطوله ، وكان
علي بن عبد الله بن عباس في غاية من الطول ، وكان أبوه عبد الله أطول منه ، وجده

العاس أطول من أبيه، ويقال إن حلة من الأيهم العسائي كان طوله اثني عشر شرا .

”من كان في عاية القصر“ قال الثعالبي كان عند الله من مسعود رضى الله عنه شديد القصر يكاد الحُلوس يواروه من قصره، وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قصيرا دحداحا، وكان الحُطَيْيئة الشاعر مُقرط القصر، ولذلك لُقِّب بالحُطَيْيئة، وكان دو الرِّمَّة الشاعر قصيرا حذا، ورأيت في بعض التواريخ أن كُثَيِّرَ عَرَّة كان .

طوله ثلاثة أشبار، وكان العباس بن الحسن في عاية من القصر وفيه قيل

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَاسِ مِنْ قِصَرٍ . وَأَنْظُرِي إِلَى الْفَضْلِ وَالْمُحَدِّدِ شَادَا

إِنَّ الثُّحُومَ مُحُومَ الْحَوِّ أَصْعَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَعْدُّهَا فِي الْحَوِّ إِصْعَادَا

”من عُرف بالدهاء من العرب“ معاوية بن أبي سفيان، رِيَادُ اس أبيه، عمرو بن العاص، المُعَيَّرَةُ بن شُعْنة، قَيْس بن سَعْد بن عُنَادَة، عُدُّ الله بن نُذَيْل الحُرَاعِي .
”من نُسِبَ منهم إلى الخنق“ عامر بن نُكَيْر، معاوية بن مروان بن الحكم، كُتَّار
أس عبد الملك بن مروان، العاص بن هشام، عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان،
سهل بن عمرو وأخوه سُهَيْل، العاص بن سعيد بن العاص .

”المؤلفة قلوبهم في أول الإسلام“ قال الثعالبي هم من فريش أبو سفيان
أس حرب، وسُهَيْل بن عمرو، وَخَوَيْطُ بن عبد العزى، وهَنَار بن الأسود،
والخارث بن هشام، وحَكِيم بن حِرَام، وَصَفْوَان بن أُمَيَّة، وَأَبْس بن سُدَى . ومن
فرَّاه عَيْنُهُ بن حِصْن . ومن تَمَم الأقرع بن حَنْس . ومن سَلَم العباس بن
مُرداس . ومن ثَقِيف العلاء بن الحارث .

”من أُصِيبَتْ عينه“ أبو سفيان بن حرب . ذهب عنه يوم الطائف ثم عُمي
بعد ذلك . الأَشْعَث بن قَيْس . ذهبت عينه يوم البَرَّة وَنُت . المعبره بن شُعْنة كذلك

الأشتر الحجى حرير بن عبد الله السحلى، عدى بن حاتم، عتة بن أبى سفيان، المختار
أس أبى عبيد، الأحف بن قيس، المهلب بن أبى صفرة، طاهر بن الحسين، عمرو
أس الليث الصقار.

”من سُمِلت عيابه من الخلفاء والملوك“، أما من الخلفاء فالقاهر، والمتقى،
والمكتبى، وأما من الملوك فهزمر بن أبو شروان أحد الملوك الأكاسرة، صمصام
الدولة بن بويه، منصور بن نوح بن منصور الساماني.

”من كان مكعوف النحر من أشرف الناس“، زهرة بن كلاب بن كعب،
عبد المطلب بن هاشم، العباس بن عبد المطلب، الحکم بن العاص، أبو سفيان بن
حرب، الحارث بن العباس بن عبد المطلب، مطعم بن عدى بن نوفل بن
عبد مناف، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المعيرة، عتة بن
مسعود الهدلى، عبد الله بن عبيد الله بن عتة، أبو أحمد بن مخش بن مسعود
الأسدى، حارس بن عبد الله الأنصارى، عبد الله بن أرقم، البراء بن عازب، حسان
بن ثابت، أبو أسيد الساعدى، قتادة بن دعامة، دريد بن الصمة الحشمى، عرمة
بن نوفل الزهرى، الفاكه بن المعيرة المحرومى، حذيفة بن حارم الهشلى، أبو العباس
الشاعر، على بن ربد بن حذعان، المعيرة بن مقسم الصقى، الترمذى الكبير الحافظ
الفقيه، منصور الشاعر المصرى، أس سيدة اللعوى، أبو العلاء المعرى، نزار بن
زبد، أبو الققاء العكبرى، أبو العيلاء هشام بن معاوية الصرير الحوى الكوفى،
أبو القاسم الشهبلى صاحب الروص الأنف، أبو القاسم الشاطبى، الصرصى
الشاعر، أبو الحسن على بن عبد العلى الحصرى، أبو عبد الله بن حنبله المعرى
الحوى، أبو عبد الله بن الحياط.

أصحاب العاهات من الملوك

من ملوك اليونان الإسكندر، كان أَحَفَ . ومن ملوك الفرس أَبُو شَرَوَان كان أعور، يردحرد كان أَعْرَج . ومن ملوك العرب حَدِيمَةُ الْوَصَّاح، كان أَرْض، النُّعْمَانُ ابنُ المِدر، كان أَحْمَرُ الْعَيْنِ وَالشَّعْر . ومن الخلفاء عَدُوَّ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنَحْر، يريد أن عَدُوَّ الْمَلِكِ أَقَمَّ، هِشَامُ بْنُ عَدُوَّ الْمَلِكِ أَحْوَل، مَرْوَانُ الْجَحَارُ أَشْقَرُ أَرُور، موسى الهادي شفته العُلْيَا مُتَقَلِّصَةً، حَتَّى كَانَ أَنُوهُ الْمَهْدَى قَدَرَّتْ لَهُ حَادِمًا يَلَارِمُهُ مَتَى عَقَلَ وَفَتَحَ فَاهُ قَالَ مُوسَى أَطَقَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدَى كَانَ أَسْوَدَ سَيِّبًا لَقَّبَ بِالنَّتِّينِ . ومن أشراف قريش وعيرهم أَبُو طَالِبٍ أَعْرَجُ . وَأَبُو حَنْهَلٍ أَحْوَل، أَبُو لَهَبٍ كَذَلِك، وَكَذَلِكَ رِيَاد، وَعَدِيُّ بْنُ رِيَدٍ . الْأَحْمَفُ بْنُ قَيْسٍ، أَحْمَفُ مَتْرَاكِبِ الْإِنْسَانِ، صَعِلَ الرَّأْسُ، مَائِلَ الدَّقْ . وَالرَّبِيعُ بْنُ رِيَادٍ أَرْض، وَكَذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةٍ، وَأَيْمَنُ بْنُ حُرَيْمٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ خَطِطَةَ، وَكَانَ عَيْدَةَ السَّلْمَانِي أَصَمَّ، وَكَذَلِكَ أَنُ سِيرِينَ وَالْكَيْتُ الشَّاعِرُ، وَالْمَرْقُشُ الْأَكْبَرُ الشَّاعِرُ أَحْدَعُ .

أصحاب الوادر

ابن أَيْ عَتِيق، أَشْعَبُ الطَّمِيع، أَبُو الْعُصْبِ خُجَاء، أَبُو الْعَبَرِ، أَبُو الْعَنْتَسِ . ابن الحِصَاصِ مَرْيَدُ الْمَدَنِيِّ .

أحواد الإسلام

عُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَاسِ بْنِ عَدُوَّ الْمَطْلَبِ، عَدُوَّ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، سَعِيدُ ابْنِ الْعَاصِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، عَدُوَّ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كَرِيرٍ، حَمْرَةُ بْنُ عَدُوَّ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَّامِ، عُمَرُ بْنُ عُمَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَمَّرِ الْبَيْهَقِيِّ، حَامِدُ بْنُ عَدُوَّ اللَّهِ

(١) في العهد الفريد اسم الخوادر عُمَيْدُ اللَّهِ - ع - م - ي - م - ي

اس خالد بن أسد بن العاص ، قيس بن سعد بن عُدَاة الأنصاري ، عَنَاب بن أبي
وَرَقَاء الحِمْطَلِيّ ، أَسْمَاء بن حَارِثَة بن حِصْن بن نَدْر القَرَارِيّ ، عبد الله بن أبي نَكْرَة
مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطَّلَحَاتُ المعروفون بالجُود

طلحة الفَيَّاص — وهو طلحة بن عبيد الله أحد العشرة ، وطلحة الحُود — وهو
طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وطلحة الدراهم — وهو طلحة بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وطلحة الخير — وهو طلحة بن الحسن بن عليّ
أبْن أبي طالب ، وطلحة الددِيّ — وهو طلحة بن عبد الله بن عوف الزُهْرِيّ ، وطلحة
الطَّلَحَات — وهو طلحة بن عبد الله بن حَلَف الحُرَاعِيّ .

أرواد الرك ثلاثة من قريش وهم مسافر بن أبي عمرو بن أُمَيَّة ، ورمعة^(١)
ابن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قُصَيّ ، والمعيرة بن عبد الله بن عمرو بن
محروم شُئِمُوا بذلك لأهم لم يترؤد منهم أحد في سرق قط لحودهم .

من أشتهر عند أهل الأثر بلقبه

عَسِيل الملائكة . وهو حُطَلَة بن أبي عامر الأنصاري أُصِيبَ يوم أُحُد فأحر
البي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة عَسَلَتْهُ . قتيل الحن ، هو سعد بن عُدَاة ،
مال في نُحْر فقتله الحن . مُصَابِح الملائكة ، هو عِمْرَان بن حُصَيْن . حَمِيّ الدَّر ، هو
عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، حَمَتُهُ الحُلْ إلى أن كان الليل . دو الشهادتين هو
حُرَيْمَة بن ثابت الأنصاري . نهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نقصاء دين اليهودي
حين أحر النبي صلى الله عليه وسلم أنه وفاه . اعتادا على حبر النبي صلى الله عليه

ورسعه وهو سبق فلم ينال الخ والصحيح من العاموس وشرحه

(١) في لاس سبه

وسلم، جعل صلى الله عليه وسلم شهادته شهادتين . ذو العَيْن، هو قتادة بن
البحمان، أصيبت عينه يوم أحد فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم، . ذو اليدين
هو عبيد بن عدي عمرو الحراعي كان يعمل بيديه معا . ذو العِمامة، هو أبو أُحِيحة
سعيد بن العاص بن أمية، كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى يبرعها .
ذو الثدية، كانت إحدى يديه مُحدّحة كالثدي، كان رأس الحوَّارح ذو الثِّعَابِ،
كان يقال ذلك لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولعلي بن عبد الله بن عباس
لما على أعضاء السَّحَدَاتِ مهما من شه ثَعْبَاتِ البعير . ذو السِّيفين، هو أبو الهيثم
أسد التَّيْهَانِ، سمي بذلك لتقلّده في الحرب سيفين . سيف الله، هو خالد بن الوليد .
أسد الله، هو حمزة بن عبد المطلب . ذات المطّاقين، هي أسماء بنت أبي بكر،
سميت بذلك لأنها شَقَّتْ بِطَاقِهَا لِلشُّعْرَةِ في الليله التي هاجر اليه صلى الله عليه وسلم
هو وأبوهما إلى المدينة . عُزْرَةُ الصَّعَالِيكِ، هو عُزْرَةُ بن الوَرْدِ، كان إذا شَكَا إليه
أحد أعطاه فرسا ورُحْمًا وقال له إِبْ لم تستغنِ بذلك فلا أعماك الله . سُلَيْكُ^(١)
الْمَقَابِ، هو سُلَيْكُ بن سُلَيْكَةَ . كان أعدى الناس حتى إن العرس لا يذركه .
طُفَيْلُ الأَعْرَاسِ، رجل من عَطَفَانَ، وقيل هو من مَوَالِي عُمَانَ بن عَفَّان رضى الله
عنه، كان يتبع الأعراس فيأتيها من غير دَعْوِهِ وإليه تنسب الطُّفَيْلِيَّةُ . أُسَيْجُ بن أمية
هو عمر بن عبد العزيز . حَمَارُ بنِ الْعَاسِ هو هَارُونُ الرَّشِيدِ لأبْنِهِ أَعْرَى أَسَدَ
الْقَاسِمِ الرُّومَ فقتل منهم خمسين ألفاً، وأحد منهم حمسه آلاف دَانَةَ بالسُّرُوحِ وَاللُّحْمِ
الْفِصَّةِ، وأعرى علي بن عيسى بن ماهان بلادَ الثُّرُكِ فقتل منهم أربعين ألفاً، وعرا
هو نفسه بلاد الروم ففتح هِرَقْلَةَ، وأحد الخيرية من ملك الروم . سَاتَ طَارِقُ، هُوَ
سَاتُ العَلَاءِ بن طَارِقِ بن أمية بن عبد شمس . تَمِيمٌ نَحْدَهَنَ . يصرب هَبَّ المثل

(١) في الأصل سليل باللام وهو مصحف ابن المصنف في . - - -

في الحس والشرف . سات الحارث ، هنّ سات الحارث بن هشام ، يُصرب هنّ
المثل في الحُسّ وعلو المهر . .

من كان فردا في رمانه بحيث يصرب به المثل في أمثاله

كان الإسكندر ، في طوّاف الأرض ، وكسرى أبوشروان ، في العدل ، وورقاء
اليمامة ، في حذّه المطر ، وحاتم الطائي ، في الكرم ، وكعب بن مامة ، في الإيثار ،
وارسطاطاليس ، في الحكمة ، وبقرط ، في الطب ، وقّس بن ساعدة ، في الفصاحة ،
وتخّان وابل ، في البلاغة ، وعمرو بن الأهمّ ، في البيان ، وناقل ، في العيّ ، وأبو بكر
الصديق رضى الله عنه ، في معرفة الأنساب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، في قوّة
الهيبة ، وعثمان بن عفان رضى الله عنه ، في التّلاوة ، وعلى بن أبى طالب رضى الله
عنه ، في القصّاء ، ومعاوية ، في كثرة الاحتمال ، وأبو عبيدة بن الحرّاج ، في الأمانة ،
وأبو ذرّ ، في صدق التّهمّة ، وأبى بن كعب ، في القراءة ، وريد بن ثابت ، في الفرائض ،
وآبى عماس ، في تفسير القرآن . وعمرو بن العاص ، في الدّهاء ، وأبو موسى الأشعريّ ،
في سلامة السّاطي ، والحسن البصريّ ، في الوعظ والتّدكير ، ووهب بن منبه ،
في القصص . وآبى سريّن ، في تعبير الرؤيا ، ونافع ، في القراءة ، وأبو حبيمة ، في القياس
والفقه ، وآبى إسحاق ، في المعاري ، ومقاتل ، في التأويل ، والكلبيّ ، في قصص القرآن ،
وآبى الكلبيّ الصغير . والسيب . وأبو الحسن المدائنيّ ، في الأحبار ، ومحمد بن حرير
الطبريّ ، في علوم الأثر ، والحليل بن أحمد . في العروص ، وفُصَيْل بن عياص ، في العادة ،
ومالك بن أنس . في العلم . والشافعيّ ، في فقه الحديث ، وأبو عبيدة ، في العريب ، وعلىّ
آبى المدينيّ . في غلّ الحديث . ونخعيّ بن معين . في رجال الحديث ، وأحمد بن حنبل ،
في السّنة . والبخاريّ ، في نقد الصحيح ، والحديد ، في الصّوّف ، ومحمد بن بصر المروزيّ ،

في الاختلاف، وأبو علي الحنّائي، في الاعتزال، وأبو الحسن الأشعري، في علم الكلام، وأبو القاسم الطبراني، في عوالي الحديث، وعبدُ الرّاق، في آرتحال الناس إليه، وآسن مّنده، في سعة الرحلة، وأبو بكر الخطيب، في سُرعة القراءة، وآسن حرم، في مذهب الطاهر، وسيبويه، في النحو، وأبو الحسن البكري السيري، في الكذب، وإياس بن معاوية، في الدكاء والتفّرس، وعبد الحميد، في الكّانة والوفاء، وأبو مسلم الخراساني، في علوّ الهمة والحرم، وإسحاق الموصليّ السديم، في العباء، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب الأعاني، في المحاصرة، وأبو معشر، في النّجوم، والرازي، في الطّب، وعمّار بن حمرة، في التّيه، والفصل بن يحيى، في الحود، وجعفر بن يحيى، في التوقيع، وآسن ريّدون، في سعة العبارة، وآسن القرّية، في الملاعة، والحاحط، في الأدب والبيان، والحريري، في المقامات، والديع الهمداني، في الحفظ، وأبو نؤاس، في النّحو والحلاعة، وآسن سّاح الشاعر، في سُحف الألفاظ، واتبني، في الحِكم والأمثال شعراء، والرمحشري، في تعاطي العربية، والنّسفي، في الحدل، وحرير الشاعر، في الهباء الحبيث، وسّامد الراوية، في شعر العرب، والاحف بن قيس، في الحِلْم، والمأمون، في حُبّ العفو، والوليد، في شُرْب الحمر، وعطاء السّلمي، في الخوف من الله تعالى. وآسن النّوّاب، في الكّانة، والقاصي الفاضل، في التّرسل، والعماد الكاتب، في الحِناس، وأشعث، في الطمع، وأبو نصر الفارابي، في معرفه كلام القدماء ونقله وتفسيره، وخيّ بن إسحاق، في ترجمة اليوناني إلى العربي، وآسن سينا، في الفلسفه وعلوم الأوائل، والإمام سحر الدين الرازي، في الأطّلاع على العلوم، والحاحط في سعة العبارة، والسيف الأيدي، في التحقيق، والمصير الطّوسي، في معرفة المحسّطى، وآسن الهيم، في الرياض ومحم الدين الكاتبي، في المِطَق، وآسن الأعرازي، في الإطّلاع على الله. وأبو العياء، في الأخوة المسكتة، ومريد، في السّحل، والقاصي أحمد بن أبي دواد، في المروءة

وحُسْنُ التقاضى، وآسُ المعتز، فى التشبيه، وآسُ الرُّومى، فى التطيُّر، والصَّولى
فى الشَّطْرُخ، والعرالى، فى الجمع بين المعقول والمقول، وأبو الوليد سُرشد، فى تلخيص
كتب الأقدمين الفلسفية والطبية، ومحيى الدين بن عرنى، فى علوم التصوُّف، وحار
اس حيان فى علم الكيمياء .

عرائب أتفاق

اتفاقية حليلة — وُلِدَ الى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، وُئِثَ يوم الاثنين،
وهاجر يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين .

اتفاقية أخرى — قَتَلَ عُمْدُ الله بن زياد الحسين بن علىّ عليهما السلام يوم
عاشوراء، وقتله الله على يد إبراهيم بن الأشتر فى يوم عاشوراء .

أخرى — قال عبد الملك بن عمير الليثى رأيت فى قصر الإمارة بالكوفة رأس
الحسين بن علىّ بين يدي عُمْدِ الله بن زياد على تَرْس، ثم رأيت فيه رأس عُمْدِ الله
آس زياد بن يدي المختار بن أبى عُبيد، ثم رأيت فيه رأس المختار بين يدي مُضَعَب
آس الربيع، ثم رأيت فيه رأس مُضَعَب بين يدي عُمْدِ الملك بن مروان . قال
لخُذْتُ هذا عُمْدَ الملك بن مروان فطير منه ففارق مكانه .

أخرى - قال الصَّولى حَدَّثَنِى الحسين بن يحيى الكاتب أنه لما ولى المعتز لم
تمص مدّة لطيفه حتى أحصر الناس وأُخْرِجَ المؤيد^(١) وقيل أشهدوا أنه دُعِيَ فأجاب،
وليس به أثر . ثم مصت مدّة شهر فأحصر الناس وأُخْرِجَ المستعين وقال إن مديته
أنت عليه . وها هو لا أثر به فشهدوا ، ثم جاع المعتز ، وأسّتحلف المهتدى ، ولم
يمص إلا مديته حتى أخرج المعتز ميتا وقال أشهدوا ، أنه قد مات حتف أنفه

ولا أثره، ثم لم تكمل السنة حتى استُحِلَّ المعتمد فأُخْرِج المهتدى ميتا وقال اشهدوا أنه قد مات حتف أنفه من حراجه، فتعجب الناس من تلاحقهم في مدة يسيرة .
 عِرة — مات المكتفى بالله عن مائة ألف ألف دينار، ولما عُسِّل لم توحدهمجرة
 يجر فيها إلا محجرة من حَرَفٍ أحمر، وكان فيما حلف ألوف من محامر الذهب والفضة .
 قال أحمد بن أبي دواد لقد شددت لحيي المؤمنين، والمعتمدين، والوائق، بعد موتهم
 فلم أحد نرقه أشد لها لحيي واحد منهم إلا ما أحرقه من الدراريح التي تكون على .
 لطيفة — في سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتصم برّد فاصل سَهَامِ الموارث
 على دوى الأرحام، وأُطل ديوان الموارث، وكتب بذلك إلى الآفاق .

لطيفة — في سنة أربع وثمانين ومائتين أحرر المحمّون عرق أكثر الأقاليم
 بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأهوار فتحفّظ الناس من ذلك فقلّت الأمطار حتى
 استسقوا بعدد مرّات .

عربية — ذكر أن سينا في المقالة الأولى من كتابه الشفاء أنه رل نحر جان
 صاعقة من الهواء فشدت في الأرض ، ثم لب سوة الكرة وسمع الناس لذلك صوتا
 عظيمًا هائلا فخرّوا عليها وإذا هي قطعة من حديد تقدير مائة وخمسين مآ، وهي أحرأ
 حاوَرشِيَّة صغار مستديرة، التصق بعضها ببعض، فكتب محمود بن سكتكين ،
 صاحب حراسان بإفاده إليه أو قطعة منه فعدّر بقله لثقله فحاولوا كسر قطعة منه
 فلم تعمل فيه الآلات ، فغول كسره فقطع منه قطعة لطيفة . وحملت إليه فرام أن
 يقطع منها سيفا فتعدّر عليه .

لطيفة أخرى — في سنة إحدى عشر وخمسمائة ح سئل عظم معزى مدينة
 سحر من بلاد الحريره، وهدم المنازل . وأعرق حلقه كثيرا . ومن عرب ما حكي

أن السيل حمل مَهْدًا فيه صبيّ صغير فتعلق المهد بشجرة ريتون ، وعاص الماء ،
وبقي المهد معلقًا بالشجرة فسلم الصغير .

أُنْحَوْبَة — في ستة ستين وأربعائة كان بمصر وِفْلَسْطِين رَزْلَة عَظِيمَة ، طلع فيها
الماء من رءوس الآبار ، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم ، فرب الناس إلى أرض
البحر يلتقطون ما تكشف البحر عنه مما في أرضه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم
حلقا كثيرا .

ثم في ستة اثنتين وحسين وحسبائة وقع سلال الشام رللة عظيمة حرت شيرر ،
وحماة ، وحمص ، وحصص الأكراد ، وطرانلُس وأنطاكية ، وغيرها من البلاد التي
حولها ، ووقعت الأسواق والقلاع حتى تداركها نور الدين الشهيد رحمه الله بالعمارة .
فائدة — في ستة اثنتين وحسبائة قلع المقتنى الحليفةُ باب الكعبة ، وعمل عوصه
بأما مصفقا بالعصبة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا ليُدْفَن فيه .

نادرة — في ستة خمس وستين وسبعائة وقع نلح عظيم بالشام فكسر الأشجار
وقطع الطرق لا سيما بُعْكَراء وما حولها .

أخرى — في ستة سبعين وسبعائة طهر بالشام حراد عظيم لم يُسمع مثله ، وأمتد
من مكة إلى الشام . وعظم محوَرَابَ حتى أكل الأشجار ، والأحشاش ، وأنواب
الدور ، وما وصل إليه من الأصمعة والقماش ، وسُدَّتْ أعين الماء حوفا من أن
يُقْسِدها ، وكان من شأنه يعطون أنه امتلأت منه المدينة وعُلِّقَت الأسواق ،
وطُلِّقَت أنواب الدكاكين والطافات . وسُدَّتْ الأنواب وحصرُوا لصلاة الجمعة
فملا عليهم الجامع ، وترامى على الخطيب على المدر حتى شعله عن الخطبة ، وكذلك حير
الناس حتى حرقوا من الجامع يُخْثُون فيه حنا إلى الركب . وأثبتت لكثرة ما قتل منه
حتى صار أهل البلد يَشْمُون القِطْرَان ليعطى رائحته ، وما يَعْلَمُ حُودَ رَمَكَ إِلَّا هُوَ .

أخرى - في ستة أنثيين وسبعين وسعمائة رأى أهل الشام في السماء بعد ميعب الشَّقِّ حُمْرَةً عَظِيمَةً من جهة الشمال ، ثم أَشْتَدَّتْ بالحُمْرَةِ حَتَّى صَارَتْ كالنَّارِ الموقَدَةِ وانتشرت في السماء حَتَّى كَادَ يعطى ثلثها ، وعم بلاد الشام حَتَّى كَابَ بِدِمَشْقَ ، وَتَعَلَّكَ وَحَلَبَ ، وَقَافُوقَ ، وَالرَّمْلَةَ ، وَالْقُدْسَ ، وَطَرَانُسَ ، حَتَّى حَافَ جميع أهل هذه البلاد على أنفسهم الهلاكَ ، وَصَرَعُوا إلى الله تعالى ، وَاتَّبَعُوا إليه ، فَكشَفَ الله عنهم بعد نصف الليل .

قلت - وقد رأيت مثل هذه الآلة العظيمة بمصر في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وهو أنه ظهرت حمرة عظيمة من جهة العرب فوق حمرة النار ، وحاء من وراء تلك الحمرة برق ساطع ، فصاركما لمع البرق داخل تلك الحمرة يخال الباطر أنها نار لا محالة حَتَّى داخلني منه أنه تداد قد صُبَّ على الداس ، ثم انقسع بعد العشاء بقليل فذلك لم يته له أهل مصر . والجملة فوقائع الدهر وعجائزه أكثر من أن تحصر ، ولا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا القدر .

وَاللَّيَالِي كَمَا عَلِمَتْ حَالِي مَقَرِّبَاتٍ يَأْتِدَنَّ كُلُّ نَحِيْبٍ

المقصد الثاني

(في وجه بيان استعمال الكاتب ذلك في حلال كلامه)

لا يخفى أن الكاتب إذا عرف أحوال المتقدمين وسيرهم ، وأحازهم ، ومن رجع منهم ، صار عنده علم بما لعله يُسأل عنه . وأعداد لما يد عليه من ذكر واقعه بعينها أو تحت عليه به من صورته قدومه ليكرن على يمين منها . مع ما يحتاج إلى إيراده في حلال مكاتباته ورسائله من ذكر من حسن الاححاح بذكره في أمر من الأمور أو حالة من الحالات كما كتب به البديع الهمداني إلى أبي الحسين بن

فارس وقد بلغه أنه ذكر في مجلسه فقال إن البديع قد نسي حق تعليمنا إياه، وعقنا،
 وشمخ بأفقه عنا، والحمد لله على مساد الرمان، وتعير بوع الاسان . فكتب إليه
 ” نعم أطل الله نقاء الشيخ الإمام ، إله الحما المسون ، وإن طئت الطون،
 والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقادم ، وآرتكت الأصداد ، وأحتلط الميلاد .
 والشيخ يقول فسد الرمان ، أفلا يقول متى كان صالحا ؟ أى الدولة العاسية ، وقد
 رأينا آحرها وسمعا أولها ؟ أم المدة المرواية ، وفى أحرارها ” لاتكسع الشول
 بأعارها ؟ “ أم السنين الحربية ، والسيف يُعمد فى الطلا ، والريح يُركز فى الكلا ،
 وميت حمرى الملا ، والحرثان وكر بلا ، أم النبعة الهاشمية ، وعلى يقول ليت العشرة
 مسكم براس ، من سى فراس ؟ أم الأيام الأموية ، واليعير إلى المحار ، والعيون إلى
 الأعشار ؟ أم الإمارة العدوية ، وصاحبها يقول وهل بعد الرول إلا الرول ؟
 أم الخلافة التيمية ، وصاحبها يقول طوى^(١) لم مات فى نأنة الإسلام ؟ أم على عهد
 الرسالة ويوم الفتح قيل آسكتي يافلانه ، فقد دهت الأمانه ؟ أم فى الحاهلية
 وليد يقول

دَهَبَ الدِّينُ يُعَاشُ فِي أَكْثَرِهِمْ ، وَبَقِيَ فِي حَلْفِ كَلْدِ الْأَحْرَبِ .

أم قبل ذلك وأحو عاد يقول

بَلَادُهَا مُكَا وَكَا يُحِبُّهَا إِد النَّاسُ نَاسُ الرِّمَانُ رِمَانُ .

أم قبل ذلك ، ويروى لآدم عليه السلام

تَعَرَّتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَحَهُ الْأَرْضِ مُسَوِّدٌ قَبِيحٌ

أم قبل ذلك والملائكة تقول ﴿ أَتَحْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾
 وما فسد الناس ، ولكن آطرده القياس ، ولا طأمت الأيام ، إنما امتد الإطلام ، وهل

(١) أى فى أول الاسلام قبل أن سوي أقطار اللسان

يُفسد الشيء إلا عن صلاح، ويمسى المرء إلا عن صباح، ولعمري 'لئن كان كرم
العهد كناناً يرد وحوالاً يصدر إياه لقريب المال، وإني على توحيجه لى لفقير إلى لقائه،
شقيق على لقائه، منتسب إلى ولائه، شاكر لآلائه .

والعاية القصوى في ذلك ما كتب به دو الوراثين "أبو الوليد بن ريدون"
رحمه الله على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصر إلى إنسان
استمالها عنه إلى نفسه وهي

أما بعد أيها المصائب بعقله ، المورط محله ، الين سقطه ، الهاش عطفه ، العائر
في ديل أعتاره ، الأعمى عن شمس هاره ، الساقط سقوط الدباب ، على الشراب ،
التمهات تهافت القراش في الشهاب ، وإن العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه
أصوب ، وإناك راسلتني مستهديا من صليتي ، ما صهرت منه أيدي أمثالك ، متصديا
من حلتى لما قدعت فيه أوف أشكالك ، مرسلا حليتك مرثاده ، مستعملا
عشيقك قواده ، كادنا بسك في أوك سترل عها إلى ، وتحلف بعدها على

وَلَسْتُ بِأَوَّلِ دِي هِمَّةٍ . دَعْتُهُ لِمَا لَيْسَ بِاللَّائِلِ

ولا شك أنها قلنتك إذ لم تصاك ، وملتك إذ لم تعز عليك ، وإيها أعدرت
في السفارة لك ، وما قصرت في البياة عك ، راعمة أن المروءة لهط أنت معاه ،
والإنسانية أسم أنت حسمه وهيولاه ، قاطعه أنك أهدرت بالجمال ، وأستأثرت
بالجمال واستعليت في مراتب الحلال ، حتى حيلت أن يوسف عليه السلام حاسك
فعصفت منه ، وأب امرأه العريير رأك فسلت عنه ، وأن قارون أصاب بعض
ما كرت ، والاطم عثر على فصل ما كرت . وكسرى حمل عا شيتن . وقصير رعى
ماشيتك ، والإسكدر قتل دارا في طاعتك . وأردشير حاهد ملوك الطوائف نعروحهم
عن حماعتك ، والصحاك استدعى مسالمتك ، وحديمة الأرض مئى مادمتك وشيرين

قد ناهست ثوران فيك ، وبقيس عايرت الرناء عليك ، وأن مالك من نورية إما أردف لك ، وعروة من جعفر إما رحل إليك ، وكليب من ربيعة إما حمى المرعى بعزتك ، وحساسا إما قتله ناهتك ، ومهلهلا إما طلب ناره هممتك ، والسموعل إما وى عن عهدك ، والأحفف إما آحتى فى ريدك ، وحاتما إما حاد نوفرک ، ولقى الأضياف يشرك ، ورید من مهلهل إما رك صديدك ، والسليك من السلطنة إما عدا على رحليك ، وعامر من مالك إما لاعب الأسيّة بيدك ، وقيس من رهير إما استعان بدّهائك ، وإياس من معاوية إما استصاء ممصاح دكائك ، وسنحان وائل إما تكلم بلسانك ، وعمروس الأهمم إما سحر بياك . وأن الصلح بين بكر وتعلت تم رسالتك ، والحمالات فى دماء عئس ودنيان أسيدت إلى كعالتك ، وأن آحتيال هيرم لعامر وعلقمة حتى رصيا كان عن إشارتك ، وحواله لعمر ، وقد سألته عن أيهما كان يقرّ وقع بعد مشورتك ، وأن الخحاح تقلد ولاية العراق بحذك ، وقتيبة فتح ما وراء الهر تسعدك . والمهلب أوهن شوكة الأزارقة نايدك ، وأفسد دات بيهم نكيدك ، وأن هرمس أعطى بيليوس ما أحد منك ، وأفلاطون أورد على أرسطاطاليس ما حدث عنك ، وبطليموس سوى الإصطرلاب تديرك ، وصور الكوة على تقديرک ، وأبقراط علم العلل والأمراض نطف حسك ، وحاليموس عرف طمائع الحشائش بدقة حدسك ، وكلاهما قلبدك فى العلاج ، وسألك عن المراح ، واستوصفك تركيب الأعضاء ، واستشارك فى الداء والدواء ، وأك مهتحت لأنى معشر طريق القضاء ، وأطهرت حارس حيان على سر الكيمياء . وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق ، وحملت لا يكمدى ربما استخرج به الدقائق ، وأن صباغة الألوان آحتراءك ، وتأليف الأنقار بوليدك وآتدأعك ، وأن عمد الحميد من يحيى ناري أقلامك ، وسهل من هارون مدقون كلامك . وعمروس نحر مستمليك . ومالك من أسس مستمليك ، وأبك الذى

أقام الداهين ، ووصع القوايين ، وحدّ المساهية ، وبين الكيفية والكمية ، واطر
 في الجوهر والعرض ، ومير الصحة من المرض ، وتحل المعنى ، وفصل بين الأسم
 والمسئى ، وصرب وقسم ، وعدل وقوم ، وصف الأسماء والأفعال ، وتوب الطرف
 والحال ، وبنى وأعرب ، وبهى وتعجب ، ووصل وقطع ، وثنى وجمع ، وأطهر
 وأصمر ، وأتدأ وأحر ، وأستههم وأهمل ، وقيد وأرسل ، وأسد ونحت ، وبطر
 وتصفح الأديان ، ورشح بين مذهبي ماني وعيلان ، وأشار بدخ الجعد ، وقتل نشار .
 آس رُد ، وأبك لو شئت حرقت العادات ، وحالمت المعهودات ، فأحلت البحار
 عذبه ، وأعدت السّلام رطبه ، ونقلت عدّا فصار أسما ، وردت في العاصر فكات
 حسا ، وأبك المقول بك "كُلّ الصّيد في خوف القرا" ، والمقول بك
 ليس على الله مستنكر : أن يجمع العالم في واحد

والمعنى يقول أى تمام

فلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا * عَلَى مَا يَكُ مِنْ كَرَمِ الطَّاعِ

والمراد يقول أى الطيّب

دُكِرَ الْأَمَامُ لَمَّا فَكَانَ قَصِيدَةً ، كَتَبَ الْبَدِيعُ الْفَرْدَ مِنْ أَسْمَائِهَا

فكدمت في غير مكدم ، وأسسمت دا ورم ، وهجت في عر صرم ، ولم تحد لرمح
 مهراً ، ولا لشفرة محراً ، بل رصيت من العييه بالإياب . وتمت الرجوع نحى
 حين ، لأنى قلت لها

لَقَدْ دَلَّ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ النَّعَاتُ

وأشدت

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرَ كُلُّهَا خَائِبٌ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

ونحرت وكفرت ، وعسّت ونسرت . وأنداب وأعدب . وأرقت وأرعدت ،

وهممت ولم أفعل، وكدت وليتي، ولولا أن للحوار دمة، وللصيافة حُرمة، لكان
الحوار في قَدَالِ الدُّمُسْتُق، والعل حاصرة إن عادت العُقْر، والعُقوبة ممكنة
إن أصرَّ المذنب، وهما لم تلاحِظْك بعين كليلَة عن عيوبك ملؤها حييها وحسن فيها
من تود، وكانت إماما حلتك بحلاك، ووسمتك، سيباك، ولم تُعرك شهادة، ولا
تكلّفت لك رياده، بل صدقت بسّ نكرها فيما ذكرته عك، ووصعت الهباء مواضع
اللقب فيما ستنه إليك، ولم تكن كادبة فيما أثنت به عليك، فالمُعیدی تسمع به حير
من أن تراه، هيين القَدَال، أرعى السّال، طويل العنق والعلاوه، مُهرِط الحُرق
والعناوه، حاي الطبع، سبي الإحابة والسمع، يعيص الهيئه، سحيب الدهاب
والحيئه، طاهر الوسواس، متن الأنفاس، كثير المعايب، مشهور المنال، كلامك
تممه، وحديثك عممه، وبياك فهمه، وصحكك فهمه، ومشيك هروله،
وعناك مسأله، وديك ريدقه، وعلمك محرقه

مَسَاوِ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْعَوَايِ * لَمَّا أُمِيزَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

حتى إن ناقلاً موصوف بالبلاعه إذا قرئ بك، وهسقة مستحق لآدم العقل إذا
أصيف إليك، وأما عسنا محمود منه سداد الفعل إذا لبس إليك، وطويسا مأثور
عه من الطائر إذا قيس عليك، فوجودك عدم، والاعتناء بك بدم، والحيه مسك
طبر. والحه معك سقر. كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء^١ وصعتك لشرى وفاء،
وأثني جهلت أن الأشياء إماما يحدب إلى أشكالها، والطير إماما تقع على آلافها،
وهلا علمت أن الشرى والعرب لا يختمعا، وشعرت أن ناري المؤمن والكافر
لا تترابان. وقلت الحيت والطيب لا يستويان، وتمثلت
* عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ *

(١) هدد حده - فقهى بعض شروح الأيساله

ودكرت أنى علق لأنياع من راد، وطائر لا يصيده من أراد، وعمر ص لا يصيبه
إلا من أحاد، وما أحسك إلا قد كمت تهيأت للتهيه، وترشحت للترفيه،
لولا أن حرج العجماء حمار، للقيت ما لقي من الكواعب يسار، فما هم إلا بذون
ما هممت به، ولا تعرض إلا لأيسر مما تعرضت له، أين أدعاؤك رواية الأشعار،
وتعاطيك حفظ السير والأخبار، أما ناب لك قول الشاعر

سُو دَارِمَ أَكْفَاؤُهُمْ آلَ مِسْمَعٍ . وَتَسْجَحُ فِي أَكْفَانِهَا الْحَطَّاتُ .

وهلّا عَشِيتَ ولم تَعْتَر، وما أَمَّكَ أب تكون واد التّراحم، أو ترجع بصحيفة
المتلمس، أو أفل بك ما فعله عَقِيل س عُلْفَه ^(١) الخهْيّ الذى حاء حاطبا، فدهس
أسته ريت وأدناه من قرية الحمل، ومتى كثر تلاقيا، وأتصل تراثنا، ويدعوني
إليك ما دعا آفة الحس إلى عدها من طول السّواد، وقرب الوساد، وهل فقدت
الأراقم فأكبح في حب، أو عصلى همام من مُرّه، فأقول روح من عُود، حير من
قُعود، ولعمري لو بلغت هذا الملغ لأرتفعت عن هذه الخطّة، وما رصيت هذه
الخطّة، فالبار ولا العار، والميّة ولا الدّية. والخزّة نخوع ولا تأكل شديها
فكَيْفَ وفي أساء قَوْمِي مَسْجَحٍ وَفِتْيَانٍ هِرَّانَ الطَّوَالِ الْعَرَابِقِ

ما كنت لأتخطى المسك إلى الرماد، ولا أمتطي الثور ذون الحواد، وإما يبيع من
لا يجد ماء، ويرعى الهشيم، من عديم الخميم. وركب الصنعب من لأدلول له، ولعلك
إما عرك من علمت صنوتى إليه، وشهرت مساعقتى له من أثمار العضر. ورياحين
المضر، الذين هم الكواكب علوهم، والرياض طيب ساء .
* من تلق منهم ثقل لاقيت سدّهم

(١) في الأصل علمه وهو بسجف انظر اده حل ف ح و س

فَحَسَّ قَدْحَ لَيْسَ مِهَا ، مَا أَنْتَ وَهْمٌ وَأَيْنَ تَقَعُ مِهُمْ ؟ وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَأَوْعَمُّوْهُمْ ؟
وَكَا لَوْ شَيْطَئَةً فِي الْعِظَمِ يَبْهَمُ ، وَإِنْ كُنْتَ إِلَّا مَا بَلَعْتَ قَعْرَ تَابُوتِكَ ، وَتَحَايَيْتَ لَقَمِيصِكَ
عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ، وَعَطَّرْتَ أُرْدَانَكَ ، وَحَرَّرْتَ هِمِّيَاكَ ، وَأَحْتَلَّتْ فِي مِشْيَتِكَ ،
وَحَدَّثَتْ فُضُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحَتْ شَارِبَكَ ، وَمَطَّطَتْ حَاجِكَ ، وَرَقَّقَتْ حَظَّ
عِدَارِكَ ، وَأَسْتَأْنَفَتْ عَقْدَ إِدَارِكَ ، رَحَاءَ الْإِكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْإِعْتِدَادِ مِهُمْ
فَطَبِئْتَ نَحْرًا ، وَأَحْطَأْتَ أَسْتُكَ الْحُقْرَةَ . وَاللَّهِ لَوْ كَسَاكَ مَحْرَقُ الرُّدَيْنِ ، وَحَلَّتْكَ
مَارِيَّةُ الْقُرْطَيْسِ ، وَقَدَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَمَةِ ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى الْعَامَةِ ، مَا شَكَّكَتُ
فِيكَ ، وَلَا تَكَلَّمْتَ تَمْلَأُ فِيكَ ، وَلَا سَتَرْتُ إِيَّاكَ ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا دَاكُ . وَهَكَذَا سَامَيْتَهُمْ
فِي دِرْوَاهِ الْمَحْدِ وَالْحَسَبِ ، وَحَارِيَتِهِمْ فِي عَايَةِ الطَّرْفِ وَالْأَدَبِ ، أَلَسْتُ تَأْوِي إِلَى
بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعٍ ، إِذْ كُلُّهُمْ عَرَبٌ حَالِي الدَّرَاعِ ، وَأَيْنَ مِنْ أُنْهَرْدُهُ مِنْ لَا عَلَبَ
إِلَّا عَلَى الْأَقْلِ الْأَحْسَنِ مِنْهُ ، وَكَمْ يَبْنِي مِنْ يِعْتَمِدُنِي الْقُوَّةَ الطَّاهِرَةَ ، وَالشَّهْوَةَ الْوَافِرَةَ ،
وَالنَّهْسَ الْمَصْرُوفَةَ إِلَى ، وَاللَّدَّةَ الْمَوْقُوفَةَ عَلَى ، وَبَيْنَ آحْرَقْدِ رَحَتِ يَدِهِ ، وَبِصْبِ
عَدِيرِهِ ، وَدَهَبِ نَشَاطِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُسْرَاطُهُ . وَهَلْ كَانَ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُ
وَسُوءُ الْيَكِيلَةِ ، وَيَقْتَرِنُ عَلَى بَكَ إِلَّا الْعُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبِهِ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ سَ عَمْرُو ۖ أَدَلَّ الْحَرُصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

مَا كَانَ أَحْلَقُكَ نَأْنُ تُقَدَّرُ نَدْرَعُكَ ، وَتَرْتَعُ بِدَلِكِ عَلَى طَلْعِكَ ، وَلَا تَكُونُ رَاقِشَ
الدَّالَّةِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَعَرَّ السُّوءِ الْمُسْتَنْهَرِ لِحَتِّهَا ، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى
سِرْحَانٍ ، وَبِكَ لَا يَطْفِئُ أَغْمَرُ ، قَدْ أَعْدَرْتُ إِنْ أَعْيَيْتُ شَيْئًا ، وَأَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا ،
وَقَرَعْتُ عَصَا الْعِتَابِ ، وَحَدَّرْتُ سُوءَ الْعِقَابِ .

أَنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ . وَالشَّيْءُ مُحْقَرُهُ وَقَدْ يَسْمَى

فَإِنْ نَادَرْتُ نَالِدَامَهُ ، وَرَجَعْتُ عَلَى نَفْسِكَ نَالِدَامَهُ ، كُنْتُ قَدْ أَشْتَرَيْتُ الْعَافِيَةَ
لَكَ نَالِدَامَهُ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتُ حَجَّحَهُ وَلَا طِخْصَ ، فُرْتُ صَلَبِي تَحْتَ الرَّاعِدَةِ ، وَأَشْدَّتْ .

لَا يُؤَسِّسَكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ * قَوْلٌ تُعَلِّطُهُ وَإِنْ حَرَّحَا
 فَعُدَّتْ لِمَا هَيَّئْتُ عَنْهُ ، وَرَاحَتَ مَا أَسْتَعْفِيْتُ مِنْهُ ، بَعَثَتْ مِنْ يَرْغَحُكَ إِلَى
 الْحَصْرَاءِ دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ بِحَوْهَا وَكُرَّا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صَرَتْ إِلَيْهَا عَثَّتْ أَكْأَرْوَهَا نَكَ ،
 وَتَسْلُطُ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ مِنْ قَرْعَةٍ مُعَوَّجَةٍ تَقُومُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُحْلَةٍ مُبْتَنِيَةٍ تُرْمِيْهَا
 تَحْتَ حِصَاكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، لَكِنِّي تَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيرَانَ قَدْرِكَ
 مَنْ حَيَّلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ * رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى
 فَلَوْلَا الْمَعْرُفَةُ بِالتَّارِيخِ ، وَالْإِحَاطَةُ بِالْوَقَائِعِ وَالسَّيَرِ ، وَالْإِفَاصِيصُ ، وَالْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ
 فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، لَمَا تَأْتَى لِلْمَثَرِ الْإِقْتِدَارُ عَلَى سَبْكِ هَذِهِ الْوَقَائِعِ ، وَالتَّلْوِيحِ بِمُقْتَصَبَاتِهَا .

البوع السابع عشر

(المعرفة بحرائش الكتب ، وأنواع العلوم ، والكتب المصنعة فيها
 وأسماء الرجال المبرزين في فروعها ، وفيه مقصداً)

المقصد الأول

(في ذكر حرائش الكتب المشهورة)

قَدْ كَانَ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ فِي الْقَدِيمِ مِنْهَا مَرِيدٌ أَهْمَامٌ ، وَكَمَالٌ أَعْتَاءٌ . حَتَّى حَصَلُوا مِنْهَا
 عَلَى الْعَدَدِ الْحَمِيمِ ، وَحَصَلُوا عَلَى الْحَرَائِشِ الْخَلِيلَةِ . وَيُقَالُ إِنَّ أَعْظَمَ حَرَائِشِ الْكُتُبِ
 فِي الْإِسْلَامِ ثَلَاثُ حَرَائِشَ

إِحْدَاهَا — حِرَابَةُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ سَعْدَادَ ، فَكَانَ مِنْهَا مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا تُحْصَى
 كَثْرَةً ، وَلَا يَقُومُ عَلَيْهِ نَقَاسُهُ ، وَلَمْ تَرَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ دَهَمَتِ النَّارُ سَعْدَادَ ، وَقَتَلَ
 مُلْكُهُمْ هَوْلًا كَوِ الْمُسْتَعِصِمَ آخَرَ حُلَفَائِهِمْ سَعْدَادَ . فَدَهَمَتِ حِرَابَةُ الْكُتُبِ وَمَا دَهَبَ ،
 وَدَهَمَتِ مَعَالِمُهَا ، وَأَعْيِيَتْ آثَارُهَا .

الثانية — حِراة الخلفاء العاطميين بمصر، وكانت من أعظم الحرائس، وأكثرها جمعا للكتب المقيمة من جميع العلوم على ما سيأتى ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية. ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاصد آخر حلفائهم، واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم، فاشترى القاضي العاصل أكثر كتب هذه الحراة، ووقفها بمدرسه العاصلية بدير ملوحيا بالقاهرة، فقيت فيها إلى أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل.

الثالثة — حراة حلفاء بني أمية بالأندلس، وكانت من أحل حرائس الكتب أيضا. ولم تزل إلى أنقرض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، ودهست كتبها كل مذهب.

أما الآن فقد قلت عناية الملوك بحرائس الكتب، آكتفاء بحرائس كُتُب المدارس التي آنتوها من حيث إنها بذلك أمس.

واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تُحصى، وأحل من أن تُحصَر، لا سيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية فإنها لم يصنف مثلها في ملة من الملل، ولا قام سطورها أمة من الأمم، إلا أن منها كتبنا مشهورة قد توفرت الدواعي على نقلها، والإكثار من نسخها، وطارت شُمعتها في الآفاق ورُبِع في آفتائها.

المقصد الثاني -

(في ذكر العلوم المتداولة بين العلماء، والمشهور من الكتب المصنفة فيها ومؤلفيهم ويرجع المقصد فيها إلى سعة أصول، يتفرع عنها أربعة وحسون علما)

الأصل الأول

(علم الأدب، وفيه عشرة علوم)

الأول علم اللغة — من الكتب المختصرة فيه المتحَب، والمحرَّد لُكْرَاع، وأدب الكاتب لأبن قتيبة، وفتح اللغة للثعالبي، والفصيح لثعلب، وكفاية المتحفظ

لأس الأحاديث، والألفية لأس أصح. ومن المتوسطة فيه المُحمَل لأس فارس، وديوان الأدب للعاراني، وإصلاح المنطق لأس السكيت. ومن المتوسطة الجامع للأهرري والعباب الزاهر للصعائي، والصباح للموهري. قال في إرشاد القاصد ولا أجمع ولا أجمع من المحكم لأس سيده.

الثاني علم التصريف — من الكتب المختصرة فيه التصريف الملوكي لأس حنّي والتعريف لأس مالك. ومن المتوسطة تصريف أس الحاحب، وهو من أحسن الكتب الموصوعة فيه وأجمعها. ومن المتوسطة فيه المتع لأس عصفور، وشروح تصريف أب الحاحب وغيره.

الثالث علم النحو — من الكتب المختصرة فيه الكافية لأس الحاحب، والدرة الألفية لأس معطى، والخلاصة لأس مالك. ومن المتوسطة المفصل للمحشري والمقرب لأس عصفور، والكافية السافية لأس مالك، ويسهيل الفوائد له وهو الجامع على شدة اختصاره. ومن المتوسطة كتاب سبويه وسروحه، وشرح أس قاسم على الألفية، وشرحه على التسهيل، وشرح شهاب الدين السمين عليه. وأوسع الكل شرح الشيخ أنير الدين أبي حيان على التسهيل.

الرابع علم المعاني — من الكتب المندر، فيه مصنف تيمم الحرري، وهو عرير الوحود.

الخامس علم البيان — من الكتب المندر، به كتاب منة الإنجاز، إمام خوالدس الراري، والجامع الكبير لأس الأثر الحرري.

السادس علم البديع — من الكتب المندر، به مختصره فيه زهر الربيع للطزري. ومن المتوسطة فيه البديع لأسمين. وشرح أمدهم للسمي الخلي. ومن المتوسطة كتاب البحير لأس أي الأصم.

(تنبیه) ومن الكتب المشتملة على علوم المعاني والبيان والبدیع روض الأرهار لأن مالک ، والإیصاح لأن مالک ، وأعظمها شهرة بالديار المصرية تلخیص المفتاح لقاصی القصاة حلال الدین القرويّ وعليه عدة شروح . منها شرح الحلحالی ، وشرح الشيخ أكل الدین ، وشرح الشيخ هاء الدین السکی ، وهو من أحل شروحه ، والمعول عليه منها شرح الشيخ سعد الدین التفتارانی .

السابع علم العروض — من الكتب المختصرة فيه عروض أن مالک ، ولأن الحاحب فيه لامية كافية ، اعتنى الناس شرحها ، ومن شرحها الشيخ جمال الدین أن واصل ، والشيخ جمال الدین الأسوي . وللساوي لامية صاهي فيها لامية أن الحاحب ، والإمام القرويّ عليها شرح حسن ، ولأبي في مختصر بدیع ، ولخوهريّ فيه مختصر . ومن المتوسطة فيه عروض أن القطّاع ، وعروض أن الخطيب التبريزي . ومن المسوطة كتاب الأمين المحلى ، وعروض الأستاذ أنى الحسن العروصى المعروف بأستاذ المقتدر . وقد نظم فيه صاحباً شعاع الآثاريّ محتسب مصر ألفت فائقة سماها "هداية الصّابيل إلى علم الحليل" جمع فيها فأوعى .

الثامن علم القوافي — من الكتب المختصرة فيها قوافي الأيكي . ومن المتوسطة قوافي أن القطّاع ، ومن المسوطة قوافي أن سيده .

التاسع علم قوايين الخط — في أصول الخط ألفت لشعاع الآثاريّ ، ولأن الحسين كتاب في قلم الثلث ، ولأن السيح عمر الدین بن عبد السلام مصنف في قلم السح ، وفي صناعة المهاء المختصة بالقرآن الرائية للشاطي ، وفي حلال كتب النحو الجامعة كالتسجيل وغيره حملة من المهاء ، وقد أودعت في هذا الكتاب ما فيه كفاية من ذلك .

العاشر قوايين القراءة — فيه كتاب التنبیه لأنى عمرو الداني .

ومن كتب السير السيرة لأبن هشام ، ورهر الجمائل لأبن سيد الناس .
ومن الكتب المسبوبة المشتملة على متون الأحاديث دون الرواة جامع الأصول
لأبن الأثير . ومن المتوسطة الجمع في ذلك الجمع بين الصحيحين للمحمدي ، ومختصر جامع
الأصول لمصنفه . ومن المختصرة فيما يتعلق بالأحكام ، الإمام أحاديث الأحكام ،
للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وعمدة الأحكام للحافظ عبد العلي المقدسي .

ومما يتعلق بالترغيب والترهيب رياض الصالحين للووي . ومما يتعلق بالأدعية
كتاب الأدكار له ، وسلاح المؤمن لأبن الإمام . إلى غير ذلك من أنواع المصنفات
المختلطة المقاصد مما لا يحصى كثرة .

الخامس علم دراية الحديث — من الكتب الموصلة للدخول في ذلك علوم الحديث
لأبن الصلاح ، وتقريب التيسير للووي ، وعلوم الحديث للحاكم ، والكفاية للطيب
أبى بكر ، وفي أول جامع الأصول المتقدم ذكره في كتب رواية الحديث قطعة من
ذلك . ومن الكتب المسبوبة في أسماء الرجال الكمال . ومن الكتب المسبوبة
في معاني الحديث شرح البحارى لأبن بطلال ، وشرحه لأبن التين المعري ، وشرحه
لمعلطاي ، وشرحه للكرمانى ، وشرحه لشيخنا سراج الدين بن الملقن ، وشرح مسلم
للقاصي عياص ، وشرحه للشيخ محي الدين الووي ، وشرح سن أبى داود للخطاي ،
وشرح العمدة للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وشرحها للشيخ تاج الدين العاكهاني .
ومن الكتب في عريب الحديث كتاب العريين للهروي ، والهاية لأبن السعادات
أس الأثير ، وغير ذلك من سائر الأنواع .

السادس علم أصول الدين — من الكتب المختصرة فيه الطوالع للقاصي ناصر الدين
البيضاوي ، والمصباح له ، وقواعد العقائد للخواص بصير الدين الطوسي ، وكتاب الأربعين

للقاصي جمال الدين بن واصل . ومن المتوسطة المحصل للإمام فخر الدين ، والصحائف
للسمرقندي ، وشرح الطوالع للسيد العزّي ، وشرحها للشيخ عمر الدين الأصفهاني .
السابع علم أصول الفقه — من الكتب المختصرة فيه مختصر ابن الحاح ،
ومهاج البصاوي ، والتنقيح للقراي ، والقواعد لأن الساعاتي . ومن المتوسطة فيه
التحصيل للأرموي . ومن المدسوسة فيه الإحكام للأمدى ، والمحصل للإمام
فخر الدين ، وشروح مختصر ابن الحاح كشرح القطب الشيرازي ، وشرح
المسيلي ، وشرح الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، واتقن شرح عليه للعصدي ، وكشرح
مهاج البصاوي لأن المطهر ، وشرحه للشيخ جمال الدين الأسوي ، وغير ذلك ،
وكشرح التنقيح لمصنفه .

الامام علم الحدل — من الكتب المختصرة فيه المعنى لأثيري . والفصول للشمسي
والخلاصة للراعي ، والمعونة لأبي إسحاق الشيرازي . ومن المتوسطة فيه المائس
للعبيدي ، والوسائل للأرموي . ومن المدسوسة تهذيب المكت لأثيري .

التاسع علم الفقه — من كتب الشافعية المختصرة مختصر المري . ومختصر النويطي
والوحي للعراي ، والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي . ، التحرر للرافعي . والمهاج للدوي
والحاوي الصغير لعدد العقار القروي ، والعجب العجب . وجامع المختصرات ،
ومختصر الخوامع للشيخ كمال الدين السيدي . ومن المتوسطة المهدد لأبي إسحاق
الشيرازي ، والوسيط للعراي ، والشرح الصغير للرافعي . وأروضة للمووي ، والخواهر
للقموي ، وأجمعها على احصاء المتق للشيخ كمال الدين السيدي . ومن المدسوسة
الأم للإمام الشافعي ، والحاوي للوردی . والجر للروني . والتهذيب للإمام الحرابي ،
والسيط للعراي ، والسامل لأن القسح . والسهل لمدني . والعبد لأبي المكارم
الرويان ، والشرح الكبير على الوحي للرافعي . وشرح لمهدد للمووي انتهى فيه إلى

أشياء الربا ، ولو بكل لأعشى عن حُل كتب المذهب ، والكفاية في شرح التنبيه لأن
الرقعة ، والمطلب في شرح الوسيط له ، والحر المحيط في شرح الوسيط للقمولى .
ومن محاسنها المهمات على الراعى ، والروضة للشيخ جمال الدين الأسوى .

ومن كتب الحنفية المختصرة الهداية ، والنافع ، والكبر ، ومجمع البحرين ، ومختار
الفتوى . ومن المتوسطة الهداية . ومن المسوطة المحيط ، والمسوط ، والتحرير
والجامع الكبير وغير ذلك .

ومن كتب المالكية المختصرة التلخيص للقاصى عبد الوهاب ، ومختصر آبن الحلاب ،
ومختصر آبن الحاحب . ومن نفيس المختصرات فيها مختصر الشيخ خليل المالكي ،
حدا فيه قريباً من حدود جامع المختصرات . ومن المتوسطة التهذيب للراعى ،
والخواهر لأن شاس ، وبطم الدر للشارمساحى . ومن المسوطة الوادريان أنى ريد ،
والبيان والتحصيل ، وكتاب آبن يونس ، وشرح التلخيص للآررى ، وليس بكامل ،
والدخيرة للقرائى .

ومن كتب الحنابلة المختصرة مختصر الخندق ، والنهاية الصعري لأن ررين . ومن
المتوسطة المقيع ، والكافى . ومن المسوطة المعنى لأن قدامة .
ومن كتب الخلاف في المذاهب الأربعة الاختلاف والجمع لأن هبرة الحسلى .
ومن المشتغل على مذاهب السلف الإشراف لأن المنعرج .

الأصل الثالث

(العلم الطبيعى ، وفيه اثنا عشر علماً)

الأول علم الطب — من الكتب المختصرة فيه الموحّر لأن النفيس ، والفصول
لأنقراط ، ومن المتوسطة المختار لأن هبل ، والمائة للسيحى ، والشافى لأن القف .
ومن المسوطة كامل الصبغة المعروف بالملكى ، والقانون للرئيس أبى على بن سبها

وهو الذى أخرج الطب من التلقيق إلى التهذيب والترتيب ، وهو أجمع الكتب وأبلغها لفظاً وأحسنها تصديفاً .

الثانى علم البيطرة — من الكتب المصنعة فيه كتاب حنين بن اسحاق .

الثالث علم البيرة — من الكتب المصنعة فيه كتاب القانون الواضح وى كتاب العلائق لأن العوام حملة كافية من البيطرة والبيرة .

الرابع علم الفراسة — من الكتب المصنعة فيه كتاب أرسطاطاليس وكتاب الفراسة للإمام محمد بن الرازي ، ولعليل فيه كتاب مختص بالفرس وى النساء .

الخامس علم تعبير الرؤيا — من الكتب المختصرة فيه فوائد الفرائد لأن الدقاق ، وتعبير الحسلى المرتب على حروف المعجم . ومن المتوسطة فيه شرح المدر المير للحسلى .

ومن المنسوبة فيه تأليف أنى سهيل الميحيى ، والنشرى وى شرح كتاب الكرماني .

السادس علم أحكام الحجوم — من الكتب المختصرة فيه مجمل الأصول لكوشيار ، والجامع الصغير لمحيى الدين المعري . ومن المتوسطة كتاب التاريخ والمعنى لأن هنتا .

ومن المنسوبة مجموع أن سريخ . ومن الكتب المفردة بعض أحرانه الأدوار لأنى

معشر ، والإرشاد لأنى الرياحان البيرونى ، والمواليذ لمخضبي ، والتحاويل للسجرتى ،

والمسائل للقيصرانى ، ودرج الفلك اسكلوشا . ومن المدحل إليه مدحل القيصى ،

والمهيم للبيرونى مدحل إلى هذا الفن ، وفيه ما يحتاج إليه من الرياض أيضا .

السابع علم السحر ، وعلم الحرف والأوقاف — ومن كتب السحر المعترية وى بعض

طرائقه السر المكتوم المنسوب للإمام محمد بن الرازي ، وكتاب الجمهرة للحوارمى ، وكتاب

طيارس لارسطاطاليس ، وى عانة الحكم للحريطى وفصول كافي وى بعض طرقه أيضا .

ومن كتب علم الحرف كتاب لطائف الإشارات للنونى ، وشمس المعارف له ،

وهو عرير الوحود ، وى السج المعترية من اللعبة البورانية للنونى قطعة كافية منه .

الثامن علم الطلسمات — في كتاب طتنا الذي نقله آس وحشية عن السط أنموذج لعمل الطلسمات ومدخل إلى علمها، وفي غاية الحكم للحريطي قواعد هذا العلم . قال في إرشاد القاصد إلا أنه صنّ بالتعليم كل الصن، ولأني يعقوب السكاسكي فيه كتاب حليل القدر .

التاسع علم السيميا — رأيت فيه كتبا مجهولة المصنفين .
 العاشر علم الكيمياء — من الكتب المطولة فيه كتب حارس حيان . قال في إرشاد القاصد وأمثل كتب الإسلاميين في ذلك التدكرة لأن كونه ، ورثة الحكيم للحريطي ، وشرح الفصول لعون المدرس . ومن العلم الرائق فيه بطم الشدوري .
 الحادي عشر علم الفلاحة — من الكتب المختصرة فيه الفلاحة المصرية . ومن المدسوة فيه الفلاحة البطية ، ترجمة أنى بكرس وحشية .

الثاني عشر علم صرب الرمل — من الكتب المصنفة فيه تحارب العرب ، وفي مثلثات أس محقق حصر صورته ^(١) .

تدنيه — لارسطاطاليس ثمانية كتب في الطبيعى يختص كل كتاب منها بحرف حردها أس سينا في مختصر ترجمه بالمقتضيات ، ولحصها أبو الوليد س رشد تلخيصا مفيدا ، والمتأخرون جمعوا في غالب كتبهم بينه وبين الإلهي في التصنيف كما في الطوالع والمصباح للبيضاوى .

الأصل الرابع

(علم الهندسة ، وفيه عشرة علوم)

الأول علم عقود الأبنية — من الكتب المصنفة فيه مصنف لأن الهيم ، ومصنف للكركي .

- الثاني علم المطاط — من الكتب المختصرة فيه كتاب اقليدس . ومن المتوسطة كتاب على بن عيسى الوريث . ومن المسوطة كتاب ابن الهيثم .
- الثالث علم المرايا المحرقة — من الكتب المصنعة فيه كتاب لآس الهيثم .
- الرابع علم مراكر الأثقال — من الكتب المعترية فيه كتاب ابن الهيثم ، وفيه كتاب لأبي سهل الكوهي .
- الخامس علم المساحة — من الكتب المختصرة فيه كتاب ابن علي الموصلي . ومن المتوسطة كتاب ابن المختار . ومن المسوطة ، كتاب ارشميدس .
- السادس علم إسقاط المياه — للكرخي — فيه مختصر حليل ، وفي حلال الفلاحة السطية لأبي وحشية مهمات هذا العلم .
- السابع علم حرّ الأثقال — فيه كتاب لفيصل .
- الثامن علم السكّات — فيه كتاب لارشميدس عمدة في بابه .
- التاسع علم الآلات الحربية — فيه كتاب لابي موسى بن شاكر .
- العاشر علم الآلات الروحانية — أشهر كتبه الكتاب المعروف بحيل أبي موسى ، وفيه كتاب مختصر لفيصل ، وكتاب مسوط للديع الحرري .

الأصل الخامس

(علم الهيئة ، وفيه خمسة علوم)

- الأول علم الرياح — قال في إرشاد القاصد أقرب الرياحات عهدا بالرصد الريح العسلاني . قال وأهل مصر في زمانا إنما يقيمون دفتر السنة من ريح لفقوه من عده أرياح وبقوه بالمصطلح ، وأهم الرياحات في زمانا الذي نحن فيه ريح الشبح علاء الدين بن الشاطر الدمشقي ، وهو عرير الوحود لم ينتشر ولم تكثر نسجه بعد .

الثانى علم المواقيت — من الكتب المختصرة فيه مسائل اليواقيت فى علم المواقيت . ومن المسوطة جامع المادى والعايات لأبى على المرأ كشى .

الثالث علم كيفية الأرصاد — من الكتب المعترة فيه كتاب الأرصاد لأبى الهيثم ، وكتاب الآلات العجيبة للحارثى يشتمل عليه .

الرابع علم تسطيح الكرة — من الكتب القديمة فيه كتاب تسطيح الكرة لطليموس . ومن الكتب المحدثه فيه الكامل للفرعائى ، والاستيعاب لليرونى ، وآلات التقويم للزرا كشى .

الخامس علم الآلات الطلية — فيه عدة مصنفات ، ولا يراهم بن ساد الخزانى فيه كتاب مبرهن .

الأصل السادس

(علم العدد المعروف بالارتماطيقى ، وفيه خمسة علوم)

الأول علم الحساب المفتوح — من الكتب المختصره فيه مختصر آسن محلى الموصلى ومختصر آسن فلوس الساردى ، ومختصر السموئى بن يحيى المعرى . ومن المتوسطة الكافى للكركى . ومن المسوطة الكامل لأبى القاسم بن السمح .

الثانى علم حساب التخت والميل — من الكتب المصنفة فيه على طريق الهمدى كتب معده ، ومن الكتب المصنفة فيه على طريق العمار كتاب الحيمار ، وكتاب المدحل وغيرهما .

الثالث علم الحر والمقالة — من الكتب المختصره فيه نصاب الحر لآسن فلوس الساردى ، والمفيد لآسن محلى الموصلى . ومن المتوسطة فيه كتاب المطهر الطوسى . ومن المسوطة جامع الأصول لآسن المحلى ، والكامل لأبى شجاع بن أسلم .

الرابع علم حساب الخطأ — وفيه من الكتب الجامعة كتاب لربى الدين المعزى

الخامس علم حساب الدور والوصايا — من الكتب المصنفة فيه كتاب

لأفصل الدين الحويجى .

الأصل السابع

(العلوم العملية ، وفيه ثلاثة علوم)

الأول علم السياسة — ومن الكتب المصنفة فيه كتاب السياسة لارسطاطاليس
الذى ألهه لاسكندر، وكتاب المدينة الفاضلة لأبى نصر الفارابى، وللشيخ تقي الدين
ابن تيمية كتاب حسن فى السياسة الشرعية .

الثانى علم الأخلاق — ومن الكتب المختصرة فيه ، كتاب للشيخ أبى على
آن سينا . ومن المتوسطة كتاب الفور لأبى على بن مسكويه . ومن المنسوبة كتاب
للإمام فخر الدين الرازى .

الثالث علم تدبير المنزل — ويحصل الانتفاع فيها بالاطلاع على السير الفاضلة
المحمودة للولك وغيرهم ، ولا أنفع من السيرة السوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .
وإذا عرف الكتاب هذه العلوم والقنود وما صنف فيها من الكتب ، أمكنه
التصرف فيها فى مكانه بذكر علم نبيل لمساواته أو التفصيل عليه ، وذكر كتاب مصنف
فى ذلك حيث تدعو الحاجة إلى ذكره . كما وقع لى فى تقرير مولانا قاضى القصبة
شيخ الإسلام حلال الدين عبد الرحمن ، آن سيدنا شيخ الإسلام أبى حفص عمر
اللقينى الكافى الشافعى ” إن تكلم فى الفقه فكأنما لسان الشافعى تكلم ، والربيع
عنه يروى ، والمرئى منه يتعلم ، أو حاص فى أصول الفقه قال العزالى هذا هو الإمام
باتفاق ، وقطع السيف الآمدى بأنه المقدم فى هذا الفن على الإطلاق ، أو حرى
فى التفسير قال الواحدى هذا هو العالم الأوحى ، وأعطاه آن عطية صفه يده بأن
مثله فى التفسير لا يوجد ، وأعترف له صاحب الكشاف بالكشف عن العوامص ،
وقال الإمام فخر الدين هذه مفاتيح الغيب وأسرار البريل فارتفع الخلاف واندفع
المعارض ، أو أحد فى الفراءات والرسم أررى أبى عمرو الدانى ، وعدا شأ الساطى

في الرائية وتقدمه في حرر الأمانى ، أو تحدث في الحديث شهد له السفيان بعلق الرتبة
في الرواية ، وأعترف له آس معين في التبرير والتقدم في الدراية ، وهتف الخطيب^(١)
العدادى بذكره على الممار ، وقال آس الصلاح لمثل هذه الفوائد نتعين الرحلة ،
وفي تحصيلها تتعد المحار ، أو أئدى في أصول الدين بطرا تعلق منه أبو الحسن
الأشعرى بأوى ريمام ، وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد
وواصل س عطاء ليتنا لم نفتح بابا في الكلام ، أو دقق الطر في المنطق هه الأهرى
في ماطرته ، وكتب الكاشى وثيقة على نفسه بالعرج مقاومت ، أو ألم بالحدل
رمى الأرموى نفسه بين يديه ، وحلل العميدى عمدته في آداب البحث عليه ،
أو بسط في اللغة لسانه أعترف له آس سيده بالسيادة ، وأقر بالعرج لديه الجوهرى
وحلس آس فارس بين يديه مجلس الاستفاده ، أو بنا إلى النحو والتصريف أرى
فيه على سيوييه ، وصرف الكسائى له عزمه فسار من البعد إليه ، أو وضع أنودحا
في علوم الملاعة ، وقف عنده الحرحاني ، ولم يتعد حده آس أنى الأصبع ولم يحاور
وصعه الرمانى ، أو روى أشعار العرب ، أرى الأصمعى في حنطة ، وفاق أبا عبيدة
في كثرة روايته وعزير لفظه ، أو تعرض للعروض والقوافى استحقهما على الخليل ،
وقال الأحفش عنه أحدث المتدارك وأعترف الجوهرى بأنه ليس له في هذا الفن
مثيل ، أو أصل في الطب أصلا ، قال آس سينا هذا هو القانون المعتبر في الأصول ،
وأقسم الزارى عجي الموتى إن نقرط لو سمعنا لما صنف الفصول ، أو حرج إلى
غيره من العلوم الطبيعية وكأما طبع عليه ، أو حمله ريمام واقاد ذلك العلم إليه ،
أو سلك في علوم الهندسة طريقا لقال أقليدس هذا هو الخط المستقيم ، وأعرض
آس الهيتم عن حل الشكوك ووثى وهو كظيم ، وحمد المؤمنين هود عدم لإكمال

تَمَّاهِ الأَسْتَكْمَلُ ، وَقَالَ عَرَفْتُ بِدَلِّكَ نَفْسِي وَفَوْقَ كُلِّ دِي عِلْمٍ عِلْمٌ ، أَوْ عَرَّحَ عَلَى
 عِلْمِ الهَيْئَةِ لَأَعْتَرَفَ أَبُو الرِّيحَانِ الْيَرُونِي أَنَّهُ الْأُنْخُوَّةُ السَّادِرُ ، وَقَالَ آسُ أَوْلَحَ
 هَذَا الْعَالَمِ قُطْبَ هَذِهِ الدَّائِرَةِ ، أَوْ صَرَفَ إِلَى عِلْمِ الْحِسَابِ نَظْرَهُ لَقَالَ السَّمْعَوِيُّ
 آسُ يَحْيَى ، لَقَدْ أَحْيَا هَذَا الْعَرَّ الدَّارِسَ ، وَأَنْحَلَتْ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ عَيْبَاهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
 عَمَّةٌ لِعَامِيهِ وَلَا عُمَّةٌ عَلَى مِمَّارِسَ

وَقَدْ وَحَدَّتْ مَكَانَ الْقَوْلِ دَا سَعِيَةً فَإِنَّ وَحَدَّتْ لِسَانًا قَائِلًا قُلِيلَ

وَسَوْفَ أُورِدُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَذَلِكَ
 يَجْرِي الْقَوْلُ فِيمَا يَكْتُبُ بِهِ مِنْ إِحَارَاتِ أَهْلِ الْعُلُومِ وَنَحْوِهَا فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ
 ذِكْرُنِي مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَحْرَى فِي الْكَلَامِ عَلَى النَّحْوِ وَنَحْوِهِ .

- - -

تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الثَّانِي ، أَوَّلُهُ ”الْبُوعُ الثَّامِنُ عَشَرَ - الْمَعْرِفَةُ بِالْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ“

فهرست الجزء الأول من كتاب صحح الأعشى

صفحة	حطة الكتاب
٥	المقدمة في المادى التى يحى تقديمها قبل الحوص فى كتابة الإنشاء ، وفىها خمسة أبواب
٣٥	الباب الأول — فى فصل الكانة ، ومدح فصلاء أهلها ، ودم حقايم ، وفيه فصلان
٣٥	الفصل الأول — فى فصل الكانة
٤٦	الفصل الثانى — فى مدح فصلاء الكتاب ودم حقايم
٥٠	الباب الثانى — فى ذكر مدلول الكانة لعة وأصطلاحا الخ ، وفيه ثلاثة فصول
٥١	الفصل الأول — فى ذكر مدلولها الخ
٥٤	الفصل الثانى — فى تفصيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكانة
٥٨	الفصل الثالث — فى ترجيح الشعر على الشعر
٦١	الباب الثالث — فى صفاتهم وآدابهم ، وفيه فصلان
٦١	الفصل الأول — فى صفاتهم ، وهى على صريين
٦٩	الفصل الثانى — فى آداب الكتاب ، وهى على نوعين
٦٩	النوع الأول — حسن السيرة وشرف المذهب ، ولذلك شروط ولوارم
	النوع الثانى — حسن العشرة التى هى من أفصل الخلائق الخ ، وهى على خمسة أصرب
٧٣	

صفحة

الباب الرابع - في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء الخ، وفيه فصلان ٨٩

الفصل الأول - في التعريف بحقيقته ٨٩

الفصل الثاني - في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه عند بعد ذلك

في الممالك ٩١

الباب الخامس - في قوايس ديوان الإنشاء وترتيب أحواله وآداب

أهله ، وفيه أربعة فصول ١٠١

الفصل الأول - في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ودرجه قدره الخ ١٠١

الفصل الثاني - في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه ١٠٤

الفصل الثالث - فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتدريسه الخ ،

وفيه اثنا عشر أمرا ١١٠

الفصل الرابع - في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية الخ ،

وفيه صرمان ١٣٠

المقالة الأولى

في بيان ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد، وفيه مانان ١٤٠

الباب الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية ، وفيه

ثلاثة فصول ١٤٠

الفصل الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال ١٤٠

الفصل الثاني - فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء ،

وفيه طرفان (صوانه ثلاثة أطراف) ١٤٨

الطرف الأول - فيما يحتاج إليه من الأدوات ، ويستعمل العرص منه

على خمسة عشر نوعا (صوانه تسعة عشر نوعا) ١٤٨

(ح) من كتاب صبح الأعشى

صفحة	
١٤٨	النوع الأول — المعرفة باللغة العربية، وفيه أربعة مقاصد
١٦٥	النوع الثاني — المعرفة باللغة العجمية الخ، وفيه مقصداً
١٦٧	النوع الثالث — المعرفة بالحو، وفيه مقصداً
١٧٧	النوع الرابع — المعرفة بالتصريف
١٨٠	النوع الخامس — المعرفة بعلوم المعاني والبيان والسديع ، وفيه مقصداً
١٨٩	النوع السادس — حفظ كتاب الله العزيز، وفيه مقصداً
٢٠١	النوع السابع — الاستكثار من حفظ الأحاديث السوية ، وفيه مقصداً
٢١٠	النوع الثامن — الإكثار من حفظ خطب الملءاء ، والتفهم في أساليب الخطباء ، وفيه مقصداً
٢٢٧	النوع التاسع — مما يحتاج إليه الكاتب الخ، وفيه ثلاثة مقاصد
٢٧١	النوع العاشر — الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة الخ ، وفيه مقصداً
٢٩٥	النوع الحادي عشر — الإكثار من حفظ الأمثال، وفيه مقصداً
٣٠٦	النوع الثاني عشر — معرفة أساب الأمم من العرب والعجم
٣٧٢	النوع الثالث عشر — المعرفة بمفاحرات الأمم ومساوماتهم الخ ، وفيه مقصداً
٣٩٠	النوع الرابع عشر (مكرر) المعرفة بأنام الحروب الواقعة ، وفيه ثلاثة مقاصد

(د) فهرست الجزء الأول من كتاب صبح الأعشى

صحيفة

٣٩٨

النوع الرابع عشر — في أوائل العرب

٤٠٩

النوع الخامس عشر — في معرفة عادات العرب ، وهي صفان

النوع السادس عشر — البطر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال ،

٤١١

وفيه مقصداً

النوع السابع عشر — المعرفة بمجرائ الكتب وأنواع العلوم الخ ،

٤٦٦

وفيه مقصداً